

نايا

حكاية حورية بحر

نايا

حكاية حورية بحر

رواية

إبراهيم إدريس



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2018 م - 1439 هـ

ردمك 6-2422-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

 facebook.com/ASPArabic

 twitter.com/ASPArabic

 www.aspbooks.com

 asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (+961-1)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (+961-1)

المحتويات

| | |
|-----|---|
| 9 | نايا . . من أين أتت؟ ولم هي الآن؟ |
| 11 | أصدقائي |
| 13 | المقدمة |
| 15 | الإهداء |
| 16 | آية |
| 17 | دعاء |
| 18 | تعريف |
| 19 | المشهد الأول: استيقاظ غير متوقع |
| 37 | المشهد الثاني: مدينة آينجه |
| 61 | المشهد الثالث: كدي وفأس الأولدوروجو |
| 83 | المشهد الرابع: العهد القديم |
| 109 | المشهد الخامس: تغريبة فمفترق الطرق |
| 140 | المشهد السادس: الحورية إيفان |
| 160 | المشهد السابع: نُوا واللجنة |
| 211 | المشهد الثامن: رحلة الانتقام |
| 237 | المشهد التاسع: الحورية نايا ومدينة آينجه |
| 265 | المشهد العاشر: القارورة الأولى «ما قبل نُوا» |
| 300 | المشهد الحادي عشر: القارورة الثانية «ما بعد نُوا» |
| 328 | المشهد الثاني عشر: الجريمة البيضاء |
| 371 | المشهد الثالث عشر: النهاية |

«إلا أن في الروايات نوعًا من أنواع العبودية، إذ أنك تجد نفسك مضطرًا لإنهاء ما بدأتَ طوعًا لا كراهية، سائرًا في طريق رسمها لك كاتبٌ ما، لا مهرب لك من معرفة مصير ما خطّه ذاك القلم لأحد أبطاله والذي بات أحد أهم الشخصيات في خيالك، لا قدرة لك على مسح دموع الحزن ولا المشاركة في صناعة دموع الفرح، درعك العجز ورمحك الأمل، هذه هي كل ما تمتلك من الأسلحة النفسية لتواجه بها نزوات ذاك الكاتب الغامض»

مقتطفات من الورد

إبراهيم إدريس

نايا .. من أين أتت؟ ولم هي الآن؟

يا لها من مفارقة عجيبة بأن تولد فكرتها - فكرة "نايا" الرواية - وتكتب لها الحياة في مكانٍ بعيدٍ عنّا، في المكان الذي من المفترض أن يكون هو ذاته القريب من منازلنا وأسرّة نومنا وأغطيّة هوائنا. مكان مفصوم الوجود! أسميته في روايتي اصطلاحًا بالمسمى الذي نتداوله فيما بيننا نحن البشر باسم "عُرض البحر"، وهو ذاته المسمى عندنا في الواقع "الضمير".

المفارقة تكمن بأن الحياة كُتبت لها - للرواية - بالتزامن مع الموت وبالرغم من وجوده الكَث الذي استوطن هناك "عُرض البحر" بعزمٍ صارمٍ على محي العديد من الحيوانات الفرعة التي فُزّت مما لا يمكن وصفه بأي كلام، منذ زمنٍ ليس بهينٍ ولزمنٍ لا يعلمه أحدٌ إلا الله! سبحانه.

يا لها من مفارقة نادرة بأن تولد الرواية "نايا" أثناء مفارقة أرواح بريئة لأجسادٍ منهكةٍ غارقة في البحار وبما فيها من الظلمات. يا لها من مفارقة غريبة بأن تولد الرواية مع تتابع عروج أبطال لعبوا معًا وعلى حدة دور البطولة المطلقة لروايات الغرق المُهينة للعروبة وللبرية جمعاء.

يا أيتها الأرواح البريئة؛ يا ليتك استطعت النجاة كما يستطيع جلّ الأبطال في الروايات فإننا والله لنرهّبك، إننا لتتوجس من عودتك للانتقام منّا، إننا لنجزع من احتمالية اقتصاصك من عجز أيدينا التي ادعت الكسح - وما زالت تدعيه - عن مناصرتك أو معاونتك أو حتى الذود عنك، إننا والله لنهلع من احتمالية تأرك من أموالنا المكدّسة - مهما قلّت - التي عزّت لنفسها وقوعها بالأسر في قلوبنا - وما زالت تدعيه - فشاحت بنظرها عن دعمك أو مشاركتك أو حتى عن مساندتك، إننا والله لنذعر

من مُجازاتِكَ لألستنا التي اصطنعت لنفسها الإصابة بدء الشلل لكي تبيت بكماء عن قول "لا" رفقتك أو الصراخ خلفك أو النداء معك أو حتى الدعاء لك. أيتها الأرواح البريئة إننا نعتزف بأننا نحن من أغرقناكِ .. ساهمنا بذلك على الأقل .. بشكل ما!

الآن .. إن «نايا» الآن لكي يتابع الناجون منهم ويكملوا المسير، ليولدوا الأمل بالرغم عن أنوف اليأس، ليجدوا ظلاً في أراضي الخيال الشاسعة فيستظلوا بها عن حرقه نار الإجرام الهائلة التي تتبع لهم من البر للبر للبحر أملاً ييصالهم قسراً إلى السماء. «نايا» الآن ليتناسوا حزنهم بعض الوقت، وليتغاضوا عن ظمئهم بعضاً آخر، وليصبروا على جوعهم بعضاً آخر وآخر وآخر.

كما أن «نايا» لنا نحن معشر المتقاعسين والمتخاذلين، ووالله أكاد أحسب أننا المتآمرون أيضاً، «نايا» لكي يلحق واقعهم الموجه بخيالنا نحن الفازيين من محيطهم، الهاربين من دائرة جحيمهم الفاسقة وقبة مأساتهم الفاجرة، «نايا» لكي لا ننسى نحن غرقانا، إن ما زالوا يعدوننا معهم، أو غرقاهم إن ما زالوا يسمحون لنا بالإشارة إليهم، «نايا» لكي يبقوا إلى الأبد! حتى وإن كان بقاؤهم على هذه الأوراق فقط! رحمهم الله أينما استشهدوا؛ في البر أم في قوارب الموت في عرض البحر.

نايا؛ رويت هذه الحكاية من قبل حورية بحر صادفت أثناء ترحالها طفلاً صغيراً يغرق! بلغ هذا الطفل من العمر منتهاه ومنتهاه كان الثلاث سنوات فقط! لم يكن إدراك الطفل الغريق لأحداث ما روته تلك الحورية أو لمقصده بالأمر المهم، المهم كان مجرد انتقاله السلمي غير المؤلم لدار الحق بعد أن عجز هو وعجز والدها وعجز مجتمعها وعجزت أمته وعجز عالمه أجمع عن إيجاد السلام له ولأهله ولوطنه. كان الهدف من روايتها له هذه الحكاية مجرد أن يستغل ترانيمها الدافئة ليخلد للموت الرؤوم بسكون .. وأتمنى أن يكون هذا ما قد حدث له ..

أصدقائي

إنني أعلم مسبقاً أنه لطالما كانت نغمة صوت الكاتب الأجمل ما بين نغمات القراء إبان قراءته لتوليفة كلماته، لطالما كانت الأتقن والأصدق، لطالما كانت الأحن عند الحاجة والأشجن عند العوز والأجراً عند اللزوم.

كيف لا تكون كذلك وصاحبها الأعلم بها وبكيفية اصطفاها وبطريقة تسلسلها واتزانها على السطور، كيف لا وهو الأكثر إدراكاً بتفاصيلها وخباياها وبما تؤول إليه طياتها في المستقبل المجهول، كيف لا وهو الأثرى اطلاعاً على معانيها المتجردة والأفطن بمقاصدها المكنونة، وهو أيضاً الأكثر إماماً بطبيعة شخصياتها التي تنبثق منها إلى الملاء.

وفي المقابل وبالرغم من ذلك وقد يكون بسببه، تجد خط يد مبتكر توليفة الكلمات الأسوأ ما بين الخطوط التي تتناسخها عنه، فهو وحده من ذاق شدة الألم المُلمهم فيجزع من احتمالية عودة ما يماثله لأرض واقعه، وهو وحده من ترصد للفرحة المستجدة لاستقبال الإلهام فيخشى من كون عبورها القادم بعيداً عنه لا يراه، أو من أن يكون عبوره كعبور شهاب ما عبر ظلمات المالا نهاية في الفضاء .. أي أبعد مما قد يطيق تخيله.

ولكنني أستميحك عذراً، فلا رغبة لدى الحورية بأن تعاود قصّها لروايتها على مسامعكم أنتم البشر، ولا حتى أن تقوم بكتابتها لكم، لذا دعوني أرويها لكم بالنيابة عنها.

- كيف وصلت الرواية إليك؟

- لا أدري .. لعله القدر!

المستند الثالث / الراوي

المقدمة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).
لم أجد أجملَ من فاتحةِ
«فاتحةِ الكتابِ» لهذا الكتاب

و(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
ولا عجبَ أنها أول ما نطق به البشر

إهداء خاص

إلى

محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم

إِلَى أَمِينٍ إِبرَاهِيمَ

آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

سورة آل عمران: 190-191

صدق الله العظيم

دعاء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَاقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ:

(اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا).

رواه الترمذي

تعريف

قيل بالعربية إن الحورية فتاة أسطورية تتراءى في البحار والأنهار والغابات، وقيل أيضًا إنها الحسناء. وتُصوّر حوريات البحر ككائنات تجمع بين صفات البشر (القسم العلوي من الرأس إلى السرة) والأسماك (القسم السفلي من السرة إلى الذيل) وتتواجد كزوجين ذكر وأنثى، وتُصوّر أيضًا بكونها كائنات جميلة وساحرة. ولكنها تمتاز في الحكايات العربية عن مثيلاتها في الغربية بكونها كالبشر العاديين ولكن بقدرة على التنفس والعيش تحت سطح الماء.

وبما أن روايتي هذه رواية عربية؛ ستجدونها تتبنى التصوّر العربي مع بعض التعديلات والإضافات عليه.

المشهد الأول

استيقاظ غير متوقع

ظنّ ظنّين اثنين، معاً وفي نفس الوقت، ظنّ أنه يغرق وظنّ أنه يحلم بالغرق، فالصورة لم تكن واضحة المعالم، والمشهد لم يلمّ بتفاصيله بالشكل الكافي. وجد نفسه يفتح عينيه فجأة على وسعهما، فرأى نفسه بذات جسده - إذ اعتاد أن يحلم باستيطان جسد والده المُختفي، وفي بعض الأحيان استيطان جسد أخيه المغدور - مستلقياً على ظهره في مكان ما، مكان ما تحت سطح الماء!

ضغط برأسه للخلف ورفع صدره قليلاً للأعلى وتمايل بجذعه، حركات مُتوقّعة حاكى بها فكرة المقاومة بشكلٍ ما، وما هي إلا لحظات حتى باشرت يده لا إرادياً بالتصارع الوجودي مع الوسط المحيط به من الماء، تصارعت مستجديةً قدوم بضع نسيمات من الهواء لعله بذلك يُنقذ من الغرق، وأين منه الهواء في ذلك المكان؟



ثوانٍ معدودة ونفذ على إثرها مخزون رثتيه الاثنتين من الهواء. نفدت أنفاسه الزهيدة، فارتأى التعبير عن انتهائها بسكونٍ في جسده تبعه انفراجة صغيرة أحدثها بين شفثيه كإعلانٍ صارخٍ بالاستسلام والرضوخ التام لسطوة المياه وبما سيلحق بها .. الغرق!

ولكنه فاجأنا! كصحوه الموت فاجأنا بصرخة مدويةٍ، وأحسبه فاجأ نفسه بها أيضًا لقوتها، رُجَّ على إثر دويها المكان، فانسل الماء لجوفه - أو بالأحرى هكذا ظن - بلا خجل وبلا أقل مقدار من الحياء مستغلًا الفرجة الواسعة المُحدثة جزاء صرخته، وانتهى بذلك المشهد!

تكرر معه المشهد ذاته سبع مرات، حال ما بين المشهد والمشهد وقت مجهول الكم لتُضاف بذلك غربة الزمان إلى غربة المكان، إلا أن المرة السابعة لم تنتهِ النهاية المعتادة التي كاد يألفها، بل بدأت بها فصول جديدة مغايرة من حياته، فصول حياته المؤقتة تحت «سطح الماء»، وهو ما تبين له لاحقًا بأنه ذاته «سطح البحر» أو بالأحرى «سطح المحيط»! أخذ يسعل ويسعل، كان سعاله بحدّة وجدها من ناحيته مؤلمة ومرعبة، ووجدتها «هي» من ناحيتها مجرد مُقلقة - هي من كانت بجانبه آنذاك- سعى أكثر من مرة للنهوض أو حتى لمجرد الاكتفاء بالجلوس، وبعد بضع محاولات مُرهقة على مهل ظفر المستيقظ بالجلوس واكتفى بذلك.

انتصب جذعه مستويًا وأنزل قدميه على أرضية المكان على التوالي، فانسدل الغطاء الحريري اللؤلؤي الخفيف الذي كان يستر جسده وارتأى الاستقرار على وسطه، ومباشرةً شعر بأن الأرضية التي داسها لتوّه عبارة عن حصى ملساء فيها ما فيها من البرودة. وبذلك وصل به الحال جالسًا على سرير مجهول الصاحب في مكان غامض الإحداثيات ضمن زمان لا تربطه أي صلة ولو من بعيد بالمنطق، ظانًا بأنه تقريبًا قد مات.

كان يضع يده اليسرى على فمه واليمنى فوق أعلى صدره أثناء سعاله الذي حافظ على وتيرة ثابتة إلى أن توقف مرة واحدة، ما منحه

الفرصة ليستطلع المكان فرآها. جالسًا على سرير، قدماء على أرضية الغرفة، لا يستره إلا غطاء على وسطه، هذه هي حاله عندما رآها أول مرة. كانت تجلس على مقعد غريب الهيئة بجانب السرير، جهة يساره، تتأمل تفاصيل وجهه ببالغ الاهتمام، يفصل بينهما قرابة ثلاث أذرع؛ فاتنة هي فيها أقصى درجات الجاذبية، ذات بشرة بيضاء غضة وعينين خضراوي اللون لوزيتي الشكل، من أجمل العيون، وهي التي يشتهها البعض بعيون الغزلان لكونها واسعة وواضحة وذات نظرة جريئة، وهي ممتلئة الوجه ذات أنف متناسق بمثالية، حاجباها متوسطا السماكة وشفتاها ممتلئتان وشعرها كثٌ أملس حالك السواد. وكانت ترتدي قلادة فضية ساحرة ملفتة للنظر.

وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى كانت صاعقة تيار ألمٍ شديدٍ تضرب بما بين ترقوتيه في الأسفل من عنقه، أغمض على إثرها عينيه بشدة وضغط على موضع الألم بكلتا كفيّيه بالقدر الذي استطاعه، ساعيًا لحماية عنقه من التمزق الذي اعتقد أن الألم سيسببه لا محالة. وبعد مرور فترة وجيزة من الزمن زالت عنه صاعقة الألم وزال معها أثرها. فأنزل يديه على جسده ليتفقد كمن يبحث عن شيء ما، أملاً بأن يؤكد لنفسه كونه لا يزال في منامه، وأثناء تفقده ذاك استشعر نحوًا غريبًا في جسمه ونعومة حديثة العهد في ملمسه فاشتاط حيرةً بالاضافة لحيرته من كونه لم يستيقظ بعد! ومع مرور الثواني بدا له أنه لن يستيقظ في القريب العاجل، وكم أخافه ذلك!

قال مخاطبًا نفسه: (أنا في الماء! ورغم ذلك حيّ لم أغرق! على الأقل لم أغرق حتى الآن! لم أمُت! أحقًا أنا محاط بالماء!) نظر بحدّة يشوبها الفضول صوب المرأة التي تشاركه التواجد في تلك الحجرة ثم وجّه لها الحديث بثلاثة تساؤلات متتابعة ومختصرة تمّ عن استغرابه قائلاً:

- أين أنا؟ ما الذي حدث لي؟ وعذرًا .. من أنت؟

نهضت المرأة من مكانها مبتسمة واتجهت صوب زاوية الحجرة، وكان في زاويتها حوض أسطواني زجاجي مزخرف بشكل بسيط للغاية، مليء برمال ذهبية باهتة اللمعان تبدو وكأنها متوهجة، بالكاد يصل ارتفاعه ليوازي طرف كتفها - وهي طويلة نوعًا ما - ويظهر من على سطح الحوض جزء من صخور غريبة مضيئة تنير الغرفة. بدا الحوض جميلاً وأنيقاً رغم عدم وضوح ماهيته بالنسبة إلى المُستيقظ.

قالت أثناء تحريكها لشيء ما أسفل حوض الرمال:

- أعلم مقدار الألم الذي ألمّ بك منذ قليل، عليك بالصبر.. تنبّه! قد يعود إليك عدّة مرات حتى يعتاد جسدك على وجوده، ولك أن تعتبر نفسك محظوظاً إن لم يعد.. ولكنني أشك في ذلك! وما أن انتهت من تحريك ما أرادت تحريكه أسفل الحوض حتى تسرب جزء من الرمال الذهبية الموجودة فيه لخارجه بهدوء ليتكدّس في صدفة محار وردية كبيرة الحجم موضوعة بشكل مقلوب أسفل الحوض. فأدى ذلك لزيادة في حجم الصخور المضيئة الظاهرة، فتضاعفت الإضاءة في المكان وتضاعف لذات السبب خجله من حالته التي يستره فيها مجرد غطاء.

وبعد ذلك اتجهت المرأة صوب المستيقظ ووقفت قبالة حيث فصل بينهما مسافة ذراع واحدة وثنت جذعها ليوازي رأسها رأسه واضعةً كفيها على ركبتيها ثم قالت:

- ارتدّ ثيابك.. ستجدني أنتظرُك خارج الحجرة.

ثم أدارت له ظهرها وخرجت مبتسمةً ابتسامة عاشقة تنظر لأعلى ما تصل إليه عيناها دون أن ترفع رأسها، مكتفيةً بالتلويح به يمينه ويسرة بخفة، وأضافت عند وصولها لما بدا فتحة باب على هيئة نفق يؤدي للأعلى إلى خارج الحجرة:

- ستجد أمامك مباشرةً فوق المنضدة ثياباً تناسبك، وستجد حذاءً مناسباً لقدمك في الأسفل منها، وهناك سوار معدني ضعه في

معصمك الأيسر أيضًا. وإياك أن تخلعه مهما حصل.
ثم خرجت. وهكذا وجد المُستيقظ نفسه وحيداً في غرفة بسيطة غارقة تماماً في المياه. وفي غضون لحظات من وحدته عاود المستيقظ التساؤل في سِره من جديد: (ترى لم لم أغرق؟) ولم ينتظر طويلاً ليجيب نفسه بنفسه فأجاب على الفور: (إمّا أنني تكيفت مع وجود الماء وإما أن لهذا الماء المحيط بي خصائص تحاكي خصائص الهواء! في أي حال لا يهم، سأستيقظ من حلمي مهما طالت بي ليلتي، فلا داعي للقلق) وأغمض عينيه قليلاً، ثم فتحهما لتتجولا في الحجرة بهدف تفحصها وتفحص جودة عقله اللاواعي الذي اعتقد أنه المسؤول عن بناء المكان الذي استفاق ووجد نفسه فيه.

كانت الغرفة مربعة الشكل تقريباً، كبيرة الحجم وبسيطة للغاية، جدرانها مطلية بلون وردي فاتح هادئ جميل يريح النظر، وسقفها على ارتفاع يقارب الثماني أذرع ولا يتخللها أية نوافذ، وهذا أول ما أثار استغراب المستيقظ من بعد استغرابه من كونه حياً يرزق تحت سطح الماء.

وكان في الحجرة سرير واسع مريح لدرجة ساحرة يقبع في منتصفها بحيث يستند رأسه إلى حائط الحجرة، وعلى يساره بجانب الحوض الزجاجي الذي عيشت به تلك المرأة الغريبة مقعد غريب الهيئة مثلها، وبجانبه منضدة حجرية متوسطة الحجم، وفي المقابل على يمين السرير مهد طفل كبير الحجم نوعاً ما، وبجانبه في زاوية الحجرة حوض زجاجي مماثل لما رآه في الزاوية على يساره، إنارته أضعف بسبب احتوائه على كمية رمال ذهبية أكبر بالنسبة إلى الحوض الأول. وأخيراً قبالة السرير تستند منضدة على الحائط أكبر من الأولى التي رآها؛ وهي عبارة عن لوح حجري مستطيل يتكئ على أربع سيقان حجرية غليظة، يعلوها ثلاثة رفوف حجرية تمتد على طولها. وعلى جانبي تلك المنضدة وُجِدَت فتحتان لنفقين متماثلين بحجم الباب تنقلان المتواجد في الحجرة

للخارج بوساطة سبع درجات تتجه للأعلى.

اكتفى المستيقظ بذلك وتنهد من أعماق قلبه - شكلياً - وأمال رأسه إمالة بسيطة ناحية يساره، ثم مدّد كافة أطرافه على قدر اتساعها، حتى أن أصابعه تباعدت عن بعضها البعض أقصى تباعد عهدته في حياته، ستحسبه إن رأته كمن أفاق من سباتٍ شتويّ طويل وعميق. وعندما اكتفى من ذلك حرك رأسه حركات دائرية تماثل حركة عقارب الساعة تارة وتارة تعاكسها. ثم وقف على قدميه وتحسس الأرض بهما بشدّة فتأكد له امتلاؤها بالحصى الأملس دون الحاجة للنظر إليها، وأثناء وقوفه شعر شعورًا قويًّا بتخلخل جسده، تعجّب في سرّه (كأنني لم أتحرك منذ أيام!) ثم ابتسم بسبب استشعاره شعورًا لطيفاً جزاء ملامسة قدميه للحصى، وبعد ذلك تقدم باستسلام تام باتجاه الثياب التي خلّفها له تلك المرأة ليرتديها، فالخيارات أمامه معدومة باستثناء الاستسلام والانقياد لأمرها. قام المستيقظ بتفحص الثياب المتروكة له بفضول فوجدها عبارة عن قطعتين اثنتين مصنوعتين من قماش غريب، ناعم للغاية رغم خشونة مظهره، وكتاهما باللون الأبيض؛ الرداء فيه القليل من الشفافية ويحيط بالجسم بشكل مُحكم ليبرز قوامه، وله ياقه واسعة على شكل الرقم خمسة باللغة اللاتينية (V) تصل حتى منتصف الصدر ومزخرفة بأشكال جميلة ولا معة، تكاد تجزم حال رأيت زخرفتها بأنها كلمات أو عبارات من إحدى لغات العصور الغابرة، ويتضح ظهورها أكثر في حال تحرك الرداء، والرداء بكمين طويلين يوجد في كل منهما شق متوسط الاتساع عند بداية الساعد، وحول الشقين زخرفات مماثلة لما على الياقة. أما البنطال فكان قصيرًا نوعًا ما بحيث ينتهي مع بداية الكعب، وهو معدم الشفافية نظرًا لكونه من طبقتين اثنتين من القماش ذاته، وفي ساقيه الاثنتين جيبان يمتدان من تحت الركبة لما فوق الكعب بقليل.

وبعد ذلك انتقل المستيقظ لتفحص حذائه فوجده شديد المرونة وبداله مريحًا للغاية، وهو أيضًا أبيض اللون، مصنوع من مادة شبيهة

بالمطاط، عنقه قصير كاشف للكعب ليسمح بحركة القدم بحُرّية مطلقة، وأرضيته أكثر سمكًا من ظهره بكثير وله زعنفة صغيرة في مقدمته، وتبين لاحقًا للمستيقظ أنها لا تعيق الحركة على الإطلاق على عكس ما توقع في بادئ الأمر.

قام المستيقظ بارتداء ثيابه باستثناء حذائه الذي فضل حمله بيده، ولم ينسَ السوار المعدني الذي حدثته عنه تلك المرأة، فأمسك به يتفحصه وتبين له أنه من مادة الفضة أو من مادة تشبهها؛ وهو بعرض إنشين تقريبًا، مكون من قطع صلبة مترابطة بإحكام، وعليه بعض زخارف منحوتة لامعة جميلة مشابهة لما وجد على ياقة ردائه وأطراف أكمامه، وحالما أطبق السوار على يده اليسرى التحم طرفاه. حاول المستيقظ خلعه مرة واحدة بتيمة دون فائدة ترجى ولم يكرر محاولته مرة أخرى، دون أن يعرف بأنه لن يتمكن من خلعه أبدًا طوال فترة مكوثه تحت سطح الماء.

وقبيل خروج المستيقظ من الحجرة، عند باب الفتحة اليسرى بجانب المنضدة الكبيرة بالتحديد، وجد حزامًا لامعًا أزرق اللون، وتبادر لذهنه أنه مصنوع من مادة الجلد أو ما شابهها. وكان معلقًا على إصبع سبابة يدٍ صخرية سوداء بارزة من الجدار تشير إلى الأعلى كمن يشهد بالوحدانية، فأعجبه أمر الحزام وبدون تردد اتخذ قرارًا بالتحزم به فوق ردائه، وعندما تحزم به تبين له احتواؤه على فتحة تبدو كغمد سيف، ولكن المستيقظ لم يأبه لذلك وصعد الدرجات السبع إلى الخارج.

حاملًا حذائه بيده اليسرى ومتحسبًا باليمنى بروزًا ما أسفل حلقه، خرج المستيقظ من الحجرة الأولى ليجد نفسه في حجرة ثانية بدون أية نوافذ ولكنها تمتاز عن سابقتها بإنارتها الرائعة بسبب طبيعة سقفها. إذ أن سقفها عبارة عن سطح شبه كروي طبيعته كالطبيعة الهندسية لشمع أقراص العسل؛ مكون من دعامات صخرية تشكل أضلاعاً سداسية تحمل قطعاً كبيرة من مادة زجاجية أو من مادة شبيهة بها.

الحجرة الخارجية أوسع من الداخلية نوعًا ما، بذات العرض إلا

أنها ممتدة أكثر من ناحية الطول، جدرانها مطلية بلون أخضر فيروزي فاتح، وأرضيتها كأرضية الحجرة الداخلية؛ عبارة عن حصى ملساء متعددة الألوان وباردة نسبياً، وزوايا الحجرة الأربع مزروعة بشجيرات متنوعة كبيرة تصل للسقف، كثة الورق وخضراء بدرجات متفاوتة، ويوجد إلى أقصى يمينها ويسارها صفان من مقاعد غريبة تستند ظهورها إلى جدران الغرفة، ويوجد ما بين هذين الصفين منضدة حجرية مستطيلة كبيرة عليها صدفة محارة سوداء فيها عدد لا بأس به من مكعبات عشبية خضراء متماثلة في الحجم ومتفاوتة في درجة خضرتها. والمنضدة تفصل بين المستيقظ وبين باب كبير مقبضه فضي ومكون من ألواح خشبية عرضية بنية اللون، وهو مقابل لفتحتي النفقين اللتين من المستيقظ من إحداهما. كانت تلك المرأة تجلس على أحد المقاعد ضمن صف المقاعد الموجود على الجهة اليسرى بالنسبة إلى المستيقظ، وكانت ترتدي ثوباً مخملياً أزرق من أخف درجات الزرق، فيه القليل من اللمعان كلمعان النجوم خصوصاً عند كتفيه، ياقته فسيحة مستترة بقماش شبيه بقماش الدانتيل الأبيض، كماه واسعان وطويلان، تراه ضيقاً في الجزء الأعلى ومن الأسفل عبارة عن مجموعة شرائط قماشية عريضة بعدة طبقات تجعل منه فضفاضاً للغاية، ويربط بين الجزئين (العلوي والسفلي) حزام أبيض عريض يظهر مدى نحول وسط التي تتحزم به ويمتد كشريرتين للأسفل من جهة الظهر كسائر شرائط الجزء السفلي من الثوب، ويظهر من أسفل الثوب فردتا حذاء بلون أبيض لامع عريضتا المقدمة نوعاً ما. تبادلوا النظرات فيما بينهما، حذرة من طرفه وما بين متشوقة ومتهكّمة من طرفها. انتقل المستيقظ بعدها وجلس قبالتها على أحد مقاعد الصف الأيمن وقال لها أثناء انتعاله حذاءه المطاطي الجديد:

– لم قُمتِ بتحذيري من خلع السوار وأنتِ تعلمين أنه لن يخُلَع!
عدلت تلك المرأة من جلستها متظاهرةً بالجديّة وداعبت قلاذتها بسبابتها اليمنى وأجابت:

- كي أتأكد من كونك مثلهم، جميعكم أنتم البشر تنساقون لتجربة الدخول في نطاق المحذور، وتُظهرون بعد دخولكم فيه كم أنكم من النوع الذي يستسلم بسهولة .. بالمناسبة، هناك طريقة لخلع السوار فلا تقلق.

قلادتها رائعة بحق، أغلب الظن أنها مصنوعة من مادة الفضة، هيئتها هيئة كلمة ما بلغة ما، ومزخرفة بطريقة مميزة، وفيها أحجار كريمة زرقاء صغيرة. ولاحظ المُستيقظ أيضاً أنها تضع رفقته قرطي أذن بذات الهيئة، لوهلة شعر بأنه شاهدهما من قبل يوماً ما.

أثارت كلماتها «أنتم البشر» الغرابة لدى المستيقظ وتردد صداها في رأسه بكثافة ما دفعه ليسألها:

- أنتم البشر! عذراً .. من أنت؟

- نايا، اسمي نايا وأنا ممن تلقبونهن بنات الماء أو بنات البحر أو بخيلانات البحر أو بحوريات البحر أو ..

- ولكن الحوريات كائنات أسطورية! (المستيقظ، مقاطعاً حديث الحورية).

- أسطورية! حقاً؟ من أعلمكم بأنها أسطورية؟ ثم من الذي أقر لكم بذلك؟ ولم تتناقلون قصص حقيقة مشاهدتها وتفترون منها ما تشاؤون بين بعضكم البعض إن كانت حقاً كائنات أسطورية؟ ولم أوجدتم لها كل هذه الألقاب من الأصل؟ ثم لماذا تكتبون عنها وتقرأون؟ عليك أن تعلم بأن القناعة الذاتية لا تتطابق مع الحقيقة دائماً.

صمتت لبرهة ثم عاودت لتضيف متسائلةً من باب الفضول:

- حسناً، ما الذي تعرفه عنا؟

حرّك المستيقظ وجهه يمنةً ويسرة تحريك المذهول وتساءل في سرّه: (ما بها! يبدو أنها على دراية ببعض معرفة البشر عن عالم الحوريات)، وبعد ذلك تجرأ وأخذ قرأاً بالإبحار في خياله آملاً بأن

يكون للخيال في الخيال طريق للواقع. أجبها:

- أعرف عن الحوريات أنهن أيقونتان؛ واحدة للجمال والثانية للشعر، أما بخصوص جمالها فتدعي إحدى الأساطير القديمة أن إحدى الإلهات والتي أظن أنها كانت تدعى أتاوجاتيس أحبت رجلاً وقتلته عن طريق الخطأ، فقررت أن تلقي بنفسها في بحيرة وأن تتحول إلى سمكة لتكفر عن ذنبها الأثم الذي لم تغفره لنفسها، ولكن البحيرة رفضت أن تحولها لمجرد سمكة عادية نظراً لشدة جمالها الإلهي فحولتها إلى حورية بشكلها الإنساني في الجزء العلوي وسمكة في جزئها السفلي.

- هل تصدق ما قلته للتو؟ (نايا، مبدية إيماءات التعجب).
- بالطبع لا.
- ولم لا؟

- لسببين اثنين: الأول أن تعدد الآلهة هذا محض هراء ولا يعقل أن يؤمن به عاقل، والثاني احتراماً لك، فها أنت أمامي بقدمين اثنتين لا بذيل سمكة!

ابتسمت المدعوة نايا إعجاباً بجواب مُحاورها خصوصاً بشقه الثاني الذي خصها به، كم تكره الحورية نايا فكرة أن يظن ظان أن للحوريات ذيولاً كذبول الأسماك! كما أنها خجلت منه فسحبت قدميها للخلف قليلاً بشكل لا إرادي ووارتهما تحت ثوبها ثم أضافت:

- أكمل رجاءً، ماذا عن أيقونة الشر؟
استغل المستيقظ فرصة رجائها ليظهر بمظهر المتفوق فقال:
- لا بأس .. لا داعي للرجاء.

ثم تابع بغرور:

- عبرت عن شروركم إحدى أشهر قصص الحوريات «قصة الحورية سايرن»، وتقول قصتها باختصار إنها كانت حورية ذات ذيلين اثنين لا يحلو لها الغناء والعزف على قيثارتها إلا عندما

تقترب سفن البحّارة من الجزيرة التي كانت تسكنها فيتبعون صوتها وصوت عزفها لمصيدة التحطّم على أسطح صخور جزيرتها .. ولكن لم يُذكر عن الحوريات أنها ترتدي ثيابًا ..
- لا تعد الحوريّة حيوانًا! لذا يتوجب عليها ارتداء الثياب.
(نايا، بانفعال).

- عذرًا لم أقصد ما فهمته لتوك، أقصد ثيابًا مثل ثيابك التي ترتديها.

ثم أضاف في محاولة بائسة لتغيير موضوع مقصده من أمر الثياب،
أملًا بنجاحه في ذلك:

- بالمناسبة أين أنا؟

- أنت في مدينة آينجه العظيمة، الملاذ الأخير للحوريات وعائلاتهما.

- آينجه!؟ حسنًا لا بأس، على الأقل لا بأس حتى الآن. سأخبرك بما يجول بخاطري الآن أيتها الحوريّة .. «نايا» أليس كذلك؟ نعم، نعم .. في البداية أنا على يقين تام بكوني أحلم، وفي المقابل إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بأنني يقظ في منامي إلى هذا الحد! وأهم ما يشغلني في الوقت الحاضر هو معرفة كيفية عودتي إلى منزلي؟

- عن أي منزل تتكلم! (نايا، بانفعال غير مبرر).

صُدّم المستيقظ من إجابة الحوريّة وصدّم أكثر من أسلوبها، ولكنها تداركت الأمر بمتابعتها لكلامها إذ قالت:

- أقصد .. على رسلك لقد أخبرتك لتوّي بأنك في مدينة آينجه العظيمة، ومن سوء حظك أن كل ما لدينا من معلومات عنها «نحن عامة الحوريات» أنها تقع في بقعة مجهولة ضمن ما تُسمّونه أنتم البشر بالسهول السحيقة (سهول المحيطات). إنها آينجه مدينتك الجديدة، وأني على أتم الثقة بأنك ستعتاد عليها

وستحبها وستحب الحياة فيها ومع ساكنيها، وستلاحظ في ساكنيها الكثير الكثير مما لا تجده في ساكني مدنكم البشرية. إن عالم الحوريات عالم مختلف تمامًا عنكم، وأسألك ألا تستعجل بالحكم عليها. عليك أن تثق بي.

شعر المستيقظ للمرة الثانية من حوارهِ مع الحورية المدعوة نايا بأنها على معرفة بالإنسان وبطبيعته وبعلمه. تابع حوارهِ معها مستندًا إلى ثقافته قائلًا:

- يا هذه! إن السهول السحيقة التي تتحدثين عنها غير مكتشفة حتى من قبل الإنسان، وحسب معرفتي هي عبارة عن طبقة مائية مظلمة وباردة جدًا وشاسعة في قاع المحيط، وحركة الماء فيها قليلة وضغطه فيها مرتفع، هل تتوقعين مني أن أصدقك بأننا نعيش فيها أو بأنها قابلة للحياة لأيّ كان؟
- أضف إلى جملتك «حتى من قبل الإنسان»، أحببت ذلك. (نايا، بتهكم).

- نعم، حتى من قبل الإنسان. (المستيقظ، مستاءً).
- حسنًا.. يبدو لي أنك على قدر من الثقافة. نعم، إن معلوماتك صحيحة وأضيف لك عليها بأنها تغطي قرابة ثمانية أعشار مساحة المحيطات، بمعنى آخر إنها تمتد لمساحات شاسعة ومن الصعب أو بالأحرى من المستحيل العثور علينا فيها. أنت الآن في السهول السحيقة وعلى قيد الحياة، هل لك أن تتخيل ذلك! فعن أي منزل تتحدث بالعودة إليه يا صديقي؟
- صديقك؟ يا لك من مجنونة، بل يا لي من مجنون!
- سأتغاضى عن شتمك لي، أنت أقرب من أن تكون مجرد صديق لي، صدّقي! (نايا، مبتسمة).

تظاهر المُستيقظ بأنه لم يفهم محتوى آخر ما قالتها تلك الحورية الغريبة لا من قريب ولا من بعيد، ثم نهض من مكانه وسار ببطء ذهابًا

وجيئةً بشكل يوازي صف المقاعد الذي سبق وأن جلس على أحدها، ستحسبه إن رأيتَه كمن يتفحص حذاءه الجديد الذي انتعله مؤخرًا، وبعد بضع دقائق عاود الجلوس في مكانه ووضع رأسه بين كفيه وداعب بأصابعه شعره بقوة، وقال في سرّه: (يبدو لي أن هذه الليلة طويلة، طويلة جدًا)، ثم نظر صوب الحورية وسألها:

- متى سأستيقظ؟ ألدك أدنى معرفة عن ذلك؟
- بشكل أو بآخر.. إن الإيمان بالشيء يدل على وجوده، وبالمقابل إن عدم الإيمان به لا يدل على أي شيء.
- عفوًا!
- أقصد أن اعتبار الواقع حلمًا كفيلاً يجعل الاستيقاظ منه حلمًا أيضًا.

وجد المستيقظ في جوابها ما جعله يتحسس جسمه مرات أخرى متتالية أتبعها بتساؤل من تذكر لتوّه:

- كيف لي أن فقدت من وزني ما فقدته! وبشكل مفاجئ! ما الذي حل بي!

- لا داعي للاستغراب، لقد خلدت للنوم في صدفة كبيرة نطلق عليها اسم الصدفة العجيبة لمدة سبعة أيام وفيها تم تطهير جسمك عن طريق سحب كل السموم منه، وكما تعلم تعدّ الزوائد المتكدسة حول جسمك سموماً وعلينا تخليصك منها. أليس كذلك؟

- ماذا!.. أنا هنا منذ سبعة أيام؟! لا، بل منذ نصف دورة قمرية، لقد سُحبت إلى هذه المدينة مباشرة بعدما غُرست قشرة اللؤلؤة أسفل عنقك فوق سطح البحر، ومن ثم وُضعت في الصدفة العجيبة في بيت البلجيك لمدة سبعة أيام، سأريك بيت البلجيك والصدفة العجيبة لاحقًا. وفي الأيام السبعة التي خلدت فيها للنوم في الصدفة

تخلص جسمك من كل سمومه، وبالإضافة لذلك تمت تغذيتك بأهم وأشرى المستحضرات المستخلصة من أندر الأعشاب البحرية لتغذية وتنمية جسمك، وبعد ذلك تم نقلك إلى مسكني حتى تفيق من سباتك، وها أنت اليوم في يومك السابع من بعد خروجك من الصدفة العجيبة.

قال المستيقظ في سرّه: (يا إلهي! يبدو أنني سأتابع حوارني الأخبيل معها)، فرك عينيه بشدة وقرص فخذة اليسرى بلطف - لم يجرؤ على أكثر من ذلك - وأسف أشد الأسف لعدم جلب الحركتين أيّ فائدة تُرجى له لتؤكد على كونه يحيا في منام. وأخذ شعوره بالحصار يزداد، وبدأ يظن ظن المجنون بأنه في الواقع حقاً لا يحلم! وبشكل مباغت باغتته نسمة ألم جديدة ولكن خفيفة هذه المرة ما بين ترقوته فتحسس مكانها، واستوعب وجود بروز مشابه لبروز كرة صغيرة، ما أعاد موضوع قشرة اللؤلؤة التي تحدثت عنها الحوريّة لواجهته تساؤلاته فتساءل:

- أعتقد أنك قلت منذ قليل «قشرة اللؤلؤة» وقلت لي في وقت سابق إن جسدي سيعتاد على وجودها! ما قصدك بكل ذلك؟
لم تنزعج الحوريّة من أسئلته فقد أعدت العدة للعديد منها، ومن منّا لا يسأل حينما يجد نفسه عند استيقاظه في بقعة مجهولة من قيعان المحيطات غير القابلة للحياة!
أجابته باتزان وهدوء:

- قصدت قشرة اللؤلؤة المغروسة ما بين ترقوتيك أسفل ذقنك، تلك التي تتحسسها، سيعتاد جسمك على وجودها.
قال في سرّه: (أتراني سأصدقها إن روت لي الخيال ضمن أطر منطقية؟) ثم تابع قوله لها:

- حسناً، أعتقد أنني الآن في كامل وعيي، أخبريني رجاءً ما قصة اللؤلؤة هذه وما قصة قشرتها؟
- لا داعي لرجائي - وابتسمت ابتسامة ماكرة كمن استردت ديناً

قديمًا - سأجيبك بكل سرور، تمتلك كل حورية منّا لؤلؤة ما بين ترقوتيهما نسميها لؤلؤة الحياة، تمامًا مثلما أملك ما بين ترقوتي كما ترى - وأشارت إلى لؤلؤة الحياة خاصتها - ولا نستطيع الحياة بدونها سوى لثوان معدودة، وتعدّ لؤلؤة الحياة هذه مخزنًا لمعرفة وذكريات صاحبها منذ أول عهدنا بالحياة حتى تلاشيها، ولذا تراها صيدًا ثمينًا لقبائل الجان، أما نحن فنكرم حورياتنا الراحلات عبر دفن لآلئ حياتهن في قيعان المحيطات. وعندما يبلغ جسد الحورية منّا حد القدرة على الإنجاب تبدأ قشرة لؤلؤتها بالإنسلاخ عنها، وهذه هي الدلالة الوحيدة على إمكانية إنجاب الحورية، وعلى الحورية أن تقتلعها عن لؤلؤتها وتغرسها أسفل عنق رجل من البشر في أقرب ليلة البدر، لتتمكن من الإنجاب منه وإلا فقدتها للأبد. قديمًا كانت الحوريات قادرات على الإنجاب عدّة مرات لذا لم يكن لقشرة لؤلؤة الحياة الأهمية التي تحتلها الآن لديهنّ، ففي زماننا الحالي ستجد الحوريات قادرات على الإنجاب مرة واحدة أو مرتين في أحسن الأحوال تبعًا لعدة أسباب منها تغيرات مناخ كوكبنا، وتزايد مقدار السموم التي تدلقونها وتدفنونها في أنهاره وبحاره، والأهم من ذلك انتقالنا للعيش في هذه المدينة، الانتقال الخير الذي حمل في باطنه الشر، كل الشر.

باغت المستيقظ صداد حاد فصفع جبينه بكلتا يديه، ثم اتكأ بظهره على ظهر المقعد وكذلك الأمر اتكأ رأسه، وقال في سرّه: (إنجاب! إنجاب منه! لؤلؤة حياة وقشرة وغرس أسفل العنق!) ثم خطر بباله تساؤلٌ للهروب مما بدأ يتوصل إليه، فتساءل على الفور:

- وما لغرسها في عنق الرجل والإنجاب، أتمازحيني؟
- بالتأكيد لا، يعد غرس قشرة اللؤلؤة أسفل عنق الرجل الخطوة الأولى للإنجاب منه، حيث تحفظ الرجل منكم على قيد الحياة تحت سطح الماء، فما أن تُغرس القشرة ما بين ترقوتي الرجل

حتى يتمكن مباشرةً من التنفس تحت سطح الماء. ولا تقلق
فلا تنتقص قشرة اللؤلؤة من تنفسكم للهواء على سطح كوكبنا
شيئاً، حيث أن قشرة لؤلؤة الحياة تعمل على إدخال الهواء
لما تسمونهما الرئتين فتكملان عملهما من ناحية ومن ناحية
أخرى يتحرر الفم والأنف من موضوع التنفس فيتفرغان للكلام
بسلاسة تحت سطح الماء سواء في مدينتنا هذه أو قرب سطح
الماء، وليس في أي مكان آخر!

- يا لها من معلومة قيّمة! يستطيعون الكلام فقط في هذين المكانين
«مدينتنا أو قرب سطح الماء» (المستيقظ، باستهزاء).

- نعم، لا يستطيع رجال الحوريّات الكلام لا في أعماق البحار
ولا في أعماق المحيطات. (نايا، بحدة).

- حسناً سأعمل على تصديقك، تابعي من فضلك. (المستيقظ،
بتعالٍ).

- بل عليك ذلك.

- سأحاول، لن أعدك.

- وبعد غرس قشرة اللؤلؤة في عنق البشريّ يتم الإعلان عن زواج
الحوريّة ممّن انتقته وجلبته من البشر، ويتم ذلك في ميدان
جاساريت أمام جميع سكان مدينة آينجه. سأريك الميدان لاحقاً
بكل تأكيد.

- عذراً منك ولكنك أخبرتني لتوك بأنك تجهلين مكان هذه
المدينة! فكيف للحوريّة أن تنقل الرجل الذي تصطاده معها
وتعود به إلى هنا؟

ابتسمت الحوريّة لوقوع المستيقظ بفخ اعتقاده بأنها تكذب. جمعت
شعرها بقبضتيها وأودعته خلف ظهرها، ما أظهر قُرطيّ أذنيها بشكل
أوضح ثم قالت:

- تخرج الحوريّات من مدينة آينجه عن طريق نوافير مياه عظيمة

تنقلها بسرعة هائلة من قعر المحيط إلى سطحه، وقبل أن تسألني
سأجيبك بأنها تعود إلى المدينة عن طريق دوامات تتكون تبعاً
لنسق معين يتماشى مع نسق النوافير.

صمتت قليلاً ثم علقت على كلام مُحاورها:

- كما أن المنقول لا يعد صيداً للحرورية بل انتقاؤها.
- طرد المستيقظ كل الهواجس التي توالى بالفوران من عقله وأضاف:
- جميل جداً! سأتماشى مع ما تقولينه، ولكن فسري لي من فضلك كيفية معرفتك بمقدار الألم الذي أصابني؟
- أشيع بيننا معشر الحوريات بأن ألم انغراس قشرة لؤلؤة حياتنا يكافئ ألم انتزاعها عن لآلتنا المزروعة في أعناقنا، ولحسن حظي حظيت بفرصة نزعها منذ قرابة نصف دورة قمرية. (الحرورية، مبتسمة).

أصر المستيقظ على استمرار تجاهل المعطيات التي تتوارد إلى عقله تبعاً حتى آخر لحظة وحتى آخر رمق. ولكنه تعب فتجراً وسألها:

- وأين غرستها؟

- في الأسفل من عنقك، ما بين ترقوتيك! (نايا، بشغف).
وقع المحذور! ووصله بوضوح ما حاول صدّه منذ بداية حوارهِ مع تلك الحرورية، وكمقاومة أخيرة بائسة تساءل:

- أنت من جاء بي إلى هنا؟

- نعم.

- لم؟

- لكي نتزوج، ألم تستنتج ذلك بعد؟ انتقيتك لذلك.
- انتقيتني! أحقاً انتقاء هو أم اصطيداً؟ (المستيقظ، تحت تأثير الصدمة).

- دعك من هذا، أرجوك لا تخبرني بأنكم أنتم معشر البشر من تنتقون بعضكم البعض كأزواج! إنني رغم كوني حرورية أعي

تمامًا واقعكم، فكل ما تمارسونه عبارة عن اصطيات مطلق، أو اصطيات نسبي في أحسن الأحوال.
- لا داعي لرجائي. (المستيقظ، في محاولة فقيرة لتغيير مزاجه بالمزاح).

تسببت عبارة الحوريّة "أعي تمامًا واقعكم" تساؤل المستيقظ في سرّه عن معناها، وأثناء ذلك نهضت الحوريّة من مكانها وتناولت مكعبًا عشبيًا من المحارة السوداء الموجودة أمامها ثم قالت مبتسمة:
- تذوق طعامنا، أجزم لك بأنك ستحبه.
ومضغت المكعب العشبي ببطء محدقةً إلى عينيه بصمت ثم أضافت:

- حسنًا لك أن تعتبرني الصياد وأن تعتبر نفسك الفريسة، هل يُشكل اعترافي لك بذلك أيّ فرق يذكر؟ هيا انهض سأرافقك في جولة في مدينة آينجه.
قال في سرّه مستسلمًا كعادته:
- لا، لا يشكل أيّ فرق.

ثم نهض معها وهو يقول وحاله الاستسلام:
- مدينة آينجه العظيمة .. الملاذ الأخير للحوريّات وعائلاتهما.
تناولت الحوريّة مكعبًا عشبيًا بيدها وألقته للمستيقظ ولكن لم يدُر له ما عليه فعله به فأعاده لمكانه دون أن تنتبه. وبعدها أومأت له للخروج وابتسمت له فابتسم لها خجلًا، وخرجا معًا عبر الباب الخشبيّ.

صديقتي آينجي

خرجت الحوريّة نايا وخرج المستيقظ خلفها مباشرة، وفور خروجه أُطبق الباب على نفسه تلقائيًا مصدرًا صوتًا مرتفعًا أفزعته، فنظر لا إرادياً للخلف صوب الصوت فوجد الباب بلا مقبض، ما أضاف المزيد من الحيرة لما لديه من رصيد منها، وتبادر لذهنه تساؤل سريع «كيف تراه سيفتح؟» ثم تابع مسيره للأمام فاصطدم بالحوريّة من الخلف وكاد أن يُسقطها أرضاً إلا أنها تماكنت نفسها بخفّة مثيرة للإعجاب. قال في نفسه: (لا، لا لست همجياً) وقال متأسفاً لها:

- عذراً لم أنتبه لكونك قد توقفت هنا.

شرّعت الحوريّة يديها على وسعها وهزّت رأسها يميناً ويساراً برقة بالغة وأمالته للخلف تاركَةً شعرها يتموج خلفها، ثم التفتت ناحيته مبتسمةً وقالت:

- نُوا انظر! .. ما أجمل مدينة آينجه! (وهو ذاته اسم «نوح»).

تجاوزها المستيقظ بنظره وبُهر لما رآه، لوهلة حسب أن عينيه تكذبان عليه من شدة جمال الصورة. قال مذهولاً:

- شُيّدت هذه المدينة بالتأكيد بناءً على خيال فنان لا على علوم مجموعة مصممين.

ثم تبخّر بعينه في أرجاء المنظر المنتصب أمامه بشكل أعمق ففغر فاه ببطء ورخبت المنطقة البيضاء من عينيه على مهل مما رآه، وتلفّت برأسه إلى كل الاتجاهات كمن يترقب تلقّي صدمات دهشة على حين غرة. وبتبحره وجد نُوا أن المدينة منارة بشكل رائع بنور ما بين الأبيض والأصفر الفاتح، ويعود سبب إضاءتها الرائع هذا لكون سمائها

عبارة عن قبة عملاقة مُنارة تجعل من النور المادة الأكثر توافراً في تلك المدينة، مثله مثل مائها، وهي مشابهة لسقف الغرفة الثانية، كُروية الشكل على هيئة شمع العسل، ولكنها مختلفة بكونها على مقياس أكبر بكثير. وبعد قليل من التأمل عبّر نُوا عن أول ما لاحظته بصوت منخفض:

- يبدو أنه لا وجود للظلال في مدينة آينجه.

كما لاحظ المستيقظ أن قبة المدينة تحيط برؤوس جبال عظيمة متصلة. باختصار يظهر المكان من النظرة الأولى عبارة عن كرة هائلة نصفها الأعلى سماء ونصفها الأسفل جبال ملتفة بعضها بجانب بعض بشكل متلاصق بسفوح شديدة الانحدار، مشكّلةً معاً وادياً في وسطها. كانا يقفان على رصيف صخري عرضه يقارب الخمس أقدام، يمر بمحاذاته طريق أرضيته من نوعية الحصى الموجودة في الحجرتين، ويحدّ الطريق من جانبه الثاني رصيف صخري مماثل لما كانا يقفان عليه، وينبت من أرضية الطريق ما بين الحصى نباتات غريبة الهيئة بتوزيع غير منتظم. من الملاحظ أن آينجه تحتوي أصنافاً عديدة وفريدة من الأشجار والشجيرات والنباتات في شتى أرجائها.

وجد نُوا أن الطريق والرصيفين تفصل ما بين جدار ارتفاعه قرابة خمس أقدام مكونٍ من مادة شبيهة بالرخام، ويمتد بموازاتها وبين سلسلة مبانٍ متلاصقة مكسوة باللون الأبيض تتسلق على جدرانها عدة أنواع نباتات بهيئة وغريبة متعددة الألوان. بحيث أن الجدار أمامها والمباني خلفها.

- ما هذا المكان بحق الإله! (نُوا، بذهول).

- لم تر شيئاً بعد، فلنقترب من ذلك الجدار ولكن حذارٍ. (الحوارية، بكبر).

تقدم نُوا عنها وخطى خطواته الأولى للأمام منتعلاً حذاءه الجديد ولحقتة الحورية، وقطعا الطريق متجهين صوب الجدار المنتصب أمامهما. وعند وصوله اتكأ عليه بساعديه وفعلت الحورية مثله، وأبحرت

بالنظر إلى وجهه بينما أبحر بنظره بما تبين له من مشهد مهيب للغاية، إذ وجد نفسه على سفح جبل عظيم وأمامه مدينة جلييلة تقبع تحت سطح الماء. وبنظرة واحدة من المدعو نُوا من خلف ذاك الجدار اتضحت له هيئة المدينة بشكل أكبر، إذ وجدها عبارة عن وادٍ أعظم بكثير مما تخيله عندما كان يقف على الرصيف الصخري الأول.

في مركز الوادي مبنى ضخّم يكسوه اللون الأحمر ويرتفع عن الأبنية القريبة منه بمقدار كبير، ويحدّه من كل جانب من جوانبه الأربعة منارة شاهقة الارتفاع، ومن حوله توجد دائرة شاسعة المساحة مزروعة بأبنية متقاربة بعضها عن بعض، وتنتشر بوفرة فيما بينها نباتات عديدة وغريبة.

وبإمكان الناظر إلى دائرة المباني من الأعلى تقسيمها لأربعة قطاعات؛ قطاع على يسار المبنى الضخم؛ عبارة عن ساحة مرصوفة بالصخر وعلى يمينها - ناحية المبنى الأحمر - منصة مرتفعة تظهر بوضوح عن بعد، أما القطاعات الثلاثة المتبقية فهي عبارة عن مبانٍ متباينة في الأشكال والارتفاعات ومعظمها كروية الأسقف، وتمتاز في كل قطاع عن الآخر باللون الذي يكسوها، فالمباني الموجودة في القطاع الواقع خلف المبنى الأحمر مكسوة باللون الأسود، والمباني الموجودة في القطاع على يمينه مكسوة باللون الأبيض، والموجودة في القطاع الأقرب لُنوا مكسوة باللون الأخضر. ويفصل بين القطاعات الأربعة طرق واسعة، ويتخللها شبكة طرق فرعية.

شكّلت ألوان المباني في القطاعات الثلاثة مع المبنى الأحمر هيئة علم دولة شرق أوسطية محتلة - محتلة حتى الآن! - عمل نُوا على تذكر اسمها ولكنه لم يتذكر، ولكن تحسب له نقطة أنه تذكر وجودها وتذكر كونها محتلة!

كما وجد نُوا جدارًا رخاميًا مماثلًا لما يتكوّن عليه أثناء نظره إلى المدينة ولكن بشكل أضخم بكثير يحيط بالقطاعات الأربعة، ويعمل هذا

الجدار على فصل ما بين مبانِ القطاعات ومباني صغيرة متلاصقة تملأ سفوح الجبال وتتوزع على هيئة حلقات دائرية مركزها المبنى الأحمر، ما بين كل حلقة وحلقة منها طريق كالطريق الذي قطعه كل منهما - الحورية ونوا - منذ قليل، ويتخلل هذه الحلقات بشكل متعامد ممرات صغيرة بين الفينة والأخرى، ويعد المكان الذي خرجا منه منذ قليل مثال على إحدى المباني المتلاصقة هذه.

- كيف لك أن علمتِ باسمي؟
 - اسمك جميل للغاية، ما معناه؟
 - حسناً.. سأجيبك، يعود اسم نوا لأبي البشر والد كل من سام وحام ويافث، وقيل أن معناه «الراحة»، وقيل أيضاً إنه «المكوث والاستقرار في الأرض». وأنت؟ اسمك غريب جداً، لم أسمع به من قبل!

ظهرت ملامح توتر على وجه الحورية عندما أخبرها المستيقظ بأنه لم يسمع باسمها من قبل! وعلى الفور حاولت تفادي افتضاح ما أصاب ملامحها وبالفعل نجحت بذلك لنظرها صوب المبنى الأحمر الضخم، إلا أنه أصر على إرباكها بإضافته:

- لا لا، لقد سمعت به، ويا ليتني لم أسمع!
 - لم؟ (نايا، بترقب ولهفة).
 - إنها قصة طويلة للغاية، ولكن باختصار إن صاحبة هذا الاسم قتلت نفسها قبالة البحر قبيل إبحاري الأخير الذي يبدو أنني نمت فيه وأحدثك الآن من خلال حلمه!
 - هل حزنت عليها؟ (نايا، بترقب ولهفة أكبر).
 - لم لا تجيبي، كيف علمتِ باسمي؟
 صمتت وصمتت طويلاً، شعر نوا بوجود أمرٍ ما يشغل قلبها، تساءل في سره: (هل تراها استاءت من تجاهلي لتساؤلها رغم كونها هي من بدأت بتجاهل تساؤلاتي؟) وبعدها بقليل بادر تجاهها مرة أخرى:

- ما معنى اسمك؟

- لا أدري. (نايا، باقتضاب).

- حسنًا، لا بأس.

وبعد ذلك شرد ذهنهما لفترة من الزمن، ينظر هو إلى المدينة بينما تنظر هي إلى سماءها، وفي هذه الأثناء وبشكل مفاجئ ظهر كائن غريب في سماء المدينة واتجه بسرعة مريبة نحو نُوا، وتوقف قبالة على ارتفاع أعلى منه بقليل وعلى بعد مسافة مريحة عنه، لم ينتظر نُوا كثيرًا حتى بدأ بالصراخ بأعلى صوته وهو يتراجع للخلف قائلاً:

- شيطان، إنه الشيطان!



أطلق الكائن الغريب فقاعات هواءٍ صدر معها صوت موسيقي هادئ حزين للغاية كردة فعل على ما سمعه من صراخ فاجأه، وفي المقابل أمسكت الحوريّة بكتفي نُوا من الخلف وقالت مستاءةً مما بدر منه:

- لا داعي للفرع، إنها مجرد كائنٌ بحري .. إنها سمكة! لا تقلق فكل من يتواجد في مدينة آينجه وادع وأمين.

- لا توجد أسماك وادعة على هيئة الشيطان! (نُوا، بفرع).

- كيف تجرؤون على إطلاق الأحكام من خلال المظهر فقط! للمعلومة يدعو البشر الذين أعتقد بكونك تنتمي إليهم هذا الكائن بسمكة «أبو الشصّ»، فلا داعي للتهور وإطلاق الأحكام

جزافاً! وأرجو ألا تبرر ما فعلته للتوّ بجهلك، فالجهل خطيئة لا يمكن أن تُستخدم كمبرر أبداً مهما حدث! ثم من أين لك أن تعرف هيئة الشيطان؟!

في الواقع الأمر تبدو هيئة سمكة أبو الشصّ هذه هيئة مُخيفة لأبعد الحدود، إنها أقرب ما تكون لشبه كرة ضخمة جلّها يعود لرأسها، فمها واسع جداً وعريض يفتح كما تفتح أبواب العبارات البحرية وأسنانها حادة ومرعبة للغاية، وتمتاز بذيل قصير يخرج منه زوائد غريبة مقرّزة نوعاً ما، وتبرز زائدة من مقدمة رأسها في نهايتها ما يشبه الطعم لتغري به صغار الأسماك لاصطيادهم كالشص. (والشص أداة معقوفة تستخدم لاصطياد السمك، لذا أطلق عليها اسم سمكة أبو الشص، وهي من أضخم أنواع الأسماك).

تابعت الحوريّة معاتبة:

- كم أنت مُتسرع!
- اعتبرها سرعة بديهة .. نسبياً.
- حسناً لا أعتقد أننا سنتفق في هذا الموضوع، وأنا لا أحب الجدل كثيراً، كما إنني موفقة بأنك نادم في قرارة نفسك على ما فعلته بتلك السمكة.

وأثناء ذلك الحوار رحل الكائن حزيناً بالاتجاه الذي قدم منه بعد دويّ صراخ نُوا غير المبرر "حسب وجهة نظر الحوريّة".

قالت الحوريّة بصوت منخفض وبنبرة هادئة:

- كل ما اقترفته من ذنب هو رغبتها بإلقاء نظرة عليك عن كثب، أظنّها لاحظت وجودك «الحديث العهد» هنا فرغبت بالترحيب بك. صدقني عليك أن تتعامل مع الجميع تبعاً لثقافتهم لا تبعاً لثقافتك ولا حتى تبعاً لهواك.

تنهد نُوا بعمق - شكلياً - وبدأ يتمالك نفسه من جديد من جراء الموقف المفاجئ الذي قطع عليه جمال الحلم الذي كان لا يزال يؤمن

بكونه يعيش فيه حتى تلك اللحظة، ثم تابع التجول بنظره في سماء المدينة فتنبّه لوجود عددٍ وافر من الأسماك فيها وهي تمثل دور الطيور في سماء ما فوق الأرض التي ألفها وعاش عليها حتى يوم دخوله في سباته الذي بدا له بأنه قد علق فيه «حسب اعتقاده».

لحظات ثم سأل مشيرًا إلى الأسماك المنتشرة في قبة المدينة:

- ما الذي تفعله كل هذه الأسماك هنا؟ كيف قدمت إلى مدينتكم؟

هل اصطدتها كما فعلتِ معي؟

- لا، تشهد مدينتنا يوميًا عددًا وافرًا من الزوار المرحب بهم

وغير المرحب بهم على حد سواء عن طريق الدوامات التي

تعود بواسطتها الحوريات من رحلاتها خارج المدينة، إذ تبتلع

الدوامات الحوريات وكل ما يجاورها وتوفده إلينا، ورغم قدوم

هؤلاء الزوار للمدينة عنوةً عن أنفسهم يرغب معظمهم بالبقاء

فيها عندما يتم تخييرهم ما بين البقاء في المدينة بشروطها أو

الرحيل مع أقرب نافورة مياه ستخرج بها أيّ من الحوريات

للخارج.

- شروط للبقاء! هل لي أن أعلم شروط بقائها؟ (نُؤوا، بشيء من

التهكم).

- إنه مجرد شرط واحد فقط ولكنه صعب التنفيذ.

- ألا وهو؟! (نُؤوا، بتهكم أكبر).

- مجرد ألا تأكل بعضها بعضًا، وللمعلومة إنه ليس بالأمر الهين،

ولها في المقابل أن تستعيض عن ذلك بتناولها بعض النباتات

الخاصة التي زرعها قبائل الجان في مدينتنا لمثل هذه القضية.

أتصدق أن تناول نباتات الجان يغني عن تناول الأسماك

لبعضها؟ إنه يغني عن كل أصناف الغذاء، تخيّل! حتى نحن

الحوريات نتناولها، نعدّها بطريقة خاصة ونخزنها على هيئة

مكعبات عشبية صغيرة، كتلك التي قدمتها إليك قبيل خروجنا

من منزلنا. إنها لذيذة أليس كذلك؟
صمت نُسوا قليلاً وندم كثيراً على عدم تناوله لها. علقته بخاطره
كلمة "الجان" وشعر بأنه بدأ يستمتع حقاً في منامه. تابع حوارها معها
بسؤالٍ متوقع:

- ما قصة هذه مدينة؟

نظرت الحوريّة إلى عينيه وابتسمت برزازة ثم قالت:

- تقول إحدى الحكايات القديمة قدم الأساطير التي توارثتها
الحوريّات جيلاً عن جيل أن هذه المدينة بنيت في العهد القديم
بقرار من الحوريّة الأم لنبوءة تنبأت بها، فأتفتقت مع أمهر الجان
في ذلك الزمن على بناء هذه المدينة «مدينة آينجه العظيمة» في
أخفى بقاع الكوكب، في مكان يستحيل على أحد العثور عليه
مهما بلغ من العلم، وفي أصعب مناخ يمكن تصوّره لدرجة
أن تكاد تكون الحياة مستحيلة فيه، ومنذ ذلك الوقت جرت
العديد من الأحداث إلى أن انتقلت الحوريّات إليها وها نحن
ذا نسكنها.

- هل تصدقين الحكايات القديمة؟ ألا تعتقدين أنها في أغلب
الظن محرّفة وفي أفضل الأحوال معدّلة؟ (نُسوا، باستهتار).

- لا، لا أمانع تصديقها، خصوصاً لكوني مؤمنة أشد الإيمان
بصحة تواترها عبر الزمن. (نأيا، بجديّة).

هز نُسوارأسه للأعلى والأسفل بمقدارٍ ملاحظٍ مبدياً بذلك اقتناعه
بجوابها ثم أضاف:

- حسناً، تابعي حديثك ها أنا أنصت لك.

أشارت بيدها صوب المبنى الأحمر وقالت:

- يُدعى ذلك البناء الضخم بيت البلجيك، وهو البيت الذي تدار
فيه كل شؤون المدينة، وعليك أن تتوقع ذلك فكما تشاهد يظهر
للناظر إلى المدينة منذ الوهلة الأولى أنه مركزها، نظراً لكونه

مركز الوادي ومركز القطاعات الأربعة ومركز حلقات المباني البيضاء.

في الواقع إن بيت البلجيك بيت عظيم وهو عبارة عن قبة ضخمة تتكئ على جدار دائري قصير فيه العديد من النوافذ على هيئة أقواس كبيرة، ويستند الجدار على ثمانى قبب ضخمة، وتتكئ القبب الثمانى على أرضية ذات ميلان متوسط تتكئ بدورها على أربعة جدران عظيمة تشكل معًا مربعًا هائلًا، وله اثنتا عشرة بوابة ضخمة بالإضافة للعديد من النوافذ، وتوجد الصدفة العجيبة في إحدى حجراته.

- أجزم بأنه المبنى الأكثر زخرفة في هذا الكوكب. (نايا، بفخر).

- إنه مذهلٌ حقًا! (نُوا).

شرد ذهنٌ نُوا قليلًا إلى أن أيقظه أحد تساؤلاته فتساءل على الفور:

- وما قصة هذه المنارات التي تحيط ببيت البلجيك؟

أجابت الحوريّة والسعادة تظهر جليًا على محياها إعجابًا وافتخارًا بما تتحدث عنه:

- أما المنارات الأربع فتعمل على مراقبة المدينة ليلاً ونهارًا، وتقوم برصد تحركات كل من يخرج من تحت قببتها من الحوريات وأزواجهنّ في مهماتهم الخارجيّة، كما تعمل أيضًا على متابعة حركة القمر والنجوم.

- أتماز حينني؟ ألم تخبريني لتوك بأننا الآن في أعماق المحيط السحيقة! فكيف تتمكن الحوريات من متابعة حركة الشمس أو القمر؟ يبدو أنني أرهقت مما أنا فيه. أخيرًا بدأت أشعر أنني على وشك الاستيقاظ. (نُوا، متهكمًا).

- يبدو لي أنك أكثر منطقيّة الآن باستثناء آخر ما نطقت به. يا صديقي إننا نستخدم في مناراتنا تلسكوبات «كما تسمونها» دقيقة

اخترعت من قبل أعلم الجان وصنعت بأيدي أمهرهم، وقبل أن تسألني سأجيبك، فلَكي تعمل هذه التلسكوبات بنجاعة تم توزيع سلسلة من أسطح أفقية خاصة لا مرئية مصنوعة من مواد سائلة مصنعة بمعايير محددة، تعمل على امتصاص الصورة من الأعلى وإشعاعها للأسفل، وستشعر في حال صدف واخترقتها بتناقل غريب لوهلة من الزمن.

- وأين تم توزيعها؟
- على طول خط عمق المحيط وعلى كل مساحاته وليس فقط حول الأماكن القريبة من مدينتنا.
- تحسبًا لانكشاف أمر مدينتكم؟
- بالطبع .. مدينتنا.
- وبعد قليل أعقبت الحوريّة قائلة:
- وسأجيبك قبل أن تسألني بأنه تم تشيبتها بالنسبة لبعضها البعض بشكل محكم عن طريق غرز قوى تجاذب وتنافر فيما بينها بصيغة مدروسة بإحكام، وعن طريق تحليل أشعة الضوء التي تصلنا منها تتم مراقبة حركة القمر والنجوم.
- أعدك أنني سأعمل على تصديقك، ولكن أخبريني قبل ذلك؛ ما للحوريات بمراقبة المدينة؟
- ولمَ برأيك سوى للحفاظ على أمنها وأمن ساكنيها وزوارها.
- حسناً .. وما لها بمتابعة الخارجين منها؟
- لا لشيء سوى لتقديم المعونة لهم في حال احتاجوا إلى أيّ منها.
- وما لهم بمراقبة النجوم والقمر؟
- يبدو لي أنك لا تحب طرح الأسئلة، أليس كذلك؟ (نأيا، مبتسمة وتهدف لإحراجهم).
- شعر نُوا بالخجل من نفسه قليلاً ولكنه غفر لها - لنفسه - حالة

فوران التساؤلات منها لكونه ما زال معتقداً وقتها أنه في منامه.
أحزنت تعابير الدهشة التي اكتسحت وجه نُورا الحوريّة فتابعت
بصبر المحب إجاباتها على تساؤلاته قائلة:

- تمكنا مراقبة النجوم من تحديد اتجاهات نوافير المياه الخارجة
من مدينتنا بدقّة وتمكنا أيضاً من تحديد المواقع التي يتوجب علينا
تكوين الدوامات فيها لنجذب من خلالها من نريد إلى مدينتنا. أما
القمر فنهتم به لما لأطواره من علاقة بالآلى حياتنا وقشورها.
وبعد ذلك صمت كلاهما، وهنا تعمّد نُورا المقامرة بالصمت لعله
يربح المزيد من إجابات الحوريّة مجاناً دون بذله للمزيد من التساؤلات،
ونجح في ذلك وكان له ما أراد إذ تابعت الحوريّة من تلقاء نفسها قائلة:
- كما أن المنارات تحتوي على معدات وأنظمة معقدة تعمل على
إضاءة القبة ليلاً وفصل إضاءتها نهاراً، وتقوم على تشغيلها أذكى
الحوريّات على مدار اليوم.

- فصل إضاءتها نهاراً!

«أهذا ما أثار استغرابك من بين كل ما قلت!» بهذا علّقت الحوريّة
ضحكاً ثم تابعت قائلة:

- نعم، تعمل القبة على جمع أبسط الموجات الضوئية الواصلة
إليها من سطح المحيط وتقوم بإرسالها إلى معدات خاصة في
المنارات الأربع، فتعمل على تخزينها على مدار النهار وتقوم
بمعالجتها بطرق دقيقة لتكثيرها لتنير ليل المدينة.

- تقصدين أن نهار آينجه ليل في الواقع الأمر، وفي المقابل ليلها
نهار؟ أي أننا الآن في الليل؟

- نعم إنه كذلك. وبالإضافة لذلك أود أن أعلمك بأن نصف اليوم
في آينجه نهار ونصفه الثاني ليل ولا يوجد أي تداخل بينهما، في
آينجه تجد إما النور أو الظلام، وتنشط الحياة في نهارها وتكاد
تكون شبه معدومة في طرقاتها ليلاً، أما مساكنها فتراها نشطة

بالحياة حتى صباح يومها التالي.

صممت الحوريّة قليلاً ثم أضافت:

- ترى ألن تتساءل عن كيفية وصول الموجات الضوئية لأعماق المحيطات؟

- في الواقع .. بلى، لقد تمنيت ذلك في سزي. ترى عن طريق الأسطح المعينة التي أخبرتني عنها لتوك؟

تابعت الحوريّة قائلة:

- لا، تنطلق سرايا من الحوريّات ومن يرافقهّن من أزواجهن بشكل دوري في المحيطات ليقوموا بطلاء أجسام الكائنات البحرية الضخمة التي يصادفونها بمادة لا أدري كنهها، وكل ما أعرفه عنها أنها اخترعت من قبل الجان، ولاحقاً باتت تعدّها الحوريّات بأنفسهنّ، بحيث تعمل هذه المادة على جمع أبسط الموجات الضوئية وتعكسها بعضها بعض مع اتجاه الجاذبية إلى أن تصل إلى قبة مدينتنا، وفي المقابل تُعش هذه المادة الكائنات التي تُطلى أجسامها بها.

- اسمحي لي بسؤال مستقطع، لقد لاحظت أن تكوين سقف الغرفة الثانية التي خرجنا منها مشابه لتشكيل قبة المدينة، ألهذا سبب ما؟ (نُوا)، وهو يشير لسماء مدينة آينجه).

- نعم، إن أسقف الغرف الخارجية في مساكننا تعمل بنظام مشابه لنظام القبة، حيث تقوم الأسقف بتخزين الضوء من نهار المدينة لتبثه في ليلها بكفاءة ولكن أقل بسبب عدم اتصالها بأنظمة المنارات، وقبل أن تسألني عن سبب عدم اتصالها بأنظمة المنارات سأجيبك؛ يعود ذلك لسببين: نظرًا لكون الضوء القادم إليها من قبة المدينة أوفر كمًّا، والثاني لتقليل تكلفة تشغيل معدات وأنظمة المنارات.

- أهنأك حقًا تكلفة لإنارة قبة المدينة هذه؟

- بالطبع. أيوجد ما هو بالمجان في هذا الكوكب؟ تتبرع كل الحوريات منّا بنصف ما يطول من شعرهن عن مقدار ذراعين في بداية كل عام قمريّ، كل الحوريات على حد سواء. لم يقتنعن نوا بإجابة الحورية وشعر بأن أمر الكلفة التي حدثته عنها غير محبوبك بشكل جيد في عقله اللاواعي، ووجدته غير منطقي البتّة، وبالرغم من ذلك تساءل في سرّه: (وأين المنطق مني في كل ما أنا فيه؟) واختصاراً للموضوع برّمته نقل الحوار بعيداً مشيراً بيده للميدان الواقع على يسار بيت البلجيك وسألها:

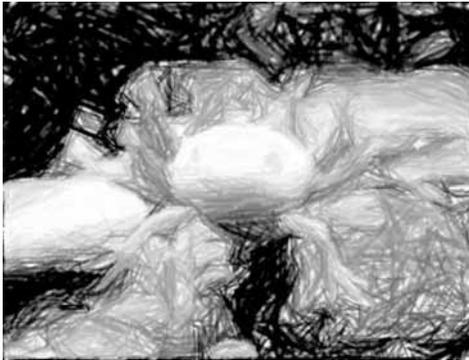
- ما ذاك المكان؟

- ميدان جاساريت، المكان الذي تجري فيه كل اجتماعات واحتفالات ومناسبات الحوريات العامة، كما تنطلق منه سرايا الحوريات للخارج.

وفي هذه الأثناء اقترب من الحورية كائن حي صغير الحجم غريب الشكل، ذيله طويل وبأربع قوائم، أزرق اللون ويمتد من رأسه ستة خياشيم خارجية لونها برتقالي، لم تفزع الحورية منه بينما ظهر الفرع مباشرة وبشكل جليّ على رفيقها.

قالت الحورية:

- لا داعي للقلق مجدداً إنه مجرد صديق، إنه عفریت ماء صغير.



ابتسم نُسوا باشمئزاز وأخذ يدعو من قلبه لاختفاء هذا الكائن بأسرع ما يمكن، دون أن يخطر له لوهلة أنه سيضطر لاحقاً إلى حمله. وأثناء انهماكه بالدعاء مدتّ الحورية كفيها باتجاه العفريت وقالت:

– تعال يا صغيري، هلم إليّ.

تراقص العفريت يميناً ويساراً بجسده كمن يعبر عن شعوره بالرضا والسعادة ثم أخذ يقترب من الحورية ببطء، وبشكل مفاجئ اقترب بسرعة أكبر كسرعة من سقط أرضاً بسبب جاذبيتها، واستقر على يديها، وما كان منها إلا أن أمسكته برقّة وداعبته بسبابتها بلطف ثم وضعته على كتفها الأيسر ليكون جسدها حدّاً فاصلاً ما بينه وبين نُسوا.

وفي تلك الأثناء عاد ذاك الشيطان المتمثل على هيئة سمكة متوحشة لذهن نُسوا، وتذكر كونه لم يقترب لمثل الحد الذي اقترب إليه العفريت حينما بدا كمن يسقط، وبينما بحث في ذهنه عن تفسير للاختلاف بين الحالتين قالت الحورية التي استشعرت بفضوله:

– نُسوا، تعمل الحصى الملساء التي نقف عليها على زيادة الجاذبية في الطبقة المحيطة بها والتي تصل في المتوسط إلى ثمانني أقدام، لذا لن يتمكن من السباحة وسيسقط أرضاً أي كائن يقترب من أرضية مدينة آينجه إلى ما يقل عن هذا الحد، وبعد نطاق الثماني أقدام تتمكن الأسماك من الحركة بحرية، وهذا بالطبع باستثناء السلاحف التي أظهرت عدم تأثرها بجاذبية الحصى لأسباب ما زالت مجهولة بالنسبة إلينا.

– سلاحف! .. وأنتم؟

– تقصد «نحن» أنا وأنت والحوريات والجميع «نحن». نعم ونحن كذلك الأمر، إذا أراد أيّ منّا الحركة في سماء المدينة فعليه أن يقفز ليرتفع إلى حدّ ما يمكنه من التخلص من أثر الجاذبية هذه، وعند العودة عليه توخي الحذر .. تذكر ذلك.. ها قد أخبرتك!

- ألهذا السبب وجد الرصيف الصخري؟ لنقفز من فوقه بسهولة أكبر؟

- تمامًا، ولذات السبب رُصِف ميدان جاساريت بكامله بالصخر،
لتتمكن الحوريات من الإنطلاق منه بشكل أسهل، فقوة الجذب
هناك أقل بكثير.

أمعن نُوا النظر إلى عينيها الخضراوين ثم تبسّم وقال رغم
خجله:

- لديك عينان جميلتان للغاية.

خجلت الحورية فاحمّرت منها وجنتاها، وعندما شعر مُخجلها بأثر
قوله أضاف مخفّفًا عنها ما سببه: (حقًا إنها مدينة عظيمة!) وأضاف في
سرّه: (أتمنى أن لا أستيقظ من حلمي أبدًا). ثم أخذ ينظر إلى المدينة
بعمق كمن يهدف لاستنباط تساؤل جديد يضيفه لرصيد تساؤلاته. في
الواقع كان هناك عدد لا نهائي من الأسئلة التي سيتساءلها أي ناظر لتلك
المدينة. ولكن صديقنا تمهّل في اختياره لتساؤله القادم وعندما استقر
على ما استقر عليه أشار بيده وتساءل:

- وما هي هذه القطاعات المحيطة ببيت البلجيك؟

(يا له من سؤال، تطول إجابته على قدر قصره) قالت الحورية في
سرّها. ثم تنهدت - شكليًا، وهي صفة بشرية دخيلة على الحوريات -
بعمق وأجابته:

- إنها قطاعات تدريب الحوريات، تتقل الحورية التي تبلغ من
العمر سبع سنوات للعيش فيها حتى تتخرج منها في بداية السنة
السادسة عشرة من عمرها، وفيها يتم تعليم الحوريات وتدريبها
على شتى أمور حياتها حتى تصل لأعلى مستويات حرفيتها.

- ألهذا وجدتُ أن منزل الحورية لا يتسع إلّا لها ولزوجها ولطفل
واحد فقط، خصص له مهد كبير نسبيًا؟

- بل لطفلة واحدة فقط .. يا لك من دقيق الملاحظة!

- ولكن، ألا ترين أن الأطفال في سنّ السابعة عاجزون ويحتاجون للرعاية؟

- في هذه النقطة بالذات أنتم «البشر» مخطئون، لاحظت فيكم كيف أنكم تتعاملون مع عداد سنين أعماركم وكأنه عداد طويل الأمد، وهو ليس كذلك في حقيقة الأمر، تعيشون ما يقارب الثمانين عامًا، أليس كذلك؟ حسنًا دعنا نقل ثمانون على سبيل المثال، فهل يعقل أن يُخلَق للإنسان عشر سنوات ليقضيها في الطفولة ومن بعدها عشر ليضيعها في المراهقة، ومن بعدها عشر أخرى يتوه فيها لإيجاد مسار يناسبه، وفي آخر عمره عشرون سنة يقضيها في الشيخوخة؟ ما تبقى منكم؟ وعجبي تنامون نصف المتبقي لكم! نُوا. لا طفولة هنا في مدينة آينجه، فالطفل كائن قادر على اكتساب شتى العلوم منذ وجوده في رحم أمه، ويبقى قادرًا على العطاء حتى نهاية حياته، وكذلك الأمر بالنسبة للحوريات.

- ولكن في عمر السبع سنوات! أعتقد أنه من المبكر جدًا أن ينتقل الطفل للسكن خارج منزله في مثل هذا العمر، ألا تعتقدان أن في حرمان الطفل من والديه إجحافًا بحقه؟
نعم بكل تأكيد.

- حسنًا؟
ولكن إن كنت تعتقد بأن صغار الحوريات يُحرمن من أهاليهنّ فأنت مخطئ، على الأقل إنهنّ يحظنّ بأهاليهنّ أكثر منكم، فأطفال الحوريات يلتقون بأهاليهنّ كل يوم لمدة ثلاث ساعات متتالية في مواعيد مختلفة.

- ثلاث ساعات! وفي مواعيد مختلفة!
في تنوع المواعيد تنوع لأعمال الحوريات وتنوع لأعمال أزواجهنّ، وهذا يُكسب صغار الحوريات خبرة أشمل في الحياة.

- خبرة! لم؟ ما الذي يحدث في الساعات الثلاثة التي تتكلمين عنها؟

- تقضي صغار الحوريات الساعة الأولى مع آبائهن على انفراد، وأقصد بالانفراد عدم وجود الأمهات لا الأخوات، هذا في حال وجد أيّ منهنّ وهذه الحالة نادرة في زمننا هذا، وفي هذه الساعة يصطحب الأب المتفرغ تمامًا ابنته أو بناته في نموذج مصغر عن حياته اليومية التي يحيها فيكتسبن من خلال مرافقته من خبرات حياته العملية ما يكتسبن، حيث يكون كل قلبه لهنّ وتكون كل عقولهنّ معه. وفي الساعة الثانية تصطحب كل أم بناتها في رحلة تماثل رحلات الآباء، فيكتسبن الشق الثاني من خبرات الحياة اليومية، حيث يكون تركيز كل منهنّ على الأخرى. وفي الساعة الثالثة يلتقون جميعهم معًا الأب والأم وأطفالهما ليمعنوا النظر ويتمتعوا في الأجواء الأسرية وبذلك يستشعرون جمالها وروعة قيمها وأهميتها. إن من حسن حظ صغار الحوريات أن لديهنّ ثلاث ساعات متفرقة بثلاثة أوضاع حياتيه مختلفة.

- أعتقد أن النموذج البشري يتفوق عليكم في هذا المجال.
- تعتقد! أجزم لك بأنك مخطئ، ففي عالم البشر لا يتلاقى الآباء والأمهات مع أبنائهم كما يلتقون في عالمنا «عالم الحوريات»، أيعقد الآباء البشريون لقاءات نقية مع أبنائهم؟ بالطبع لا، هل حقًا تُعد اللقاء المشوّش مع الأبناء لقاءً؟ إنهم يجتمعون معًا لا أكثر، إنها مجرد اجتماعات جسدية مهما كانوا حريصين على التواصل مع أبنائهم. تواصلكم أنتم البشر فيما بينكم تواصل ضعيف، ضعيف للغاية!

- معك حق «نوعًا ما» .. حسنًا ما يحصل للحوريات بعد خروجهنّ من مراكز التدريب هذه؟

- بعد تخرّجها تحصل كل حورية من مراكز التدريب على منزل

خاص بها، وفيه تنتظر تأهل جسمها للإنجاب ومن ثم تنتقي بنفسها رجلاً ما وتنجب منه وتعاود صغيرتها من جديد دورة حياة الحوريّة.

- صدقيني لقد حاولت ولكنني لا أستطيع كبح جماح فضولي الشرس، أخبريني أكثر عن هذه القطاعات!

- لا عليك، إنه من دواعي سروري، وليكن بمعلوماتك بتّ أتوقع منك السؤال عن كل شيء. أما القطاع الأسود فيعرف بقطاع سافاز وهو قطاع مختص بعلوم القتال، وفيه تتعرف الحوريّات إلى جميع الكائنات الشريرة والخطرة الموجودة خارج المدينة، وكما تعلم فهناك فرقٌ كبير بين ما هو شرير وما هو خطر، وفيه تتعلم الحوريّات نقاط ضعفها كلها ويتدربنّ على أساليب قتلها الأنجع. وبالإضافة لذلك تقوم الحوريّات بالتدريب على قتال بعضها لبعض. كما يتم فيه اختيار الثياب الأنسب لكل حوريّة منها حسب كفاءتها النفسية والجسديّة أثناء القتال.

- يا لها من مفاجأة، وهل يعقل أن تتقاتل الحوريّات في ما بينها وهي التي تنتمي لذات الفصيل؟

- أرجوك لا تخبرني بأن البشر لا يفعلون ذلك!
- بلى .. يفعلون.

- بالنسبة للحوريّات يتم تدريبها على القتال في ما بينها لتتجنب تكرار ما حصل لهنّ في الماضي من جهة، وهذه قصة طويلة سأخبرك بها لاحقاً، ومن جهة أخرى لمواجهة أي خطر قد يتأتى من مجموعة منبوبات تم نفيهنّ منذ زمن من المدينة، كما أنه ضمان مما في المستقبل من ظروف.

- وما للثياب ومركز تدريب القتال؟ .. الغريب أنه بالرغم من كون المنطق مُحارباً في هذه المدينة أراك تجيدين إقناعي بواقعيته!

- ثياب الحوريّة هي أسلحتها، أتمنى ألاّ يغزك منظر ثيابي، ففيها

أسلحة لن تخطر على بالك مهما اجتهدت، وأنا على يقين
بكونك سترها يوماً ما رغم أنني لا أتمنى ذلك.

- وثيابي؟ (نُوا، باستغراب وهو يتفحص ثيابه الجديدة).
- لا، ثيابك عادية، بل إنها عادية جداً كثياب صغار الحوريات،
إياك أن تتهور يوماً ما بالاعتماد عليها، إنها لا تتعدى فكرة كونها
سترًا لجسمك، ولا تقلق ستحصل على أسلحة تقاوم بها حينما
تحتاج إلى ذلك، وهدهن الحوريات من يستطعن قيادة ثيابهن،
فهذه الثياب مُصنعة بطريقة خاصة تناقلتها الحوريات منذ العهد
القديم عن بعض مصممي ومنتجي الثياب من مهرة الجان في
هذا المجال.

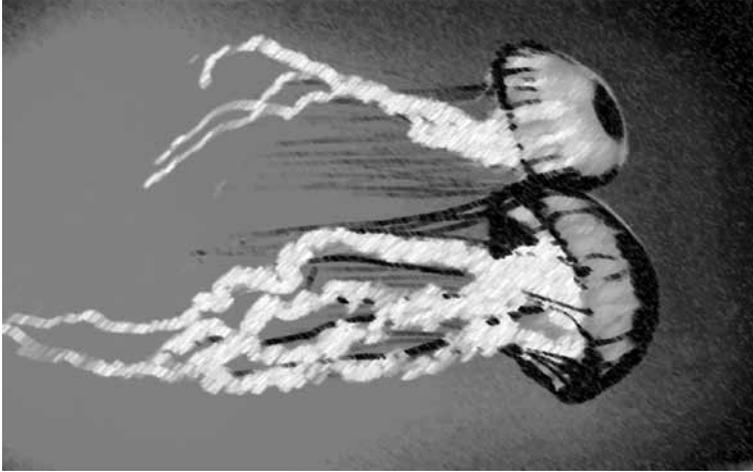
تساءل نُوا في سزه: (ولم تراني قد أقاتل؟ وضد من!)، وفي هذه
الأثناء ظهر قنديلا بحر متوسط الحجم أمام كل من الحورية ونُوا
بشكل مفاجئ، كانا جميلين للغاية، ويتراقصان معاً بنسق لطيف يظن من
يراهما بأنه عميق المعاني، ولعله بالفعل كذلك من يدرى!
نظرت الحورية صوب نُوا لتجابه ردة فعله المتوقعة، ولكنها
تفاجأت بكونه متبسماً. أثارت ردة فعله استغرابها فقالت:

- أراك تتبسّم هذه المرة! وعجبي لمن! .. للجمال رغم خطورته!
خضّته الحورية بمقاطعة استمناعه "بالجمال رغم خطورته" - حسب
قولها - فتساءل محافظاً على تبسّمه في محاولة لإنقاذ نفسه من جدالها:

- أكملني من فضلك، وما حكاية القطاع الأبيض؟
ردت عليه بابتسامة مماثلة أظهرت فيها وعيها لما في نفسه ثم
أجابت:

- يعرف القطاع الأبيض بقطاع تيدافي وهو قطاع مختص بعلوم
العناية بالشعر، وفيه تتعرف الحوريات إلى أنواع شعورهن
وطبيعة كل نوع منها، وبالإضافة لذلك تتعلم فيه الحوريات

نوعية الآفات والأمراض الممكنة إصابتها بها وأفضل أساليب علاجها، ويتعلمن في هذا القطاع كل السبل والإمكانات لتقوية شعورهنّ وزيادة كثافتها. وبالرغم من كون هذا القطاع الأصعب ما بين القطاعات تراه يعدّ الوجهة المفضلة لكل حورية بعد تخرجها لكونه مكان استجمام رائعًا بشرط أن لا تكون طالبةً فيه.



وفي هذه الأثناء خرجت مجموعة من صغار الحوريات من أحد مباني القطاع الأخضر، يحملن معهنّ سلالاً ضخمة، وما أن توسطن الأسماك في سماء المدينة حتى نثرن ما في سلالهن حولها، ما شجّع نساء ليتساءل:

- وما شأن القطاع الأخضر الذي خرجت منه تلك الحوريات؟
- يعرف القطاع الأخضر بقطاع تيرم وهو قطاع مختص بعلوم الزراعة؛ وفيه تتعرف صغار الحوريات إلى جميع أنواع النباتات، سواء بحرية الأصل أو الجينية منها، وفي هذا القطاع تتبين للحوريات مزايا كل نبتة ويتعرفن إلى كيفية زراعتها ومواعيد حصادها المثلى، وفيه أيضًا يتعلمن العناية بها وكيفية إعدادها

وتحويلها لمكعبات عشبية. كما يتكفل هذا القطاع بالعناية بكافة النباتات في مدينة آينجه حتى الموجودة في طرقها ومساكنها، كما تعمل الحوريات المتواجدة في هذا القطاع على توزيع المكعبات العشبية على كل سكانها، كما يوزعن الأغذية على الأسماك في سمائها، ويتخلصن من بقايا الكائنات الميتة بدفنها في قمم جبال المدينة.

وبشكل عام تقوم كل القطاعات بتعليم صغار الحوريات على معدات وأنظمة التشغيل المتعددة في المدينة وعلى علوم الفلك وأعمال البناء وعلى شتى مجالات الحياة إضافة لما تخصص به كل منها.

- ولكن ألا ترين معي أن هناك تناقضًا في ما بين أولوياتكم؟ فكيف يرتقي علم العناية بالشعر، هذا إن اعتبرنا أنه يعد علمًا، ليتم التدرب عليه بجانب علمي القتال والزراعة؟

- كم خلق الإنسان عجبًا! إن علوم العناية بالشعر عندنا تكافئ علوم الطب عندكم، وعنايتنا به تكافئ التطبيب عندكم. نُسوا، يُعد شعر الحورية مكنن قوتها وصحتها، وفيه تلاشيها!

- أتقصدين أن شعر الحورية منكنّ مرآة لمقدار القوة والصحة التي تتحلى بها! أهذا ما ترمين إلى قوله؟

- لا، بل العكس تمامًا، إن قوة وصحة الحورية مرآة لحالة شعرها، فكلما ربا شعرها ونمت قوته وغرُر زادت قوتها وتحلت بصحة أفضل.

- ألهذا السبب عبّرت عن الدفع به لإنارة القبة بالأمر المكلف؟ عندما ذكرت موضوع دفع الحوريات لشعورهن؟

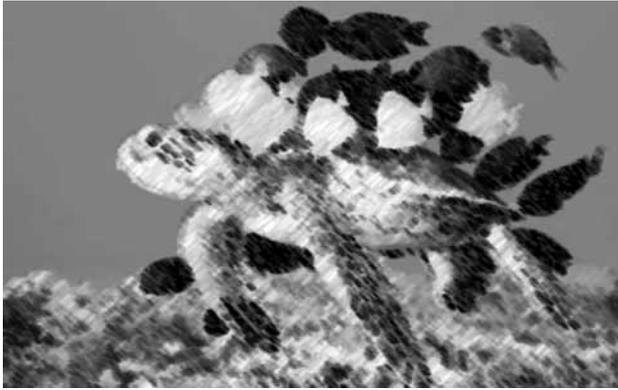
- تمامًا. قد تؤدي إصابات شعر الحورية إلى تلاشيها.

- التلاشي! التلاشي! ما الذي تقصدينه به؟

- موت الحورية، عندما تموت الحورية منّا تتلاشى على هيئة فقاعات هوائية، باستثناء لؤلؤتها بالطبع، لذا لا وجود لجثث

الحواريّات، ولهذا عجز وسيعجز البشر عن تأكيد وجودها مهما
اجتهدوا.

- ولكن ألاّ يتمكن البشر من الإمساك بكنّ على سطح الأرض؟
- بلى، ولكننا خارج الماء لا نتجاوز بضع دقائق ثم نتلاشى.



وأثناء حوارهما ظهرت سلحفاتان بحريّتان كبيرتان، واحدة منهما
أكبر من الثانية بقليل، أطرافهما الأمامية كبيرة بينما الخلفية أصغر، ولكل
منهما ذيل قصير، وكان على صدفة إحداهما مجموعة من أسماك صغيرة
متعددة الألوان تتقافز بعضها فوق بعض، ولاحقاً أعلمت الحوريّة الوافدة
الجديد للمدينة بأن من إحدى المهام التي تبرعت السلاحف المقيمة
بالمدينة القيام بها، من ضمن ما تبرعت بالقيام به، إنقاذ الأسماك الصغيرة
المتهورة من براثن جاذبية حصي المدينة الأملس.

كانت السلحفاتان البحريّتان تسبحان ببطء على الطريق الذي قطعه
كل من الحوريّة ونُوا بعد خروجهما من مسكنهما ذي الحجرتين،
يُغلف جسم كل منهما صفائح صغيرة متلاصقة كالتروس تمامًا، مشكّلةً
معاً صدفة قوية الهيئة، والصدفة مدمغة بجسم السلحفاة ومزخرفة بشكل
مبهر وبدرجات ألوان رائعة. وكان اللون الأحمر يطغى على الكبيرة بينما
يطغى اللون البني الفاتح على الأصغر، ويظهر اتساع عيونهما عن بعد.

توقفت السلحفاتان البحريتان عدّة مرات لتأكلا من نباتات الطريق وأكملتا مسيرتهما، وأثناء اقترابهما تساءل نُسوا في سرّه: (كيف للسلاحف أن تتنفس في قعر المحيط؟) ظن نُسوا أن خياله أخفق في حُبك هذه النقطة من حلمه الجميل، لذا ابتسم وقال بصوت مرتفع والحماس بادٍ على أشده عليه:

- سلاحف! وتتنفس تحت سطح الماء، وبدون لآلئ الحياة: يا لها من معجزة!

تعمد نُسوا التطرق إلى ذكر لآلئ الحياة ليفند أي تفسير قد يصدر من قبل الحوريّة التي كانت تحاوره، وتعمد ذلك بالرغم من كونه لم يتبين حقيقة وجودها لدى السلاحف من عدمه.

أجابته الحوريّة بهدوء وهي تستند إلى ابتسامة ماكرة:

- لا، إنها ليست معجزة، من المعروف للجميع أن السلاحف البحريّة لا تتنفس تحت سطح الماء، ولكنها تستطيع البقاء تحت سطحه لفترات طويلة، لذا تعمد السلاحف في مدينتنا إلى الذهاب لينابيع الهواء المحيطة بميدان جاساريت من الجهة الخارجية كلما اقتضت حاجتها لذلك. وإذا أردت الاستفسار عمّا أكلته أثناء تجوالها فسأجيبك دون أن تسأل؛ إنها نباتات خاصة زُرعت في طرقات مدينتنا خصيصًا لها إكرامًا لتبرّعها بنقلنا في أرجاء أرض مدينتنا، وحدها السلاحف من تستطيع السباحة بسرعة فوق حصى طرقات آينجه، أظني أخبرتك بذلك من قبل، أليس كذلك؟

عادت التساؤلات إلى ذهن نُسوا بشكل أكثف، وكان من بينها: (هل عليّ أن أصدق كل هذا الهراء؟) ولكنه حافظ على تساؤله في سرّه هذه المرّة.

لاحظت الحوريّة شرود ذهن نُسوا فبادرت قائلة:

- دعنا نمتطّ هاتين السلحفاتين ونذهب في جولة عبر المدينة.

- متى أضحى السلاحف «رمز البطء» وسيلة للنقل؟ (نُوا، متهكمًا).

زورته بعينها بحدة وقالت له:

- أتمنى منك أن تحترمهما فهما تفهمان ما نقوله، كما أتمنى منك أن تحترم الجميع مستقبلاً، حاول أن تدع عنك أخلاقك البشرية. كما أن كلاً منا ملكٌ في بيته، وهاتان السلحفاتان بحريتان وليستا ممن طُبعن في مخيلتك الأرضية، وعليك أن توقن بأن الإمكانات الحقيقية لا تظهر إلا في أرض صاحبها، كائنًا من كان هذا الصاحب. إنني أنصحك بعدم السخرية من قدرات أيّ كان على أرضه، في أرضك حتى الزهرة تصبح سلاحًا إن احتجتها.

ردُّ نُوا على سبيل الاعتذار بشيء فيه من الاستهزاء:

- عذراً منكما أيها السلحفاتان، ولكننا سنذهب سباحةً.
- في الواقع بُتُّ شبه متيقنة بكونك تخاف الكائنات الحية، نُوا لا داعي لهذا الخوف، كما لا ضير في إفصاحك عنه، وبالمناسبة إن السباحة ممنوعة فوق مساكن الحوريات، هيّا دعنا نذهب معهما. (نايا، مبتسمة).

- حسنًا، حسنًا لا بأس في ذلك .. فلنمتطِّها تين السلحفاتين.
(نُوا، مستسلمًا وقد شعر بأن تلك الحورية قد كشفت سره).

كديج وفانس الأول ودوروجو

اقتربت السلحفاتان من الحوريّة ونُوا ببطء شديد متعمد نظرًا لتناول ساكن المدينة الجديد عليهما، وذلك حسب ما برّرت نايا لرفيقها لاحقًا، ولتسوية ذلك الأمر بادرت الحوريّة بإبداء حسن نيتها للسلحفاتين فاتجهت نحوهما مبتسمة وسألتهما بلطف بالغ أن ينقلاهما إلى بيت البلجيك، وأثناء سؤالها لهما كان نُوا يتمم داعيًا لعله يتخلص من ذلك الموقف. ولكنه علم بعدم استجابة دعائه حينما سمع صوتًا يشبه صوت نداء طفلين صغيرين أصدرته السلحفاتان، افترضه نُوا موافقة بينما كانت حوريّته تعلم مسبقًا بكونه كذلك.

ثبتت كل من السلحفاتين نفسيهما بالحصى عن طريق غرس أطرافهما فيها، فتقدّمت الحوريّة وهمّت بالصعود على متن الكبرى منهما إلا أنها تنهت لنسيانها تاجها في مسكنها. فقالت مرتبكة أثناء انطلاقها لمنزلها تاركةً صديقها وحيدًا مع السلحفاتين:

- نُوا، انتظرنى قليلًا سأعود بعد لحظات، لقد نسيت تاجي في الداخل، سأذهب لأحضره بسرعة.

- لا أظنها تحتاجه خصوصًا لكوني في مثل هذا الموقف المميز. (نُوا، معترضًا في سرّه).

وما هي إلا لحظات حتى ظهرت امرأة سمينه أو بالأحرى حوريّة بحر سمينه، شعرها بنيّ كثيف مموج يشكل شبه هالة كبيرة منتظمة حول رأسها من شدة تموّجه. تنبه نُوا في المقام الأول لتاجها الفضي الذي كانت تضعه على رأسها نظرًا لكون التاج المسبب الرئيسي لبقائه وحيدًا مع تينك السلحفاتين، بدا تاجها كمجموعة أشعة ماسية صادرة

من منتصف جهتها، طويلة في منتصف التاج وقصيرة عند طرفيه، تاجها فائق الجمال رغم بساطة شكله، أحبُّ نُوا شكل التاج وساهم بذلك تماثل طرفيه.

— أنت نُوا أليس كذلك؟ (الهوريَّة السمينه، وهي تحاول تمالك نفسها من الضحك).

تعجَّب نُوا منها وازداد تعجُّبه أكثر حينما بدأت الحوريَّة تضحك بالفعل ووصل بها الحال إلى التمايل من جزاء ضحكها. كانت ترتدي رداءً أبيض طويلاً بذراعين قصيرين، ياقته واسعة مزركشة بشكل مبالغ فيه، ضيق من الأعلى وواسع من الأسفل، وكانت ترتدي فوقه ما يشبه مريلة وردية قصيرة، تبين له لاحقاً أنها تتصل من الخلف بشبكة خيوط سميقة تتدلى مع الرداء من الخلف.

— من أنتِ؟ (نُوا، باستغراب).

— أنا بيرين، أجمل الحوريَّات على الإطلاق وأكثرهنَّ رشاقة.

— يا لتواضعك يا سيدتي! .. كيف لك أن علمتِ باسمي؟

— جميع نساء المدينة تعرفه.

— تقصدين كل حوريَّات المدينة؟

— عفواً منك، كل حوريَّات المدينة تعرفه، ثم عليك أن تسأل

حوريَّتكَ عن السبب لا أن تسألني أنا. (بيرين، ضاحكة).

— هل لك أن تتوقَّفي عن الضحك؟ (نُوا، وهو يشعر بالأذية).

لم تستطع الحوريَّة بيرين الإجابة كونها استمرت في الضحك بزخم أكبر، فاستغلَّ نُوا ضحكها وأمعن النظر إلى وجهها دون خجل فوجدها جميلة بحق، جميلة جداً كما ادَّعت إلا أن ضحكها المبالغ فيه قلل من هيبه جمالها، ملَّ نُوا من هذا المشهد المُستفز وقرر على عجل امتطاء السلحفاة الأصغر من بين السلحفاتين. وفي هذه الأثناء كانت الحوريَّة نايا لا تزال تبحث في مسكنها عن تاجها المنسي، ولسوء حظها لم تجده بسرعة رغم صغر مسكنها، كان عليها النظر أسفل المنضدة

الصخرية الصغيرة بجانب السرير حيث سقط منها عندما استسلمت للنوم على المقعد بجوار نُوا منتظرةً استفاقةه. في آخر الأمر وجدته، ويا ليتها أسرعَت قليلاً بذلك.

بحركة تلقائية رفع نُوا قدمه اليمنى وداس بها على ظهر السلحفاة، ويلمح البصر انتفضت السلحفاة بشكل مربع والتفت صوبه بفكيها قاصدةً الإطباق بهما على قدمه الآثمة، إلا أن نُوا استطاع إنقاذ قدمه بمعجزة ولكن النجاة لم تكتب لحذائه الذي تمكنت من نزعها.

صرخت الحوريّة نايا التي ظهرت لتوها قائلة بأعلى صوتها: (توقفي حالاً أيتها السلحفاة!)، ما فرض الهدوء على الجميع وأوقف الحوريّة بيرين عن الضحك، ثم أضافت بعدها بقليل بعصبية شديدة: (ما الذي فعلته لتوك يا نُوا؟).

في الواقع لم يفعل نُوا ما يستحق أن يقال، قال في سرّه: (أردت امتطاءها فقط).

– لا يحق لأحد بأن يدوس ظهر أحد، من أعطاك الإذن لتفعل ذلك؟ (نايا، متابعة لكلامها).

ثم التفتت لصديقتها ووجهت لها الحديث فقالت:

- أتعلمين أنه كاد يقتل بينما أنت تقفين في مكانك وتضحكين!
- لا تقلقي، إنها مجرد عضّة سلحفاة لا أكثر. (نُوا، محاولاً التخفيف من خوف الحوريّة، وهو لم يتوقع أن تخشى عليه مثل تلك الخشبية).

عند ظهورها كانت الحوريّة الغاضبة تمسك تاجها المنسي بيسراها، وفور هدوء الموقف أمعن نُوا النظر إلى تاجها ووجده مصممًا على هيئة أوراق شجر متفاوتة الأحجام، ومكونة من حجارة الألماس أو ما شابه، وتصطف بنسق جميل على عروق فضية دون تماثل، ستجده إن رأيته ساحرًا لا يقل سحرًا عن تاج الحوريّة بيرين، وأثناء تشبّع نُوا بجماله قال في سرّه: (يبدو أن كل تيجان الحوريّات خلابة) بالرغم من

كونه من أشد من يحب التماثل في كل التصاميم.
- معك حق عليّ ألا أقلق! ألا تعلم أن فكّي السلحفاة من أقوى
فكوك الكائنات؟ .. لم أتوقع قط أنك تنظر نظرة دونية للكائنات
الحيّة. (نايا).

قال نُوا في سرّه متعجبًا: (يبدو لي أنها تعرفني من قبل!) أما
الهوريّة بيرين فاستمرت بحفظ نفسها عن الضحك ويعدّ ذلك أفضل
ما بدا منها وقتها.

اقتربت الحوريّة نايا من السلحفاة وتحسست رأسها بيدها،
وأبدت أسفها على الموقف بقولها:

- اسمحي لي أن أبرر همجيتّه بقلة معرفته.

التفتت الحوريّة صوب نُوا وقالت:

- حينما تقرر امتطاء السلحفاة اطلب منها ثم افعَل هكذا.

ثم وضعت الحوريّة ركبته اليمنى على ظهر السلحفاة برفق وأتبعها
باليسرى برفق أيضًا، ووضعت يداها على بداية صدفة ظهر السلحفاة
وأنزلت قدميها على طرفي الصدفة وقالت:

- أرايت؟ ولا تنس شكرها عندما تقرر النزول عن ظهرها.

أضاف عفريت الماء الصغير الذي شهد الموقف صوتًا يشبه صوت
فرس النهر مبدئيًا غضبه، ما أعاد البسمة إلى وجه الحوريّة الغاضبة.

وبشكل مفاجئ ظهرت في سماء المدينة دوامة كبيرة قُذِف منها
جسدٌ ما بسرعة كبيرة أخذت تتناقص تدريجيًا حتى اقترب من أرض
المدينة، ولكنه عاود اكتساب التسارع مرة أخرى عند اقترابه من الحصى
الأملس واصطدم بالأرض، وكان مكان الاصطدام قريبًا من الحوريّة
نايا ومجموعتها ما أوعز للسلحفاة التي ركبته حوريتنا - التي بدت
قلقة وقتها - الانطلاق بسرعة صوب ذاك المكان قبل أن تطلب منها
راكبتها ذلك، وفور انطلاق السلحفاة الأولى اقتربت الحوريّة بيرين من
السلحفاة الثانية التي كانت تتقافز على درعها الأسماك الصغيرة لتمطيها

إلا أنها هربت باتجاه السلحفاة الأولى خوفاً من وزن الحوريّة الزائد.

- تبأ لك أيتها السلحفاة الخرقاء، أقسم لك بأنني سأرقد عليكِ مطولاً يوماً ما .. قريباً .. أتمنى ألا تنسي ذلك. (بيرين، غاضبة).

ثم ركضت برشاقة ملحوظة لتلحق بالحوريّة نايا. ومع اكتمال ذلك المشهد قال نُوا مستاءً في سزه: (يبدو أنني لا أملك الكثير من الخيارات المطروحة أمامي، حسناً سأذهب معهنّ، إنه قدرتي ولا مفر من ذلك)، ثم انطلق راكضاً صوب المكان الذي نشدته الحوريتان، وأثناء ركضه شعر بكونه يتميز بصحة أفضل بكثير من ذي قبل وبسرعة أكبر بمقدار ملحوظ، وبفرادة حذاء واحدة.

وصل الجميع تبعاً لموقع الاصطدام وتجمّعوا حول الجسد الساقط، وكان حوريّة جميلةً يشعّ من خصرتها اليمنى نور قوي للغاية، والنور في جسد الحوريّة يماثل نزيف الدم للإنسان وقد يؤدي بها إلى التلاشي إن لم يتوقف بأسرع ما أمكن. أزاحت حوريتنا شعر الحوريّة المصابة عن وجهها وتبين لُنوا أنها تعرفها حق المعرفة.

- آيسلا .. تمالكي نفسك، ما الذي حدث معك؟ هيا بنا سننقلك إلى الصدفّة العجيبة حالاً. (نايا، مدعورة).

- نايا، إن جرحي أبلغ مما توقعين، إنه يشعّ منذ وقت طويل، لا أظن أن الصدفّة العجيبة ستفي بالغرض، كما أنني لن أستطيع الصمود حتى أصل إليها. (الحوريّة المصابة، والإنهاك بادٍ عليها).

- هيا انهضي. (نايا، بإصرار).

وهمت برفعها عن الأرض إلا أن الحوريّة آيسلا تمنّعت وقالت:
- انتبهني! لقد لحق بي أحد الحيتان القاتلة وأظنه سيصل إلى هنا بعد عدّة ثوانٍ، تولّي أمره من أجل آينجه ومن أجلي، فاجأني وجوده عندما دخلت الدوامة، أغلب الظن أنني أصبته إصابه بالغة .. بلّغي آيسلا مني المحبة.

اقتربت الحوريّة نايا بجسدها لتضم الحوريّة المصابة إلا أن الأخيرة تلاشت، تحول جسدها لفقاعات هواء كثيفة للغاية تطايرت للأعلى بسرعة، وتلاشى معها تاجها وثوبها وتبقت منها لؤلؤتها، حاولت حوريتنا خطف اللؤلؤة بأسرع ما أمكنها إلا أنها أخفقت، إذ اختفت اللؤلؤة بعد تلاشي الحوريّة بلحظات كلمح البصر، إنهم الجان تمكنوا منها أولاً فخطفوها.

- آيسلا. (نايا، صارخةً بأعلى صوتها).

أخفت الحوريّة نايا وجهها بيديها، بينما أخذت الحوريّة بيرين تصدر صوتاً شبيهاً بصوت باكية تبكي بحرقة، أما نوا فوقف مذهولاً من هول المشهد غير المتوقع خصوصاً لحدوثه في يومه الأول في المدينة. نهضت الحوريّة نايا وقالت بهدوء غير مُطمئن:
- سأقطعه إرباً.

يعد الحوت القاتل في الأصل نوعاً من أنواع الدلافين، ويعرف بدولفين الأوركا أي «القاتل من الجحيم»، ولُقب بذلك لكونه قادراً على افتراس أي نوع من أنواع الكائنات البحرية سواء أكانت على سطح الماء أو في قاع المحيطات، وتعود قدرته العالية على الافتراس لكونه يتصيد الحيوانات بطريقه جماعية ويتعاون ملحوظ، كما يمتاز باستغلاله لحجمه ولأسنانه الطويلة التي قد تنمو إلى حوالي العشرة سنتيمترات أحسن استغلال. إنه قادر على اقتناص الطيور البحرية والحيتان والقروش البيضاء وأسود البحر والبطاريق والدلافين والحبار والأخطبوط والسلاحف البحرية والفقمة وأبقار البحر وحتى الدببة القطبية تعدّ من ضحاياه.

مرّت بضعة ثوانٍ هادئة تماماً كهدهده ما قبل العاصفة انتهت بظهور حوتٍ قاتلٍ من دوامةٍ اختفت مباشرةً بعد ظهوره، أدت الدوامة دور ساعية بريد أوصلت أمانتها ورحلت. وكان بزعفة جانبية واحدة وينزف من الأخرى، بالتأكيد كانت الحوريّة آيسلا هي التي قطعتهما. كان الحوت اسطواني الشكل يتناقص حجمه تدريجياً عند الطرفين، ويبلغ طوله

حوالي التسعة أمتار، وكان بزعنفه ظهر طويلة يكافئ طولها طول الإنسان تقريباً وملونة باللونين الأبيض والأسود، وكان ظهره أسود بالكامل، بينما جسمه أبيض في بعض الأجزاء السفلية، بما فيها البطن والجوانب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأجزاء القريبة من عينيه.

وبينما كانت الحوريّة نايا لا تزال واقفةً في مكان تلاشي الحوريّة المصابة واختفاء لؤلؤتها، نظرت صوب الحوت القاتل ثم صرخت بملء صوتها قائلة: (أقسم أنني سأقطعك إرباً أيها الأحمق). ثم انطلقت من مكانها راکضة بسرعة باتجاه أقرب رصيف صخري - ولحسن حظ الجميع باستثناء الحوت القاتل أن الرصيف كان على مقربة منهم - وقفزت بكل قوتها، وسط مراقبة كل من نُوا والحوريّة بيرين والسلحفاتين للمشاهد، بينما سقط عفريت الماء من على كتفها لسرعة انطلاقها. ولكنها قالت قبل أن تقفز:

- بيرين، تنبّه، قد يحتاج نُوا لحمايتك.

أما نُوا فذهل مما رآه بأَم عينيه بعدما قفزت تلك الحوريّة، فما لبثت أن ارتفعت عن الأرض قرابة العشر أقدام حتى التّف الشيطان الأبيضان الممتدان من حزام خصرها على كل من طرفيها السفليين مشكّلين غطّائين محكمين لهما، وأخذت تسبح ويذاها ممدودتان أعلى رأسها، تُحرك وسطها وطرفيها السفليين بطريقة مذهلة، أما كما ثوبها فتصلباً على هيئة سيفين حادّين من طرفيهما ويزداد عرضهما في وسطهما ويعودان أقل عرضاً عند بداية قبضتي يديها.

وفي المقابل قفزت الحوريّة بيرين بشكل مباغت على نُوا من الخلف وأسقطته أرضاً وسقطت عليه بهدف حمايته.

- أكاد أحتق! (نُوا، من أسفل الحوريّة بيرين).

- في آينجه «مدينة الماء» لا يختنق أحد. (بيرين، بغرور).

دخل الحوت القاتل المدينة وهو يدور ببطء حول نفسه جراء ما أصاب زعنفته الجانبية من قطع، وكان يصدر أصواتاً غريبة مدوّية، وبدا

ثائرًا بشكلٍ مربع، فارتفعت الحوريّة نايًا لمستوى أعلى من مستواه ثم عكست اتجاه سباحتها للأسفل لتصل إليه جاعلةً رأسها يتجه كما يتجه رأسه أثناء دورانه، ثم تراقصت حوله بعكس اتجاه دورانه، واستمرت على حالها حتى اقتربت بما فيه الكفاية من فكه السفلي ثم غرست سيفها فيه، وجعلت جسدها يوازي جسده، ولكن على مقربةٍ خطيرة.

كان نُوا يتابع تحركات الحوريّة نايًا بترقبٍ عاجزٍ عن فعل أي شيء وهو تحت جثمان الحوريّة بيرين الهائل. على كل حال كان سيعجز عن فعل أي شيء حتى لو لم تقم الحوريّة السمينة بحمايته بتلك الطريقة، كما أنها المرة الأولى التي يشهد فيها نُوا مثل هذه الأحداث الخطرة، كان تمامًا كالطفل الرضيع العاجز، عاجز جسديًا ومن قبل ذلك فكريًا، ولم يمتلك سوى النظر بعينه المرتبكتين إلى ما يجري أمامه والدعاء لخروج صديقه سالمًا ومنتصرةً إن أمكن، دون معرفته للسبب الذي دفعه لذلك.

وبشكلٍ متسارع بدأت شرائط ثوب الحوريّة نايًا السفلية تتصلّب بتدرّجٍ سريعٍ من بعد غرس سيفها في فك الحوت السفلي فأضحت بشوانٍ معدودة كصفائحٍ ممتدة، وبدأت تلف حول خصرها بسرعة بينما تتباعد عن بعضها البعض رويدًا رويدًا وأخذت تطول! ونتيجةً لذلك أخذت الصفائح تقطّع في جسم الحوت من الأسفل إربًا إربًا كما وعدت الحوريّة وهي غاضبة، ولم تتوقف عن ذلك حتى فصلت رأس الحوت عمّا تبقى من جسده وسط صوت أنينه المرعب. مسألة وقت قصير كان نتاجها سحابة دم هائلة تتوسطها كمية غذاء وفيرة للأسماك التواقّة للحوم. وبعد إتمام الحوريّة المقاتلة لمهمتها سبحت عائدةً صوب نُوا والحوريّة بيرين وما أن اقتربت منهما حتى أنزلت قدميها بهدوء صوب الأرض ثم هبطت واقفةً باتزان على الرصيف الصخري الذي انطلقت منه - مع العلم أن ثيابها عادت لسيرتها الأولى خلال بضعة ثواني أثناء عودتها - ثم قالت:

- بيرين بإمكانك ترك نُسوا وشأنه الآن، شكرًا لك.
ابتسمت الحوريّة بيرين وقالت:
- بالتأكيد، إنه من دواعي سروري. (الحوريّة بيرين، رغم أمنيّتها
الدفينة ببقائها على ارتقائها ذاك للأبد).
- أشارت الحوريّة نايا بيدها صوب مكان المعركة وخاطبت بأعلى
صوتها الأسماك التي كانت تتواجد في سماء المدينة واختفت بمجرد
ظهور الحوت قائلة:
- أيتها الأسماك، عليكم بما تبقى منه.
وما أن أتمت الحوريّة حملتها حتى تجمعت مجموعة كبيرة من عدة
أنواع من الأسماك من كل حذب و صوب من جبال المدينة حول ما تبقى
من الحوت، تاركَةً منه عظامًا نظيفة عملت على إزاحتها مجموعة منهن
ناحية أقرب سفح جبل.
- أضافت الحوريّة المنتصرة مخاطبةً نُسوا:
- نسيت إخبارك، يجوز للأسماك هنا أكل ما تقتله الحوريّات من
الكائنات.
- وأثناء حديث الحوريّة مع نُسوا لاحظت على محياهِ شيئًا من
الذهول مما أقلقها عليه بعض الشيء فتساءلت:
- نُسوا، هل أنت على ما يرام؟
لم يتوقع نُسوا قط رؤية عنفٍ كما شاهد لتوه في ما كان يعتقد
بأنه منامه، خصوصًا لكونه قد صدر عن أنثى في غاية الجمال والرفقة.
ظلَّ نُسوا على حاله صامتًا حتى تدخلت الحوريّة بيرين وقالت مخاطبة
الحوريّة نايا: (عليك الذهاب إلى مسكنك وتبديل ثيابك، أما أنا
فسأذهب لبيت البلجيك لأخبر الجميع بما حدث)، ثم رحلت. وفي
المقابل تساءل نُسوا ببلاهة:
- ولكن لا يوجد دولاب ثياب في منزلك!
ضحكت الحوريّة نايا وضحك نُسوا لضحكها. وبتساؤلها

الأخير تأكدت الحوريّة بكون صديقتها قد تجاوز ذلك الموقف، وعلى الفور انطلقا في طريقهما صوب مسكنها دون السلحفاتين اللتين رحلتا دون أن يتبهما أحداً. وأكثر ما أثار استغراب نُوا أن الحوريّة نايا لم تبك إطلاقاً على تلاشي صديقتها ولكن في المقابل بدت على محياها مظاهره، ولذلك الأمر بزرُّ نُوا لنفسه عدم وجود الدموع في مدينة آينجه قائلاً في سرّه: (ألسنا نقبع جميعنا في الماء!) وبعد فترة ليست بوجيزة قضاها صديقانا وهما يسيران ويتعمدان الإبطاء وصلا إلى المكان المنشود، وعندها اقتربت الحوريّة نايا من باب مسكنها التففت صوب رفيقها وقالت:

- يوجد دولاب ثيابي تحت فراش سريري.
- ثم مدّت يدها صوب الباب ففتّح دون أن تلمسه. قال نُوا محتارًا:
- كيف قمتِ بفتحه؟
- جميع أبواب مساكن آينجه مصممه بحيث تتمكن الحوريّات من فتحها دون لمسها.
- هل من المعقول أن تستطيع كل الحوريّات فتح باب مسكنك؟
- لا تقلق، أخلاق الحوريّات تختلف تمامًا عن أخلاقكم أنتم البشر، لم ولن تفتح حوريّة بابًا ليس ببابها إلا حين وجود حاجة ماسّة لذلك.
- ولكن لم وجد له مقبض من الداخل إذن؟
- يالك من دقيق الملاحظة! وجد المقبض لإقفال الباب من الداخل ومنع فتحه من الخارج، وذلك لسببين؛ لتواجد عدد كبير من البشر في مدينتنا، ولأن الحوريّة تحتاج للشعور بخصوصيتها بين الفينة والأخرى، وكما تعلم الثقة لا تمنع تأمين الخصوصية.
- وأنا؟ هل لي أن أفتح باب مسكنك؟
- بالطبع، إنه مسكننا، دع السوار الملتف على معصمك يقترب من الباب وسيفتح من تلقاء نفسه، ألم أعلمك بضرورة عدم

خلعك له؟ واعلم أن سوارك هذا لا يفتح سوى باب واحد فقط وهو هذا الباب. عذراً منك فطبعك طبع إنسان ونحن الحوريات نعلم عن طريق التجربة بأن طبائع الإنسان لا تتغير مهما جرى عليك. أليس كذلك! (نايا، مبتسمة).

- أكان كل تحذيرك الشديد من خلعي له فقط من أجل أن أتمكن من فتح هذا الباب حال غيابك؟!

- لا. حقاً كم أنت عجول! إن أهمية السوار كمفتاح تعد جزءاً بسيطاً للغاية من دوره في حياتكم أتم البشر في آينجه، إن سوار كل رجل يدل عليه، أقصد عن مكانه، فعن طريقه تستطيع الحوريات العاملات في المنارات تحديد أماكنكم سواء أكنتم داخل المدينة أم خارجها، والأهم من ذلك أنكم عن طريق نبضاته ستبينون اقتراب المخاطر منكم، وعن طريق شدتها يظهر لكم مقدار جدتها، فالبشر ليسوا كالحوريات القادرات على استشعار الخطر، لا أظن أنك شعرت به عندما هاجم الحوت القاتل المدينة أليس كذلك؟

- لا لم أشعر بشيء.

- لأنه كان بعيداً عنك.

- أعلم أنني أثقلت عليك ولكن لم طلبت مني وضعه في يدي اليسرى؟

- لأنها أقرب إلى قلبك، يتغذى هذا السوار على نبض القلب. ثم دخلا المنزل معاً ودهشة نوا تأخذ بالازدياد من لحظة استيقاظه الأخير، انتظرها في الغرفة الخارجية بينما دخلت للأخرى لتبدل ثيابها، وأثناء ذلك تساءل نوا بصوت مسموع:

- لم تلاشت ثياب الحورية فور تلاشي صاحبيتها؟

- من شدة النور الصادر عنها.

(يا ليتني لم أعد إلى سيرة صديقتها المتلاشية) قال نوا في سره،

ثم سألتها في محاولة منه لتغيير الموضوع:

- من الغريب عدم وجود نوافذ في مساكنكم؟
- لا نوافذ لتجنب المتلصصين، تحب الحوريات خصوصيتها.
- وهل تتلصص الحوريات بعضها على بعض؟
- لا، ولكن أزواجهم من البشر يفعلون، ظننت أنك ستفهمني!
- ولكن في المقابل أسقف غرفكم الخارجية مكشوفة!
- لذا مُنع التنقل فوق المناطق السكنية.
- ولكنها مكشوفة كما رأينا من ذلك الجدار الذي اتكأنا عليه عند خروجنا من المنزل أول مرة، أليس كذلك؟
- لا تقلق، لن يستطيع أحد النظر من خلالها إلا في حالة النظر إليها بشكل متعامد.

قال نُوا في سرّه: (ولم عليّ أن أقلق)، وقد أحبطه شعوره بضعف حالته كبشريّ يتعايش مع حوريّة في عالمها الخاص. تساءل متجاهلاً كل الحوار السابق:

- كيف الإضاءة في الداخل؟
- لا تقلق أتدبر أمري.
- تذكر نُوا ما شاهده من صخور كروية مضيئة عند استيقاظه فسألها:
- بمناسبة الحديث عن الإضاءة ما حكاية الصخور الكروية المضيئة الموجودة في الأحواض الزجاجية عندك؟ لم أشهد لها مثيلاً من قبل!

أجابت الحوريّة بينما كانت تبدّل ثيابها:

- يقال بأنها هدية جلبها الجان في العهد القديم لسكان مدينة آينجه المستقبلين «أي نحن» من قاع بركان عظيم في قعر ما تسمونه أنتم المحيط الهادي، لقد اكتشفتموه أنتم البشر وأطلقتم عليه اسم «تامو مسيف».
- لقد سمعت عنه ذات مرة، وحسبما أذكر، وذاکرتي بالعادة قوية،

أن علماءنا يقولون إنه أكبر بركان في المجموعة الشمسية كلها
ويتجاوز عمره 145 مليون عام! .. بالمناسبة كيف ستنظفين
ثوبك؟

- سأضعه في دولاب ثيابي، وهو سيتكفل بالأمر، وسأجيبك قبل
أن تسألني، إن دولاب ثياب الحورية عبارة عن حوض في قاع
سريها مليء بسائل أخضر كثيف ولزج للغاية، لذا لا تستغرب
إن علمت بأنه لا يختلط مع ماء مدينتنا، ويعمل هذا السائل على
إزالة كل ما يعلق بالثياب من أدران، كما يعمل على إصلاح
أنسجتها. وسأجيبك مرة أخرى قبل أن تسألني عن ثيابك؛
بإمكانك استبدالها عند الحاجة من ميدان سافاز، فثيابك مختلفة
تمامًا عما ترتديه نحن.

وفجأة قطع حوار الحورية مع صديقها صوت نداء من الخارج
"نايا .. نايا"، فنهض نوا من مكانه مرتبكا واقترب من الباب بما
فيه الكفاية ليفتحه ولكنه توقف وتساءل في سره عما إن كان عليه إجابة
النداء من وراء الباب أم لا؟ أو أن عليه فتحه أم انتظار صاحبة المسكن
لتفعل ذلك؟ أو الاكتفاء بالصمت، أم الطلب من صاحبة الصوت فتحه؟
لم يستطع اتخاذ أي قرار، حتى سمع صوت الحورية نايا تقول:
- نوا، بإمكانك فتح الباب.

كان يقف بين الباب وبينها ينظر باتجاه الباب حينما ظهرت له من
خلفه تخبره بإمكانية فتحه له. ولدى سماعه لصوتها التفت ناحيتها وذهل
لما رآه. ذهل بحق! كانت ترتدي ثوبا أحمر اللون انسيابي الشكل، ضيقا
من الأعلى وواسعا للغاية من الأسفل، وكان من قماش شبيه بقماش
الدانتيل - راوده الشعور بأن هذا القماش المفضل لهذه المرأة أو بالأحرى
لهذه الحورية - تغزوه وروود مطرزة بغزارة وبأحجام مختلفة على كل
جنباته، ياقته منقبضة تصل حتى لؤلؤتها، وتظهر من فوقها قلاحتها الفضية
ال مميزة، باختصار كان الثوب ملكي الهيئة كصاحبته.

حقًا إنها ساحرة! هل يعقل أن تَقْتُل هذه مثل ذاك الحوت! وبتلك الطريقة المُفزعَة!) قال نُسوا في سرّه. ابتسم .. خجلت، قال في سرّه مرة أخرى: (يؤسفني أن الصوت ما زال ينادي في الخارج)، تابع تجاهل الصوت مضيئًا في سرّه (هل يعقل أن يكون هذا الثوب سلاحًا أيضًا؟).
يئست الحوريّة من صديقها واتجهت لباب مسكنها وفتحتة، وكان هناك في الخارج حوريّة تبدو منشرحة القلب ومنبسطة الأسارير. بادرت الحوريّة السعيدة بالقول واللهفة تُغرق وجهها:

- لقد عادت آيلا جالبةً معها فأس الأولدوروجو الأسطورية،
نايا لقد عثرنا عليها أخيرًا.
- ماذا! (نايا، بذهول).

وضعت الحوريّة نايا يديها على وجنتيها وصرخت وصرخة مجنونة غير مبررة دلّت على سعادتها بشكل ما، ثم تعانقت الحوريتان معًا ودارتا حول نفسيهما بضع دورات. وأثناء ذلك قال نُسوا في سرّه: (يبدو أن الإناث متشابهات في كل العوالم، حتى في الخياليّة منها!) وبشكل مفاجئ توقفت الحوريّة نايا عن إبداء سعادتها وقالت:

- يا لي من أنائيّة، كيف لي بالفرح وقد حل بصديقتي ما حل لتوّه،
كيف سأخبر آيلا عمّا حل بتوأماها؟
- بالمناسبة .. أخبريني هل عادت آيسلا؟ (الحوريّة حديثة الظهور،
متسائلة).

- سأخبرك ونحن في طريقنا إلى بيت البلجيك، هيّا فلنسرع.
- هيّا بنا، ولكن انتظري قليلًا .. أهذا هو نُسوا الذي حدثني عنه!
(الحوريّة حديثة الظهور).

- نعم أنا هو، أتمانعين في ذلك؟ (نُسوا، باستياء).
التفتت الحوريّة حديثة الظهور للحوريّة نايا وقالت بصوت مرتبك خافت:

- ولكنّ عينيه زرقاوا اللون، أيعقل أنك لم تنبهني لذلك!؟

توقفت الحوريّة نايًا عن الحراك، وجمّدت تمامًا في مكانها، شحب وجهها وارتعشت يداها. بقيت على حالها قرابة الدقيقة بينما تسمّر وجهها كل من نُوا والحوريّة عليها. وبدون مقدمات نظرت جهة نُوا دون أن تنظر لوجهه وقالت بغصّة:

- علينا الذهاب بأقصى سرعة إلى بيت البلجيك، أتمنى أن لا يفوتني الكثير، لن أستطيع اصطحابك معنا لخشيتي عليك من السباحة في سماء آينجه خصوصًا في يومك الأول فيها، الحق بي سيرًا في طرقاتها وسيرافك كدي في طريقك .. لا تغتر بمنظره الجلف، إنه ودود للغاية، عليك الوثوق بي .. وبه.

ثم أخذت الحوريّة تنادي: (كدي، كدي، هيا، أعلم أنك هنا، أتمنى أن ترافق نُوا إلى بيت البلجيك، كما أتمنى أن لا تتعمد تأخير وصوله، سأنتظر كما هناك) وهمت بالرحيل ثم تراجعت كمن تذكّرت لتوها وقالت: - نُوا أرجو منك أن تعود من أجل عفريت الماء، لم أنتبه إلى ما حل به في تلك الواقعة، أتمنى أن يكون بخير، تأكّد من سلامته من أجلي إن كان لا يزال هناك.

- بالتأكيد سأفعل. (نُوا، بجديّة).

أضافت الحوريّة قبل رحيلها رفقة صديقتها:

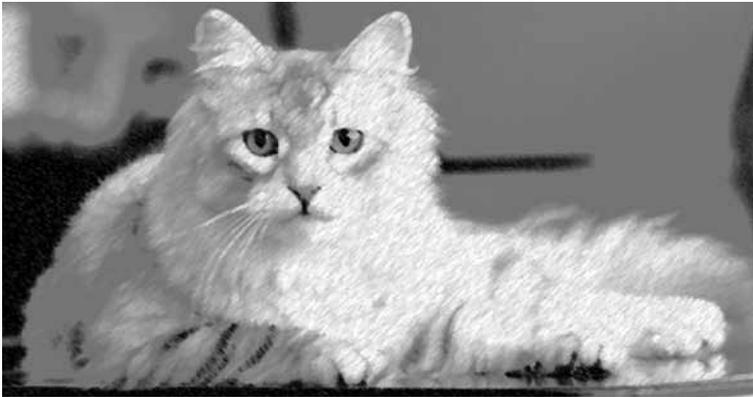
- أعلم أنك تتساءل عن كيفية استطاعتنا السباحة في سماء آينجه بالرغم من أنها ممنوعة فوق المباني السكنيّة؟ أليس كذلك؟ لا تقلق فالسباحة مسموحة في الظروف الخاصة، كما أننا سنسبح في سماء طرقات المدينة دون الولوج في سماء مساكنها «قدر الإمكان».

ورحلت مع صديقتها منشرحة القلب تلك وتركته وحيدًا في مسكنها، قال في سرّه: (لا يهم، فالبقاء وحيدًا هذه المرة أفضل من البقاء مع سلحفاتين).

في واقع الأمر لم يكن نُوا يهتم بخصوص السماح بالسباحة

فوق المباني السكنية من عدمه، فكل ما تساءل عنه هو أهمية لون عينيه الذي عكّر مزاج الحوريّة إلى ذاك الحد الذي ظهر له، خصوصًا رغم معرفتها به مسبقًا منذ اصطيادها له، أو لنقل منذ انتقائها له على حد قولها. - حسنًا حسنًا لا بأس، أما الآن .. فأين كِدي هذا؟ (نُوا، متسائلًا).

وما أن مرت لحظات معدودة حتى سمع نُوا صوت صفق أوراق نباتات كثيف خارج المنزل، فاستغرب من سماعه لتلك الأصوات بأريحية رغم كونها مغمورة بالمياه، قال في سرّه متذاكيا: (كما توقعت، لهذا الماء خصائص مشابهة للهواء)، ثم خرج مسرعًا من الباب الذي انغلق خلفه من تلقاء نفسه، واتجه صوب الصوت الذي سمعه لتوّه. وما أن خرج حتى تفاجأ بوجود قطّ كبير الحجم بدا رشيقيًا وقويًا من النوع السيبيري بجانب إحدى الشجيرات الكبيرة. كان القط مخطّطًا باللون الرمادي والأبيض، شعره طويل وكثيف، وظهره طويل قليل الانحناء، أرجله الخلفية أطول من الأمامية بقليل، يوحي مظهره العام بالذكاء والحذّة، وتبين لُنُوا لاحقًا أنه مسلح بمخالب قوية للغاية.



اقترب نُوا من القط قليلاً ثم توقف، ثم اقترب أكثر وأكثر ثم توقف، ثم جلس على الحصى ينظر إليه، كان القط في تلك اللحظات

ينظر نظرات باردة تجاه نُوا دون أن يتحرك أي حركة تذكر باستثناء ذيله الذي كان يحركه ببطء بشكل غير منتظم، أخذ نُوا يتساءل في سرّه: (أيعقل أن يكون القط السخيف هذا هو المدعو كِدي؟) أجاب نفسه بنفسه: (بالتأكيد لا، فعلى كِدي إيصالي إلى بيت البلجيك كما قالت الحوريّة، لا أن أقوم أنا برعايته!).

وبعد لحظات صامتة بادر نُوا وحمل القط بيديه الاثنتين بشجاعة مبالغ فيها - بالنسبة لشخصيته - ونهض به، ورفع ليوازي رأسه رأس القط وقال:

- يا لك من قط قبيح!

لم يكن القط قبيحاً في واقع الأمر بل على العكس تماماً، كان جميلاً للغاية ولكن نُوا قصد المزاح معه، وهذا ما لم يتفهّمه قطّنا الذي قال بدوره:

- يا لك من أحمق مغرور!

فزع نُوا من القط وألقاه أرضاً وقال وهو يتراجع للخلف:

- قط ويتكلم! أيعقل هذا!

استدرك القط بذلك ردّة فعل نُوا المتوقعة نوعاً ما، وهو ما منحه هبوطاً موفقاً على الحصى. احتاج نُوا بعد ذلك بعض الوقت ليتمالك نفسه ثم تساءل:

- أنت المدعو كِدي؟

أجاب القط باستعلاء:

- يا لك من أحمق، تتعجب من نطق قط ولا تتعجب من كونه

حيٌّ يُرزق في قاع المحيط! ثم ألا تتعجب من وجود إنسان

بالقرب منه يحمله ويتحدث إليه! نعم أنا كِدي، حارس الحوريّة

نايا وصديق طفولتها. واعتقد أن عليك الإسراع بالذهاب

لالتقاط حذائك، ما زال مُلقى عند نقطة تطاولك على السلحفاة

المُتسامحة.

تذكر نُسوا فقدانَه لحذائِه، ثم نظر إلى قدمه منزوعة الحذاء وحركها ببطء فشعر بألم طفيف في باطنها، ومع ذلك الألم تذكر بأنه ما زال يشعر بألم طفيف ينغزه أسفل عنقه منذ فترة، قفز بضع قفزات مستندًا على قدمه السليمة حتى وصل إلى فردة حذائه المُلقاة، فانتعلها ثم قال مستسلمًا لما ظنّه منامه:

– أنا جاهز فلننطلق، ولكن قبل توجهنا إلى بيت البلجيك علينا الذهاب في مهمة خاصة من أجل عفريت الماء الذي كان على كتف ...

– أعلم ذلك، لقد سمعت كل شيء.

– من أطلق عليك هذا الاسم «كدي»؟

– أعتقد أن لا شأن لك بذلك، هل سمعتني أوجه لك سؤالًا مشابهًا؟

– لا .. حسنًا، ما هي قصة فأس أولدوروجو التي وجدوها؟

– يا لك من فضولي!

– معك حق، لا أعرف ما الذي أصابني ولكنني لم أكن هكذا قبل اليوم!

قال القط في سرّه: (لا بد وأنه يكذب) ثم تابع حديثه لُنسوا قائلاً:

– دعني أكن صريحًا معك، أنا أكرهك بشدة ولكنني أتمنى لك التوفيق، وسأسعى بكل قدرتي لأن يكون حليفًا لك.

– يا لحسن حظي وسعادتي!

– سأخبرك بأمر الفأس هذه، ولكن دعنا نتجه في المقام الأول صوب عفريت الماء المسكين.

تقدم كدي للأمام وسار نُسوا من خلفه مستمعًا لحديثه إذ قال:

– تُعرف القطط بأنانيتها، وللمعلومة تعد أنانية القط وجهة نظر الإنسان فيها لا أكثر، بينما هي في الواقع أسلوب حياتها الطبيعي، وكما أخبرتك من قبل أنا صديق طفولة الحورية نايا

وحارسها الشخصي، لذا أعتبرها لي وحدي، ومن هنا عليك تبرير أنانيتي حول كل ما يخصها، وأنت الآن بالنسبة إلي مجرد متطفل لا أكثر، وأتمنى التخلص منك بأسرع ما يمكن وما أسهل أن أفعل ذلك خصوصًا هنا تحت سطح الماء، ولكن يؤسفني أن حوربتنا هي من تريدك، وتريدك أنت بالذات بشدة، وعلي أن أحترم رغبتها، لذا سأضطر للتحالف معك من أجلها ومن أجل بقائك معها.

واجه نُـوا عددًا وافرًا من الأسئلة تنهال على ذهنه جراء كمية المعلومات المبهمة التي ألقاها ذلك القط الناطق في مستهل حديثه، فمن نصبه حارسًا شخصيًا لها؟ ولم يعتبر نفسه صديق طفولتها؟ وما سبب وجوده في ذلك المكان أصلًا؟ وكيف تكيف فيه؟ وكيف ألم بأفكار من أفكار الإنسان؟ ولماذا تريده الحورية نايا هو بالذات؟ ولكن نُـوا ارتأى تمالك نفسه وكبح جماحها - بالرغم من أنه يصعب على الإنسان كبح جماح فضوله أحيانًا، أو بالأحرى غالب الوقت - ساعيًا لإخراج ما في جعبة القط ولكن من تلقاء نفسه.

بادر القط بغرور العارفين متماشيًا مع خطة نُـوا دون أن

يدري:

- تُعرف فأس الحورية الأم بفأس الأولدوروجو الأسطورية، وامتازت هذه الفأس بمتانة معدنها وجودة تصنيعها، إنها فأس لا مثيل لها على الإطلاق، وهي ما لا يرغب بمواجهتها أي كائن بحري حي يسعى للبقاء على قيد الحياة، عرف عنها صلابتها الشديدة ونعومة ملمسها الغريبة، إنها أول أسلحة الحوريات وأشدّها فتكًا وأكثرها إثارة للربح في النفوس، وأقول لك هذا وقد سبق لي أن لمحتها.

لم ينسب نُـوا بنت شفة. تابع كدي:

- تقول حكايات الحوريات القديمة أن السلام كان مناخ العالم

المائي في العهد القديم، السلام والسلام فقط، كان الموت يصيب ما تحتاجه الكائنات البحرية لتتحيا، بلا زيادة ولا نقصان، وحاز ذلك على رضا جميع الكائنات البحرية، واستمر الحال على ما هو عليه إلى أن ظهر أول حوت قاتل، وعرف حينها باسم «الأوركا» ولاحقًا عرف باسم «سيد الأوركا الأول»، وبظهور هذا السفاح اجتاح الشر المحيطات كاجتياح النار في الهشيم. حيث بدأ هذا القاتل بمهاجمة أصناف الكائنات البحرية بلا هدف سوى الأذى والتسبب بالأضرار، هاجمها صنفاً عقب صنفاً، فخبّر أساليب قتالها ونقاط ضعفها على حدة وبعمق مدروس، وبالتدريج تابع شروره حتى طالها جميعاً، ولم يكتفِ بذلك بل قام بالتحريش فيما بينها، فانتشر الموت مع انتشار شروره في كل المحيطات.

وأثناء حديث القط تعثر نوا بإحدى النباتات الشائكة المزروعة في الطريق وسقط على وجهه، ولكنه نهض مباشرة وتظاهر على قدر استطاعته بأن شيئاً لم يحدث، إلا أن آلاماً أخذت تتزايد تدريجياً في قدمه التي دخلت فيها مجموعة أشواك، ما اضطره للجلوس على الأرض ونزع حذائه من جديد والبدء بخلع الأشواك العالقة به وبقدمه.

– تَبَّأْ لَهُ مِنْ حِذَاءِ. (نُؤَا، خَجَلًا).

وفي هذه الأثناء أخذ القط يتابع تحركات نُؤَا بازدرء جديد وقال في سره: (بل تَبَّأْ لِمُصَاحِبِهِ، هَلْ يَعْجَلُ وَصَوْلَ الْأَشْوَاكِ إِلَى رِكْبَتِهِ جَرَاءَ نَبْتَةٍ مِثْلِ هَذِهِ! مِنْ حَسَنِ حِظِّهِ أَنْ حِذَاءَهُ سَمِيكَ بِمَا فِيهِ الْكُفَايَةُ مِنَ الْأَسْفَلِ).

ابتسم نُؤَا خَجَلًا مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ تَابَعَ قَائِلًا:

– تَابَعَ حَدِيثُكَ، دَعَكَ مَنِي.

ردّ كيدي عليه بنظرة متعالية من طرفه جزاء وجوده في موقف سخيف كذاك الموقف ثم تابع قائلاً:

– وَلَمْ يَكْتَفِ ذَاكَ الْحَوْتَ بِمَا فَعَلَ فَأَخَذَ يَلْحَقُ الْجَانِ أَيْضًا فِي

كل مكان في المحيطات وفي ممالكهم المائية الخاصة، سواء الموجودة على سطح المحيطات أو الموجودة في قيعانها، حتى قيل أنه تمكن من ملاحظتهم على أطراف الجزر التي يستوطنها بعضهم.

وأثناء حديثه قفز كيدي برشاقة فوق نبتة من نوع النبتة التي أصابت أشواكها نُوا ولكنها أكبر بكثير مما أشعر نُوا بتقرّم حجمه أمام القط فتحرّج لذلك. ولذلك حاول تجاهل الموضوع بقوله:

- يا له من حوت!
- وتفيد الحكايات بأن ملك الجان في ذلك العهد أهدى الحوريّة الأم فأس الأولدوروجو الأسطورية كمساهمة من الجان لتتمكن من قتله، خصوصًا لكونها الوحيدة التي حاولت ذلك مرارًا، وبالفعل تمكنت «باستخدام الفأس بالطبع» من قتله بعد معركة شرسة.
- لقد قلت أنك رأيت أولدوروجو الأسطورية، كيف تبدو؟
- إنها فأس من الجهتين طولها قرابة أربع أقدام، وفي منتصفها شكل معين حفر على جانبيه زخرفة بمعنى كلمة الأم بلغة الجان، يقال أن نصلها صنع من مادة عرفتموها أنتم البشر فيما بعد وأطلقتم عليها اسم المعدن الأسطوري الذي صنعت به السيوف الدمشقية الشهيرة. أما مقبضها الأصلي فطويل مصنوع من الألماس، ويقال أنه صنع من أكبر قطعة ألماس وجدت في هذا الكوكب، ولكن الحوريّة الأم طلبت تغييرها بمقبضة عاجية جمعت مادتها من أسنان سيد الأوركا الأول بعدما قتلتها، فعالج الجان العاج بطريقة فريدة وجعلوا منه مقبضًا مماثل تمامًا للمقبض القديم ولا يقل كفاءة عنه أبدًا.
- ولكن كيف تم حفظها عبر الزمن؟
- تناقلتها أقوى وأعتى الحوريّات من بعد اختفاء أو تلاشي

الحرورية الأم.

- ومتى فقدتها الحوريات حتى تعود الآن إليهم؟
- فقدت قبل قرابة ستة وعشرين عامًا، عندما تلاشت حاملة الأولدوروجو الأخيرة.

العهد القدير

وصل كل من كيدي ونُوا إلى مكان حادثة تلاشي الحوريّة آيسلا وبحثا عن عفريت الماء في أرجاء المكان بعناية بلا أية فائدة تُرجى، نظر نُوا إلى سماء المدينة بيأس فاستذكر مشهد القتال المرعب الذي أسفر عن مقتل أحد الحيتان القاتلة ما سبب شرود ذهنه قليلاً وما أن عاد ذهنه إليه حتى قال:

- يبدو أن العفريت قد رحل من هنا، لذا سأستتج أنه بخير.
- لا، لا أظن ذلك فأنا أشتم أثره في المكان، إنه ما يزال هنا.
- ربما رحل مؤخرًا.
- ذلك ممكن، دعنا نبحث مرة أخرى بشكل سريع، لا أود التأخر عن بيت البلجيك فالمسافة طويلة ولن امتطي ظهر سلحفاة خرقاء.
- في تلك اللحظة سمعا صوت احتكاك حصي، وما إن نظرا صوب الصوت حتى ظهر عفريت الماء من تحت نبات شائك، كان يجز نفسه ببؤس كمصاب رغم عدم إصابته. قال كيدي:
- يبدو أنه فقد ثقته في الحوريات بسبب إهمال الحوريّة نايا له لذا اختبأ، ولذات السبب تأخر بإظهار نفسه لنا إلى أن وثق بنا بنسبة كافية.
- ولكننا لسنا حوريات!
- (يا لك من أحمق!) قال كيدي في سرّه، ثم أضاف بصوت مسموع:
- نعم لسنا حوريات، هيّا ساعده .. اقذفه إلى سماء المدينة.
- تقدم نُوا من عفريت الماء ببطء وقال بصوت غير مسموع

بوضوح أثناء انحنائه من أجل التقاطه:

- أتمنى أن أستيقظ من منامي على الفور.

أغمض نُوا عينيهِ ثم أمسك العفريت بيديه المرتجفتين وجمد في مكانه. شهد كِدي معاناة نُوا فقال يحثه:

- هيا أقذفه .. ما الذي تنتظره؟

قذف نُوا العفريت من يديه ثم فتح عينيه بسرعة، وتبين أنه قذفه للأمام لا للأعلى كما يجب، تنبه القط للخطأ الذي ارتكبه الأحمق - على حد قول القط - بحق العفريت الصغير فقفز قفزات رشيقة عدّة باتجاهه. ولكن نُوا تأخر في فهم قفزات القط وحينما فهمها من زاوية نظره قال في سرّه: (يبدو أنه سيلتهمه!) ولذلك شعر بالمسؤولية تجاه العفريت المسكين ما شجعه لإنقاذ الموقف فقفز في الهواء - بالأحرى في الماء - باتجاه القط وركله بعيداً بقدمه اليمنى بمهارة مألوفة للنظر.

كان نتاج ذلك الموقف الأبله سقوط عفريت الماء على الأرض مرة أخرى - المرة الأولى من قبيل الحوريّة الغاضبة والثانية من قبيل صديقها الأخرق - ولكن هذه المرة بجانب القط المركول. وبالإضافة لذلك أسفر الموقف عن وجود جروح عميقة في قدم نُوا التي استخدمها بالركل، نتجت عن غرز القط لجميع مخالفه فيها أثناء اصدامهما.

نزفت قدم نُوا الدماء نزيهاً أثار قلقه، إذ خرجت قطرات الدم من قدمه على هيئة كريات صغيرة تتلاشى بعد لحظات من خروجها. صرخ نُوا:

- إني أتلاشى!

ضحك القط بشدّة - وضحك القطط غريب للغاية - ومن شدة الضحك تدرج عدّة مرات على الحصى، تنبه المُدمى من نفسه وقال:

- كنت أمارحك.

- بالتأكيد أصدقك! (القط، ضاحكاً).

ولكن الحق يُقال، فأغلب الظن أنه كان يمازحه بالفعل.

أما ما أقلقُ نُسوا حقًا فكان ما أسفرته حادثه نزيفه من الشعور بالألم، ولم يكن مقدار الألم يحد ذاته ما شغل باله بل فكرة شعوره به. وبعد ذلك بقليل تذكر أنها ليست المرة الأولى التي شعر فيها بالألم في مدينة آينجه، إذ تذكر ألم قشرة اللؤلؤة وألم السير بلا حذاء على حصى الطريق وألم الأشواك التي تشبث بساقه عند اصطدامه بإحدى النباتات، (أتألم! إذن أنا في الواقع لا أحلم!) قال نُسوا في سرّه، ولكنه أثر تجاهل كل ما توصل إليه مرة أخرى في محاولة لتأخير وقوع أثر الصدمة على نفسه.

بادر نُسوا موجّهاً كلامه لكدي بحماس تحسبًا لما قد يبادر به القط الناطق:

- كيف تجرؤ على محاولة التهام العفريت المسكين؟ ألسنا هنا من أجله!

نهض القط كمن تذكر بعد سنة والحنق الشديد بادٍ عليه واقترب من عفريت الماء وأمسك ذيله بغمه، وركض باتجاه رصيفٍ صخري قريب منه وقفز عنه والتف حول نفسه ثلاث دورات بشكل عمودي وقذف العفريت للأعلى، ثم نزل على قدميه الأماميتين فالخلفتين باحتراف، بينما تراقص عفريت الماء منتعشًا في الأعالي وتباعد على مهله مصدرًا أصواتًا غريبة تدلّ أغلب الظن على سعادته.

أجاب كدي نُسوا بسخط ساطع:

- يا لحسن حظك! كنت سأقتلك في مكانك وعلى الفور جراء فعلتك التي فعلت لو لم تحتل الحوريّة نايًا ما تحتله من قلبي. أردتُ إنقاذ العفريت المسكين من حماقتك بدفعه للأعلى لا للأمام كما فعلت أنت، وكدت أنجح لولا تدخلك الأبله. هل حقًا مرّ عليك من الوقت ما فيه الكفاية لتتمكن من إغفال دور الحصى في عمله على جذب ما يحيط به؟

لم يجب نُسوا بأي كلمة واكتفى بالشعور بأن الغباء يعتصره حيال

ما قام به. قال بعد برهة متجاهلاً أمر العفريت برمته:

- يا لها من مدينة جميلة للغاية!
- لا تخجل من الاعتذار، وُجِدَ الاعتذار لإنقاذ النفس مما تسببه لنفسها من الضيق والحرج.
- حسناً.. في الواقع.. أعتذر، أعتذر منك، وأعتذر من ذلك العفريت، إنني خجلٌ من نفسي بعض الشيء، يصعب الاعتذار على بني الإنسان لذا...
- ويصعب أيضاً على الحيتان القاتلة وعلى كل المفترسات.. لا عليك إنني أقبل اعتذارك وإن كان مُصطنعاً، في الواقع لا يتوقع أيُّ من الكائنات سماع اعتذار إنسان ولن يتوقع أحدٌ ذلك أبداً.. حسناً ما تساؤلُك التالي؟ بالتأكيد لم تنته من تساؤلاتك بعد، للمعلومة لقد استمعت لكل تساؤلاتك التي طرحتها على الحوريّة ناياً طوال الوقت.
- استمعت لتساؤلاتي! كيف؟
- حسناً.. أقصد أنني تسمّعت إليها، ولا ضير في ذلك ما دامت النتيجة واحدة أليس كذلك؟.. لقد أخبرتك من قبل بأنني حارس الحوريّة لذا لا تستغرب من تواجدي الدائم معها سواء أكان ذلك سرّاً أم في العلن. لم تجبني ما تساؤلُك التالي؟ هيا قبل أن أعدل عن رأبي.
- في الواقع تراودني الكثير من التساؤلات. (نُوءا، بخجل).
- اطرح تساؤلاتك تباعاً فسينسنا الحديث طول الطريق.
- في الواقع إن قصة الحوريّة الأم أهم ما يشغل بالي في الوقت الحاضر، فما هي هذه القصة المتشعبة التي ترتبط فيها كل حكايات آينجه؟
- وثب كيدي على ساق شجرة عريضة مائلة وأخذ يشحذ فيها مخالبه، في مشهدٍ بدت فيه مخالبه بشكل أوضح؛ كانت طويلة وحادة للغاية

ومعكوفة بشكل مرعب، ثم عاد وقفز على الحصى فور اكتفائه من ذلك وقال أثناء متابعة مسيره:

- تدعى أنا أو آسي كما تحبذ بعض الحوريات أن تدعوها، أول الحوريات على الإطلاق، ولاحقاً عُرِفَتْ بلقب الحورية الأم نظراً لكونها أم جميع الحوريات وأصلها. تدّعي بعض الحكايات القديمة بأنها كانت أكبر حجمًا من حوريات هذا العصر بثلاثة أضعاف أو نحو ذلك، وهذا ما تفنّده بعض الحوريات الأخرى بشكل قاطع. ويقال إنها امتازت بعينين عسليتين رائعتين لا مثيل لهما، وأنها سمراء البشرة وصاحبة شعر أسود ناعم كثيف ومتين يصل حتى آخر خصرها، أجمعت كل الحكايات القديمة على جمالها الفريد، وعُرِفَتْ بثوبها العُشبي العجيب الذي حاكته لها النبتة المعجزة.

تساءل نُوا على الفور مجتازًا الكثير من الجمل المسببة للغموض:
- وما هي النبتة المعجزة هذه؟
أجاب القط بسرور المُغدقين:



- لم يستطع أيّ من الكائنات البحريّة ولا حتى الجان من معرفة الكثير عنها، استمرت هذه النبتة الغامضة على حالها الغامض إلى أن اختفت بغموض أكبر، كم تتعارض الحكايات حولها! ولكن غالبيتها تقول بأنها أول النباتات ظهورًا في عالم البحار على الإطلاق، ويقال إن شكلها مشابه للنبتة التي تسمونها أنتم البشر بنبتة «إبريق أتبره» التي تحوّرت أوراقها وتشكلت على شكل أبريق - ما يشبه الجرّة - محمول على ساقها الرفيعة في وضع قائم، أتعرفها؟ .. ولكن النبتة المعجزة تمتاز عن أتبره بكون حجمها أكبر بكثير، ويقال إنها كانت آكلة للكائنات البحرية، كما يقال إنها لم تتكاثر!

- ولم تراها لُقبت بالمعجزة؟

- لُقبت بذلك لما قيل بأن الحوريّة الأم خرجت من داخلها. قيل إن النبتة هكذا ومن دون سابق إنذار أطلقت وميضًا ساطعًا واختفى، ومع اختفائه اختفت النبتة وظهرت الحوريّة الأم في عالم البحار، بإمكانك القول بأن النبتة المعجزة كانت كالرحم للحوريّة الأم. وأكدت جميع الكائنات التي وُجدت في ذلك المكان لحظة خروج الحوريّة على ذات الرواية وتناقلتها فيما بينها ونشرتها حتى عم صيبتها كل أرجاء عوالم المياه، ولم تكتفِ بذلك بل تناقلتها أجيالهم كما يتناقلون الحكايا، وما زالوا يتناقلونها فيما بينهم حتى الآن، ولكن مع القليل من الاختلافات. وقيل كذلك إن الحوريّة الأم ظهرت يومها وهي ترتدي ثوبًا عشبيًا صنّعه بكل تأكيد النبتة المعجزة .. بدأت أشعر بالجوع، وأنت؟

- أرجوك أرف بفضولي، لا داعي لأن تهزأ بي، تابع من فضلك الحديث عن الحوريّة الأم.

تململ القط بجسمه وتماطل بلؤم ثم تابع:

- كانت الحوريّة أنا القيّمة على حال عالم البحار بإخلاص تام وحارسة عليه بأمانة بالغة وكانت الوحيدة القائمة على هذه الأمور، قيل إنها كانت تُبحر بشكل متواصل لتعتني بأمر الكائنات الحية في الأنهار والبحار والمحيطات وتحميها من تعديها بعضها على بعض بما يخالف قوانين عالمهم الخاص، لم تكن لتنام إطلاقاً إلا من أجل أن تصلح لها الأعشاب البحرية ثوبها العجيب فتستلقي بينها وتنعم بالهدوء، كانت تُعدّ عنوان السلام في عالم البحار، وامتازت بالخلود الأرضي عن كل المخلوقات البحرية.

- لم تخبرني الحوريّة نايا عن وجودها، أين هي الآن؟
- تلاشت، أو هكذا أشيع.

- ألم تقل لي منذ قليل بأنها امتازت بالخلود الأرضي!
- نعم امتازت به. لا تتعجل، دعني أكمل لك حكايتها.
- عذراً.

- بتّ تعتذر!

- تابع أرجوك.

- وترجو أيضاً؟

- هيا! (نُوا، بغضب).

- حسناً أيها العجول سأتابع، بدأت الحوريّة أنا تستشعر مع مرور الوقت تفاقم المخاطر التي تحيط بعالم البحار خصوصاً مع ظهور سيّد الأوركا الأول الذي لم يتأخر عن التكاثر بالتزامن مع الإفساد الذي كان يتسبب به، ما زاد كمّ المهام والمصاعب على عاتقها، فلم تتمكن من متابعة عنايتها بعوالمها المائة كما كانت من قبل، ولم تتمكن كذلك من محاربة سيّد الأوركا وولاته المُفسدة بالشكل المطلوب وهي وحيدة.

- سيّد الأوركا الذي أخبرني عنه مسبقاً؟ الذي قُتل بفأس

الأولدوروجو؟

- نعم إنه هو.

نظر كيدي إلى عيني نُوا فوجدهما متعلقتين به بشدة، ابتسم بخيلاء ثم تابع قائلاً:

- خاضت الحوريّة آنا العديد من المعارك الشرسة مع سيد الأوركا وانتهت بالتكافؤ فيما بينهما، ومن الجدير بالذكر أن التكافؤ مع مثل ذلك القاتل يعد انتصارًا عظيمًا. عُرف عنهما أنهما شكلا سلسلةً طويلةً من معارك شرسة تمكنت الحوريّة آنا من إنهاؤها بقتله عندما استعانت بفأس الأولدوروجو الأسطورية التي أخبرتك عنها.

وكان ذلك بعد عراكٍ بطولٍ طويلٍ لم يتدخل من أجل إنهائه أحد، ومن يجرؤ! واستمر العراك قرابة الثلاث ساعات، استخدمت الحوريّة الأم أثناءه كل طاقتها النفسية والجسدية، وقيل أنها استخدمت كل أسلحة ثوبها من أوراق حادة واجهت بها عينيه وأغصان ثاقبة خارجة من أكمامه غرستها في أنحاء جسده وجذور منبثقة من ظهرها ثبتته بها أثناء مهاجمتها له، وأنهت عليه بفأس الأولدوروجو الذي هَوّت به على رأسه فقطعته نصفين، ما أدى لانفجار دمائه كقنبلة وصل صوتها إلى أمكنة بعيدة.

تنهد كيدي بعمق ثم أضاف:

- ويقال إنه من هذه المعركة جاءت فكرة الثياب المقاتلة، فتبناها الجان لأنفسهم في المقام الأول وطوروها لتناسبهم وقاموا بتصنيع ما طوروه، ومن ثم عملوا على تطويرها بما يناسب الحوريّات وصنّعوها لها، ومن ثم عملوا على تعليم ما توصلوا إليه من تقنيات لأجيال الحوريّات، لا محبةً بهم بل لمساعدتهم على التخلص من أتباع سيد الأوركا ودرء مخاطرهم عن الجميع، سواء عن الجان أو عن الحوريّات. ومن حسن حظ الحوريّات أن بعض أتباع سيد الأوركا شهدوا

مصرعه، لذا استغلت الحوريّة آنا الموقف واقتربت من جثته - رغم عدم رغبتها بذلك - واقتلعت أسنانه بقسوة وصرخت قائلة: «قسماً سأجعل من هذه الأسنان الأثمة مقبضاً لفأس العدالة الذي سيلاحق كل من يسير على نهج هذا القاتل منكم»، وبزت بقسمها! ما جعل من هذه الفأس الأسطورية الكابوس الأكثر رعباً لجنس الأوركا، وظلّوا يتناقلون فزعهم ذاك جيلاً بعد جيل حتى هذه اللحظة!

- ثم ماذا؟

- ومن بعد تلك المعركة تيقنت الحوريّة آنا من ضرورة تناسلها لتتمكن سلالتها من محاربه سلالة ذاك السفّاح، لذا قررت التنازل عن خلودها الأرضي لصالح زواجها وإنجابها الحوريّات.

- أكان خلودها الأرضي مقترناً بوحدتها؟

- نعم كان كذلك.

- يا له من قرار جريء!

وثب القط عدة وثبات متتالية متجنباً بعض النباتات المتنوعة والشائكة ثم أضاف:

- إنه بالتأكيد كذلك، وكان ما شجعها على اتخاذها لقرارها بالزواج علمها مصادفةً بإجماع أهل الأرض في ذلك الزمن على إعدام رجلٍ ورع يدعى آردا. أفنى آردا هذا نفسه في مساعدة الفقراء والمطالبة بحقوقهم جاعلاً منهم قضية حياة يحيا من أجلها.

- عجيب! ولم يقدم البشر على فعل ذلك بالمدعو آردا؟

- يقال إن عليّة قومه ارتأت إعدامه لكونه لم يتماشى مع أهوائهم ومصالحهم الذاتية، ولتسببه بالكثير من المتاعب الصغيرة والكبيرة لهم، ولخوفهم من تمكنه من إحداث أي تغيير ولو كان بسيطاً في مجتمعاتهم وبالتالي قد يسيئ لاحقاً لهم ولشروعاتهم، ففروا إعدامه من أجل قضيته التي اختارها لنفسه عن طريق

- إلقائه في عرض البحر، ومع هذا الإعدام الظالم وجدت الحوريّة أنّا التوقيت الأمثل لتنفيذ قرارها بالزواج، فأنقذته من الغرق ومن ثم تزوجته وأنجبت منه العديد من الحوريّات.
- لم أتوقع أن يكون الطريق طويلاً إلى هذا الحد! يبدو من الأعلى أقصر بكثير، ألا يمكننا اختصار الطريق بالذهاب سباحةً عبر سماء المدينة أو بواسطة سلحفاة رغم عدم اقتناعي بهذه الفكرة؟ لقد تعبت.
- ألم تخبرك الحوريّة نايا بأن السباحة ممنوعة في سماء المدينة؟ ثم إن عليك التمرّن عليها، فالسباحة في البحر مختلفة تمامًا عن السباحة على ظهره، كما أن السباحة في سماء آينجه مختلفة بدرجة أكبر عن السباحة في قاع المحيط خارجها، وأنا لست بمدرّب متخصص، وأما بخصوص السلحفاة فلن أقترّب من سلحفاة مهما كلفني الطريق من العناء.
- أكره السلاحف إلى هذا الحد! لماذا؟
- ليس من الضرورة أن يعرف كل من يريد كل ما يريد، سأحتفظ بالسبب لنفسِي.
- حسنًا، كما تريد. ما رأيك بأن تخبرني الآن عن نبوءة الحوريّة الأم؟ لقد تلقّظت بها الحوريّة نايا أمامي.
- كانا أثناء حوارهما يعبران الطرق الواسعة الفاصلة ما بين حلقات المساكن المزروعة على سفوح جبال المدينة ويتقلان في ما بينها عن طريق أدراج حجرية جانبية. وبعد صمت دام بضع دقائق انتظر خلالها نُوا من القط جوابًا عن سؤاله، باغته القط وقفز على كتفه وقال:
- يبدو أنني تعبت من المسير .. لذا عليّ التوقف عن الحديث.
- سير .. وحديث! يا لك من ماكر! أتريد مني حملك لتتابع حديثك؟
- انتقل القط لكتف نُوا الثانية وابتسم ثم وثب على يديه اللتين

هياهما نُسوا له وتموضع عليهما بشكل مريح وتابع حديثه قائلاً:

- لمعلومك لقد سمعت محادثتك مع الحوريّة نايا عندما مرّت على ذكرها .. حسناً سأخبرك بما تريده ولكن أتمنى أن لا تقاطعني. تفيد الحكايات بأن عالم الحوريّات أخذ يتشكل ويتبلور مع مرور الوقت بشكل سريع، وأن كلاً من أردا وأنا عملاً على تأسيسه على أمتن الأسس وقاما بالعناية به أفضل العناية. بدأ عالمهما يتسع بولادة أول توأمهم، وكان توأمًا ثلاثيًا أسموه؛ أفيندار وروماف وروجين، وهنّ بالطبع أكبر الحوريّات بعد الحوريّة الأم وأكثرهن تأثيراً في عالمهن، وهن اللواتي لقبن في ما بعد بالخالات الثلاث، وتلاهن العديد من ولادات الحوريّات بشكل متلاحق كتوائم ثلاثية وثنائية وكحالات فردية أحياناً. ويقال إن الحوريّة الأم أنجبت ما يزيد عن الستمئة حوريّة على مدار ثلاثمئة عام.

- يا لها من مدة طويلة!

- لا إنها ليست كذلك، كانت الحوريّات في العهد السابق تعمّر طويلاً، وللمعلومة إن مدّة الحمل عند الحوريّة اثنا عشر شهراً.

- أكانت كل تلك الولادات؟

- أحقاً أنت على ما يرام؟ ألم تستوعب بعد أن الحوريّة لا تنجب إلا حوريّة مثلها؟ ألم تعلم أن هذا هو السبب الذي جاء بك إلى

هنا؟

تظاهر نُسوا مرة أخرى بأنه لم يستمع إلى آخر ما قاله القط، شعر بالغباء يحتاجه من جديد، لم يكن نُسوا في واقع الأمر بالغبي أو الأحمق كما بدا أكثر من مرة، ولكنه ليس بالأمر الهين على المرء بأن يكتشف أنه في عالم جديد مغاير تماماً لعالمه الحقيقي.

أضاف نُسوا ملاحظةً ليبدو بحالة عقلية أفضل مما ظهر عليه، قائلاً:

- يبدو أن أردا تقبّل بشكل تام فكرة الحياة تحت سطح البحر.

- نعم، قيل أنه تقبل فكرة انتقاله إلى عالم ما تحت سطح البحار بكل رحابة صدر، ولم يتقبل الأمر لكونه نُقِذ من الغرق والموت المحتمّ فحسب، بل لكونه استطاع للمرة الأولى في حياته المساهمة في بناء جيل صالح وتوفير بيئة مناسبة له.
- تابع من فضلك ما أردت قصّه عليّ بخصوص النبوءة، تبدو مثيرة.

نظر كيدي إلى نُوا نظرة استعلاء ثم تابع:

- تنفيذ الحكايات القديمة بأن كلاً من آردا والهوريّة آنا قررا بناء مملكة خاصة لمجتمع الحوريّات وذلك نظراً لازدياد أعدادهن من جهة ولتربص أتباع سيد الأوركا القاتلة عديمة الرحمة بهن من جهة أخرى، وعاونهن بشكل رئيسي في بناء هذه المملكة توأمهم الثلاثي الأول، فدأب الفريق الخماسي على قدم وساق على العمل وقيادة جموع الحوريّات حتى تمكّن من إنهاء أعمال البناء في مملكتهن، فكانت مملكة آيف أولى ممالك الحوريّات وأقربها لسطح الماء.

وكز نُوا القط بسبابته ليتابع القصة بلا توانٍ وقال:

- لا يوجد ما يثير الريبة حتى الآن!
- أبدي كيدي انزعاجه من تصرف نُوا، إلا أنه تابع قائلاً:
- وتكمل الحكايات المتواترة سردها للأحداث بأن الحوريّة الأم راودها حلم غريب للغاية، ولغرابته «المُقلقة» أُطلق عليه اسم النبوءة، وصادف ميعاد حلمها هذا الحلم ليلة البدر التي أعقبت احتفالات الحوريّات بمناسبة تمام أعمال البناء في مملكة آيف.

وما كان من آنا إلا أن جمعت سكان المملكة في ميدانها الكبير وقصّت عليهم ما رأته في منامها، أملّة من أن يتمكن أحدهم تفسير نبوءتها وتقديم النصيحة لها، وكان حلمها كالتالي: «رأت الحوريّة آنا إحدى

الهوريات عن بعد بهيئة مربية، في مكانٍ أشبه ما يكون بمملكة آيف، لم تكن آيف ذاتها على حدّ تعبير الحورية الأم ولكنها مشابهة لها بشكل كبير إلا أن طرقها أضيّق ومنازلها أقرب بعضها إلى بعض بكثير، وعندما اقتربت آنا من تلك الحورية تبين لها أنها حُبلى، وكانت في حالة يرثى لها وتعاني بصمت من آلام مخاض شديدة. وما أن اقتربت آنا من تلك الحُبلى بهدف تقديم المساعدة حتى هربت منها وتوجهت صوب صدفة محار مشابهة إلى حدّ كبير للصدفة العجيبة، وكانت لملقاة في أحد طرق المدينة ودخلت فيها، وحال دخولها ومض من داخلها وميضٌ عظيم أعمى الحورية الأم للحظات، وعندما انطفأ ذهب حوريتنا لتبين مما حدث، فاقتربت وأطلت برأسها داخل الصدفة وتفاجأت بوجود طفلٍ جميلٍ للغاية ..»

- طفل حوري! لقد قلت لي منذ قليل ..
- كم تعشق مقاطعة الأحاديث! (كدي، غاضبًا).
- أضاف القط مقتنصًا الفرصة لإظهار جمال المدينة الأخاذ من الزاوية التي تواجد فيها في تلك اللحظة:
- انظر خلك .. ما أجمل جبال آينجه!
- دار نُوا حول نفسه ببطء دورة كاملة شهد فيها المدينة من زاوية مميزة تضاعفت على إثرها دهشته لشدة جمال ما رآه.
- يا لها من مذهلة! .. أتذوق الجمال كما نتذوقه نحن البشر؟ (نُوا، متسائلًا).
- بالطبع لا.
- ولكنك تنبهي إليه؟
- كثيرًا ما تفعل الحورية نايا هذا معي.
- حسنًا، تابع من فضلك، أختفت الحورية الحُبلى؟ (نُوا، بفضول).
- اختفت نعم، ولكن الحورية الأم لم تأبه باختفائها فكل ما شغل

بالها في تلك الأثناء كان حدوث المعجزة المتمثلة بولادة طفلٍ حوريٍّ «ذكر»، فحملته حوريتنا بين ذراعيها ونهضت به رغم كونها على يقين تام بأن جماله مهما كان لا يخفي حقيقة كونه مسخًا يخالف طبيعة الحوريات.

– أكان جميلًا حقًا؟

– نعم، قيل أنه كان وسيماً للغاية، وقيل إن آنا فرحت به أشد الفرح.

– أفرحت لوسامته؟

– لا، فرحت لبراءته، تختلف طبائع الحوريات عن طبائعكم البشرية. كان مُغمضًا عينيه عندما حملته، وبحملها له زادت رغبتها بتقبيله، فقبلته وما أن قبلته حتى فتح عينيه بحدة وقال لها قولاً غامضاً حفظته عن ظهر قلب، ثم تلاشى وتلاشت معه لؤلؤته وكان لون لؤلؤته أسوداً!

– أسوداً! حسناً لا بأس .. ألا وهو .. أقصد القول الغامض؟ إنني أستمع.

– قال الطفل الحوريّ بملامح حادة حاسمة:

في يومٍ قادم

تعاد للمرة الخامسة

في أفول الشمس

بياضٌ ظاهرٌ يضمّر سواداً قاتماً

تشتعل النيران في قلب المياه

تنذر بسفك النور

تريث

ثم اتبع النور

إنه الملاذ

الملاذ الأخير للحوريات

وهكذا انتهت الأحجية.

- يا لها من أحجية!
- كانت أحجية عجيبة! اضطربت الحوريّة أنا لدى سماعها وابتعدت مسرعة عن تلك الصدفة وهي بحالة فزعة، وزاد فرعها أكثر عندما وجدت المدينة في الخارج مُدمّرة بشكل همجي! وانتهى بذلك منامها. وأغرب ما كان في الأمر هو تكرار الحلم ذاته ثلاث مرات للحوريّة مع مرور ثلاثة أطوار بدر متتالية.
- ما صنعت بعدها؟
- عرضت الحوريّة أنا رؤيتها على سكان مملكة آيف، عدا زوجها آرذا لم يشاركها قلقها أحد، واعتبرت باقي الحوريات وأزواجهنّ تلك الأحلام مجرد هواجس نفسية وأحاديث شيطانية مُفترسة لا تستحق إضاعة الوقت فيها، خصوصاً لكونها تتزامن مع حدث عظيم في تاريخ الحوريات ألا وهو حدث الانتهاء من بناء أولى ممالك الحوريات. يحدث أحياناً أن يذهب الإنجاز ببصر منجزه عن الواقع، أليس كذلك؟
- كنت سأعتبرها كذلك أنا أيضاً. ترى هل استسلما؟ أقصد الحوريّة الأم وزوجها؟
- بالطبع لا، ولكنهما لم يتوصلا إلا إلى نتيجة واحدة مفادها أن يوماً أسود سيحلّ بالحوريات وبمملكتهن الوليدة، وبأن صنعتهما وتعبهما سيذهب سدى يوماً ما، لذا آمنة بضرورة التحرك مهما كلفهما الأمر.
- عذراً، ولكن ألا ترى أن التسلسل الزمني للأحداث التي تلتصقها عليّ لا يتناسب كثيراً مع تكاثر وتطور مجتمع الحوريات؟
- معك حق، لقد فاتني أن أخبرك بأن أعمال بناء مملكة آيف استهلكت ما فاق الثلاثين عاماً متواصلاً من الجهد والعمل، ومن جهة أخرى وكما قلت لك من قبل إن معدّل أعمار الحوريات

كان أكبر بكثير منه في زماننا الحالي، حتى أن أزواج الحوريّات كانوا يعمّرون أكثر بكثير مما يعمّرون الآن، وهو بالتأكيد معدل أكبر من معدلات أعمار البشر فوق سطح الماء. لا تفرح لذلك، فما قلته خصّ العهد القديم.

– لا .. لا. (نُؤوا، وهو يخفي التفاؤل الذي أصابه).

وصل كل من نُؤوا وكِدي إلى تخوم ميدان جاساريت، وهناك لاحظ نُؤوا وجود ينيبيع الهواء التي أخبرته عنها الحوريّة نايا من قبل، ووجدها تمتد على حدود الميدان الخارجيّة جهة حلقات المساكن البيضاء التي قدم من إحداها، وكانت تتواجد قربها مجموعات كبيرة من السلاحف من نفس فصيل تلك التي هاجمته، مزدانة بألوان متنوعة فريدة وساحرة. وبشكل عفوي استلقى نُؤوا على أرض الميدان متجاهلاً أهمية الذهاب إلى بيت البلجيك بأسرع ما يمكن وتساءل بينما استلقى القط بجانبه:

– أخبرني ما الذي حدث بعد ذلك؟

أجاب القط على الفور كمن بيّت النية للمتابعة:

– بعد ذلك لجأت الحوريّة الأم إلى ملك قبائل الجان لاستشارته بخصوص منامها، وما كان منه إلا أن أعلمها – بعد حيرة شديدة – بخطورة التوسع باتجاه الغرب وبضرورة بناء ملاذ للحوريّات تحسباً لكل طارئ.

– فتم لذلك بناء مدينة آينجه؟ كملجأ؟

– بالضبط، اتفقت الحوريّة الأم برفقة زوجها مع ملك قبائل الجان على بناء مدينة في بقعة يكاد الوصول إليها يكون مستحيلاً، بأسرع وقت ممكن تحسباً للمخاطر ولهذا السبب ترى المدينة بسيطة البناء بشكل عام.

– ولكن يبدو لي أن بيت البلجيك تحفة معمارية، أليس كذلك؟

– بلى، معك حق، لقد تعمّد الجان تميّز بيت البلجيك إرضاءً

لغروهم المعماري، لذا بالرغم من عملهم على تبسيط بناء المدينة بالقدر المستطاع لتوفير الوقت «المحدود أصلاً» سمح الجان لأنفسهم بإهدار بعضه لإبهار الحوريّات وأزواجهن وزوار مدينتهم بيت البلجيك، وعن طريقه أوصلوا لكل من يراه بأنهم أصحاب ذوق معماريّ فريد ومهارة فذة لا مثيل لها. - ولم لم تبناها الحوريّات بأنفسهنّ كما فعلنّ بمملكة آيف؟ لم طلبوا من الجان بناءها؟

- لا يستطيعن ذلك، تعيش الحوريّات في طبقات المياه العليا فقط، إننا الآن في قاع المحيط والحياة شاقة خارج قبة آينجه، أما مملكة آيف فبنيت قريبة من سطح الماء وشتان ما بين المناخين. وحدهم الجان من يستطيعون الحياة في أعماق البحار والمحيطات بسهولة.

- يبدو لي أن بناءها كان سرّيّاً؟
- بالطبع.

- ولم ذلك؟

- ما كانت الحوريات لتعتبره ملجأً لو شيع خبره بينهن. ووعد ملك الجان الحوريّة الأم بأنه سيّعين الحوريّات على العثور على المدينة السريّة حينما يرى أنهنّ يحتجن إليها خصوصاً في حال عدم وجودها حينها، وهي بدورها وثقت به.

- وهل يعقل أن يعمل الجان من أجل الحوريّات هكذا وبالمجان! دون مقابل؟

- بالطبع لا، بل العكس تمامًا، لقد استغل الجان ظرف الحوريّة الأم بخبث فطلبوا منها أئمن ما تستطيع الحوريّات دفعه. لقد طلبوا لآلئ حياتها أو بالأحرى ذكرياتها كأجرة لبناء المدينة، على أن يبدأ الدفع مع تلاشي أول حوريّة من بعد انتقالهم للسكن في المدينة السريّة حتى تلاشي آخر الحوريّات التي تسكنها،

- لذا تراهم يخطفون أية لؤلؤة حياة فور تلاشي صاحبته. أتعلم!
- لم يسبق أن تمكن أحدٌ من القبض على لؤلؤة حياة أي حوريةٍ تلاشت من بعد انتقال الحوريات لمدينة آينجه أسرع من الجان.
- مع تحفظي على غرابة ما تقوله، لم أجد في قصتك حتى هذه اللحظة ما يُلجئ الحوريات للحياة في مدينة آينجه؟
- على رسلك ولا تكن عجولاً كعادتك، سأكمل لك الحكاية حتى نهايتها، عمل كل من آردا والحورية أنا بالتزامن مع أعمال الجان في مدينة آينجه على التخطيط لمجابهة الخطر المتوقع القادم، ونظرًا لتوقعهما بامتداد عالم الحوريات أكثر وأكثر، ولتوقعهما بازدياد أعباء إدارته الداخلية. وبالإضافة لحتمية تفاقم مخاطر عالم البحار وازدياد مسؤوليات الحوريات تجاهه، ارتأى آردا التخطيط لبناء مملكة جديدة تُبنى على غرار مملكة آيف حين الحاجة إليها لتعمل على حمل جزء من عبء العناية بعالم البحار، متأملين بذلك عدم اللجوء للسكن في مدينة آينجه.
- تفكير منطقي.

لم تُعجب مداخلة نُسوا القط، ولكنه تابع قائلاً:

– منطقي! قد يبدو لك كذلك، أفنع آردا الحورية الأم بالفكرة بشكل كامل وأخذًا يخططان بالفعل لمثل هذه الخطوة ولكنهما اصطدما بعدة عوائق كان أبرزها أن «من سيقود المدينة الجديدة في المستقبل»؟

– بإمكان الحوريات أن يخترن بأنفسهن من يرينها مناسبة، أليس كذلك؟

– كان هذا أول اقتراح للحورية الأم، ولكنها عدلت عن اقتراحها هذا لتخوفها من فكرة اختيار الحوريات بعضهن لبعض جهلاً بالأحق أو انحيازاً للبعض لا طمعاً بأن يصل الأفضل لقيادة المملكة الجديدة، وأكد لها آردا تخوفها هذا نظرًا لاطلاعه على

تجارب بشرية مماثلة باءت بالفشل.

- حسناً، أعتقد أن الحورية أفيندار الأحق، فهي أكبر الحوريات
عمرًا بعد الحورية الأم ولو بوضع ثوانٍ، أليس كذلك؟

- هذا بالفعل أول ما تبادل لذهن أردا، ولكن يا له من منطق بشري
أعوج، فهل يعقل أن تُنسب الكفاءة للأكبر سنًا! هكذا وبكل
بساطة؟ هل حقًا يرى البشر أن القيمة العددية لأعمارهم مدعاة
للمنح أو السلب! مع العلم أن ليس كل المنح خير وأن ليس
كل السلب شر.

- وما الحل إذًا؟ إلام آلت الأمور معهما في نهاية الأمر؟

- اعتمادًا على افتقارهما لأفكار أفضل قررا التخطيط لبناء مملكة
جديدة واختارا الشرق موقعًا لها على أن تقودها الخالات
الثلاث الأكبر سنًا فالأصغر، وفي حال عدم وجود ثلاثتهما تعمد
قيادتها للأقرب لهنّ بالعمر، وعمدا لمنح المسؤولية عنها لقب
«حورية الشرق»، وما أن أعلموا مجتمع الحوريات بما توصلا
إليه حتى شعرا بأنهما ظلما كلاً من الحوريتين روماف وروجين
لذا بدلا خططهما على الفور من دون تخطيط حقيقي وأعلنا أنهما
ستعملان على التخطيط لبناء مملكة في الشمال على أن تكون
روماف قائدة لها، وأخيرة في الجنوب على أن تكون روجين
قائدة لها.

- يا له من توسع جريء!

وقبل أن يتابع كدي كلامه استبقه نُوا وأضاف:

- يتابني فضول لمعرفة رأيك الخاص المتعلق باختيار الحورية
المناسبة لقيادة المملكة الجديدة؟

- رأيي! أنا قط أنسيت ذلك؟ أقصد لا رأي لي على الإطلاق،
ولكن من خلال معرفتي بطبيعة الحوريات أرى أنه من الأنجع
اختيار مجموعة من أفضل الحوريات في كل مجالات حياتهنّ

لينتخب من بينهنّ الأفضل.

لم يبدُ نواياً ردة فعل تذكر ما أسعد كيدي لتملّصه من أحد أسئلته الجديدة التي لا تنضب. ثم تابع القط حكايته:

- وهكذا انقسمت آيف إلى أربع ممالك، شمالية وشرقية وجنوبية إلى جانب مملكة آيف، وتسارعت الأمور بشكل سريع وخطير وعملت الحوريّات على بناء الممالك الجديدة دون الحاجة الحقيقية إليها وانقسمت الحوريّات إلى ثلاث فئات، بالإضافة لفئة رابعة تحتوي على الحوريّة الأم وزوجها فقط.

- بالنسبة لي كبشريّ وجدت من تجارب البشر أن الزمن كفيّل يجعل الانقسام الشكليّ شرخاً غير قابل للربّ، بل ومدعاة للكوارث.

- بالفعل هذا ما حدث للحوريّات! إذ بدأت تتباين أحوال ممالك الحوريّات من مختلف النواحي وبهتت العلاقات ما بينها بالتدريج حتى كادت تنقطع، وتعدى الأمر ذلك حتى بدأت الحوريّات بالتعصب الأعمى لممالكهنّ!

- وما كان دور الحوريّة الأم في ذلك؟

- كانت قد اختفت، قيل أن الحوريّة الأم وزوجها تجولا ذات يوم في مملكة آيف بعد رحيل الحوريّات إلى ممالكهنّ الجديدة وعندما وجدا المملكة خاويةً على عروشها لا يسكنها أحد سواهما، هي وزوجها وبعض الأسماك، اختفيا. ويقول البعض الآخر أن زوجها قُتل من قبل سيد الأوركا الذي اقتنص فرصة وحدتهما في آيف فقضى عليه قبل أن يحاول القضاء عليها ولكنها تمكنت من قتله ثم خلعت عنها لؤلؤتها وتلاشت حزناً على زوجها ولعجزها عن حمايته.

- ولكنك قلت لي منذ قليل إن الحوريّة الأم قتلت سيد الأوركا

- هذا قبل ذلك بكثير، أليس كذلك؟
- نعم، ولكن بات لقب سيد الأوركا لقباً لزعيم مجموعة الحيتان القاتلة، تماماً كما بات لقب الحورية الأم لقباً لكبيرة الحوريات في مدينتنا، والحورية آنا قتلت أولهم، ومن بعد موته تناقلت الحيتان القاتلة هذا اللقب تبعاً لقوتها.
- تبعاً لقوتها! كسائر قبائل الحيوانات؟
- نعم إنه كذلك، تخيل! إنهم أحياناً يقتلون بعضهم بعضاً من أجل الحصول على هذا اللقب!
- يا لهم من حيوانات!
- ضحك القط من كلمات نُوا الذي ما برح يتناسى طبائع البشر التي لا تختلف كثيراً عما ينتقده بين الفينة والأخرى.
- يا لها من نهاية للحورية الأم ولزوجها! (نُوا، بذهول).
- وقد لا تكون! لا يوجد ما يبيت بالأمر.
- حسناً، وماذا حدث بعد ذلك؟
- مرّت السنون على ممالك الحوريات فكبرن وازدهرن على حدة، حتى جاء ما يجمعهن من جديد ألا وهو عالم البحار الغربي، يقال إن قائدات الممالك الثلاث تجتمعن في أنقاض مدينة آيف وتشاورن في ما بينهنّ لإنشاء مملكة جديدة جهة الغرب لتعمل على العناية بعالم البحار الغربي الذي تناقلت من أعبائه الممالك الثلاث.
- ولكن من سيسكنها؟
- كانت هذه النقطة بالفعل أهم مشكلة واجهت حوريات الممالك الجديدة، ففي البداية فُتح باب الترشح للانتقال إلى المملكة الغربية طواعيةً أمام جميع الحوريات من جميع الممالك، ولكن لم يقبل بذلك إلا عدد بسيط للغاية منهنّ، واستمر الوضع على حاله حتى اضطرت كبار الحوريات على الاتفاق لإجبار

أقل الحوريات جدًّا وتعاونًا والتزامًا في كل مملكة على حدة للانتقال، وبعدها تم الاتفاق على هذا الأمر، خطت الحوريات كالأخوات «من جديد» وعملنَّ معًا على بناء المملكة الغربية يدًّا بيد كوحدة واحدة كما كنَّ بالأمس البعيد ما أدَّى لإتمامها بوقت قياسي، ومن ثم أقمنا احتفالًا عظيمًا بمناسبة الانتهاء من بنائها حضرته كل الحوريات وأزواجهنَّ.

- المرة الخامسة أي الحفل الخامس، وأقول الشمس أي في الغرب، هكذا تُفسر النبوءة، أليس كذلك؟
- والبياض هو البناء والسواد هو ما حل بعدها.
- وما النيران المقصود أنها مشتعلة في قلب المياه؟
- استخدمت الحوريات الصخور المضيئة في احتفال المملكة الخامسة، وكان وقتها أمرًا حديثًا عليهنَّ، استخدمنها في الاحتفال ذلك للمرة الأولى والأخيرة في تاريخهنَّ. كانت إمكانية الوصول لهذه الصخور مقتصرةً على الجان، ولكن الحوريات تمكنَّ من الوصول إليها وأحضرنها.
- من أين؟
- من قاع بركان «تامو مسيف» الذي أخبرتك عنه الحورية نايا. أنسيت ذلك؟
- يا لك من متلصص!
- لا تعتبره تلصصًا بل مصادفة. (كدي، مبتسمًا).
- حسنًا، لك ذلك.

تابع القط:

- وهكذا اشتعلت النيران كما في النبوءة. وتتوقع الكثير من الحوريات بأن الجان تعمّدوا إيصال الصخور المضيئة لهنَّ أو أنهم قاموا بتسهيل وصولهنَّ إليها في أحسن الأحوال لتحقيق النبوءة فتسكن الحوريات أينجه ويحصل الجان بدورهم على

ذكريات الحوريات، كما اتفاق ملك الجان مع الحورية الأم.

- يا لمكرهم!

تابع كدي قائلًا:

- وما هي إلا سنوات قليلة حتى اشتعلت الحروب بين الممالك

الأربع. تخبر معظم الحكايات أن الأمر بدأ من المملكة الغربية

التي عملت على تحفيز المملكة الشمالية للاستيلاء على

المملكتين الشرقية والجنوبية بتحذيرها من مخاطر نموها من

جهة وبإثارة أطماعها بمواردهن من جهة أخرى، وبدأ القتال

بين الممالك واستمر وطال زمن الحروب وسفك النور.

- أتقصد بالنور ما يكافئ الدماء للبشر؟ كما حدث مع الحورية

آيسلا؟

- تمامًا. بدأت تظهر عليك علامات الذكاء!

- دعك من هذا، ما الذي جرى بعد ذلك؟ (نُوا، بكامل الجديّة).

- قلّة من الحوريات من تزيّن بالمشاركة في الاقتال الدائر في

تلك الفترة وهنّ وحدهنّ من نجونّ منه، واستمرّ سفك النور

حتى جاء يوم مظلم لم تطلع فيه الشمس، أو بالأحرى لم يصل

فيه نور الشمس إلى عالم البحار، يقال إن نورها رفض الولوج

لعالم البحار لما سفك فيه من نور الحوريات.

قال نُوا في سرّه: (إنه مجرد خسوف شمس صادف ذلك اليوم

لا أكثر ولا أقل ولا داعي لأن تُحمّل المصادفة ما لا تحمله)، نظر القط

برية لُنوا وكأنه سمع ما يحدث به نفسه، ثم تابع قائلًا:

- وفي منتصف مساء ذلك اليوم أُنيرت دروب مختلفة في أماكن

متعددة من الممالك الأربع بشكل غريب، أفضت كلها إلى

نقطة واحدة وكانت ميداناً يقع في منتصف المملكة المهجورة

آيف، وفور ظهور الدروب المنيرة بدأت عائلات الحوريات

المتبقية بالتوافد إليه على شكل دفعات على غير هدى، وما أن

تجمعوا جميعهم فيها حتى تشكلت بشكل مفاجئ دوامة هائلة
التهمتهم معاً دفعةً واحدة وأوصلتهم لمدينة آينجه، وها هم هنا
.. دعنا نتابع مسيرنا كدنا نصل.

نهضُ نُوا وكِدي وتابعا مسيرهما صوب بيت البلجيك، كانا
يسيران على الطريق الفاصل ما بين قطاع تيرم وميدان جاساريت، واستمرا
إلى أن انتهى الطريق بإحدى المنارات الأربع الشاهقة، وهناك تبين لُنوا
أن المنارات أضخم بكثير عن قرب مما بدا له من السور الذي اتكأ عليه
في بداية يومه، وهو بجواره لاحظ وجود رمز منحوت فوق مدخل المنارة
الواقف قبلتها (III)، وشاهد لاحقاً رموزاً منحوتة فوق مداخل المنارات
الأخرى كالتالي: (I,II,III) تدل على باقي المنارات.

- أيقصد بهذا الرمز كونه الرابع؟ (نُوا، مشيراً للرمز).

- نعم، وبعد الرمز المنحوت على المنارة الموجودة على يسارنا
الأول، والموجود على المنارة الموجودة على يميننا الثالث.

وبعد ذلك صعد كِدي ونُوا من خلفه عدة درجات صخرية
بمحاذاة منصة ميدان جاساريت، ومنه سارا بضع خطوات إلى أن وجدا
نفسيهما أمام بيت البلجيك، كان المكان مزدحمًا بالعديد من الحوريّات
والرجال يسرون في كل الاتجاهات بسرعة وبشكل مشوّش، بدا التوتر
سيد ذاك المكان، وهناك لاحظ نُوا أن جميع الرجال بأجسام متناسقة
وبثياب مشابهة لثيابه وبذات اللون، بينما تباينت أزياء وشعور الحوريّات
أجمل تباين، ولاحظ أيضًا أن أعمار جميع الحوريّات اللاتي شاهدهنّ
متقاربة للغاية، بينما كان التفاوت كبيرًا بين أعمار الرجال. أخبرته الحوريّة
نايا لاحقًا أن جسم الحوريّة ينمو حتى تبلغ الثلاثين من عمرها ولا
يهرم بل يهرم عنه شعرها فقط، فتظل على هيئتها الثلاثينية حتى تلاشيها.
لمح نُوا الحوريّة نايا تمرّ من بين جموع المازين أمام بيت
البلجيك، فناداها بأعلى صوته باسمها:

- نايا .. نايا.

سمعت الحوريّة نايا النداء فالتفتت صوب مصدره ورأته، كانت تسير مع حوريّة أخرى، اقتربت منه وقالت له بينما أخذت الأخرى تتلصص على مظهر نُوا بشكل عام وملامح وجهه بشكل خاص:

- لقد تأخرتما كثيرًا ولكن لا بأس في ذلك، فرب ضارة نافعة.

ثم نظرت صوب كيدي وقالت:

- كيدي، خذ نُوا معك وانتظراني على منصة ميدان جاساريت مهما تأخرت .. وقد لا أتأخر.

ثم رحلت برفقة تلك الحوريّة ودخلتا إلى بيت البلجيك عبر باب أسود ضخم من أصل ثلاثة أبواب في واجهة المبنى التي تواجدا أمامها. أخذ نُوا يتأمل بيت البلجيك الشامخ أمامه وظهّر له من الوهلة الأولى حجمه الهائل ومبلغ عظمة تصميمه وكم الزخارف الجمّة المزدان بها.

- لنذهب! .. لا بأس علينا الذهاب باتجاه منصة الميدان، هيا بنا. (كيدي، موجهًا الحديث لرفيقه).

- حسناً، ولكن انتظر! ألا ترى أن حديثك لا يتناسب مع كونك قطّاً؟ يا لك من قطّ عجيب! كيف تمكنت من معرفة كل ما تعرفه؟

توقف كيدي والتفت قبالة نُوا وجهًا لوجه، وأشار بيده إلى عنقه وقال:

- هل ترى هذه اللؤلؤة؟

لم تكن اللؤلؤة ظاهرة في بادئ الأمر إلا أن القط أزاح عنها القليل من شعر عنقه حتى بانّت، انحنى نُوا واقترب منها وقال:

- إنها تشبه هذه. (وأشار إلى قشرة لؤلؤة الحياة المزروعة أسفل عنقه).

أجاب كيدي:

- لا إن هذه التي أمتلكها حقيقية.

- أليست المغروسة أسفل عنقي حقيقية أيضًا؟

- بلى حقيقية، ولكنني أقصد أن المغروسة في عنقي لؤلؤة حياة حوريّة حقيقية لا مجرد قشرة.
- هل تقصد أن صاحبته تلاشت؟
- نعم، تلاشت بعدما منحني إياها ببضع لحظات.
- ومن هي صاحبته؟
- الحوريّة إيفان.
- ومن هي الحوريّة إيفان هذه؟
- الحوريّة إيفان حاملة الأولدوروجو الأخيرة .. والدة الحوريّة نايا.

تغريبية فمفترق الطرق

تابع كل من نُوا والقَط مسيرهما، وما إن قطعَا مسافة قصيرة حتى بلغا المنصة المنشودة، (يا له من ميدان واسع) قال نُوا في سرّه. ثم أخذ يلاحظ أن الميدان عبارة عن مُدرج وليس ساحةً منبسطةً كما اعتقد من قبل، ووجد ما بين كل درجة ودرجة مسافة كبيرة ولذلك برر لنفسه عدم ملاحظته تدرجها من الأعلى بسهولة. كان المكان خاليًا تمامًا من أي أحد، لا من حورية ولا من أحد أزواجهنّ ولا حتى أي كائن من الكائنات البحرية، ولذلك وجدها نُوا فرصةً مثاليةً للاستلقاء على الأرض دون أي حرج، فاستلقى وبعاد بين ذراعيه وساقيه وجسده وأخذ ينظر إلى قبة المدينة مسترخيًا بينما اضطجع القط قبالتة وأغمض عينيه بوقار متقن كمن انتظر مبادرة مماثلة لما فعل نُوا.

وبعد صمت تام قارب الثلاث دقائق تساءل نُوا بدون أية مقدمات عن صلب الموضوع الذي ودّ طرحه:

- لقد علمت بكل ما حدثتني به عن طريق لؤلؤة حياة الحورية إيفان أليس كذلك؟
- بالطبع، إن كل ما أخبرتك به عبارة عن جزئيات بسيطة من معرفتها وذكرياتهما وآرائها الشخصية.
- تبدو من لقبها «حاملة الأولدوروجو» أنها كانت حورية عظيمة.
- نعم كانت كذلك، كانت عظيمة الشأن.
- كدي، أخبرني من أين أتيت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟
- إنها المرّة الأولى التي تفاجئني فيها! وأظنها الأخيرة، توقعت منك في المقام الأول التوجّه للسؤال عن الحورية إيفان «نظرًا

لذكائك».

- يتتابني شعور داخلي بأن كل الحكايات تبدأ من حكايتك.
(نُوا، بجديّة).

تشاءب القط عدة مرات متتالية بكسل تجلّت فيها أنيابه الحادة
بوضوح، ثم نهض وعكس اتجاه اضطجاعه مطّالاً نفسه بشاط أكبر ثم
قال:

- حكايتي طويلة.

- ها أنا ذا أستمع.

- طويلة جدًّا، أطول مما تتخيل.

- لا تقلق، ها أنا ذا أستمع. (نُوا، بتلهّف).

- حسنًا سأقصها عليك ولكن عليك الإنصات.

- لا تقلق.

- أقصد من دون أن تقاطعني.

- قلت لك «لا تقلق» لا عليك!

(لا أصدقك!) قال القط في سرّه، ثم بدأ قصّ حكايته فقال:

- ولدت في مدينة تتبع لريف أقدم عواصم العالم، بالتحديد في
شمال شرقها، ويعود تاريخ إنشاء مدينتي إلى عصور قديمة
للغاية، لذا عرفت بانتشار الكثير من الآثار فيها، كما شاع بين
سكانها أنها اشتهرت في القدم بصيد الغزلان لذا أُطلق عليها
اسم مدينة النايا.

- النايا كاسم حوريتنا!

- نعم كاسم حوريتنا. (القط، بانزعاج).

- أخبرني ما معناه؟ سألتُ الحوريّة عنه ولكنها رفضت إخباري به
بذريعة عدم معرفتها.. ألم أخبرك منذ قليل بشعوري الداخلي
من أن حكايتك مفتاح لكل الحكايات الأخرى؟

- قد تكون محقًا بالفعل، إنها المرة الأولى التي أستشعر فيها

بذكائك. أنا أيضًا أرى أن حكايتي مقدمة لكل الحكايات التي تتساءل عنها في نفسك. بالنسبة لاسمها «نايا»، تناقل البشر في ما بينهم قولين اثنين؛ يقول أحدهما أنه مشتق من اسم أداة موسيقية تدعى الناي في إحدى اللغات الشرقية وأنت بالتأكيد تعرفها خير المعرفة، أما الثاني فيقول إن النايا هي بنت الغزال الأبيض، وهذا الثاني ما أرجحه.

- وأنا كذلك أرجحه، نظرًا لاشتهار المدينة بصيد الغزلان كما تقول.

- ولكن حذار أن تخبر حوريتنا عن أي شيء قلته أو سأقوله لك، فهي لا تعرف هذه القصة حتى الآن، ولمعلومك إنها بالفعل لا تعلم معنى اسمها.

- أتثق فيّ إلى هذا الحد؟

- بالطبع لا، ولكنني بحاجة للبوح بما في ذاكرتي كقط أكثر مما أنا بحاجة للإفصاح عما فيها كحورية. ثم أعتقد أنها ستصدقني أو ستصدقك إن أخبرتها بما سأقوله؟ .. أوكد لك أنها ستتهمنا بالجنون!

- حسنًا، سأسألك عن سبب اخفائك لقصتك عن صديقتك لاحقًا إن تذكرت، تابع حكايتك من فضلك.

بدا القبط بحاجة حقيقية للبوح، وما أصعب أن يكون المرء كذلك، فكيف إن كان ذلك مُصاب حيوان؟ تابع فقال:

- كثيرًا ما بحثت في ذاكرتي، ولا أظنك تعلم بأن للقطط ذاكرة قوية، وما استطعت أن أجد فيها ما هو أقدم من كوني قُدمت كهديّة رمزيّة من قبل رجل ثلاثينيّ أهداها لزوجته العاشقة للقطط السيبيرية بمناسبة قدوم مولودهما الأول.

- أنت قط سيبيري؟

(يا ليتني لم أمتدح ذكاءك منذ قليل!) قال القبط في سرّه، ثم أجاب

بامتعاض:

- أعتقد أن بإمكان مظهري الإجابة على استفسارك!
تجاهل نُوا هذه النقطة وأبدى من جديد تركيزه في القصة التي
يقصها كيدي على مسامعه. تابع القط كلامه بينما واصل التساؤل في سرّه
عن سبب إصرار نُوا على إثبات حماقته:

- كانا ثنائيًا جميلًا، زيد وآمنة، أسميا مولدهما الأول ياسين
نسبة لاسم والد زيد، ورزقا بعد عام من تقديمي لآمنة كهدية
بمولودة أنثى أسمتها والدتها نايا على اسم مدينتهما الوديعة
التي قطنها، ما زلت أذكر أحداث ولادة تلك الصغيرة حتى
الآن، لقد عشت معها منذ نعومة أظفارها، لذا أعتبر نفسي
صديقها الأقرب ولذات السبب أبّرّ لنفسي حبي وتعلقي بها
وحرصي الشديد عليها.

- معك حق رغم عدم اتضاح الصورة لدي، فما للحوارية وتلك
المولودة!

- من الأفضل لك أن تستمع للحكاية حتى آخرها. كان زيد
طاهياً في أحد أكبر وأشهر مطاعم المدينة، برع في عمله بشكل
مُلفت ما أدى لازدهار سمعته وبات يُطلب من رواد المطعم
بالاسم. برع زيد بالطهي رغم عشقه للعمل في مجال
المخبوزات ويا لها من مفارقة بأن يعشق المرء عملاً ويعمل
في آخر! فكما تعلم عادةً ما ترسم الفرص السانحة مسارات
حياة الإنسان المهنية، لذا اكتفى زيد بالبقاء بالقرب من شغفه
الحقيقي وتأقلم مع عمله طاهياً إلى أن لفظته مهنة الطهي شرّاً
لفظة.

- حقاً!

- فهمت لاحقاً - إذ كثيراً ما كانت تقص السيدة آمنة حكاياتها
وحكايات زوجها على مسامع أطفالها أثناء وجودي بينهم،

بالرغم من كونهم دون السن الذي يؤهلهم لفهمها - أن آمنة أنجبت طفلها ياسين بعد مخاضٍ طويلٍ قاسٍ قارب على الثماني عشرة ساعة كادت أن تموت فيه هي وطفلها، لازمها فيه زوجها بشكل كامل إلى أن انتهت منها فجراً على خير، وما أن نقل زيد زوجته ومولوده الحديث إلى المنزل حتى انطلق لعمله ويا ليت له لم يذهب يومها.

إذ صادف في اليوم التالي من ولادة ياسين زيارة وفد عسكري من العاصمة للمطعم الذي كان يعمل فيه صديقنا، وذلك لشهرته بجمال جلساته وجودة أطعمته، ونظراً لطيب سمعة الطاهي المميز طلب الوفد من إدارة المطعم أن يطهو زيد لهم شخصياً وعلى ذوقه الخاص. وبالطبع هذا ما حدث، فقدّم زيد كعادته مائدة فيها ما لذ وطاب من الأصناف التي يعدّها، بأجود المكونات المتاحة وبأعلى المعايير التي يطبق تطبيقها وبالمجان تجنّباً للمصائب، فنالت مائدته استحسان الوفد أشدّ الاستحسان، وأكلوا حتى الهديان وشربوا حتى الثمالة وما أن قاربوا على الانتهاء حتى طلب زيد من أحد مساعديه تقديم القهوة لهم كتّمّة حسنة لاستضافة المطعم لهم.

- جميل.

- لا، ليس جميلاً على الإطلاق، فمن سوء حظ المطعم ومن سوء حظ الطاهي زيد ومن سوء حظ مساعده أن قدّم المساعد هذا على غير العادة أسوأ قهوة من الممكن أن يعدّها إنسان يوماً ما، وبمجرد أن تذوقها أعضاء الوفد حتى ظهرت آثار مذاقها السيئ جليّاً على وجوههم فزمجروا جميعهم وعلى حدة بأعلى ما لديهم وأطلقوا الشتائم في كل الاتجاهات وسوّوا المائدة بما عليها أرضاً، كما المقاعد والتحف المتناثرة في أرجاء المكان.

- أحقّاً يستحق الأمر كل هذا!؟

- وساء الأمر أكثر عندما لطم أحدهم وجه مساعد الطاهي وأسقطه

أرضًا ورفع سلاحه في وجهه سائلًا إياه: (من الأحق الذي أعدّ هذه القهوة؟) ارتعب المساعد وأجابته مضطربًا في كلامه: (زيد .. الطاهي زيد سيدي).

— يا له من مساعد قذر! (نُؤوا، باشمئزاز).
— لا ليس قذرًا، لا أظن أنه يوجد من يجروء على الاعتراف عن نفسه أمام عسكريٍّ غاضبٍ من عسكري تلك العاصمة ذوي السمعة «الحسنة».

— ألهذا الحد؟ أيعقل هذا!
— نعم، انتشر بين سكان المدينة الكثير من القصص المشابهة لقصة مساعد الطاهي والقهوة والتي لسفك الدماء، أظن أن عليّ قص أشهرها عليك.

— من دواعي سروري، أتمنى أن تمتلك من الوقت ما فيه الكفاية.
— قيل أنه ذات يوم كانت إحدى المَطْرَبات المعروفات تحيي ليلة في أحد أشهر الملاهي الليلية في العاصمة، وكان من سوء طالعها تواجد أحد العسكريين من أهل المنطقة ما بين جمهورها في تلك الليلة وقد شرب حتى الثمالة، فأخذ يتناول على المحيطين به ويسيء إليهم دون أن يوقفه أحد، وتوسّع أذاه حتى وصل إلى المسرح بشكل عام وإلى المطربة بشكل خاص ما دفعها لأن تتجاهله، فلم يرق له ذلك وهدّدها بتفجير المسرح فيها.

— ألم يكن عليهم أن يطردوه!
— ومن يجروء! لم يكن ليتوقع أحد من جمهورها بأن يصير الأمر لما صار إليه. إذ استمرت السيدة بتجاهل ذاك العسكري حتى أخرج قبيلة انتزعها من حزامه وهددها بها، ولكنها استمرت بتجاهله، وما كان منه إلا أن حرر صاعق القبيلة وألقاها عليها ما أدى لتمزيق جسدها رفقة أجساد غيرها، تمزقت هي وخرج هو

ثملاً من المسرح، وتمت معالجة القضية بالإعلان عن جريمة الحب حيثياتها أن عاشقاً قتل عشيقته غيراً عليها وانتهى بذلك الأمر.

- يا للفظاعة! فهمتك الآن .. يا لوضع مساعد الطاهي المسكين، وجد نفسه في مجابهة الموت في موقف مرعب لا يتمناه أحد. ما حل بشاربي القهوة بعدها؟

- لطم العسكري وجه جالب القهوة بطرف سلاحه هذه المرة بكل قوته فألقاه أرضاً وفقد وعيه، ثم صرخ بأعلى صوته باسم زيد عدّة مرات (زيد ... زيد) حتى جاءهم زيد جاهلاً الأمر برمته ومتوجساً من نبرة أصواتهم المرتبكة والمرتفعة، للحظات تهيأ له بأنهم يمازحونه وبأنهم يبيتون النية الطيبة لشكره بطريقة مبتكرة.

وما أن وصل زيد إليهم حتى انهالوا عليه جميعهم بالضرب، تكالبوا عليه تكالب ضباع مفترسة على ظبي هزيل - كما تقولون- حتى تعبوا، في البداية أكرموا وجهه بعدّة صفعات تلقاها بصمود وهو واقف في مكانه بصمت، ولا أدري أكان صموده من جزاء الصدمة التي بانتهى على وجهه المصفوح أم من جزاء ما فيه من الكرامة!

- يا إلهي!

- واستمرت الصفعات بالتهراوي على وجهه حتى سقط أرضاً، ويحسب له أن جسده سقط قبل سقوط دمة واحدة من عينه وأظن أن هذا ما زاد من غضبتهم فانهالوا على جسده كله ركلاً لم يحتاجوا لأرفع من مستوى أحدىتهم ليتخاطبوا بها مع جسده، حسبوا حساب كل أجزاء جسده حتى وجهه فلم يكتفوا بحصة الأسد التي تلقاها في مقدمة الحفل بل قاموا بإكرامه بالمزيد قدر ما استطاعوا إكرامه به.

توقفت الركلات وبدأت بتوقفها القفزات على جسده الطريح،

صنعوا من جسده لعبة سيرك وتقافزوا عليها، هل لك أن تتخيل كيف يمكن للإنسان أن يقفز فوق رأس إنسان آخر؟ بكامل أوزانهم! حتى الحيوانات التي تُحَقِّرونها تخجل من فعلته مثلها!

ومن حسن حظّه - إن كان يُعد هذا حظًّا - أنهم تناولوا كمًّا هائلًا من الطعام الشهي الذي أعدّه، بشكل يفوق ما يتناسب مع كم الطعام الذي يتناوله البشر الطبيعيون ما أفقدهم الكثير من لياقة أجسامهم الضخمة فغدت لياقتهم كمرونة أحميتهم «منحطّة» بعض الشيء.

- يا له من ظلم!

- فرغوا منه وتركوه ملقى على الأرض ينزف من أماكن عديدة مما تبقى من جسمه، وقبيل خروجهم من الساحة الشاهدة على ما حدث وجّه أحدهم كلامه إلى مدير المطعم قائلاً: (يا رفيق، كنْ على ثقة بأنني سأحرقك شخصيًّا وسأحرق معك مطعمك إن رأيت هذا القدر فيه مرةً أخرى) وأشار إلى زيد. وبالطبع لم يملك مدير المطعم الكثير ليقوم به فانصاع للأوامر وطرّد زيد ولكن الحق يقال لقد طرده بأدب وبتعويض بسيط .. هكذا طرد زيد!

- يا للقهر! يا له من ظلم! يا لها من مفارقة بأن يضطر هذا الرجل المتفاني لدفع ثمن باهظٍ لقاء خطأ مساعده رغم تمكنه من إتمام عمله على أتم وجه مع كل ما واجهه من الظروف في يومه السابق! أرجوك أخبرني ما حدث بعد ذلك؟

- وبذلك وجد زيد نفسه خارج المطعم بجسم محطم وكرامة ممزقة، بلا عمل وبمسؤولية جديدة أضيفت إلى مسؤولياته. مسؤولية طفله ياسين - فدعا ربه بعينين دامعتين قائلاً: (اللهم أجبر خواطرننا فمن لها من جابر إلا أنت) وأخذ يكررها.

- كم هو طيب هذا الرجل! دعا للجميع رغم ما أصابه من كرب مؤلم، أكمل رجاءً، بت أخشى قدوم الحوريّة بأية لحظة فتقطع

- علينا حكايتنا.
- لا تقلق سأتابعها لك عاجلاً أم آجلاً .. أشارت عليه زوجته بأن يفتتح مخبزاً صغيراً في أطراف المدينة، ونظراً للتواضع حالتها المادية أعطته كل ما تبقى لها من ذهب تمتلكه باستثناء قلادة واحدة ثمينة للغاية على قلبها ليتمكن من افتتاح المخبز، وبعد ممانعة طويلة وقوية من طرفه وإصرار عنيد من طرفها وافق وافتتح بذهبها الثمين مخبزه الخاص، أظنه وافق على ذلك عندما وجده الخيار الأخير المتوفر له، فكما قلت لك من قبل؛ عادةً ما ترسم الفرص السانحة مسارات حياة الإنسان المهنية.
- على الأقل سيمارس فيه ما يهواه قلبه.
- وإنه كذلك. وفي غضون سنة واحدة من العمل المضني أضحى مخبز «الزيد» أفضل مخابز المدينة على الإطلاق، وتضاعف من خلاله دخل أسرته المادي وبات يدخل إلى جيبتها في الشهر الواحد ما يزيد عن دخل سنة كاملة مما كان يحصل عليه من المطعم الذي طُرد منه سابقاً.
- ألا إن لكل مجتهد نصيباً، لا يعلم أحدٌ منا مكان الخير، لقد ذكرتني بما حدث مع آردا من قبله، فلو لم يحكم عليه أهل الأرض بالموت لما آلت هذه الحياة لجموع الحوريات. من كان ليعلم بأن في ذاك الطرد المجحف كل هذا الخير!
- وتوج زيد كذّه واجتهاده بقدوم صغيرته نايا.
- جميل ولكن لحظة! لم تخبرني بهذه القصة؟ ما لك ولها؟ أتراك بدأت تتيه ما بين الحكايا المخزنة لديك ما بين دماغك ولؤلؤتك؟
- أخبرتك إياها لمجرد أن أعلمك بأنني أحببت عائلة نايا كلها من قبل أن أحبها لذاتها.

- وما لكل هذه القصة بقدمك إلى هنا! وما لنا يا «الحرورية» بكل ذلك؟

تنهد القط بعمق، بينما قال نُوا في سرّه: (هل هناك حقًا ما يستدعي تنهد قط!) ثم تابع كيدي قائلاً:

- على رسلك لم تنته القصة بعد، فبعد ولادة نايا بفترة قصيرة اندلعت - كما قيل أمامي - في منطقة جنوب العاصمة أحداثٌ أسماها بعض سكان المدينة بالمؤامرة وأسامها آخرون بالحرب الأهلية وأسامها آخرون بالأزمة المحليّة وأسامها آخرون بالثورة وآخرون بالانتفاضة، وأخذت رقعتها تنتشر تدريجياً حتى عمّ صداها كل مكان، ولم تكن مدينة النايا بمنأى عن ذلك. وما أن وصلت الثورة - كما أحببت مجموعتنا تسميتها - إلى مدينتنا حتى هبت معها من الشرق والغرب والشمال والجنوب نفحات جحيم فاجرةٍ أظفرت على مدينتنا من نيرانها كالمطر ما أقطرت، ما زلت أذكر حتى الآن تلك الأمطار الآثمة؛ نيران فيها برقٌ ورعد، طأطأت رؤوس البشر منها حذر الموت وأطلقت أفراد قبائل الحيوان في دروب الفزع على غير هدى.

- يا إلهي!

- لن أنسى، بل لا أستطيع أن أنسى كيف كان لقطراتها الفولاذية الكبيرة من قدرة هائلة على إنارة سماوات الليالي وطمس نجومها، وكيف أنها أشهدتنا في وضح النهار على إمكانية نسفها للجبال وتسوية المباني الحجرية العظيمة بالأرض.. لا بل وتحت الأرض أيضًا، أيعقل أن ينسى أحدهم! أيكونوا قد نسوا كيف أجبرتنا تلك القطرات على معاينة الحفر العملاقة التي خلقتها في الطرقات! وكيف أنها بعثرت القبور على ساكنيها! وكيف سفكت دماء الحيوان والإنسان على حدٍّ سواء! لا أظنّ نسيان ذلك واردةً عند أحد.



تابع كيدي كلامه بحرقه قائلاً:

- يا ليتني أستطيع أن أريك كيف قُتلت الكثير من الحيوانات بطرقٍ عديمة الرحمة، وهي ما لم تعتد على مثلها، على عكس البشر الذين اعتادوا الموت بوحشية، كما اعتادوا القتل بوحشية.
- كم أتمنى أن تكون كاذباً!
- يا ليتني أكذب، يا ليت عينيّ كذبتا عليّ وأخفيتا عني ما شاهدتاه، ما زلت أذكر ذاك الطفل الصغير الجميل ذي الشعر الأسود الناعم وهو يجلس أرضاً بجانب جثتي والده وأخيه وهو مضرجٌ بدمائهما ويمسك في يده الصغيرة البريئة نظارة والده الكبيرة التي ما عادت تصلح له، فكما تعلم ما للميمت بحاجة لما يصوب نظره العليل.

وما زلت أذكر تلك الفتاة الصغيرة الشقراء المعفّرة بالتراب وهي ترتجف خوفاً من يدٍ صديقةٍ لها جهلاً بكونها يداً إنسانيةً. حالها الفزع، أعظم الفزع لما جرى لها على أيدي من ظنت أنهم كانوا حُماة ديارها يوماً ما، وكانت تمسك هي الأخرى بما هو على الأغلب كل ما تبقى



لها من ماضيها .. من عائلتها ومنزلها .. كانت تمسك غطاءها الصوفي الصغير.

وما زلت أذكر أيضًا ذاك الطفل الصغير الذي ارتعدَّ برجولةٍ عاجزةٍ عن حماية عرضها، جالسًا القرفصاء مطأطئًا رأسه سعيًا للاختباء ومحتضنًا



رأس أخته الأصغر منه التي لم أدر إن كانت على قيد الحياة حينها أم لا.
ومن يدري!

- يكفي!



- لا، لا يكفي، هذه صنيعتكم أنتم البشر، أقلها صنيعة دعمكم أو بأفضل الأحوال صنيعة صمتكم الجبان. نُؤوا، ما زال في جعبة ذاكرتي الكثير الكثير! وعلى سبيل المثال لا الحصر تلك المرأة التي خرجت من بين أنقاض بيتها وجبينها ينزف بحرارة وهي مغطاة بطبقة سميكة من مسحوق حطام منزلها.

وأخيرًا وليس آخرًا تلك الفتاة التي ظهرت من بين الركام وهي ترتدي زياً وردياً جميلاً متسخاً بالدمار لتُشهر برجولة سبابتها في وجوه الضحايا اللاحقين للهمجية، تهددهم وتوعددهم، لا تدري مِمَّ ولِمَّ! ولكنهم يدرون.. يقيناً يدرون.

صمتا قرابة دقيقة ثم تابع كدي بعدها قائلاً:

- كان لمثل هذه المشاهد، رغم وجود الكثير الكثير غيرها، القدر



الكافي ليقدر سكان مدينة النايا الرحيل عنها، رحلوا جميعهم دون استثناء. ومن هنا بدأت رحلتنا نحن أيضًا، فاخترنا زيد الهجره لأقصى الجنوب ظنًا منه بأنه أكثر أمانًا من مدينتنا فارتحلنا له وكان الأقرب لنا، وللأسف تزامن رحيلنا مع حلول فصل الخيرات «فصل الشتاء» ويا لقسوة رفقة هذا الضيف معنا.



- أظنه فصل الخيرات لمن أعدّ العدة لاستقباله وأعرفه فصل العذابات لمن لا عدة لديه لمواجهته.

صمت كيدي وأغلق عينيه قليلاً كمن يتأمل بعمق، ثم استأنف بألم وإرهاق قلبي قائلاً:

- وفي أقصى الجنوب أعدّ للمهاجرين مدينة هائلة المساحة لتأويهم، منازلها عبارة عن خيام بيضاء متشحة برسوم صغيرة زرقاء منتصبة على أراضٍ رملية نوعاً ما، سكنها القليل من الحيوانات مع الآلاف من البشر، وتوافر فيها الأمان التام من القتل، ولكن تابع البرد بزمهريه العمل على إفزع سكانها أشد الفزع، وأخذ بدوره بطولة مسلسل حصد أرواح المهاجرين الفزعة، الروح تلو الأخرى.

وسم بعضنا استضافة أهل الجنوب لنا بأنها استضافة مُذلة وردية ووسموها بأنها خذلان منهم، بينما قال بعضنا الآخر بأنها كانت ضمن إمكانياتهم المحدودة أصلاً وأنهم لا يُلامون على شيء فالحمل كان ثقيلاً عليهم للغاية.



وبغض النظر عن السبب في مستوى تلك الاستضافة، كان برد الجنوب بذات كفاءة نيران مدينتنا التي هربنا منها، كلاهما كان حارقاً! وهناك مشهد واحد من بين كل المشاهد التي رأيتها لم يبرح مخيلتي يوماً!



كانا طفلين صغيرين، أقصد رضيعين، قام البرد القارص بقتلهم بوحشية حارقة، ما سبب لهما ارتداء كفتيهما في توقيت مبكر جداً عمّا هو معتاد، ثم وُضعا معاً في صندوق من الورق المقوى أحدهما بجانب الآخر ظهر أحدهما يسند ظهر الآخر لحين إتمام عملية دفنهما، ولا أدري إن كانا دفنا حقاً أم أُلْقيا في مكان ما في العراء لتتكفل الثلوج بدفنهما.

— كالمستجير من الرمضاء بالنار .. ما فعل زيد بنفسه وبعائلته بعدها؟

— تيقن زيد من أن الموت يتربص به وبعائلته وبجميع المهاجرين في الجنوب كما تربص بهم وهم في مدينة النايا. وإن لم يكن بيد البرد بحد ذاته فبأيدي الأوبئة والأمراض التي ستصيب سكان ذلك المكان عاجلاً أم آجلاً لا محالة. لذا قرر الهجرة بنا من جديد ولكن هذه المرة باتجاه الشمال، كانت هجرتنا الثانية تلك في ظروف أكثر قسوة من هجرتنا الأولى، قابلنا

فيها الموت من عدة جهات، ولا أقصد بقولي الاتجاهات بل الجهات، وهناك فرق كبير ما بين الكلمتين! فهناك جهة مناضلة وجهة باغية! جهة «مع» وجهة «ضد»! جهة تابعة وجهة أمرة! جهة مُتفّعة وجهة سارقة! جهة ممولة من الشعب وجهة ممولة من الخارج.

- ألم تتواجد باعتقادك جهات مع الإنسان تدافع عن الإنسان .. لذاته؟

- بلى، قيل إنها كانت موجودة بالفعل، قد تكون هناك بعض الجهات مع البشر لم لا؟ لا أظن أنه يوجد ما يمنع ذلك، ولكننا لم نواجه أيًا منها على الإطلاق أثناء ترحالنا، أتدري! في الواقع قد نكون واجهناهم بالفعل ولكن لم يجرؤ أحدٌ على الإشارة إليهم! عمومًا إن ما أقوله لك عبارة عن أقوال أفراد مجموعتنا المهاجرة، أما بالنسبة لي فلا أدري.

- ومن ثم ماذا؟ ماذا حدث لكم بعد ذلك؟ (نُوا، بإلحاح).
- استمرت مسيرتنا من مدينة إلى مدينة شاهدنا خلالها سلسلة نيران لا تنطفئ ومبانٍ مدمرة لا توصف وينابيع دماء بريئة لا تنضب إلى أن وصلنا إلى مدينة وادعة يُطلق عليها اسم مدينة العيون البيض.

- أرجو أن تخبرني بأنكم تمكنتم من إيجاد الأمان في هذه المدينة؟
- نعم في البداية، في البداية فقط وجدنا الأمان نسبيًا.
- ومن ثم؟ (نُوا، بإلحاح أكبر).

- في أحد الأيام ولأسباب مجهولة - بالنسبة إلى مجموعتنا - وجدنا قطيعًا من البشر ضخام الأجساد يقومون بتطويق المدينة. كان القطيع البشري ذاك مدججًا بشتى أنواع أسلحة البشر الأثمة، وحالما أتموا تطويقها قاموا بتمشيّطها كلها وجمعوا رجالها ونساءها وأطفالها في جماعات متفرقة ثم بدأوا يتفنّنون

في إرهابهم.

كبداية لاحتفالهم قامت مجموعة من المُهاجمين بسحب بضعة رجال ممن قاموا للتوّ بجمعهم، اختاروهم بعشوائية وبلا مبالاة، ولم المبالاة ومصير الحشد المجموع مصير واحد مهما اختلفت السبل الموصلة إليه؟ قاموا بجزّهم كالجثث! لا بل كأقل من ذلك وهم من ما زالت تنبض في جنباتهم الأرواح. كوّموهم فوق بعضهم البعض كالخطب ثم أكرمهم بما في قلوبهم من الأحقاد، ركلاً .. لقد قتلوهم ركلاً!

- هل حقًا يقتل الركل الإنسان!

- نعم يقتل .. ومن أين لمثلك أن يعلم بذلك وأنتم جميعكم غير مهتمين!

- ثم ماذا؟ ما حدث بعد ذلك؟ (نُوا، متجاهلاً التهمة الموجهة إليه).

- أما بخصوص النساء اللواتي جمعنهنّ، فقد اختاروا منهن مجموعة مماثلة لمن اختير من الرجال وقتلنهنّ حرّقا، والأطفال كذلك الأمر اختاروا منهم مجموعة نالوا نصيباً أكثر رافة ممن سبقوهم للموت وقتلوا ذبحاً، ونادراً ما أخذت الرافة بقلوب أفراد قطعان الأجساد الضخمة ليقتلوا ضحاياهم رمياً بالرصاص. في الواقع كان من الجليّ رغبة أولئك الضخام بتطهير المدينة من كل أشكال الحياة فيها، ومن أجل تحقيق ذلك بذلوا الكثير ليقطعوا إمكانية تصنيفهم ضمن البشر، وهم أدنى من أن يصنفوا ضمن خانة الحيوان.

- التطهير! يا لها من كلمة قدرة، لن يخطر على بال إنسان أن تكون هذه الكلمة بهذا السوء! يا للإنسان!

- ثم قتلوهم جميعاً، تقصّدوا ألا يذروا من أهل المدينة أحداً! وما بين الركل والحرق والذبح والبعض ممن هم أكثر حظاً ماتوا من تلقاء أنفسهم «خوفاً» توزّعت جرائم القطيع الآثم، اختلطت دماء الضحايا فيما بينها وانسابت في كل مكان، ومن المحزن

أن جلهم كانوا من المهاجرين الذين ذاقوا ما ذاقوه قبل قدومهم
بملاء إرادتهم إلى المدينة التي قبرتهم.
لقد طال الموت كل أرجاء المدينة، وإن نظرت إليها من بعيد
ستحسبها غابة محترقة تتصاعد منها الأدخنة إلا أنها ذات شجر مختلف
من نوع خاص .. جثث متفحمة! ولحسن حظي أن استطاعت عائلة زيد
النجاة من الموت بأعجوبة بعد تخفيها داخل أحد خزانات المياه المصابة
بالاهتراء والصدأ، وهكذا كتبت لي النجاة معهم.

- أتقول أن النجاة كتبت لك «أنت» معهم! عذراً أأست حيواناً! ..
لا أقصد الإهانة ولكن ما لك وكل هذا؟ أم تقصد القول بأنهم
قتلوا الحيوانات أيضاً!

- هل لك أن تصدق! هذا بالفعل ما حدث، لم يتركوا حظيرة غنم
أو بقر إلا وحرقوها بما فيها، قتلوا الحمام بأعشاشها والدجاج
بأقنانها، حتى الخيول لم تسلم منهم فقتلوا ما تواجد منها في
اسطبلاتها.

لن أنسى تلك القطة العسليّة الهزيلة التي جُن جنونها من دويّ
الانفجارات التي أصابت كل البقاع المحيطة بها باستثناء البقعة التي
كانت تقف عليها، فباتت تركض كالمصابة بالمس بأقصى سرعتها في
كل الاتجاهات، تسقط وتتابع وتتدرج وتتابع إلى أن اختفت.
ولكن بالرغم من وحشيتهم تلك تمكنت بعض الحيوانات من الفرار
وفزّ معها عدد بسيط من البشر.

- أحقاً يحصل هذا على ذات الكوكب الذي كنت أتخذ من سطحه
مسكناً؟

- من عجائب الإنسان أن من أهم صفاته أنانيته - وهو من يتهم
القطط بها - بالرغم من كونه غير قادر على العيش إلا ضمن
جماعات! أنا على يقين تام بأن معظم البشر لا يعلمون بمثل
هذه الأحداث ولا حتى يحاولون معرفتها، وسينسونها حالما

- تصل إلى مسامعهم، ولن يحركوا ساكنًا إن علموا بها، «نفسى..
نفسى» هذا هو شعاركم ومبدأ حياتكم أنتم البشر.
صمت نُوا قليلاً ثم أضاف مباحثًا:
- مخطئ أنت، لو كان الإنسان أنانيًا كما تقول لما حمل معه قطعة
أثناء فراره من الموت الذي ذكرت أهواله لتؤك.
 - لا يا صديقي، أنت المخطئ. لقد تعرضت آمنة لعشرات
المضايقات والمواقف التي دفعها مجتمعها من خلالها للتخلص
مني، ولولا تمسكها الشديد بي واشترائها لوجودي بحجرها
لتابع معهم ولما دعوني أكمل مرافقتهم ولا حتى خطوة واحدة.
وإن كنت تقصد تعامل آمنة معي فأؤكد لك بأنه تصرف فردي
لا يعبر عن طبيعة البشر بالمجمل.
 - ولكن أليس من الغريب إصرار آمنة على الاحتفاظ بك!
 - أظنه حدس الأم يا عزيزي، لا تتعجل على تنمة مجريات قصتنا.
تغاضى نُوا النظر مبدئيًا عن مجموعة تساؤلات عبّ بها رأسه،
وفي المقابل عاد للوراء قليلاً وتساءل:
 - حسناً، أخبرني ما صنع زيد بك وبالجميع بعد ذلك؟
 - هرب بمن تبقى من القلّة الناجين غربًا صوب البحر، كان البحر
بمثابة الملاذ الأخير لهم.
 - ومن أين للبحر بالنجاة؟ (نُوا، يائسًا).
 - معك حق في قولك لهذا. بعد عدّة ساعات مُفزعة أو عدّة أيام
«لا أدري» وصلنا سالمين إلى الشاطئ وأقصد بذلك نفسي
وعائلة زيد وقلّة قليلة أخرى، على عكس معظم الناجين
الذين تركهم الموت في مدينة العيون البيض، فقد عاد الموت
لهم وقبض على أرواحهم على أعتاب محافظة الساحل.
 - يا ليتهم لم يخرجوا من مدينة النايّا منذ البداية، فلو قتلوا هناك
لما عانوا كل هذه المعاناة التي انتهت بموتهم.

- معك حق نوعًا ما فقد ندم الكثيرون على الخروج من مساكنهم، ولكن لا يلام أحدًا منهم، فوجود المرء بين عائلته يقلل من الشجاعة اللازم توفرها له للاعتماد على قانون الاحتمالات.

- أكان ينتظركم الأمان المنشود في الساحل الغربي يا ترى؟
- أمان؟ لا مكان للأمان في حكايات تلك الأحداث. هناك في الساحل وجد كل فرد من الناجين نفسه أمام خيارين اثنين: فإما أن ينتظر الموت في مكانه محتارًا بتوقعاته ما بين الحصول عليه حرقًا أو ذبحًا، وإما أن يسعى إليه في عرض البحر عن طريق السفر على متن شبه قارب من أسطول قوارب الموت التي نشطت في تلك الفترة، يرافق كل من الطامعين بالصعود إليه أمل صغير بالنجاة، أمل أصغر حجمًا من حجم وثائق سفر الركاب المُتتَفِّة، فاخترت زيد عن عائلته المجازفة وجازف بهم.

- ألا يعد هذا السفر انتحارًا؟
- أتمنى ألا يصيب أحدًا ما أصابهم .. انتظر! تقول انتحار! أين هو الانتحار؟ الانتحار بالنسبة للحيوان - وأعتقد أنه ذات الأمر بالنسبة للحيوية والإنسان - هو الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وهذا ما لا ينطبق إطلاقًا على إلقاء النفس الهالكة لا محال إلى أمل ضئيل بالنجاة! بالنسبة لي أراه بطولة، وبطولة مطلقة أيضًا.
- تقول بطولة إذًا!

- نعم، تمامًا كما أعدد إقدام العقرب على قتل نفسها بنفسها لدغًا بطولة، عندما تجد نفسها محاصرة بدائرة من نيران لا تستطيع الخروج منها. إنها بالطبع بطولة خصوصًا لكونها اختارت بملء إرادتها طريقة إنهاء حياتها بدلًا من أن تموت حرقًا، وبذات السلاح الذي تستعمله لقتل أعدائها. لذا لا تتوقع مني أن اعتبر الإقدام على الأمل بالنجاة انتحارًا مهما اقتنعت!

- أنت تقصد أن ما أدعي كونه انتحارًا ما هو إلا صورة من صور المحافظة على القوة والكرامة الشخصية اللازم تواجدها عند الإحساس المصيري بكون الموت قريبًا للغاية، كما فعلت معك الحوريّة إيفان «حسب وجهة نظرك أو وجهة نظر الحوريّة التي تتقلد لؤلؤتها».

- نعم بالضبط.

دُهل القط كيدي من مداخلة نُوا وأدت لابتسامته ثم تابع:

- ولا تنسَ أن الصاعدين على متون قوارب الموت لم يمتلكوا ولا حتى فرصة واحدة للنجاة، ولا حتى الضئيلة منها، وأظن أن وجود فكرة الفرصة كان كافيًا ليتجنبوا ندمهم على عدم الصعود على متن تلك القوارب. يا نُوا، إنني لا أُحدّثك عن مجموعة آمنة من البشر تسعى ترفًا للمخاطره بها، إنني أُحدّثك عن مجموعةٍ جاهدت واجتهدت قدر استطاعتها للبقاء على قيد الحياة، مجموعة شاهدت الموت عن كثب لدرجة أنه دنا منهم كثيرًا وطال العديد من رفقاتهم، إنها مجموعة ارتحلت في كل الاتجاهات تنشُد الأمان ولم تحصل عليه.

نعم، لا ينكر أحدٌ أنهم أخفقوا ببعض قراراتهم أثناء ترحالهم ولكنهم أصابوا في بعضها، وها قد دفعوا للبحر كفارة لذلك أجسامهم كصكوك في سبيل النجاة، طامعين أن يسامحهم بها فيصلوا سالمين لشاطئ ما، شاطئ آمن على أقل تقدير.

- لا أظنني سأتفق معك في هذا .. على كل حال أشعر أننا نقترّب مما أوصلك إلى هنا.

- معك حق كدنا نصل إلى مبتغاك.

ابتسم القط ابتسامة حزينة فابتسم له نُوا مثلها وتابع قائلاً:

- وما أن طُرح الخيار الوحيد المتبقي أمامنا وأمام مجموعة ثانية من المهاجرين الذين سبقونا بالوصول إلى ذاك المكان بيوم حتى

ظهر تجار قوارب الموت على طول خط الساحل، فافترسوا كل ما تبقى مع الجميع من النفائس كأجرة لهم على خدماتهم، وأما أمتعة الجميع الزهيدة فجمعوها بلا مبالاة وألقوها في قيعان أشباه قواربهم وحملونا على متونها.

- وأنت! أسمحوا لك بالصعود؟

- قدّمت أمانة أغلى ما تمتلكه لأحد تجار قوارب الموت، أقصد أنها قدّمت له رشوةً فقبلها؛ أعطته قلادة ذهبية صغيرة ورثتها عن جدتها لوالدها، وهي آخر شيء ثمين تبقى معها بعدما باعت كل ما لديها من ذهب من أجل مخبز زوجها، وكم اجتهدت لتخفي هذه القطعة تحت غطاء رأسها عن أنظار أهل الإجرام منذ بداية الأحداث، أذكر أنها قالت لزوجها ذاك اليوم: «ما لي بها ونحن في عرض البحر؟» أما زوجها فلم يمانعها على الإطلاق في أمر مبادلة القلادة بالسماح لي بالمضيّ معهم.

وهكذا سَعِدَ التاجر بالرشوة الثمينة وتغاضى عن وجودي على متن المركب، ولم يكتفِ بذلك فعمل على شغل أنظار زملائه من تجار قوارب الموت عنّا. وبهذه الطريقة سُمح لي بمرافقة المجموعة رغم عدم علم أيّ منهم بوجود حكمة من وجودي معهم، حكمة اكتشفنا فحواها لاحقًا أنها نجاة الطفلة الصغيرة.

- ما زال وجودك هنا مبهمًا .. لا بأس ولكن أخبرني كيف كانت حالة القارب؟

- كان قاربًا أزرق اللون متوسط الحجم، قديمًا للغاية بحاجة لعمليات صيانة جذريّة. في الواقع كان القارب منهك البنية ومتهالكًا، أخذت مجموعتنا تصعد على متنه وصعدنا معهم حتى ظنّ الجميع أنه امتلئ، ولكنهم أخطؤوا بظنهم ذلك، وأخذ عدد الأشخاص الصاعدين بالتزايد أكثر فأكثر حتى طفح المركب بالبشر، كنا نستشعر بحق أنه كاد يغرق رغم كونه لا

يزال على الشاطئ!

- ألم يعترض أحد منهم؟
- بلى، اعترض أحد الرجال المسنين بذريعة إصابته بمرض تنفسيّ حاد، وطالب تجار الساحل بتقسيم الركاب لمجموعتين أو على الأقلّ تقليل عددهم بعض الشيء، فما كان من أحد التجار إلّا أن دفعه متعمداً إسقاطه في الماء ونجح في ذلك، وتسارع بعض الرجال لسحبه من الماء للشاطئ وما أن سحبه حتى لاموه وطالبوه بالاعتذار من التاجر!
- فاعتذر المُسن من التاجر كما طُلب منه ولكنه لم يسمح له بالصعود لا هو ولا زوجته على متن القارب المهترئ مرة أخرى وبذلك تُركا لمصيرهما المجهول على الشاطئ.



- وزيد؟
- ودّع زيد عائلته بشكل مفاجئ، وعلى عجل قبيل انطلاق القارب بلحظات قفز إلى الماء ثم صرخ قائلاً: (لا نجوت إن لم ينجّ معي وطني، عليّ حمل السلاح يا أمانة، سنلتقي مجدداً أعدك بذلك، انتبهي للطفلين، أحبكم)، وانطلق المركب.

لم ينبس نُسوا ببنت شفة، صمت كيدي بعض الوقت ليعطي
الفضولي المجال الكافي ليتلذذ بفضوليته ولكنه استمر على صمته ما
دفع القط لمتابعة حديثه قائلاً:

- كان الجميع على يقين تام ..
- انتظر قليلاً! .. لم لم يحمل زيد السلاح منذ البداية!
- وما أدراني أنا! لعله جبنٌ وتحرر منه، أو لعله غضبٌ ملاًه إلى
أن فاض به، أو قد يكون الشعور النسبي بتأمينه على أسرته في
القارب فحرّره ذلك من قيوده.
- لعله ذاك أو ذاك ..

وقبيل أن يتابع القط حديثه، عاود نُسوا وقاطعه من جديد متسائلاً:
- وأمنة؟ كيف تقبّلت رحيل زوجها؟
- بكت بصمت، بكت بوقار حرّة .. وأظنها كانت على يقين
بحدوث ذلك.

- ما أعظمها من امرأة!
- ومع مرور الوقت وإبحار المركب في أحضان البحر بات
الجميع على يقين تام بأن النجاة لن تكتب لهم بالرغم من
تمسكهم بالمضي فيه، وما بين لسعات البرد القارصة وتلاطم
الأمواج المزلزلة مرّت علينا ساعات شديدة الوحشة في عرض
البحر، كانت الدموع أنشودة الأطفال الوحيدة التي أنشدوها
طوال الوقت رفقة معظم أمهاتهم وبعض آبائهم، أذى البعض
الصلوات وتلا البعض الآخر التلاوات، ووصل الجميع لمرحلة
التوق للراحة مهما كانت حتى وإن كانت بالغرق في الماء.

أذكر أن إحداهنّ اخترقت حشود ركاب القارب وقالت: (رجاءً لا
تحاولوا إنقاذي) وألقت بنفسها في البحر وغرقت ولم يحاول إنقاذها
أحد..

تساءل القط في سرّه "أيعقل أن يكون هذا الأحمق نائماً بعينين

مشرعتين على وسعهما؟" ثم أجاب بنفسه "لا، لا يعقل!" ثم قال: (وإن كان) وتابع حكايته لشارد الذهن قائلاً:

- ومع انقضاء الساعات التالية لتلك الحادثة حلّ الليل وكان ليلاً بارداً جداً، وفي قرابة منتصفه هبت عاصفة عسيرة قلبت القارب بواسطة موجة واحدة، تخيل! موجة واحدة فقط كانت كفيلة بإنهاء رحلة كاملة.

- يا إلهي!

- وبذلك انتشر المهاجرون الهاربون من جحيم الحرب وقسوة البرد وذل الجوع والعطش بين الأمواج المتلاطمة، تسابقهم أمتعتهم الزهيدة للطفو على سطح الماء وتتفوق عليهم.

- وتجار قوارب الموت؟

- بالطبع كُتبت لهم النجاة، وكيف لا ينجون وهم من اعتادوا أخذ التدابير الكافية لمثل ذلك الموقف؟ أو لا تكفيهم أموالهم التي جنوها جراء مثل تلك الرحلة الفاسدة ليتدبروا أمرهم في تلك المواقف؟

أما الهلاك فكتب بدوره لأولئك المقامرين بأرواحهم، غرقوا جميعاً على التوالي - أو بالأحرى أعتقد ذلك - صعدوا إلى السماء على هيئة سلسلة أرواح متألّمة، استسلم بعضهم دون مقاومة وأسقط البرد منهم من أسقط وتكفل الإنهاك بالمتبقي منهم، وبذلك خيم الموت على المكان وكم هو مخيف أن يخيم الموت في المكان! لم ينبج من ذاك القارب إنسان سوى ..

- أنت!

- يا لحماقتك! أنسييت أنني لست إنساناً!

تابع القط وهو غاضب بعض الشيء:

- ما زلت أذكر آخر لحظات حياتي فوق سطح الماء، كنت أسبح بجانب أمانة التي كانت تصارع دون دموع من أجل الإمساك

بطفليها فوق حقيبة بنية جلديّة صغيرة طافية على سطح الماء.
كم تمننت وجود زيّدٍ معها! شعرت بذلك دون أن تحتاج
للبلوح به أمامي! كانت تلك الحقيبة البسيطة طوق النجاة الوحيد
المتوفر لها وهو للأسف ما لم يتوفر لغيرها.

اقتربت منها امرأة عجوز تمسك بذراعيها طفلاً رضيعاً وقالت لها:
(أرجوك، احتفظي بحفيدي مع طفليك لا يستطيع جسمي المقاومة أكثر
مما قاوم)، وتركته يائسةً وغاصت في الماء. ولكن آمنة لم تتمكن من فعل
أي شيء تجاه ذلك الرضيع، فكيف لها أن تتمكن من فعل شيء وكلتا
يديها مربوطتان مع طفليها والحقيبة، ومع مرور الوقت - الوقت الذي
لا يُقدّر بطول من هول ما حدث به - داعت الأمواج الطفل الرضيع
حتى ابتلغته وألحقته بجذته التي سبقته لتوها، بينما غرقت آمنة بدموعها
الصامتة لعجزها عن فعل أي شيء.

- لا يسعني القول سوى أن من حسن حظه أنه غرق، فما لنا
وللحياة إن كنا وحيدين فيها، لقد أرهقتني حكايتك، أرجوك!
كيف آل بك المآل إلى هنا؟

ابتسم القط بهيئة تعبر عن عدم المبالاة، بينما قال نُوا متأثراً في
سره: (من حسن حظي أن لا دموع في مدينة آينجه).

- هل حقاً عليّ إكمال الحكاية؟ (القط، مماًزحاً).
انتفض نُوا مبدئياً غضبه - وكان غضباناً حقاً - ما دفع كدي ليكمل
حكايته مع القليل من الجدّة:

- غرق الجميع أو اختفوا من حولي ولا فرق في ذلك ثم هدأ
الموج، باستثناء آمنة وحقيبتها وطفليها الاثنتين، وبات المشهد
كالتالي: ليلاً وبالتحديد بعد منتصفه، وفي زمان تجمّد عن
الحراك لبرودته وصعوبته كانت امرأة في عرض البحر تمسك
بطفليها فوق حقيبة سفرٍ تطفو على سطح الماء، كانوا ثلاث
أرواح طافية معلقة بحقيبة واحدة، بالطبع بالإضافة لروحي.

كانوا في وسط صمت مرعب استمر على حاله إلى أن تمكن التعب من الأم وخارت قواها، خارت قواها حتى القلب! وفي أكثر من لحظة كادت أن تخسر طفلها معًا لذا استفتت قلبها، وعاودت استفتاء قلبها أكثر من مرة، ثم قبلت طفلها ياسين بصفته ابنها الأكبر الذي شهد من الحياة ما لم تشهده أخته الصغرى، وصرخت «زيد!» شعرت أنها حاولت شتمه ولكنها لم تستطع التلفظ بذلك، عاودت تقبيل صغيرها من جديد ثم أغمضت عينيها وأخذت قرارها وتركته .. تركته ليقابل مصيره وحيداً ضد الماء .. فاستسلم بهدوء وغرق، قبل ياسين نصيبه من الحياة ورحل دون جلبلة تُذكر، وما أظن هدوءه ذلك إلا من أجل خوفه على قلب أمه المفجوع من أجله. ولا أستبعد أنه كان ميتاً من قبل، من يدري؟

– يا للفظاعة!

تابع كيدي:

– زادت أمانة بفعلتها تلك فرصة نجاة ابنتها نايا، وحاولت أن تُمدد تمالكها لنفسها قدر إمكانها، ونجحت بذلك نسيباً واستمرت على صمودها الموشك على النفاد تمسك بطفلتها فوق الحقيبة الطافية حتى تتابعت عدّة أحداث مريبة من حولنا.
– مريبة!

– استمع من فضلك، أظنّ أنه آن الأوان كي نسرع! خرجت نافورة مياه عظيمة من سطح البحر من على بُعدٍ بسيطٍ عنّا أحييت آخر ما تبقى من قوة لدى أمانة، وما أن مرّت عدّة ثوانٍ حتى لاحظنا مرور كائنٍ حيٍّ من تحتنا. وبالرغم من كوني دائماً ما أستشعر الأخطار التي تحدق بيّ كقطٍ إلا أنني لم أستشعر حينها بشيء.
– لعل ذلك لما كنت فيه من إرهاق!

– لا، لا أظن. أما أمانة فصرخت بملء صوتها: (قرش، إنه قرش، قرش).

ابتسم القط ابتسامة عريضة كافية ليتيقنُ نوا بأنه شهد قصته مع

سمكة الشيطان التي دعمتها الحوريّة نايا بسمكة أبو الشص. قال نُوا
بعجالة ليتجاوز تلك اللحظات المحرجة:

- وما فائدة الصراخ!

أجاب القط مرفقًا جوابه بنظرة ماكرة: (يا صديقي إنها ردة فعل
البشر، كل البشر أليس كذلك؟) ثم تابع:

- وفي غضون لحظات ظهرت لنا من تحت سطح الماء امرأة
غريبة وكانت ترتدي ثيابًا أشدَّ غرابة، كما أنها كانت تحمل
على ظهرها طفلة صغيرة عمرها يقارب عمر الصغيرة نايا.
فأصابت رؤيتها آمنة بالخوف، وبالرغم من خوفها شعرت
بدهشة عظيمة.

وما كان منها سوى أن تابعت صراخها (قرش! قرش!)، أظنها
اعتقدت أن أجلها قد حان أو قد تبادر لذنها أنها ماتت بالفعل وانتهى
أمرها وأنها شاهدت تلك المرأة في عالم آخر.

- يا لبؤس هذه المرأة!

تابع كدي قصته قائلًا:

- اقتربت المرأة البحريّة قليلاً من الصغيرة نايا التي كانت تحتضر
بهدوء، ووعدت آمنة بأنها ستنقذ لها ابنتها «إن استطاعت»، أذكر
أنها قالت بلغة لسان آمنة: (أنا أمُّ أيضًا، وأعلم ما يجول في
قلبك وعقلك)، فسمحت آمنة التي لم تمتلك خيارات أفضل لها
بالاقتراب أكثر من صغيرتها، فقامت الغريبة بوضع راحة يدها
اليمنى على رأس نايا وراحة يدها اليسرى على رأس صغيرتها
وأخذت تتمتم بأحاديث غريبة كالسحر لم أعهد أن سمعت مثله
من قبل، أفضى عندما أنهت منه بانتفاض الصغيرتين معًا بشكل
عنيف.

- يا له من أمر غريب!

- نعم كان غريبًا جدًّا، ظننت أنها قتلتها معًا ولكننا تفاجأنا

بانعاش الصغيرة نايا وكأن الحياة قد ضُحّت في عروقها من جديد بينما توقفت الصغيرة الثانية عن الحراك بشكل كامل، قالت المرأة الغريبة وعلى محياها ابتسامة ناعمة: (ها قد دبت الحيوية من جديد في ابتك، لا تقلقي على ابنتي فهي نائمة الآن. ما اسم صغيرتك؟) أجابت آمنة بامتنان وارتباك: (نايا، اسمها نايا) وصمتت قليلاً ثم أضافت: (شكراً لك).

– أيعقل أن تنتهي قصتك نهاية سعيدة؟
ضحك نوا في محاولة لإظهار تساؤله على هيئة مزاح ولكنه فشل في ذلك. تابع القط كلامه متجاهلاً تساؤل نوا:

– وفي تلك الأثناء قدم زورق سريع بشكل مفاجئ صوبنا، ويا لها من سرعة متأخرة! ظهر على متنه رجلان في بداية عقدهما الرابع، أظنهما سمعا صوت صراخ المسكينة آمنة عندما ظنّت وجود سمكة قرش تحوم حولها، فقدموا للمساعدة.

– أو لعلهما وجدا حطام المركب فبحثا عن ناجين محتملين!
– معك حق، قد يكون. ولا أدري ما حل بنا بعدها، تتخبط ذاكرتي أشد التخبط بما يتعلق بذلك الجزء من قصتي، أذكر أنني شاهدت حوتاً قاتلاً بزعنفه ظهر مقطوعة، وأذكر أنني سمعت صوت إطلاق أعيرة نارية من قبل الرجلين مشابه لأصوات الأعيرة التي ألفتها في مدينة العيون البيض، كما أذكر أنني شاهدت جرة مليئة بمعبود البشر «الذهب»، وأذكر تلاطم أمواج وغرق وعمليات إنقاذ.

– الذهب ليس معبود البشر.
– لن أجادلك في ذلك .. كما أنني أذكر بوضوح خروج نور عظيم من جسم تلك المرأة الغريبة، التي ما كان منها إلا أن خلعت عن الصغيرة نايا قلادة فضية كانت ترتديها، بعدما تفحصت بيديها قرطبيها المشابهين لتلك القلادة، وألبستها لصغيرتها

النائمة وقالت لآمنة: (اعذريني، سأستعير منك هذه القلادة)
ثم أضافت: (وهذا أيضًا) وأشارت إليّ وجذبتني إليها، وقالت
موجهةً كلامها لي: (تذكر أنني من الآن أسمي صغيرتي «نايا»،
من فضلك ارعها جيدًا) ونزعت عن عنقها لؤلؤة جميلة وقامت
بغرسها أسفل عنقي وأدخلت عنقي بين سلسلة القلادة وعنق
صغيرتها، وبعد لحظات تلاشت لفقاعات هواء شديدة الكثافة
واختفت.

وبذلك تبين لنا أصل العلاقة التي ربطت ما بين الحورية التي
"انتقته" - حسب قولها - وكدي الذي انتقته والدتها.

الهوريّة إيفان

- تلاشت! تقول تلاشت! هكذا وبساطة؟ (نُوا، مندهشاً).
عدّل كيدي من جلسته مرة أخرى وقال:
- نعم، تلاشت وتلاشى معها تاجها الفضي الذي لم أُلحظه إلا حينما بدأت تتلاشى، كما تلاشى معها ثوبها الغريب، ولم يتبقَ منها سوى فأس الأولدوروجو الأسطورية التي غاصت بدورها في أعماق مياه البحر.
- أتقصد أن المرأة البحريّة هي ذاتها الحوريّة إيفان!
- نعم، هي ذاتها.
- أي أن فأس الأولدوروجو التي وجدتها الحوريّات اليوم كانت قد فقدت في تلك الحادثة إلى يومنا هذا! .. ترى لمّ لمّ يبحثوا عنها من قبل؟ على الأقل في منطقة الحادثة التي أخبرتني عنها؟
- ومن قال لك إنهم لم يبحثوا عنها؟ عملت الحوريّات على تنظيم العديد من السرايا التي هدفت لتمشيط قيعان البحار والمحيطات بحثاً عنها بشكل يومي، من يوم فقدانهم للحوريّة إيفان وخسارتهم للفأس إلى يومنا هذا، أظن أنك لا تدرك كم كنّ محظوظات بالعثور عليها.
- وأنت! لمّ لمّ تخبرهم بمكانها؟
- أنا! وكيف لي أن أعلم بمكانها، فحالما غرست الحوريّة إيفان لؤلؤتها في عنقي شلّ تفكيري، ومن دون إدراك توجّهت باتجاه ما لا أذكره وسبحت مسافة طويلة، لم يدّر بخلدي حينها سوى رغبتني بشكل ما بدا وكأنه غريزيّ بالحفاظ على صغيرة الحوريّة

وحمايتها من صاحبي القارب ومن أية كائنات بحرية قد أصادفها أثناء سباحتي بها. وبقيت على حالي في عرض البحر أسبح بشكل متواصل إلى أن واجهتني دوامة بشكل مفاجئ سحبني مع الصغيرة إلى هذه المدينة، وبعد لحظات معدودة من وصولي إلى هنا سقطت مغشياً عليّ، وقيل لي لاحقاً إن الحورية الأم وضعتني في الصدفة العجيبة إلى أن استيقظت، وقيل لي أيضاً أنها عهدت بالصغيرة إلى الحورية هيف القيمة على قطاع تيرم - حينها - لرعايتها.

- الحورية الأم! ألم تخبرني ..
- أقصد قائدة مدينة آينجه، ألم أخبرك أن لقب الحورية الأم بات لقباً لحاكمة مدينة آينجه؟
- لا لم تخبرني، يبدو أنك «كما تتهمني» تعاني أيضاً من داء النسيان. حسناً أخبرني، ما قصة الصدفة العجيبة هذه؟ أعلم أنني أثقلت عليك بأسئلتني ولكنها أكثر ما سمعت به أذناي منذ استيقاظي هنا!
- ولكن النسيان دواء وليس داءً. (كدي، وهو واثق بإخبار نُوا عن اللقب).

- يُدرج كدواء للفقراء فقط!
- عموماً في النسيان لا أظن أن مثلك أحد. أما الصدفة العجيبة فأشيع أنها تعود لأقدم المحارات، وهي حتى الآن الأكبر حجماً على الإطلاق في ما تمّ اكتشافه في بواطن أراضي البحار سواء من قبل الحوريات أو البشر أو حتى الجان، وهي تتكون من ثلاث طبقات متراكبة بعضها فوق بعض؛ طبقة خارجية قاسية وخشنة الملمس، وطبقة داخلية تسمى طبقة اللؤلؤية ملساء للغاية، وبينهما طبقة وسطى.
- يا لمعرفتك! أقصد يا لمعرفتها! .. أتساءل كيف تبدو؟ أتوق

لرؤيتها.

– الصدفة متحجرة من الخارج بشكل كامل وجزئياً في بعض أجزائها الداخلية جزاء تعرضها للدفن في باطن قاع أحد البحار منذ قديم الزمن، تتمكن الحوريات من فتحها وإغلاقها بواسطة آلة بسيطة الصنع تتكون من عدّة عجلات ذات محيط أجوف تلتف من حولها حبال مُعالجة أصلها عشبيّ.

– وكيف وصلت إليكم، أقصد إلى الحوريات؟

– عثرت عليها قديماً مجموعة من الجان مصادفةً، وقامت بإهدائها للحوريّة الأم لقاء نجاحها بقتلها لسيد الأوركا الأول.

– يا لها من هدية!

– وبعد أن اتمّ الجان بناء مدينة آينجه ارتأت للحوريّة الأم فكرة نقلها إليها لكونها رمزاً قيماً بالنسبة للحوريات، فتم نقلها من مملكة آيف خلصةً إلى هنا، وفور اكتشاف الحوريات لاختفائها من مملكة آيف انتشرت الحكايا بالعشرات بين صفوفهنّ تكشف حقيقة سارقي الصدفة وتوضح كيفية سرقتها، وبالطبع كانت كلها عبارة عن هراء، ومع مرور الزمن تحولت لأسطورة قديمة تناقلتها الأجيال، وفوجئ بها من قدم من الحوريات إلى المدينة.

– يبدو أن فيها سرّاً، ما سرّها؟

– قد تستغرب من حكايتها.

– أكثر مما أنا عليه؟ لا أظن ذلك!

– حتى بعد نقل الصدفة بفترة طويلة لم يكن لها أية فائدة ترجى سوى كونها مجرد شكل جميل ونادر ومرتبطة بذكرى للانتصار، وقيمتها عبارة عن قيمة معنوية وجمالية لا أكثر ولا أقل، وبقيت على حالها إلى أن خطر على بال القيّمة على قطاع تيدافي حينها تحويلها لصدفة علاجيّة، فقامت برصف أفضل الأعشاب التي

توصل إليها عالم الحوريات داخلها، ومن ثم طلبت من بعض الحوريات - ممن يستطعن - إلقاء تعاويذ سحرية خاصة تزيد من كفاءة قدرة النباتات العلاجية التي وُضعت في الصدفة، فباتت الصدفة حجرة مُعالجة ناجعة للغاية، لذا أطلق عليها اسم الصدفة العجيبة.

لم يتمكن نُوا من تمالك نفسه، شعر بصداع شديد يجتاح رأسه انهار به، أغمض عينيه وألقى كفيه عليهما وتراقص بوجهه، عمل الصداع بدوره على إعادة الألم الكامن أسفل عنقه إلى واجهة أحاسيسه فتضاعف لذلك أثر انهاره.

وجد نُوا في حوارهِ مع ذاك القط دوامة حكايات مترابطة لا تنتهي، جلبت إلى عقله العديد من الاستفسارات والتساؤلات والنقاط المبهمة، (أعلي الاستفسار عن تعامل الحوريات بالسحر؟ أم التساؤل عمّا حدث له حينما استفاق من الصدفة العجيبة؟ أم .. أم ..) قال نُوا في سرّه.

- ما الذي حلّ بك بعدما وضعتك الحورية الأم في الصدفة العجيبة التي تتحدث عنها؟ (نُوا، بجديّة).

- استيقظت بعد قرابة شهر قمري ووجدت نفسي في منزل الحورية هيف وبجانبي الصغيرة التي أنقذتها، عانيت من صداعٍ شديدٍ لفترة طويلة وزال عني ببطء، ومع مرور الزمن بدأت تتضح لي ذكريات الحورية إيفان وبدأت أتشرب من ذكرياتها وعلومها ومعرفتها وتمكنت من النطق.

- يا لإيفان المسكينة! دفعت ثمنًا باهظًا جراء تقديمها المساعدة للبشر.

وهنا مع إعادة ذكر اسم الحورية إيفان عادت حكايتها إلى سطح تساؤلات نُوا وعادت معها كل تساؤلاته القديمة والجديدة، وجد نفسه من جديد أمام مفترق طرق لحكائين، حكاية كيدي في مدينة آينجه

وحكاية الحوريّة إيفان.

وما لبث أن بدأ بالتفكير بما سيؤول إليه اختياره ليستعلم عنه حتى ظهرت الحوريّة نايا من بعيد. كانت تقف بالمقربة من إحدى بوابات بيت البلجيك تلوّح بيدها وتنادي بأعلى صوتها:
- كِدي .. نُوا .. كِدي .. نُوا..

كانت تهدف للفت انتباههما، وأثناء ذلك أخذت تقترب. نهض نُوا لدى اقترابها مستقبلاً إياها بمشاعر مختلطة ما بين لومها على تأخرها لكل ذلك الوقت من جهة، وامتعاضاً من قدمها المبكر «جداً» قبيل إتمام كِدي لحكايته من جهة أخرى.

ابتسمت الحوريّة برقةً وبادرت بقولها:

- اعذراني على تأخري.

ثم أضافت موجهةً الحديث لِنُوا:

- لم أتمكن من التجول معك في المدينة، ولم أستطع أن أريك بيت البلجيك كما يستحق أن يُرى.

في الواقع لم يابه نُوا لما اعتذرت الحوريّة عنه فباله كان في أشد الانشغال مع حكايا كِدي. تابعت الحوريّة موجهةً الحديث له وللقط:

- دعونا نذهب الآن إلى منزلنا لننال قسطاً من الراحة، أعتقد أن

اليوم كان مرهقاً لكما، وأنا كما تريانني منهكة تماماً. كما أن

الغد سيكون حاسماً.

قال نُوا في سرّه: (كم هي جميلة كلمة «منزلنا»، لم أسمعها منذ

فترة طويلة .. لم أسمعها منذ يوم الحريق .. ثم لماذا أتينا إلى هنا أصلاً!)

وأضاف مخاطباً إياها:

- ما بال الغد؟

- كنت ستسأل بالتأكيد، دعنا نطلق الآن وسأخبرك في المنزل.

عمّ المدينة صوت مرتفع كقباع خنزير بريّ هائج، ارتاب نُوا

فور سماعه للصوت وتسمّر في مكانه، وما أن تكرر الصوت ثلاث

مرات متتالية فصل ما بينها القليل من الوقت حتى اختفت إنارة سماء المدينة بشكل كامل تاركةً المجال للظلام الدامس ليحتل كل أرجائها، ما استدعى من الحوريّة نايا أن تهبّ على الفور لمساندة نُوا في هذا الموقف الذي يشهده للمرة الأولى فقالت:

– نُوا، لا تقلق، إنه ليل مدينتنا.

وما أن مرّت لحظات معدودة حتى أُثير تاج الحوريّة نايا بشكل تدريجيّ بنور أبيض متوهج فتبيّن مكان كل منهما للآخر. في واقع الأمر كان النور المنبعث من تاجها غير كافٍ سوى ليتبيّن للناظر من خلال نور التاج مجرد بضعة أمتار من حوله، اقتربت الحوريّة من صديقها وأمسكت بيده وقالت:

– نُوا افقز بأقصى ما تستطيع عندما أطلب منك ذلك.

– كيدي .. هلمّ بنا. (الحوريّة، أضافت بعد برهة).

ركضت الحوريّة ممسكةً بيد نُوا وركض متفاجئاً خلفها على غير هدى يتبعها بمقدار خطوة، وبعد لحظات صرخت:

– الآن ..

قفزت الحوريّة وقفز نُوا من خلفها بأقصى ما استطاع ولحق بهما القط بوثة افتراسيّة فنّدت كل ما يشكك الأخوة ما بين الأسود والقطط، وهكذا حلق ثلاثهم تحليقاً غير قانوني في سماء المدينة في درب عودتهم إلى مسكنهم تبعاً لاستشعار الحوريّة للطريق. أخذت الحوريّة تدربّ الوافد الجديد إلى المدينة على كيفية السباحة في سمائها؛ مرّته على طريقة تحريك جذعه بانسيابية وأسلوب التجذيف الأنجع بيديه. ووضحت له أساليب تغيير الاتجاهات بتوانٍ عند الرغبة وبشكل مفاجئ عند الحاجة، وبيّنت له آلية الرجوع للخلف بأقصى سرعة عندما يضطر لذلك.

كانت تبذل من صميم قلبها وبشغف عظيم من أجل صديقها البشري، بينما أخذ منظر المدينة "المنيرة المُعتمة" بلُبه قسراً عنه، لم

بيالٍ لها ولا بما تفعله ولا حتى بما تتحدث معه بشأنه، لم يبالِ سوى بما ظهر له من حلقات ضوئية عملاقة ملأت المدينة بحيث تحتوي كل منها الأخرى، إذ تحولت حلقات بيوت الحوريات إلى حلقات ضوئية فاتنة، أما قبة المدينة فظهرت على شكل سداسيات مضيئة إضاءة خافت للغاية، أسرة بحق.

كما فتنُوا منظر المنارات الأربع المُنارة، وهو منظر فاتن بالفعل، أحبُّ نُوا فكرة إنارتها بحلقات ضوئية مُوزعة حسب ارتفاعها بدءاً بدائرة اتحادها بالأرض حتى أبعد نقاط قممها، وسحرتة الإنارة النابضة لحدود ميدان جاساريت خصوصاً الكثيفة منها ناحية يناييع الهواء حيث تستريح السلاحف. وكان الأجمل من كل ذلك ومضات النور التي رآها تومض عبر دعامات سماء المدينة، بدت كسيالات ضوئية هيئتها على غرار ما تسميه العلوم البشريّة بالسيالات العصبية.

تنبّهت الحوريّة نايا إلى قطّها الذي تقصّد الحفاظ على تقفي أثر جسمها أثناء سباحتها ليسبح من خلاله، (كم أحبك!) قالت الحوريّة في سرّها، وأحسّت كذلك الأمر بشرود ذهن صديقها البشري، (لا بأس فالمكان يستحق إمعان النظر فيه) أضافت الحوريّة في سرّها.

واستمروا على هذه الحال طوال طريق عودتهم؛ هي في تدريب صديقها بضميرٍ يقظ على السباحة، وهو على شرود ذهنه وذهوله بالمكان الساحر، والقط على تقفي أثر جسم الحوريّة. وكم تخلل ذلك قيام الحوريّة بمداعبة قطها بين الفينة والأخرى بلوحات رسمتها بجسمها المُحلّق سباحةً في سماء المدينة.

اتجهوا باتجاه الجنوب - الجنوب حسب تخيل نُوا الخارطة المكان - واقتربوا من إحدى الحلقات الضوئية العملاقة، بالتحديد من إحدى الخلايا المضيئة، بات يفصل بينهم وبين مدى جاذبية الحصى الأملس مجرد مسافة قليلة، اعتقد نُوا أنهم وصلوا المنزل، وهذا حقاً ما قد حدث ولكن ليس تماماً كما اعتقد، فسحب يده من يد الحوريّة

وبالغ قليلاً في إقدامه، وما أن قالت له الحورية بقلق: (نُوا .. انتبه!) حتى سمعت والقط صوت ارتطام مؤلم بالحصى، فاستتجت ما حدث! هبطت الحورية نايا بسلام وكذلك فعل كدي بجانب جسد نُوا المكموم أرضاً وانحنت نحوه فأضاء تاجها بالتدريج وجهه المتألم وقالت: - ما بك! لقد قمت بتحذيرك من قبل من الهبوط المتسرع على حصى المدينة! أنسيت ذلك! أتمنى أن تكون إصابتك طفيفة. ولحظتها تنبّهت الحورية لقطها الذي وجدته في قمة السعادة لسبب ما جهلته، حافظ نُوا على صمته وتمالك نفسه على مهل ثم نهض بمساعدة الحورية ودخلا رفقة القط إلى المنزل، وما أن أجلسه على أحد المقاعد حتى ضحك بشدة أضحك بها الحورية معه وامتعض بسببها القط.

وبعد انقضاء برهة من الزمن توقف عن الضحك، وكذلك فعلت جليسته، ثم تنهّد مطولاً - شكلياً - بعمق، ساد الصمت قليلاً ثم سألها: - أخبريني، ما الذي حدث معك في بيت البلجيك؟ شعرت بوضوح باضطراب المكان!

قفز القط على أحد المقاعد ضمن صف المقاعد الموجودة قبالة نُوا وقال معترضاً بنفور:

- بل أخبرينا!
- عذراً منك أيها القط! إنه اليوم الأول الذي أحظى فيه بمحادثة مع أحد أفراد بني القطط، ثم إنني لم أتوقع منك جهل أي شيء! (نُوا، باستهزاء).

تنقلت الحورية بعينها ما بين الاثنين ثم قالت:
- يبدو أنكما تحادثتما كثيراً في غيابي.
- كم أنت محظوظة بمثل هذا القط! (نُوا، باستهزاء مرةً أخرى).
- بل كم هي محظوظة بصديقها الأبله هذا! (كدي، بصوت منخفض).

نهضت الحوريّة وأخذت تتجول في أرجاء الغرفة واضعةً سبابتها اليسرى على طرف شفتها السفلى بينما أمسكت مرفق ذات اليد بقبضة يدها اليمنى. ثم نظرت لُنوا وقالت:

- سنقتل سيد الأوركا.

تفاجأ كلٌّ من نُوا وكدي مما قالته الحوريّة - كِدي بشكل أكبر بكل تأكيد - ما استدعى منها أن تقوم بتوضيح ما أعلنته لتوها بسرعة فقالت:

- قررت الحوريّة الأم بمشورة من القيّمات على مراكز تدريب الحوريّات قتل سيد الأوركا، وانفقن على تشكيل سرّيّة خاصة لتقوم بهذه المهمة على أن يكون هجومها مُباغتًا لا مُباشراً، وستكون السّرّيّة مكونة فقط من اثنتي عشرة حوريّة، وستقوم كل قيمة من القيّمات على اختيار ثلاث من أفضل الحوريّات اللاتي يجدنهنّ الأجر للمشاركة فيها، بينما عهدت الحوريّة الأم لي بأن أختار حوريتيّن أكون أنا ثالثتهما.

- ولكنها مهمة خطيرة للغاية! كيف للحوريّة الأم بأن تقترحها؟ (كِدي).

- لا تقلق، باتت فأس الأولدوروجو بحوزتنا الآن، كما أننا سنهاجمهم في عقر دارهم هذه المرة على غير ما اعتادوا، ومن قاع البحر لا من سطحه، وعلينا نحن معشر الحوريّات البدء بالتخطيط والعمل على العودة لحياتنا الطبيعية في ممالكنا الخمس المهجورة، يكفيننا ما قد فقدناه من لآلئ الحياة لصالح الجان، وقتل سيد الأوركا يعد الخطوة الأولى في سبيل تحقيقنا لذلك.

- ولكن طريق الخروج من المدينة من الأسفل خطر للغاية! (كِدي).

- نعلم ذلك، ولكننا لا نملك خيارًا آخر، فكما تعلم تستطيع

- الحيثان القاتلة تحديد أماكن نوافير المياه التي نخرج من خلالها بسهولة، ولا يستغرق أمر مهاجمتهم لنا - إن رغبوا بذلك - الكثير من الوقت، فكيف إن كانت النوافير بالقرب من مقر إقامة سيد الأوركا بحد ذاته؟ (نايا).
- ولم اختارتك أنتِ لمهمة اختيار حوريتين إضافيتين؟ (نُوا، متسائلاً).
- قد يكون لأنني ابنة آخر حاملات فأس الأولدوروجو. (نايا، بفخر).
- من ستختارين معك؟ (نُوا، ببرود أعصاب).
- (لم يسأل عن آخر حاملات الفأس! ولا حتى عن الفأس نفسها!)
قالت الحورية في سرّها ثم أجابته محتارة:
- لا أدري.
- سأرافقك بكل الأحوال. (كّدي، ثم اضطجع وأغلق عينيه مطالباً نفسه الإبحار في النوم).
- لم لا تختارين الحورية آيلا؟ (نُوا، متسائلاً مرة أخرى).
- لا داعي لذلك، بالتأكيد ستختارها قيمة قطاع سافاز، للمعلومة تعد آيلا أقوى الحوريات في زماننا الحاضر. حسناً لا بأس، لا تشغل نفسك بهذا الأمر، سنرى ما سيؤول له الغد، فلننم الآن، تصبح على خير.
- وأعطته ظهرها وتوجهت صوب أحد النفقين. نادى نُوا:
- انتظري، لم تخبريني بما سيحصل غداً؟
- سيتم غداً الإعلان عن السرية أمام الحوريات، وسيتم تحديد أسماء المشاركات فيها.
- دخلت الحورية أحد النفقين الموصولين للغرفة الداخلية ونزلت الدرجات السبع، وما أن استقرت على سريرها حتى نادى باسمه:
- كّدي هيا .. تعال إلي جانبي.

فهم نُسوا من ذلك أن عليه النوم وحيداً في الغرفة الخارجية، في الواقع كان ما فهمه هو ما تمناه، فألقى بجسده على صف المقاعد الذي جلس عليه بادئ الأمر عندما حدثت الحوريّة للمرة الأولى وأغمض عينيه، وما أن مرّت لحظات صامتة على الجميع حتى كسرهما صوتٌ ما أجفل نُسوا وأصابه بالهلع، كان القط قد قفز من مقعده على الحصى وانتقل بخيلاء إلى السرير بجانب الحوريّة.

طوت الساعات التي أعقبت الحوار الدائر في الحجرة التي يحاول صديقنا النوم فيها عدّة محاولات نوم فاشلة له، تقلّب أثنائها يميناً ويساراً عشرات المرات دون جدوى، تيقّن مع مرور الوقت من أن النوم سيجافي عينيه طوال تلك الليلة، تمنى لو يتمكن من الصراخ، لا خوفاً من شيء ولكن لمجرد رغبته بذلك.

– أراك لا تزال مستيقظاً.

– كدي! ما الذي أيقظك؟

– لا شيء، لم أنم.

– من أجل موضوع السريّة؟ أنت قلق إلى هذا الحد!

– إنها خطيرة للغاية، فكل ما في ذكريات الحوريّة إيفان عن الخروج من بوابات المدينة شديد الخطورة، وبالإضافة لذلك إن مواجهة سيد الأوركا خطيرة أيضاً، لا أود الحديث عن هذا الأمر الآن لعلّي أتناساه، حتى ولو للصباح.

– ذكريات الحوريّة إيفان! تبدو حوريّة عظيمة بحق.

– سأجيبك قبل أن تسألني، أنت تتساءل في نفسك عن الحوريّة إيفان منذ سماعك باسمها أول مرة أليس كذلك؟ باتت تساؤلاتك متوقعة بالنسبة إليّ.

– اكتفى نُسوا بالتبسّم. فهم القط فتابع:

– كانت إيفان حوريّة جميلة القلب والقالب، عُرفت بديمومة ابتسامتها، وامتازت بطول شعرها البنيّ الغامق وبوفرة صحته،

كانت فارعة الطول ورشيقة الجسم، اشتهرت في كل أرجاء المدينة بحبها لتقديم المساعدة للحوريات وكل الكائنات، كانت تبذل من أجل الجميع طوال الوقت. وبالإضافة لكل ذلك عُرفت بكونها مغامرة جريئة ومقاتلة بارعة ما دفع قِيَمَةَ قطاع سافاز - وقتها - على اختيارها لتكون مُعاوَنَةً لها.

توقف ذيل القط عن الحراك واستسلم للخمول بينما تابع كلامه:

- تزوجت الحوريّة إيفان من رجل يدعى جو كهان، كانت قد تعرفت إليه بعدما أنقذته من لص حاول إغراقه في البحر بهدف سرقة يخته، إذ كان جو كهان باذخ الثراء وبالإضافة لثرائه كان وسيماً ويحظى بحياة كريمة في مجتمعه، ولكنه اختار التضحية بكل شيء من أجل العيش مع مُنقذته فانتقل معها إلى مدينة آينجه، أظنه أحبها على الفور، «من أول نظرة» كما تقولون.

- تقول إنه اختار التضحية! كيف له أن يتمكّن من اختيار الحياة التي يريدها؟ ها أنا أمامك وجدت نفسي في مدينة آينجه دون سابق إنذار، لم يأخذ رأيي أحد ولا أظن أن هناك من سيرغب في ذلك يوماً ما!

- الحوريّة إيفان ليست كابنتها، للحوريّة إيفان شخصية مختلفة عن الجميع، إنها الأفضل، وحدها إيفان من كانت لتضحى بقشرة لؤلؤتها من أجل تخيير رجل بالزواج منها من عدمه. وكما هو متوقع تزوجا، وبعد مرور أقل من عام واحد على زواجهما وبينما كانا هي وزوجها يساعدان مجموعة من الفقمت وأسود البحر وجداها عالقة في شباك صيد بني البشر فقدته.

لاحظ القط علامات الصدمة على محيا نُسوا عقب لفظه لكلمة

"فقدته" فتجاهل أمره واستغل الموقف وقال مهاجماً بني البشر:

- يا لها من مفارقة تستحق الذكر! طرف لا يأبه لشيء سوى إنقاذ مخلوقات مسكينة بريئة لا حول لها ولا قوة، وطرف في مقابله

- لا يأبه لشيء سوى للحصول على جثامينها لاستخلاص الزيوت من لحومها وشحومها ولا استخدام فروها في تصنيع الأزياء التافهة والأحذية السخيفة.
- تلاشى! أقصد جوكهان؟ (نُوا).
- بالطبع لا، تدفن جثامين رجال الحوريات في قيعان البحار أو المحيطات ولا يتلاشون، يدفنون تمامًا كما تفعلون أنتم البشر.
- إذاً من الممكن أن يجد البشر قشور لآلئ حياة الحوريات أليس كذلك؟
- لا، تلاشى قشرة لؤلؤة الحورية فور وفاة صاحب العنق المنغرس فيها.
- استجمع كيدي نفسه للحظات ثم أكمل حديثه قائلاً:
- وما أن حررا جميع الكائنات العالقة في الشباك حتى ظهر لهما ثلاثة حيتان من الأوركا، وكالعادة كان ظهورها مفاجئاً، كان أحدها سيد الأوركا بنفسه والاثنتان الآخريان من أعوانه، إنه هو ذاته سيد الأوركا الآن وهو ما أتخيل أنني شاهدته يوم لقائي بالحورية إيفان. وما أن ظهرت الحيتان الثلاثة حتى صرخت الحورية إيفان بالكائنات المُحرّرة امرأةً إياها بالهرب من تلك المنطقة بأسرع ما أمكنها وبالكاد تمكنت من ذلك.
- وماذا بعد؟
- علمت الحورية إيفان باستحالة نجاتها وزوجها ولكنها لم تياس، حاولا الفرار من المواجهة، ومن لا يفرّ من أمام ذاك المتغطرس السفّاح؟ إلا أنهما لم يتمكنوا من ذلك. اشترك خمستهم بقتال شرس أدى في البداية لمقتل الباسل جوكهان، وهو ما دفع بالحورية إيفان للقتال بأعظم ما لديها من شجاعة، فدائماً ما تكون الشجاعة السلاح الأنجع عند اللزوم.
- استماتت الحورية بقتالها وتمكنت في بادئ الأمر من أحد مرافقي

سيد الأوركا فقتلته، ومن ثم تمكنت من قطع طرف زعنفة سيد الأوركا الظهرية فانتشرت دماؤه فوقه كسحابة ملاصقة، وما أن شاهد الحوت الثالث تلك السحابة حتى فرَّ هارباً خوفاً من إصابته بالأذى، وهكذا وجد سيد الأوركا نفسه وحيداً أمام مقاتلة عظيمة، فقرر الانسحاب دون تردد لقلقه من مدى إصابته، وردّد مع انسحابه بضع عبارات توعد بلهاء، ومن بعده انسحبت الحوريّة إيفان، وعادت إلى المدينة سالمة .. ولكن وحيدة!

- يا لها من شجاعة!

- بالطبع، إن إصابة سيد الأوركا ليست بالأمر الهين. ونظراً

لشجاعتهما تم تسليمها فأس الأولدوروجو الأسطورية، وكان ذلك في حفل خاص شهده جميع سكان آينجه سوى الفقيد زوجها. وهكذا عُرفت فيما بعد بحاملة الأولدوروجو. وأجمل ما في ذلك أنها تمكنت من تلك الحيتان القاتلة بالرغم من كونها حبلى بالحوريّة نايا، ولم تكن تعرف الحوريّة بحقيقة حملها إلا بعد مرور ثلاثة أيام على تلك المعركة، وكم فرحت لذلك! وفي هذه الأثناء أطلت الحوريّة نايا برأسها من بوابة النفق الذي

يوصل بين الغرفتين وقالت:

- يبدو أن النوم يجافينا جميعاً.

فاجأهما وجودها غير المتوقع وظهر ذلك على ملامح وجه نُوا

بوضوح بينما بدت ملامح القط باردة كعادته.

أضافت قائلة:

- هل فاتني الكثير من حديثكما؟

- لا شيء يذكر إنه كِدي، ما فتى يثرثر منذ الصباح.

- يا لك من محتال! (كِدي، بصوت منخفض).

- ما الذي يمنعك من النوم؟ (نُوا، مخاطباً الحوريّة).

- الغد! كما أنني ما زلت محتارة بخصوص الحوريتين اللتين

سأطلب منهما مرافقتي والسريّة، آه كم أتوق للشّار من قاتل

- أبي وأمي والكثيرات من الحوريات وأزواجهنّ والعديد من الكائنات البحرية الوديعه.
- فتح القط عينيه بسرعة كسرعة فكيّ مفترس يطبقان على فريسة، قلّقاً من أن يتهور نُوا بإفشاء أية كلمة وقال:
- سأساعدك وأختار عنك واحدة.. أما الثانية فعليك أنت اختيارها.
- من هي؟ (نايا، بفضول).
- بيرين .. الجميلة بيرين (كدي، بعد برهة من الزمن).
- وما أن فرغ القط من نطق أحرف اسم الحورية حتى أخذ نُوا بالضحك من أعماق قلبه، فزورته الحورية نايا بحدةٍ لم تجلب معها أية نتيجة فانتظرتة حتى توقف بملئِ إرادته ثم قالت:
- هل أنتهيت من ضحكك؟
- ألم تسمعي ما قاله هذا القط الهرم؟
- بل سمعته!
- ألم تجديه مضحكاً؟ (نُوا، بقلق).
- لا!
- صمت الجميع إلى أن تابعت الحورية نايا قائلة:
- نُوا هل لي أن أسألك سؤالاً؟
- بالطبع. (نُوا، قلّقاً بعض الشيء مما ستقوله الحورية).
- هل لديك أدنى فكرة عن الحورية بيرين؟
- هنا شعر نُوا بأنه اقترب خطأً جسيماً فاستمر على صمته، (يا ليتني صممت من قبل) قال نُوا في سرّه. كان صمته بالنسبة إليه إجابةً كافية تتضمن الاعتذار عمّا بدر منه لتوّه، تماماً كما يفعل معظم البشر، يُقدّمون في الصمت ما ينوب عمّا في داخلهم من مشاعر الندم والأسف.
- تابعت الحورية قائلة وقد امتعضت وظهر ذلك على محياها بوضوح:
- ولدنا أنا وبيرين والتوأم الوحيد في المدينة - وقتها - «آيلا وأيسلا» في ذات اليوم، هنّ في باكورة الصباح وأنا منفردة في

مساءه، بالتحديد في آخره، وهذا بالتأكيد ما جعلني أظهار دائماً بتمييزي عنهن، وكنّ يرحبنّ بذلك من باب المحبة. كنّا نجتمع يوميًا في صغرنا ونقضي الكثير من أوقاتنا معًا، بإمكانك القول بأننا ترعرعنا سويًا، كنّا روحًا واحدة مُبعثرة ما بين أربعة أجسام صغيرة، كنّا رباعيًا مرحًا للغاية تموت بركة الوقت أثناء تواجدها معًا، ويُعوّض بركته ويزيد عليها أثناء افتراقاتنا المؤقتة. تابعت الحوريّة بينما بدأ نُسوا على أشدّ التيقّظ والقط في سبات

عميق:

- وبقينا على حالنا معًا حتى دخولنا مراكز تدريب صغار الحوريّات، فهناك شاءت الظروف انفصالنا كمجموعة لتتحدّ ثنائيًا، فباتت بيرين وآيسلا معًا كوحدة واحدة، وأنا وآيلا معًا بحالة مشابهة لحالتهما.
- ولكنها، أقصد الحوريّة بيرين، لم تُبدِ الكثير عندما شهدت تلاشي الحوريّة آيسلا أمام عينيها! (نُسوا، متسائلًا).
- أعتقد أن كيدي اختارها لهذا السبب!
- تقصدين أنه يود إعطاء بيرين الفرصة الملائمة لتتأثر لصديقتها؟
- يا له من عبقرٍ. (كدي، بصوت منخفض وهو يتظاهر بالنوم).
- نعم إنه كذلك. (نايا، وهي تلتفت صوب القط لتتأكد من مصدر الصوت المنخفض الذي سمعته).
- ولكن أعتقدين أنها قادرة على ذلك؟ (نُسوا).
- بالتأكيد ولم لا، أتمنى ألا يغرك الموقف الذي شهدته معها، فمنذ بداية انضمامنا لمراكز تدريب صغار الحوريّات وهي تعدّ الأذكى والأقوى من بين جميع صغار الحوريّات على الإطلاق، كانت، هي وآيلا بدرجة أقل، الأفضل دائماً في كل شيء، كانتا تحلقان وحدهما في القمة بلا أيّة منافسة تُذكر.
- أيعقل هذا! (نُسوا).

- كانتا الأفضل لدرجة كافية ليُنظر إليهما من قبل كبار الحوريّات على أنهما الصورة المشرقة لمستقبل المدينة، وليس فقط لمستقبل المدينة بل ومستقبل الممالك المهجورة أيضًا (من يدري ما يخبيء لنا الغد) على حسب قولهم.
تابعت بحرقه:

- لقد شكلتا معًا نموذجين رائعين منذ سنتهما الثانية في مراكز تدريب الحوريّات حتى آخر أيامهما فيها، ابتكرتا الكثير في علوم الزراعة والعناية بالشعر والقتال وملابسه، وساهمتا في الكثير من المعارك مع الحيتان القاتلة بالرغم من صغر سنّهما.
- ثم!

- وفي يومنا الأخير في مراكز التدريب - في اليوم الذي تتخرّج فيه دفعة جديدة من صغار الحوريّات من مراكز تدريبها - أقيم احتفال آينجه الكبير وهو احتفال مهيب يُقام مرة واحدة سنويًا في ميدان جاساريت، يشهده جميع سكان المدينة. أقيم الاحتفال في اليوم الذي كان من المفترض أن يكون أجمل أيام مدينتنا، على الأقل من وجهة نظرنا نحن الخريجات.
- ثم! (نُوا، بتوتّر).

- تمهل، يا لك من عجول! .. تجمهر سكان المدينة في الميدان بانتظار بدء الفعاليات الرسمية للاحتفال، وحين كانت الحوريّة الأم - التي تلاشت بعد قرابة العام من ذلك اليوم - تعد نفسها للخروج على الحشود المنتظرة باغتها ثلاث حوريّات من مجموعة عُرفت لاحقًا باسم مجموعة المنبذات ومنعنها من الخروج من حجرتها، وللمعلومة حجرتها في بيت البلجيك، وهاجمتها بهدف التسبب في تلاشيها ما أدى لنشوب معركة شرسة بينهما.

وبينما أخذت الحوريّة تتابع سردها لحكايتها قال نُوا في سره:

(يبدو أنني قد جننت فعلاً).

- لم تتوقع المهاجمات الثلاث كون الحوريّة الأم ما تزال تمتلك من القوة ما تمتلكه فطالت المعركة عليهنّ أكثر مما توقعنّ وهذا ما لم يكن في حسابان أيّ منهن، ولهذه المعركة تأخرت الملكة عن الظهور للحشود ما استدعى من القائمين على الحفل إرسال مجموعة من الخريجات للبحث عنها، ومع مرور كل دقيقة على تأخرها تضاعفت مخاوف الجميع حرصاً على سلامة قائدهم. ومن حسن حظ الحوريّة الأم أن أول من عثرت عليها كانت الحوريّة بيرين - وهو ذاته ما يعد من سوء حظ الخريجة - إذ هاجمت الحوريّة الصغيرة الحوريّات الثلاث معاً واشتبكت معهنّ في قتال شرس استطاعت أن تنهيه في أقل من ثلاث دقائق أسفر عن تلاشي اثنتين من المهاجمات وسقوط الأخيرة منهنّ منكسرةً مستسلمة، فعانقتها الحوريّة الأم عناقاً طويلاً أعطى الحوريّة المستسلمة الفرصة الملائمة لإلقاء سُم مسحور كان بحوزتها على الحوريّة الأم آملّةً بتلاشيها، إلا أنها أخطأت هدفها وأصابت الحوريّة بيرين إصابة نصف موفقة بدلاً عنها.
- يا لها من حادثة أليمة يزيد من ألمها حدوثها في يوم فرح! (نُوا).

تابعت الحوريّة حكايتها قائلة:

- كادت الحوريّة بيرين تتلاشى جزاء ما أصاب شعرها، إلا أن قيّمة قطاع تيدافي عملت المستحيل في سبيل علاجها، وقامت بعد ذلك بوضعها في الصدفّة العجيبة، وطال نومها فيها إلى أن استيقظت بعد قرابة ثلاثة أشهر. وما وزنها الزائد الذي تراه الآن إلا الكلفة الباهظة التي دفعتها في سبيل تمكّنها من النجاة، وما أظن ضحكها المبالغ فيه إلا من أجل التفريغ عمّا أصابها من حالة نفسية سيئة ترافقها من ذلك اليوم حتى يومنا هذا.

- يا للمسكينة بيرين!
- ألم تكتفِ بعد من أسئلتك؟ (كدي، موجهًا السؤال لُنوا).
- في الواقع .. كلا، وأنت أملتت الإجابة أو الاستماع إليها؟
- في الواقع بلى، وأنت أملتت من أسئلته؟ (كدي، موجهًا السؤال للحرورية).
- في الواقع كلا، سأجيب نُوا عما يريد بكل سرور. (نايا، مبتسمة).
- شكرًا لك، لقد أخرجتيني. (نُوا).
- لا عليك.
- هل لك أن تقصّي عليّ قصة الساحرات؟ (نُوا، خجلاً).
- تدّعي أنها أخرجتك وفي المقابل تتابع تساؤلاتك؟ ترى كيف سيكون حالك إن لم تُخرجك! (كدي، بصوت منخفض).
- سمعت الحرورية ما قاله قطها بنقاء رغم محاولته الفاشلة لخفض صوته، ثم تناقلت بعينها ما بينه وبين صديقها البشري ثم قالت:
- عليكما أن تكونا صديقين، سواء أشتتما ذلك أم أبيتما.
- لاحظت الحرورية عدم مبالاة أي منهما بما قالته، ابتسمت، (سيعتادان أحدهما على الآخر، سيتكفل الوقت بذلك) حدّث بذلك نفسها ثم وجهت الكلام لُنوا قائلة:
- سأقصها عليك لاحقًا، علينا الآن معاودة الكزة بمحاولة النوم، تصبحان على خير.
- انسحبت الحرورية إلى غرفة نومها واستلقت على ظهرها وسط سريرها وأخذت تنظر إلى سقف الغرفة، ولحقها كدي وقفز واستقر على زاوية سريرها ملتفتًا حول نفسه، أما نُوا فتقلّب يمينًا ويسرةً على صف المقاعد إلى أن نال منه التعب.
- وبعد مرور أقل من ساعة واحدة أطلّت الحرورية برأسها على نُوا وقالت له هادفةً لإفزاعه:

- استيقظ .. نسيت إخبارك.
- ماذا هنالك أيضاً! (نُسا، فزعاً).
- غداً ستقابلك لجنة من الحوريات.
- ماذا! ولكن ..
- دعني أكمل! ستتعرف إليك وتستمع لك، وستحدثها عن نفسك وعن حياتك السابقة، إنه مجرد إجراء روتيني.
- ولكن ..
- لا تقلق، ستقابل اللجنة في الصباح الباكر، ولاحقاً ستجتمع الحوريات بخصوص سرية قتل سيد الأوركا، عمت بخير.
- وهكذا ببساطة عادت إلى غرفتها مرتاحة الضمير بعدما تركت وراءها لُنسا ما تركت.

نُوال واللجنة

كانت تلك الليلة التي سبقت يوم لقاء نُوال باللجنة رائعة نسيًا، رائعة لكل من الحوريّة نايا ولقطها العزيز اللذين قضياها معًا وهما مستغرقان في نوم هانئ على فراشهما الوثير. وبينما كانا كذلك كان نُوال على مقربة منهما في الحجرة المجاورة يعاني من أرق شديد أرقه لا شيء سوى للقاء المرتقب باللجنة المقرر في صبيحة يومه التالي. المفارقة تكمن في أن نُوال عانى من أرقه رغم كونه على بينة مسبقة من أن لقاءه القادم مع اللجنة عبارة عن مجرد لقاء روتيني بسيط يتم لتتعرف قادة الحوريّات عليه فيتعرّفن إلى شخصيته ويحددن مهاراته ويستعلمن عن قدراته وإذا ما كان لديه قابلية للتطوير من نفسه أم لا، وذلك لتوكل له مهام ثلاثمة فيخدم من خلال أدائها أحسن الأداء مدينة أينجه وقاطنيتها كمقابل لسكنه فيها.

في الواقع لم يكن الخوف المسبب لأرقه، ولم يكن التوتر، كان مسبب أرقه الوحيد هو ما ستفرضه عليه لجنة الحوريّات من الحديث عن نفسه وحياته - كما أخبرته الحوريّة نايا - وهو من رأى منذ صغره في هذا الأمر أكبر مخاوفه وأعظم تحديات حياته على الإطلاق، وما زاد سوء الأمر على نُوال أنه كجميع البشر لم يتوقع أنه سيواجه أكبر مخاوفه يومًا ما.

إن شخصية نُوال غريبة بعض الشيء فهو يكره أشد الكره فكرة الحديث عن حياته وعمّا فيها من أحداث أو حتى كمراحل، ويغض الكلام عن نفسه وعمّا فيها من أفراح وأتراح، كما يمقت تعبير المرء عن مكوناته الدفينة، وحتى السطحيّة منها. إنه يشمئز - لدرجة مبالغ

فيها - من فكرة عرض مشاعره أمام أحد، أي أحد، لما يرى في ذلك من ابتزاز لنظرات إعجاب الآخرين من جهة وتسولٍ لعاطفة التضامن من جهة أخرى، شبَّ على ذلك وحافظ على قناعاته ولم يغيّرهما.

عُرف عن نُـوا أنه لا يعبّر لا عن سعادة ولا عن فرح ولا عن شوق ولا عن ندم ولا عن أسف ولا حتى عن حزن ولا عن كره «إلا ما ندر»، حتى إنه على استعداد تام لإخفاء ألمه بصمت وأحياناً بالرغم من براءته مما يسببه له.

منذ صغره داوم نُـوا على الظهور بمظهر غير المبالي بالآخرين رغم أنه في داخله شديد الفضول، إنه منذ طفولته حتى قبيل غوصه القسري في الماء لم يسأل أحداً عن شيء ما! لا عن حالٍ ولا عن آمالٍ ولا عن أحلامٍ ولا حتى عن احتياجات، تظنه مُحبباً للوحدة رغم كونه في الواقع غير ذلك، كانت قناعته محصورة بأن «ما للعالم وشأني» رغم ما له بشأن العالم ولكن «عن بعد».

منذ صغره وبالرغم من عدم إخفاء أية أسرار عن أحد بدت حياته للجميع من حوله وكأنها سرّ غامض، ولا يعدّ ما بدر منه من صدٍ - إرادي أو لإرادي، لا فرق - لمحاولات نايًا بالتقرب منه عندما حاولت اعتراض حياته بموضوع زخرفته ليختها قبيل انتحارها إلا مثلاً للذكر لا للحصر على غموض حياته، واستمرت حياته على هيئتها الغامضة إلى أن واجه لجنة الحوريات.

وكما أن لكل بداية نهاية انقضت ليلة نوا البائسة وحلّ مكانها صباح يومه المرتقب، ومن الجدير بالذكر أن صباح مدينة آينجه يحل بطريقة مماثلة للطريقة التي يحل فيها ليها، أي بدويّ صوتٍ مرتفعٍ شبيه بصوت قباع خنزير بريّ هائج ثلاث مرات متتالية يفصل في ما بينها القليل من الوقت، ويعقبها على الفور انقلابٌ تام من الظلام الدامس الكئيب للنور الساطع المبهج.

في ذاك الصباح ظنّت حوريتنا أنها أول المستيقظين وأن الجميع

تأخروا في نومهم، فهضت عن سيرها بعجالة وتسببت من غير قصد منها بنهوضها العجول بإيقاظ قطها المتكور حول نفسه الذي بدا وقتها ككرة كبيرة تحولت لدى استيقاظها إلى شريط فروّ طويل وعريض. ثم اتجهت مباشرة للحجرة الثانية حيث نُوا، تاركَةً قطها يتمغظ في مكانه ببلادة وكسل، وصعدت درجات غرفتها السبع متقافزة بخفة وأطلت برأسها كنوع من استعجالها شوقاً لرؤيته، فوجدته مستلقياً على جنبه على الحصى وجزء من حذائه تحت رأسه ويعطيها ظهره. انتابها الاستغراب عندما بدت لها وضعيته وشعرت نوعاً ما بالقلق، ثم اقتربت منه بهدوء وثنت جذعها للأسفل ناحيته وكادت أن تلكزه بيدها إلا أنه سبقها وأدار جذعه باتجاهها فأجفلها بلا قصد، ابتسم بلؤم ثم قال والإرهاق بادٍ على وجهه:

— لم أنم حتى الآن! هل لك أن تتخيلي ذلك؟ مللت التقلب على المقاعد وآل بي المآل للاستلقاء على الحصى، وأجمل ما في الأمر أنني سُعدت بملمسه المنعش.

— انظر إلى نفسك! طُبعَت تضاريس الحصى على جزء من وجهك!

— لا بأس.

— لا بأس!

صمتت الحوريّة قليلاً ثم أضافت:

— هل أخافك صوت الإعلان عن صباح آينجه؟

— ليست المرة الأولى التي أسمعها فيها.

— حسناً.. كما تعلم إن اليوم هو يوم مقابلتك مع لجنة الحوريات، لذا علينا التوجّه إلى بيت البلجيليك باكراً فستلتقي بهم هناك، ولكن قبل ذلك علينا تناول أعشاب الإفطار.

تساءل نُوا في سره: (إفطار! .. كم أنا جائع حقاً! لم أتناول شيئاً منذ الأمس، لقد أنساني ما أمُرُّ فيه أمر الطعام برمته)، وفي تلك الأثناء ظهر كدي من خلف الحوريّة ووثب برشاقة على المنضدة الحجرية المستطيلة

التي تتوسط الغرفة وتناول من صدفة المحارة السوداء الموضوععة فوقها
مكعباً عشبيّاً صغيراً وأخذ يلتهمه، قالت الحورية في سرها والسعادة جليّة
على محياها: (ظهرت مع إتياننا على ذكر الطعام أليس كذلك؟ يا لك
من قط أكل!).

لفتت تحركات القط انتباه نُوا فتساءل مبدئياً تعجبه:

- كيف لهذا القط المتحذلق بأن يمضغ الأعشاب بلا أسنان
ملائمة!

نظر كدي صوب نُوا بازدراء وتابع بنهم تناول مكعبه العشبيّ
الذي التقطه ممعناً في تجاهله له، بينما تصدّت الحورية للأجابه على
سؤال صديقها نيابة عن قطها فتناولت مكعبين عشبيين من النوع غامق
اللون ووضعت أحدهما في راحة يد نُوا اليمنى والثاني بين إصبعيها
في وضعيّة الاستعداد لالتهامه وقالت:

- تدعى هذه المكعبات العشبيّة بالأوتلاش، ويعدّ الأوتلاش هذا
الغذاء الوحيد الذي تنتجه مدينة آينجه، وهو صالح لجميع
سكانها من الحوريّات وأزواجهنّ والكائنات البحريّة، ومن
اللذيذ أن تعلم أن نكهاتها تتباين باختلاف درجة خضرتها، ولا
يغرّنك تقارب ألوانها فإن تباين نكهاتها تباينٌ رحب للغاية، وأنا
شخصيّاً أفضل أعمقها .. هيا لا تخجل بإمكانك تناولها.
أضف كدي بصوت منخفض:

- ومن قال لك بأنه من الصنف البشري الذي يعرف الخجل؟
لم يردّ نُوا عليه؛ إمّا لأنه لم يسمع ما قاله وإمّا لأنه قرر التغاضي
عنه لما كان أهم «حينها» بالنسبة إليه. أمسك نُوا بالأوتلاشة إمساك
المشمئز مكتفياً بإبهامه وسبابته اليسريين، مُبعداً خنصره وبنصره ووسطى
يده قدر الإمكان عن المكعب العشبيّ الغامض، دون أن يعير أي اهتمام
لمشاعر الحورية الجميلة التي دعت له لتناوله - الغريب في الأمر أن نُوا
لم يكن بهذه الشخصية من قبل قط - ثم نقله من مستوى راحة يده إلى

مقربة من فمه، وتوقف به عدّة لحظات هناك أمام شفّتيه، ثم أغمض عينيه بإحكام وابتلعه كمن عقد العزم على ابتلاع نوع من السّم، أودعه في فمه دفعةً واحدةً وأتبع ذلك بإطباق فكّيه عليه.

لم ينتظر نُوا كثيرًا ليبيد ردة فعله جزاء تأثير الأوتلاشة عليه، لحظات أقل من قليلة أعقبها استنارة بريئة في عينيه كما يُثار البدر في أوجه، في دلالة واضحة عن الفرح، وابتسم ابتساماً من أعرض ما يكون، كانت أعرض ابتساماً ابتسمها نُوا أثناء مكوثه تحت سطح الماء - حتى تلك اللحظة - ولربما فوق سطحه أيضًا. وكيف له أن لا يبتسم وقد تناول أحد مكعبات الأوتلاش الذي ينهار في الفم فور ملامسته للسان متناولِه فيذوب أسرع مما اصطَلح عنه بأنه سريع، تمامًا كما تذوب بلورات الثلوج على السطوح الساخنة الملتهبة. لا .. إنه لا يذوب إنه يتفشى في الفم، إنه الأوتلاش الذي يبعث بنكهة فتانة رائعة لم يذق طعمها بشري من سكان ما فوق سطح الأرض.

وبعد انتهاء مشهد انبهار نُوا بالأوتلاشة تناولت الحوريّة عدّة قطع منها وكذلك فعل هو ولكن بنهم أكبر، تناولها بنهم رضيع يذوق للمرة الأولى حليب أمه، أما كدي فاكتفى بأوتلاشة واحدة ولم يزد عليها. ومع انتهائهم من تناولهم لطعامهم نهضت الحوريّة وأعلمت فرقتهما بحزم المُحب بأن عليهم التجهّز للانطلاق إلى بيت البلجيك ليخرجوا التأخر، قال نُوا متهمكماً:

- نتجهز! كان آخر علمي كبشري أنني أتجهز بغسلي لوجهي بالمياه وبتبديلي لثياب نومي .. ترى أنغسلون وجوهكم بالمياه وأنتم غارقون فيه؟

وقبيل أن تجيبه الحوريّة أضاف:

- ثم .. ألا تتواجد المراحيض في منازلكم؟

نهضت الحوريّة باستياء جزاء تهكمه وأجابته:

- لا، لا يوجد مراحيض في منازلنا ولا في كل أرجاء مدينتنا،

إننا نحن جنس الحوريّات نتخلص من فضلات أجسامنا عن طريق مسامات جلدنا. ولا تقلق فأنتم رجال آينجه تفعلون أيضًا، أقصد أنكم تتخلصون من فضلات أجسامكم كما نفعل. أما بخصوص التجهّز للانطلاق فلم أقصد سوى أن تقوم بانتعال حذائك فنطلق، وحدك أنت من يعيقنا عن البدء بالتحرك، فكما ترى ترتدي الحوريّات ثيابها المقاتلة على الدوام وتنام فيها، وكدي كعادته على أهبة الاستعداد.

انتعل نُوا حذاه على عُجالة لينزع عن كاهله وزر تأخير المجموعة، ثم انطلق ثلاثهم في طريقهم إلى بيت البلجيك، وفي هذه الأثناء لاحظ نُوا أن حبه للمدينة وإعجابه بها يتعاضمان مع مرور الوقت، وشعر أيضًا بأنه بدأ يعتاد عليها وعلى الحياة فيها، ولكنه في المقابل تعجّب من كونه لم يحنّ بعد للعودة إلى سطح الأرض! الأجل من كل ذلك أنه نسي معاناته في الليلة السابقة مع الأرق ومع نسيان أرقه نسي مسيبه.

قطعوا مسافةً ليست بطويلة سيرًا على أقدامهم إلى أن تقاطع دربهم بدرب ثلاث سلاحف متوسطة الحجم، تقدمت الحوريّة باتجاهها بعض الشيء واستوقفتها وطلبت منها نقلهم إلى بيت البلجيك، وكان يعتربها الخجل جزاء طلبها لمثل ذلك الطلب رغم كثرة ما تطلبه منها ورغم يقينها باستحالة رفض السلاحف لطلبًا كما لم ترفض لها من قبل، وهذا حقًا ما حدث فلم تمنع السلاحف من نقلهم وأبدت ثلاثها الموافقة على الفور. امتطت الحوريّة إحدى السلاحف ببطء ولكنها قبل ذلك التفتت صوب نُوا للتأكد من كونه ينظر إليها أثناء امتطائها للسلاحفة، وبالفعل وجدته يراقبها بحرص، كان كل أملها ألا يكرر تجربته الأولى مع السلاحف، أما نُوا فلم ينتظر كثيرًا بعدها فقام بتقليدها وامتطى إحدى السلاحفتين المتبقيتين بثقة وكفاءة وسرعة، ثم جاء دور كدي الذي قفز على كتف نُوا فارضًا نفسه عليه كضيف ثقيل، وأخبره بأن السلاحف

غير مستعدة لنقل أيّ من الحيوانات دون مرافقة الحوريّات له، ومتأخراً
خطر لُئسوا بأن كيدي المحتال «الحيوان» الوحيد الموجود في المدينة.
انطلقت السلاحف على الفور في دربها نحو بيت البلجيك حاملة
على أصدافها حمولتها الجديدة وكانت تتقدم الجميع السلحفاة الأخف
حملاً، التي لم يمتدّ ظهرها أحد، كانت السلاحف تسبح فوق أرضية
المدينة دون أن تلمسها بسرعة مثيرة، تماماً كطائرة تطير فوق مدرجها
قبيل هبوطها، ما منح لُئسوا شعوراً بانتعاش رائع جعل من تجوّل بصره
في المدينة متعة لا تقدر بثمن.

قطع لُئسوا على نفسه متعة تجواله في المدينة مستفسراً من الحوريّة:

– كيف استطعت النوم بمثل ملابسك هذه؟

صمت قليلاً ثم أضاف مبتسماً ابتساماً مصطنعة:

– أتمنى أن تعذريني .. في الواقع لم أعد أستطيع كبح جماح

فضولي، إنها صفةٌ دخيلةٌ عليّ، ظهرت عندي منذ استيقاظي

الغريب وأنا تحت سطح الماء!

كانت الحوريّة تنظر إليه مندهشةً من توقيت تساؤله – رغم منطقيته

كسؤال – بطريقة أشعرته عن غير قصد منها بالخجل. ابتسمت مستدركةً

ما سببته له وأجابته:

– صُمّمت ملابس الحوريّات بطريقة تجعلها تتحوّل عندما ننام

ونحن نرتديها لما يبدو كالشُرُنقة، وتعد الشُرُنقة هذه من أهم

الأسلحة التي توفرها لنا ملابسنا خصوصاً في حال نامت إحدانا

خارج مدينة آينجه، إذ تمتاز بدرجة قساوة بالغة لدرجة أنها

تحتاج لشبه معجزة ليتم اختراقها.

ابتسم لُئسوا بسبب إشباع إجابته لفضوله وانبرى لمتابعة تحرّكات

السلحفاة الانسيابية التي شكّلتها بسباحتها، وهي حركات مشابهة لحركات

الألعاب الأفعوانية التي أحبها عندما كان فوق سطح الأرض. الجميل في

الأمر أنه تابع تحركاتها دون الشعور بالخوف رغم خطورتها خصوصاً

لمن يجربها للمرة الأولى، إلى درجة أنه تمكن بشجاعة من الاسترخاء كمن يبيت الثية للنوم. ولم لا فقد تكون ظنونه - وإن كانت ضئيلة لحظتها - حول فكرة وجوده في منامه السبب في زيادة مستوى شجاعته.

في مدينة آينجه وعلى دروع سلاحها بالتحديد يمضي الوقت سريعاً، ونُوا كغيره لم يشعر على دروع السلاحف بمضي الوقت على الإطلاق، لذا فوجئ بتوقف السلحفاة وبإمساك الحورية بيده بينما حثه لسانها على النزول عن درعها، كان كمن أفاق من غفلته، (هل كنت أحلم؟) تساءل نُوا في سرّه، ثم نزل مختل التوازن قليلاً، ومع نزوله شكرت الحورية السلاحف التي انسحبت بدورها باتجاه ينابيع الهواء المحيطة بميدان جاساريت كما هي عاداتها.

أضافت الحورية:

- نُوا .. بعد قليل ستلتقي بلجنة الحوريات، ولمعلوماتك تتكون اللجنة من أربع حوريات؛ هنّ الحورية ليلاف وهي الحورية المسؤولة عن قطاع تيرم، والحورية هيفار الحورية المسؤولة عن قطاع تيدافي والحورية جيندا الحورية المسؤولة عن قطاع سافاز، وتترأسهم الحورية ديلماف المعروفة بالحورية الأم، وكما قلت لك من قبل إنه مجرد لقاء عادي لا أكثر ولا أقل، وأهم ما في الأمر أن تكون على سجيتك.

وعندما أنهت ما أرادت أن تُعلمه به عدّلت له من هيئة ثيابه ومسدت له شعره ما أشعرها بالاطمئنان عليه أكثر، ثم أخذت بيده وسارت به إلى أحد مداخل بيت البلجيك وكان كيدي يتبعهما متأخراً عنهما بوضع خطوات، وعندما اقتربت من هدفها المنشود وجدت مجموعة من الحوريات اللواتي بدون لُنوا كصديقاتها فتحدثت معهنّ باقتضاب شديد كالمضطرة، وبالرغم من قصر حديثها معهنّ وصلت مستويات فضول نُوا إلى أوجها لشدة دنوّه من بيت البلجيك، وكل الحق معه فقد كان على وشك دخول البيت الأكثر سحرًا في الكوكب للمرة الأولى

في حياته.

قطعنا خطوات قليلة لا تزيد على عدة أمتار ولكنها كانت تزيد عن عدة أميال في حال تم قياسها نسبةً لحالة نُوا النفسية، وصلنا بوابة بيت البلجيك وولجها معًا، الحوريّة نايا وصديقها نُوا ومعهما من خلفهما القط كدي، تفحص نُوا البوابة فوجدها مشابهة بالشكل لبوابة المنصور لعلج الشهيرة الموجودة في مدينة مكناس المغربية، ولكن باب التي كاد يعبرها وقتها سوداء اللون.

كان ما حدث لُنُوا أنه ذُهل قبيل عبوره للبوابة، وأنه ذُهل أثناء عبوره لها وبُعيد عبورها أيضًا، ذُهل قبيل عبورها بالنقوش الخلابة المنحوتة على بابها الضخم وبما ازدان به من خزف وفسيفساء متعددة الألوان، وذُهل أثناء عبوره لها بسماكتها الكبيرة التي تنم عن سماكة جدران بيت البلجيك والتي قَدَرها بقرابة أربعة أقدام أو أقل من ذلك بقليل، كما أنه ذُهل بكونها غنية بما بدا وكأنها حروف قديمة وإشارات غريبة منحوتة على حوافها الداخلية.

في الواقع عملت تلك البوابة على الإمساك بطرف ثوب نظر نُوا من الخلف كمن أرادت إعاقة تقدمه، مما سبب له الحاجة الماسّة لبضع لحظات إضافية لكي يستوعب المشهد الذي ظهر له عندما أتم اجتياز البوابة. وما أن استوعب نُوا المشهد حتى صُعق من جديد من بداعة وسحر ما كان ينتظره في الداخل، فسقط منه فكّه الأسفل على الفور، وحلّق منه من دون وعيه حاجباه وعلقا في أعلى ما أمكنهما، وبدا عليه التوتر فحرص على عدم تفويت أي تفصيل من التفاصيل التي شكّلت مفاتن ذلك المكان.

اختار نُوا أرضية بيت البلجيك ليبدأ بتفحصها فوجدها مرصوفة بما يشبه رخامًا أزرق يتجلى فيه المعنى الحقيقي الكامن خلف كلمة "متلألئ"، تحسبه إن رأته قطعة واحدة عملاقة، كان الرخام على امتداد قاعة هائلة تتوزع حولها العديد من الأبواب الضخمة، لاحقًا أعلمته

الْحُورِيَّة- قبل أن يقوم بالاستفسار منها - أن الجان قاموا برصف ذلك الرخام فوق طبقة كبيرة من الحصى الأملس للمحافظة على مستوى الجاذبية المطلوب لقاع مدينة آينجه.

كما وجدْنَا في بيت البلجيك عددًا وافراً من الأحواض الزراعية الغنية بالعديد من النباتات الصغيرة والمتباينة في الألوان، يفوح أريجها ليملاً المكان، ويحيط كل حوض منها سلسلة حجرية قصيرة الارتفاع، حجارتها شبيهة بالأحجار الكريمة وملاطها رمال لامعة.

ووجدْنَا أيضاً مجموعة كبيرة متناثرة مما يشبه هوابط الكهوف وصواعدها تعمل على إنارة المكان، وذلك لاختلافها عن الموجودة بالكهوف المعروفة بكونها متشكلة من الصخور المضيئة كالموجودة في الحجرة التي استيقظ فيها صديقنا يحيط كل منها ما يشابه الأحواض الزجاجية.

قطعت الحورية نايا على نُوا تأملاته وجذبه من يده وسارت به إلى أحد الأبواب المغلقة وقالت له:

- لقد تأخرنا بما فيه الكفاية، اللجنة تنتظر في الداخل منذ فترة ليست بقليلة، ادخل حالاً وعندما تنتهي ستجدني هنا في انتظارك.

ثم طرقت باباً مغلقاً طرفتين لطيفتين وفتحته فتحة صغيرة ودفعت بُنُوا من خلالها إلى الداخل وأغلقت الباب من خلفه، ثم أَلقت بظهرها على الباب واتكأت عليه مطلقَةً تنهيدةً دفينَةً وأغمضت عينها، وبعد عدة لحظات استفاقت من غفلتها وأخذت تنظر حولها باحثَةً عن كدي الذي ظهر لها من بعيد وهو يقترب منها ببطء، ثم جلست على الأرضية بجانب الباب تنظر لقطها حتى يصلها وما أن وصل حتى جلس بحجرها وقال لها بهيئة غير مبالية:

- لم لا تدخلين معي؟

- آه يا كدي، يبدو أنك نسيت، ألا تعلم أن لجنة الحوريات تمنع

- دخول أي أحد سوى المقصود من انعقاد اللجنة من أجله؟
- أقصد لم لم تقدميه للجنة، وتنسحبي بعدها؟
 - في الواقع، خشيت أن يوجهوا لي اللوم على تأخرنا.
 - حسناً .. أتساءل ألا تريدان معرفة ما يجري في الداخل؟
 - آه لو أن بوسعي ذلك. (نايا، بحرقه).
- ابتسم كيدي ابتسامة مأكرة ثم قفز من حجرها وقال لها:
- اتبعيني .. هيا انهضي.
- أخذ كيدي يعدو مسرعاً وينتقل من زقاق إلى زقاق بينما أخذت الحورية تهول من خلفه أحياناً وتركض مسرعةً أحياناً أخرى بأسرع ما تطيق لتلحق به، وكم تفاجأت من وجود مثل تلك الأزقة المهجورة التي كانت تجهلها تمامًا في بيت البلجيك، كثيرًا ما تساءلت في سرها أثناء لحاقها بقطها عن كيفية عدم علمها بهذه الأزقة من قبل!
- واستمرا في طريقهما وصعدا عدة أدراج ونزلا بعضًا منها إلى أن وصلا إلى باب صغير، وعندها طلب كيدي من الحورية فتحه، فتحتة على الفور دون تردد وانحنت بجذعها - الذي بدا طويلًا جدًا أمام ذلك الباب - لتلقي نظرة على ما يخفيه خلفه، فوجدت أمامها سردابًا طويلًا وضيئًا نوعًا ما. فتملكها الفضول ولم تستطع تمالك نفسها فحافظت على انحنائها وعبرت الباب، ولحق بها كيدي الذي امتعض من كونه في مؤخرة المسيرة التي قاد بدايتها، لذا حاول بمهارة اجتيازها من بين قدميها ونجح في ذلك، ووصلا أخيرًا لنهاية السرداب الذي بدا لشدة غموضه أطول مما هو في الحقيقة، وكانت نهايته عبارة عن شرفة واسعة واجهتها عبارة عن مجموعة نوافذ زجاجية داكنة اللون.
- ما هذا المكان؟ (نايا، بدهشة).
 - إنها إحدى الحجرات الخاصة في بيت البلجيك، ولمعلوماتك إنها تملأ أرجاء البيت، في مثل هذه الغرفة تُعد كل التأثيرات الخاصة التي تحتاجها قاعات بيت البلجيك. هل تذكرين

حفلة الحورية نالين والشاب أيوبي الذي أقامه بعد الإعلان عن زفافهما في ميدان جاساريت؟

- نعم بالتأكيد، كيف لي أن أنساه! كان مذهلاً.
- هل تذكّر الزهور التي تطايرت بشكل مفاجئ وملأت المكان؟
- نعم، وما زلت أتساءل حتى هذه اللحظة أن كيف حدث ذلك!
ابتسم كدي وقال:

- من هنا! ألقّت بعض الحوريات بالأزهار من هنا فانتشرت كما شاهدت في حفل الزفاف.

- جميل .. ولكن ما لنا ولئسوا وهذا المكان؟
اقترب كدي من الواجهة الزجاجية ووثب على حافتها وقال:
- اقتربي ترين بأم عينيك.

اقتربت الحورية من الواجهة الزجاجية ببطء ووضعت يديها عليها وحدّقت نظرها إلى الأسفل، وما أن تبين لها المشهد حتى أعقبت نظرتها الفضولية بأن ارتدت للخلف على الفور جزعة وقالت:

- تبّاً لك من قِطّ، لا بد من أنهنّ لمحنني!
- لا تقلقي، لن يتمكن أحد من مشاهدة ما خلف هذه الواجهة الزجاجية، إنها شديدة التموّه من الخارج.
صمت قليلاً ثم أضاف:

- بإمكانك وبهدوءٍ حذرٍ فتح إحدى النوافذ هذه قليلاً، وستعتبرين نفسك جالسةً في الأسفل معهم. (كدي، مبتسماً).
- كيف عرفت بشأن هذه الحجرة؟!

(ما زالت لؤلؤتي تعجّ بجميع ذكريات والدتك أتقلب فيها كيفما أشاء)، كم رغب كدي بالبوح لها بهذه الإجابة! كم تمنّى إجابتها بالحقيقة ليستريح من عناء حمله لها على كاهله، فالحقيقة ثقيلة خصوصاً عند حجبتها عن أشخاص شديدي القرب من أفئدتنا. أرهقه صمته، أرهقه كثيراً، قرر إخبارها بأنه يحمل لؤلؤة حياة والدتها وليس مجرد قشرتها كما

كانت تعلم، ولكنه أحجم عن قراره، قرر وأحجم عن ذلك مرات عدّة في فترة لا تتجاوز بضعة ثوانٍ. لم يمتلك تفسيرًا لإخفاء هذه المعلومة عن الصغيرة التي كبرت بما فيه الكفاية، واكتفى بشعور داخليّ يتملكه بكون إخفاء هذه المعلومة مطلبًا من والدتها "الهوريّة إيفان" فانصاع لشعوره. كل ما كانت تعرفه حوريتنا حسبما أخبرها كيدي سابقًا عندما نضجت - بالاتفاق مع الحوريّة هيف - أن والدتها كانت تصحبها كثيرًا وهي صغيرة إلى سطح البحر، وكان ذلك لرغبتها بعرض جمال الكون أمامها، لقناعتها في قرارة نفسها بأنها لا بد أن تستوعب الجمال مبكرًا. وفي إحدى رحلاتها إلى سطح البحر تمكن سيد الأوركا من تقفي أثرها فعزم أمره على مهاجمتها والتخلص منها، ولكن وجود فأس الأولدوروجو على ظهرها أوقفه وجعله يحجم عن المجازفة، وبينما أخذ الحوت القاتل يفكر في حل لمشكلة الفأس ظهرت له الصغيرة برفقة أمها، ما منحه العزم والقوة لمواجهة الفأس، فانقضّ عليهما على الفور فأصاب والدتها إصابة بليغة، فكيف لها القتال وصغيرتها معها؟ وضد من! قررت الحوريّة المصابة الانسحاب، وتمكنت من الانسحاب بالفعل وأخذت تسبح مطولًا إلى أن صادفت القط كيدي في مصادفة عجيبة، وكان على وشك الغرق حينها، فمنحته قشرة لؤلؤة حياتها بكرم وغرستها في عنقه وطلبت منه إنقاذ صغيرتها، ففعل، وعادت هي لمواجهة سيد الأوركا.

أجاب القط عن تساؤل الحوريّة بخصوص معرفته بشأن تلك

الحجرة:

- مصادفة، تنبّهت ذات مرة لمجموعة حوريّات كنّ ينقلن مجموعة كبيرة من الزهور إلى الداخل، ولفضولي الذي لا يخفى على أحد لحقتهن وتحققت من هذا المكان .. لا تهدري الوقت، هيا افتحي النافذة بسرعة.

فتحت الحوريّة النافذة فتحةً صغيرة بحذر شديد كما أوصاها قطها، وأرخت سمعها آملّة في حصولها على مبتغاها ومن حسن حظها أنها

حصلت على ما أردت وبأسر مما توقعت، وفي هذه الأثناء كان نُوا يجلس على مقعد خشبي في منتصف قاعة كبيرة وتواجهه أربع حوريات تسأله إحداهن:

- أخبرنا عنك وعن حياتك السابقة .. وعن أي شيء تريده ..
مهاراتك .. قدراتك .. إمكانياتك. (هيفار).

ابتسمت الحورية نايا وقالت:

- يبدو أنني لم أفوت من لقاءهم الكثير.

كانت الحورية نايا محقة بخصوص عدم تفويتها للكثير من ذلك اللقاء، إذ دخل نُوا الغرفة - بسببها - مدفوعاً وقد ظهر ذلك جلياً أمام اللجنة، ما أعطاه أمام نفسه مبرراً أكبر ليأخذ راحته بالخجل أمام أعضائها. في الواقع لم يكن دخوله ذلك المسبب لخجله بل كان بسبب الحالة التي وجد نفسه فيها وهو يتوسط أربع حوريات جميلات وشابات الهيئة، بدون مقاربات في العمر ولا يتفاوتن إلا بحالة شعور رؤوسهن، وهو تماماً عكس ما تخيله من قبل، إذ تخيلهن عبارة عن مجموعة من المتقدمات بالعمر، على الأقل متقدمات بالعمر قليلاً. ولم يتذكر نُوا ما قالته له صديقتة إن أعمار الحوريات ترتبط بحالة شعور رؤوسهن لا بحال أجسامهن إلا في آخر لقاءه ذلك.

وما لبث نُوا أن تفحص وجوه حوريات اللجنة حتى لفتت انتباهه لوحة كبيرة بديعة تحتوي منظرًا خلّابًا، وقد استعین لإنجازها تناسق ألوان مدهش بدرجات نادرة الاستخدام، وهي مرسومة على الجدار الواقع خلف الحوريات.

قاطعت الحورية ليلاف خلوة ذهن نُوا مع اللوحة بقولها:

- نُوا، أهلاً بك.

نظر نُوا إليها ثم تتنقل بعينه فيما بينهن بحالة جمعت ما بين التمحيص والعجالة، ثم عاد ليستقر على اللوحة محملاً إليها من جديد. لم ينس نُوا أمام الحوريات بنت شفة حتى تلك اللحظة، حافظ على

صمته بهيئة الصامد «دون مبرر»، ولغرابتة التي لم تتعود على مثلها اللجنة صممت الجميع، واستمر صمتهم إلى أن بادرت الحورية هيفار مرة أخرى وتساءلت:

– نُوا، أنت بخير؟

لم يحرز نُوا أي تغيير يُذكر في موقفه. ما استدعى تدخل الحورية الأم التي قالت بدورها:

– إنها لوحة الألم، أشهر لوحات عالم الحوريات الحديث على الإطلاق، قامت برسمها الحورية آشين واستغرقت منها قرابة ثمانية عشر شهرًا .. وكما ترى بقيت اللوحة خالدة معنا ورحلت راسمتها.

– أين رحلت؟ (نُوا، باهتمام).

تفاجأت الحوريات المسؤولات عن القطاعات تيرم، تيدافي وسافاز، من إحراز الحورية الأم ذلك التقدم المهم مع من بدا لهنَّ صعب المراس، خصوصًا مع استخدامها لمثل ذلك الأسلوب الملتوي للتحايل عليه، وهو الأسلوب الذي لم تشك الحورية الأم بنجاعته مطلقًا اعتمادًا على خبرتها. ومن له أن ينكر أن للخبرة كلمتها المسموعة. أجابته الحورية ديلماف:

– تتناقل الحوريات العديد من الروايات المتعلقة بمصير الحورية آشين الذي آلت إليه بعد انتهائها من رسمتها هذه. تدَّعي أشهر الروايات المتناقلة بأنها طعنت نفسها بنفسها بذات الخنجر الذي نحتت به اسمها على طرف لوحها فور انتهائها منها ما أدى لتلاشيها. (وأشارت لإحدى زاوية اللوحة).

نظر نُوا إلى مكان توقيع الحورية المقصود ولم يجد شيئًا يُذكر فابدى استغرابه، نهضت الحورية الأم من مقعدها وسارت خلف اللجنة وجلست على أحد المقاعد القريبة من نُوا ثم تابعت:

– وتدَّعي رواية أخرى بأنها هاجرت واستقرت بين أنقاض ممكلة

آيف في عالم المياہ العلوي، وإن صحَّ ذلك الادعاء فمن المؤكد أنها تلاشت أيضًا لما في حياة الحوريات من خطورة هناك في هذه الأيام، خصوصًا لكونها وحيدةً خارج السرب، وكما تعلم إن الفرد الموجود ضمن جماعة أقوى بكثير من الفرد ذاته إن كان وحيدًا.

صممت قليلًا وسط استغراب تنمة أعضاء اللجنة ثم أضافت:
- ولكنني شخصيًا على يقين بأنها في حال تلاشت حقًا فلن يكون ذلك لسبب سوى ألمها على حقيقة ما آل إليه ما رسمته. نُسوا .. هذه هي مملكة آيف، أولى ممالك الحوريات. (وأشارت للوحة).

أمعن نُسوا النظر في اللوحة من جديد ثم سألت الحورية الأم:
- لم سمّتها لوحة «الألم»؟
- لأن الألم هو الشعور الأوفر حظًا بالحضور عند كل من يستمع لتاريخ الحوريات المشرق ويعاصر حاضرهنّ المُحاصر في مدينة آينجه، من فرط ألمها على ضياع تاريخ أمتها قامت برسم مملكة آيف العظيمة كما كانت، بالضبط كما تناقلته الحوريات جيلًا عن جيل، هذا ما ظنت بأنها تطيق أن تصنعه من أجلنا نحن معشر الحوريات، أن ترسم لنا ذكرى! وأظنها من بعد انتهائها من رسمتها تيقنت بأنها لم تتألم بما فيه الكفاية بعد على تاريخنا الضائع، ولذا أعتقد بأنها تلاشت .. حزنًا وكمدًا.

أكملت الحورية الأم دورتها حول نُسوا وعادت لمقعدها وأضافت:
- ما رأيك؟

- يا لها من مُحبة ومُخلصة لبني جنسها!
ابتسمت الحورية ديلماف ولم تُعقب، وابتسمت معها كل الحوريات إلى أن تناولت الحورية هيفار زمام الحوار من جديد وأضافت:
- لا، لم تقصد الحورية الأم ذلك .. إنها تقصد أن تستعلم منك

عَمَّا سَأَلْتِكَ عَنْهُ مِنْ قَبْلِ: «أَخْبِرْنَا عَنْكَ وَعَنْ حَيَاتِكَ السَّابِقَةَ ..
وعن أي شيء تريده .. مهاراتك .. قدراتك .. إمكانياتك».

وهنا مع إضافة الحورية هيفار الأخيرة بدأت الحورية نايا تستمع لمجريات لقاءهم، وباستثناء قطعها لم يعلم بتنصتها أحد. أما نُوا فطأطأ قليلاً برأسه مدعناً للظروف التي أحاطت به، وأيقن أن لا مفر له من مواجهة مخاوفه الشخصية بالحديث عَمَّا فِي دَاخِلِهِ، خصوصاً بعدما منحته صاحبة الدهاء والحنكة «الحورية الأم» البوابة المناسبة ليبدأ حديثه منها. قال في سرّه: (لا عجب أنها الأم في ما بينهنّ)، ثم أجابهم:

- اسمي نُوا ابن آدم وأنا الابن البكر لوالديّ، عمل والدي في مجال زخرفة اليخوت، وعملت والدي «جوليا» في مجال التمريض الذي تركته فور إنجابها لي والتصقت في بيتنا متفرّعة من أجلي.

- ترى كيف تعرّفنا على بعضهما البعض؟ (جيندا).

- أخبرني والدي أنه ربطتهما صلة قرابة بعيدة، ومع مرور الزمن توثقت القرابة كصداقة، وكالعادة تنتهي الصداقة ما بين الرجل والمرأة بالزواج أو أشد الخصام.

- هل كانت طفولتك سعيدة؟ (جيندا، من جديد).

- نعم، بكل تأكيد.

شعرت الحورية ديلماف بالفضول تجاه قصة الشاب الذي تقابله، والفضول بالنسبة لها نادر الحدوث، لذا لم تطق أن يتعد الحوار عن شخصه أكثر من ذلك فطالبته في محاولة لإخماد ثورة أسئلة الحورية جيندا قائلة:

- تابع حكايتك من فضلك.

- ومرّت الأيام علينا وثلاثتنا نعيش في هناء لا محدود، وقلوبنا بغمرة انشراح لا توصف، وبلا أية منغصات تذكر. كان عالمي محصوراً ما بين والدي ووالدي، وما بين بيتنا وفنائ

الكبير «مزرعتنا» ومشغل والدي، وما بين الحديقة العامة وشاطئ البحر. ما أسرع جري الزمن! كم كانت بهيجة تلك الأيام! تعلمت أثناءها ماهية الإنسان ومعنى الإحسان والإيثار والتواضع والتعاون والرحمة والوفاء والمودة وفعل الخير والصدق والسكينة وسلامة القلب وشكر النعم .. والحب.

- وماذا عن الآخرين؟ ألم تحتك بهم؟ ألم تشارك في تجمعاتهم كما يفعل أطفال بني البشر؟ (ليلاف).

من شدة فضول الحورية الأم «غير المبرر» لم تكن على استعداد البتة لتقبل أي مقاطعة أخرى لاسترسال نُسوا في حديثه، لذا لم يطلب منها أن تقوم القِيمة عن قطاع تيرم بمدخلتها فزورتها بعينها زورة حادة، المضحك في الأمر أن القِيمة ليلاف تظاهرت بعدم انتباهها لتلك الزورة وتابعت لقاءها بُسوا وكان شيئاً لم يكن ما زاد من حنق الحورية الأم. أجاب نُسوا على تسأل الحورية ليلاف:

- بلى، ولكنه كان احتكاً غير فعّال البتة، أذكر أنني كنت كلما خرجت من منزلي أستبقي على حالي أرتقب لحظة عودتي إليه، بإمكانك القول بأنني حصرت نفسي بنفسي بملء إرادتي بين والدي ووالدتي ورضيت بذلك أشد الرضا واكتفيت.

- أيعقل أنك لم تصادق أحداً! (هيفار).

أطلقت الحورية الأم تنهيدة من أعماق أعماقها عبرت فيها عن اقتراب نفاذ صبرها لم يفهم نُسوا مغزاها، وتابع براءة قائلاً:

- بلى، ولكن ليس بالمعنى الحرفي لكلمة صداقة، كانت صداقاتي محصورة بالفترة التي أضطر فيها للبقاء خارج نطاق تواجد والدي، وكانت تنتهي حال عودتي إليه.

- تنتهي؟ (ليلاف).

- لا، ليس بالمعنى الحرفي لكلمة تنتهي، أقصد أنني أنساها، بمعنى أنها لا تخطر على بالي مطلقاً.

بادرت الحورية الأم لاستعادة المسار الذي ترغب في سماعه فقالت
بنبرة مضطربة قليلاً:

- نُـو، تابع حكايتك من فضلك.

تابع نُـو الذي بدأ يعتاد على ما هو فيه قائلاً:

- حسنًا .. واستمرت حياتنا على ما هي عليه أنا ووالديّ إلى أن
جاء اليوم الذي كان من المفترض أن نحتفل فيه بمناسبة مرور
الذكرى العاشرة ليوم ميلادي، أذكر أن أمي قالت لنا مساء ذلك
اليوم، بالتحديد على مشارف بداية الاحتفال، والسعادة تملؤ
محيّاها: (آدم، نُـو هديتي لكما اليوم مختلفة .. سأطلعكما
على سرٍ أخفيه عنكما منذ قرابة الشهر .. إنني حبلى .. سأنجب
من جديد).

- يا لها من هدية رائعة! (جيندا).

سببت مداخلة القِيَمَة على قطاع سافاز انفعال نُـو للحظات -
وهو ما أثار استهجان اللجنة - وما لبث إلى أن عاد لطبعته الهادئة. علّق
نُـو قائلاً:

- رائعة! .. ربما كانت كذلك ولكن لاحقًا، ولاحقًا جدًّا، أما حينها
فلم تكن رائعة إطلاقًا، ما زلت أذكر حتى هذه اللحظة ذلك
المشهد الذي أخبرتنا أثناءه والدتي بسرّها الغامض وبمسبب
بهجتها العظيمة، أذكره وكأنه يحدث أمامي الآن من جديد. إذ
كان يمسك والدي بكلتا يديه هديّةً كبيرة لامعةً كاد أن يقدمها
لي، بيد أن إفشاء والدتي لما لديها بعثر أوراقه فأسقط هديتي
أرضًا، وأتبع إسقاطها بأن هرع إلى والدتي واحتضنها بحرارة
أخافتني لشدها، ثم قبل جبينها بحرقة لا تقلّ عن حرقة قلبي
لدى سماعي بالنبأ، من حسن حظي أنه لم يدس لي على الهدية!
لاحقًا فهمت أن مثل ذلك الاحتضان الصارخ وأن مثل تلك
القبل الجادة لا تصدر من أحد إلا وقصده التعبير عن أعظم

مشاعر الامتنان التي قد تجتاحه.

- ولم كل ذلك؟ لم لم تُسرّ كوالدك بسرّ والدتك؟! كما أنني أراه سرّاً في غاية الجمال، معظمنا نحن معشر حوريات مدينة آينجه نحلم بأن نجتمع بأخوات لنا يوماً ما. (هيفار).
- بالتأكيد لم أُسرّ، وكيف لي أن أُسرّ ولم يخطر لي من قبل قط أن يحصل والداي على طفل آخر سواي، كان الأمر برمته كما وصاعقة مرعبة ضربت رأسي فقضت عليه، ومما زاد الأمر سوءاً أنني وجدت إعلان الخبر هذا كفكرة غير مرتب لها في ذكرى يوم ميلادي!

ثم برأيك كيف تتوقعن أن تكون حالتي عندما اكتشف حقيقة رغبة والديّ الملحّة بوجود طفل ثانٍ لهما؟ خصوصاً أنني شهدت فرحتهما بمصابي بأعيني؟ شعرت بزيف حياتي، شعرت بكوني مجرد "المتوفر" لا كما اعتقدت من قبل بكوني "كل شيء" يمتلكانه ويطمحان إليه!

- وجهة نظر! ولكن من المؤكد أنك تقبّلت الأمر .. على الأقل لاحقاً، أليس كذلك؟ (ليلاف).
- نعم تقبّلته، في البداية تقبّلته على مضض إلى أن أنجبت والدتي، ومع ولادته التأم جرحي وتعافيت من عدم رغبتني بقدمه بشكل كامل .. ولكن!
- ولكن ماذا؟ (هيفار).

- بالمناسبة أسماء والداي جيروود تبعاً لرغبتني الشخصية.
 - بادرة ذكية من طرف والديك. (ليلاف، مبتسمة).
- تابعُ نوا:

- كانت ولادة جيروود نقطة تحوّل عصبية ألمّت بعائلتنا، وذلك بسبب ولادته مصاباً بمتلازمة يطلق عليها البشر اسم متلازمة داون، وهي متلازمة لا أمل بالشفاء منها، أذكر أن والدي ظهر بمظهر المتماسك عندما تبين له حقيقة إصابة جيروود بها، بينما

لم تتمالك أُمي نفسها وانهارت أصعب انهيار.
في هذه الأثناء وفي خضم حديث نُوا مع اللجنة كانت الحورية
نايا تجلس أرضاً وأذنها اليسرى على الجدار تلتصق به، وقطها كيدي
بجانبا يتظاهر بالنوم مستغلاً قدراته السمعية عالية الجودة، كلاهما كان
في جلسة صمت وكأنما على رأسه الطير، سوى استراق السمع لا يفعل
شيئاً.

- ما الذي تقصده بهذه المتلازمة؟ لم أسمع عنها من قبل بين
جموع رجال آينجه! (هيفار).

- وأنا أيضاً لم أسمع عنها من قبل، لم أستوعب ماهيتها ذاك
الوقت رغم وفرة الشروحات التي قدّمها لي والدي، ولكنني
استوعبتها لاحقاً وبشكل جيد بتعايشنا مع جيروود واحتكاكنا به.
وحتى عندما كبرت لم يعن لي كثيراً البحث عنها لأتعرّف على
حقيقتها فلن أجد أفضل مما أعلمني به أخي جيروود.

- كم هي جميلة كلمة أخي! (جيندا).

- معك حق.

- تابع من فضلك .. عن متلازمة داون هذه. (ليلاف).

في الواقع "علمياً" لا أعرف الكثير عنها، وكل ما وصلني عنها أن
اسمها "متلازمة داون" أو "تناذر داون"، وأن للمبتلين بها صفات جسميّة
مميّزة تجمعهم مثل استدارة الوجه وقصر الرقبة وصغر الذقن ونعومة
الشعر، بالإضافة إلى معاناتهم من قصور في نموّهم البدني وضعف في
قدراتهم العقلية، وبشكل عام لا يستطيعون الإنجاب.

- الآن اتضح سبب عدم معرفتنا بهذه المتلازمة في عالمنا.
(الحورية الأم).

- لم أفهم ما ترمين إليه أيتها الحورية ديلماف؟ (هيفار).

نظرت الحورية الأم صوب الحورية هيفار ثم نهضت من مكانها
واتجهت ناحية لوحة الألم، وأخذت تتفحصها عن قرب وأثناء ذلك

أضافت:

- إنها فطرة الحوريّات السليمة.
- فطرة؟ (هيفار).
- نعم، إن فطرتنا كانت وما زالت السبب في عدم معرفتنا بهذه المتلازمة في عالمنا. (الحوريّة الأم).
- أثارت الحوريّة الأم استغراب باقي أعضاء اللجنة ما أدّى إلى تحوّل نظر الجميع من نُوا إليها، وهذا ما أسعد نُوا وخفف عنه الضغط النفسي «مؤقتًا».
- أضافت قائلة:

- لا تستغربوا من كلامي، نعم إنها فطرة الحوريّات السليمة، فكما تعلمون إن العلاقة في ما بيننا نحن الحوريّات ورجال البشر قائمة من أجل التكاثر ليس إلّا، وها هو نُوا يخبرنا بأن المصابين بهذه المتلازمة غير قادرين على الإنجاب، لذا وبشكل فطري «لا إرادي» تتجنب الحوريّات الاقتراب من أصحاب هذه المتلازمة لانتفاء إمكانية الإنجاب منهم، ولذلك انتفت معرفتنا بهذه المتلازمة. دائمًا ما تكون الفطرة على صواب، أليس كذلك؟ كم هو عظيم أمر فطرتنا السليمة!

- وأنت .. أخبرنا كيف تعاملت مع الصغير المسكين جيروود؟ (هيفار، بعد أن عدّلت من جلستها مبديةً اهتمامًا أكبر).
- بالمجمل لم يكن الأمر بالهين إطلاقًا. أخبرني والداي منذ يوم ولادة أخي بأنه ليس إنسانًا طبيعيًا أو بالأحرى بأنه كائنٌ مختلف، وأن علينا جميعًا أن نعامله بعناية فائقة، كما وأنه مشروعنا الإنسانيّ الصغير.

- إنها محنة، وبإمكان كل من يريد التعايش معها أن يفعل بكل تأكيد. (الحوريّة الأم، موجهة الكلام للحوريّة هيفار).
- صمت نُوا، شرد ذهنه ورحل بعيدًا، طلبت منه الحوريّة الأم

مواصلة حديثه مرتين ولكنه لم يستجب، بدا كحالم يقظته، ولكنه في المرة الثالثة أجاب:

- عذراً.

- نُوا، هل أنت على ما يرام؟ (جيندا).

- نعم، على ما يرام. (أجاب نُوا، مبتسماً).

في الواقع لم يكن نُوا على ما يرام نهائياً. كان يتألم من حديثه عن ماضيه وعمّا كان عليه، وهذا متوقع بكل تأكيد خصوصاً لمن ذاق من الألم.

تابع نُوا قصته فقال:

- كانت سنوات جيروود الأولى الأفضل في حياتنا كأسرة، حيث كان والداي سعيدين بطفولته لكونها «على حد قولهما» مشابهة نوعاً ما لطفولة الأطفال الطبيعيين، وهذا ما وُلد «حينها» عندي الكثير من الظنون بأن والدي يبالغان عن قصد في معاملتهما لجيروود على حسابي. ولكن مع مرور الزمن بدأ جيروود يظهر لنا بمظهر الحمل الثقيل، وما زلت لا أدري حتى يومي هذا أكان ثقیلاً حقاً أم أننا نحن من ظنناه كذلك!

أظننا بالغنا في خوفنا عليه، كنّا نرافقه على مدار الساعة، منذ استيقاظه حتى خلوده للنوم، كنّا نقوم عنه بكل شيء، نطعمه ونسقيه بأيدينا ونبدّل له ثيابه، ولا نخرج به في أوقات الازدحام لنُجنبه مخالطة البشر قدر الإمكان لكي لا نترك لأحد فسحةً ليتواصل معه من خلالها خشية أن يؤذيه، كنت صديقه الوحيد وكنت أمضي معه كل ما يتبقى لي من يومي بعد عودتي من مدرستي. نوعاً ما كفيناه اجتماعياً أنا ووالداي .. ولكنه لم يكتفِ.

- جهود جبارة! يتتابني شعور ما بأنك ستقول كلمة «ولكن!» أليس كذلك؟ (ليلاف).

ابتسم نُوا وقال:

- بلى، هنالك «لكن!» وأظن أن من واجبي ذكرها لما لها من أثر
في قصتي التي ترغبون في سماعها ولا أرغب في قولها.
تابعُ نُوا:

- ولكن في العام الذي أتممت فيه الخامسة عشرة من عمري،
وهو العام الذي أتمّ فيه جيروود الرابعة، عصفت بمديتنا إعصار
قويّ غير متوقع، صنّفه أهل الاختصاص بأنه من الدرجة الثالثة
بعدهما تنبؤوا لنا «ببراعتهم» بكونه بالكاد سيشتد ليصنف ضمن
الدرجة الأولى.

والمؤسف في الأمر أن الإعصار أدى إلى الإضرار بمديتنا أضرارًا
جسيمة مكبّدًا إياها خسائر فادحة، ومن سوء حظنا أنا ووالدي وجيروود
أن من بين الأضرار التي تسبب فيها تحطم يختٍ صغيرٍ كان والذي يختبره
عند مغيب شمس ليلة الإعصار. ومع هجوم الإعصار فُقد اليخت وفُقد
أثر والذي مع فقدانه، وبعد عدّة أيام عصبية كان عنوانها الانتظار والترقب
تم العثور على حطام يخت والدي بين أكوام حطام متعددة، ولولا نَفَرْد
والدي بزخرفته لذلك اليخت بالذات بشكل مميّز للغاية لما تمكن من
تمييزه، أحد، ولم يظهر والذي بعد ليلة الإعصار تلك حتى قدومي إليكم،
ولا ندرى أمات أم لا يزال حيًّا؟ وإن كان حيًّا؛ أفقد ذاكرته أم لا يزال
يذكرنا، أيحاول الوصول إلينا أم أنه عاجز عن ذلك؟

- يا لها من «لكن» عصبية! (جيندا).

- تابع من فضلك. (الهوريّة الأم).

تابعُ نُوا قائلاً:

- وبعد تلك الحادثة الغامضة ..

- الغامضة! أتقصد الأليمة؟ (ليلاف).

- لا بل الغامضة، لم أصفها بالأليمة من قبل ولن أصفها بذلك،
فما زال في قلبي أمل، وإن يتضاءل رويدًا رويدًا بأن والذي ما
زال على قيد الحياة.

- يالكِ من دقيقة أيتها القيمة ليلاف! نُوا تابع من فضلك.
(جيندا).
- حتى لحظة اختفاء والدي، كنت أَعُدُّ ولادة جيرود أكبر نقطة تحول مرّت أو قد تمزّ على حياتنا كأسرة، ولكنني وجدت نفسي مخطئاً فاختفاء والدي كان نقطة تحوّل أكبر من تلك الأولى بكثير. فمع اختفائه انهار كل شيء من حولنا. إذ ازدادت الأعباء والواجبات علينا، وعلى والدتي بوجه أخص، باتت حياة والدتي مُعَنَوَنَةً دائماً؛ فكان عنوانها في الصباح العمل في المنزل، ثم في المزرعة المحيطة به، مع الأخذ بعين الاعتبار مرافقتها لجيرود الذي عشق المزرعة وأتقن لاحقاً العمل فيها. وفي المساء كان عنوانها الذهاب إلى معمل والدي والمشاركة في إدارته وتشجيعي على الاحتكاك مع العاملين فيه وتعلّم المهنة منهم.
- ثم ماذا؟ (هيفار، بتلهّف).
- أتمننا عشرة أعوام ونحن على حالنا، أجدت خلالها زخرفة اليخوت واتخذتها مهنة وتفرغت لها.
- أظنه شعوراً غريباً أن يعمل عاملٌ ما مع أحد ما ثم مع ابنه بدلاً عنه! أليس كذلك؟ .. أفصد بحديثي زملاء والدك. (جيندا).
- معك حق، كنّا في البداية أربعة أشخاص، ثلاثة أنا رابعهم، ولكنهم تركوا العمل معي بعدما منحوني كل ما استطاعوا أن يمنحوه لي، لم يطبقوا الشعور الذي تتكلمين عنه لذا آثروا الرحيل، باستثناء أكبر العمّال سنّاً، أخبرتني والدتي لاحقاً أنه مؤسس المعمل ومالكه الأول الذي باعه لوالدي منذ زمن طويل لمعالجة زوجته من مرض عضال أصابها، وأكثر ما يؤسف في قصته أن زوجته توفيت بعد استجابتها للعلاج بفترة وجيزة بحادث سير! فرّت من أحد مسببات الموت لتموت بآخر!
- يا للمسكينة. (هيفار).

- وماذا عن جيروود؟ (ليلاف).
- أما جيروود فتمكّن أثناء العشرة أعوام التالية ليوم الإعصار من العمل الزراعي بأفضل ما يمكن، فصير مزرعتنا فردوسًا من أبداع ما يكون.
- ووالدتك جوليا؟ (ليلاف، من جديد).
- صمتُ نُوا، وصمت الجميع معه، أخذت القيمات يتبادلن النظرات فيما بينهن، بينما ثنت الحوريّة الأم بجذعها للأمام لتستقرئ قولاً من فمه، وفي هذه الأثناء كانت الحوريّة نايا على أشد يقظتها وكدي بالقرب منها يحرك ذيله حركات سريعة وقد ملّ التظاهر باللامبالاة.
- بادرت الحوريّة الأم لتجاوز حالة الصمت فقالت:
- نُوا، لست مضطراً لإكمال حديثك.
- تفاجأ نُوا من مداخلة الحوريّة الأم ما دفعه ليسألها:
- أقلتِ حقاً بأنني لست مضطراً لإكمال حديثي!
- ومن قال لك بأنك مضطر للقيام بذلك؟ بدأت تقص حكايتك علينا طوعاً وكذالك الأمر بإمكانك التوقف عن ذلك، ألم تخبرك الحوريّة نايا بأننا نهدف من خلال انعقاد لقاءتنا بالسكان الجدد مجرد التعرف عليهم ومساعدتهم في اختيار إحدى المهمات الشاغرة في مدينتنا والملائمة لهم ليشاركونا في تحريك عجلة الإنجاز في مدينتنا؟ (الحوريّة الأم).
- تصبغ وجه الحوريّة نايا باللون الأحمر وخشيت من الحرج الذي سيسببه لها انكشاف مكيدتها أمام اللجنة، وتمنت من أعماق قلبها أن تقتصر مشكلتها على معرفة نُوا الحقيقة خدعتها، أما نُوا فاكتمى بدوره بأن يقول في سزه: (نايا يا لك من امرأة ماكرة، أقصد حوريّة ماكرة)!
- ماذا تقول؟ (الحوريّة الأم).
- لا، لا شيء، لا بأس سأكملها لكم، فقد اجتزت بمساعدتكُن أصعب ما في الأمر دون أن تدرين بذلك، أما الآن فلا مانع لدي

من إتمامها.

أراحت جملة نُوا هذه قلب الحوريّة نايا فتنفست على إثرها الصعداء وشكرته في سرّها جزيل الشكر بينما تابع هو حديثه:

— أما والدتي ففقدت من صحتها ما فقدت خلال العشرة أعوام التالية لاختفاء والدي، وآثرتنا على نفسها إلى حد الإسراف. إن والدتي امرأة مكافحة عظيمة، غطّت بجهودها على أمور منزلنا ومزرعته ومعملنا وأنشأتني بأفضل ما استطاعت، وبالإضافة إلى كل ذلك اعتنت بأخي جيرود أعظم عناية، ولكن كما تعلمون إن لكل شيء ثمنه.

— «لكن» مرة أخرى! أليس كذلك؟ (هيفار).

— نعم .. ومع حلول ذكرى ميلادي الخامس والعشرين أفصحت لي والدتي عن رغبتها بتزويجي وهو ما رفضته على الفور. ولِمَ رفضته؟ (ليلاف).

— في الواقع لا أدري، عادة ما يكون الرفض أسرع ردود الفعل التي يصدرها البشر، قد يكون جزعًا من المجهول، أو جبناً من المسؤولية، أو توجسًا من فكرة المشاركة، أو فرعًا من إنجاب الأطفال.

— وهل هناك فرع من إنجابهم؟ (جيندا).

— بالتأكيد .. أقصد نوعًا ما، أليست فكرة إنجاب طفل كجيرود فكرة مُفرعة؟

— ولكنك تعايشت مع حالة مشابهة لها! (جيندا).

— نعم ولكن ذلك لا ينفي كونها مُفرعة، إن التعايش مع الأمر الصعب لا يجعل منه أمرًا هينًا. نعم أحببت أخي وبشدة، ولكنني لا أجرؤ على التفكير في إمكانية أن أنجب طفلًا مثله أبدًا، ولا أظن أن أحدًا يجرؤ على ذلك! ثم ألا تعتقدون أن اختلاف جيرود عنّا «أقصد عن البشر» سبب له الألم؟

- ثم ماذا؟ (الحرورية الأم، بغضب نوعًا ما بسبب زيادة مقاطعة اللجنة لُنُوا عن الحد المقبول).

- اعتذرت لها عن الزواج عدّة مرات، مرةً لكوني متعلقًا بها وبجبرود، ومرةً لحرصني على أخي وخوفي على مصيره، كما أنني أبديت لها مخاوفي من فكرة انشغالي عنهما وعن معملنا ولو حتى بشكل جزئي.

- أعدلت عن رأيها؟ (هيفار).

- لا، كان كل ذلك بلا جدوى، رفضت أعداري وحججي التي وصفتها بالواهية وأصرت على تحقيق رغبتها بتزويجي، ومع مرور الأيام ازداد إصرارها على ما عزمت عليه حتى قامت من تلقاء نفسها باختيار فتاة وجدتها ملائمة لي ووجدتني ملائمًا لها وطلبت منها الزواج بي، وكل ذلك من دون علمي. كم كانت عجولة!

- يا لها من صارمة! أعارضتها في ذلك؟ (ليلاف).

- لا.

- لا! .. ما الذي حدث بعد ذلك؟ (الحرورية الأم).

- تزوجتها، كانت تدعى كيت، فتاة آية في الجمال، جذّابة، عيناها زرقاوان بنفس درجة زرقة عيني ..

انتفضت الحرورية الأم فور وصف نُوا لعيني زوجته بطريقة نبّهت القيّمات على ما سبب انتفاضتها، فبُهتن للوهلة الأولى ثم تبادلن النظرات فيما بينهما، وبذلك ارتبك الموقف ما استدعى من نُوا التوقف عن حديثه، فساد الصمت المكان واستمر على حاله إلى أن كسرت الحرورية الأم حالة الجمود التي تسببت بها قائلة:

- عذرًا تذكرت أمرًا مهمًّا، بإمكانك أن تكمل .. أكمل من فضلك.

لم يستفسر نُوا من حوريات اللجنة عمّا حدث، بالرغم من تساؤله في سره عن غرابته واكتفى بمتابعة كلامه فقال:

- كانت تدعى كيت، فتاة آية في الجمال والجاذبية، حسناء مسالمة ورقيقة ولم تنقصها الشجاعة، توافقت روحانا توافقاً عجيباً وأضافت لأسرتنا من السعادة والمرح ما لم نظن أبداً بأنه يتقصدنا. أجمل ما كان فيها اندماجها السريع معنا، وتقبلها لطبيعة جيروود المختلفة بالرغم مما أخفته في داخلها من شعورها بالخوف منه، ولا ألومها في ذلك فالاقتراب من «المختلف» غير مضمون النتائج البتة، ومع مرور عام واحد على زواجنا أنجبنا طفلةً جميلةً أسميناها كلارا.
- باعتقادك، ما أبرز ما دفعها نحوك؟ (الهورية الأم).
- التزامي المطلق نحو عائلتي. (أجاب على الفور).
- وباعتقادك، ما أبرز ما قد يدفعها عنك؟ (الهورية الأم).
- إنه بالتأكيد كون حياتي بلا أصدقاء، لم ترق لها وحدتي إطلاقاً، لم تقبل فكرة إمكانية حياة الإنسان بلا أصدقاء، فأهمية الصداقة بالنسبة إليها كأهمية العائلة على حد سواء.
- هل ستسمحين لي بإدلاء مداخلة أيتها الهورية الأم؟ من فضلك! (ليلاف، متهكّمة).
- لا بأس. (الهورية الأم، منزعجة).
- كلارا .. يا له من اسم جميل! (ليلاف).
- شكراً لك أيتها الهورية ليلاف. نُوا أكمل. (الهورية الأم، شديدة الغضب جزاء عدد المرات التي تمت فيها مقاطعة نُوا).
- كانت ليلة عصيبة على مدينتنا، هبّ فيها إعصار شديد يماثل في شدّته الإعصار الذي انتزع والدي من بيننا، وأسفر لنا عن حدثين عظيمين؛ ولادة كلارا والثاني وفاة والدي، عانت زوجتي من آلام مخاض قاسية للغاية، كتب لها النجاة منها بأعجوبة، بينما عانت والدي من آلام حمى شديدة لم يكتب لها النجاة

- منها. دائماً ما كانت تتنبأ والدتي بذلك، كثيراً ما تنبأت بأن موتها سيكون على صلة وثيقة بانضمام فرد جديد إلى عائلتنا.
- يؤسفنا سماع ذلك. (الحوورية الأم، بحزن).
- أتساءل لم لا يبدو عليك الحزن وأنت تقص علينا قصتك!
(جيندا).
- لا دموع في مدينة آينجه، أليس كذلك؟ هذا من حسن حظي.
(نُوا).

خيّم الصمت على لجنة الحوريات من جديد، ولكن الجديد في هذه المرة أن نُوا قرر المتابعة في قصّه لحكايته دون أن ينتظر طلباً من إحدى الحوريات لذلك، إما لكونه أعجب بأمر حديثه عن نفسه وحياته وارتياحه بذلك، أو سعيًا منه للتخلص من الموقف الذي وضعته فيه الحورية نايا بأسرع وقت ممكن. تابع قائلاً:

- بتنا وحدنا أنا وكيث وجيرود والصغيرة كلارا، جمعتنا معًا ثمانية أعوام هائلة، ازدهر فيها عملي بشكل كبير مكّني من جمع ثروة لا بأس بها من المال، بينما تفرّغت زوجتي لنا وللمنزل، وعلى الصعيد الآخر نشأت علاقة تناغمية رائعة ما بين جيرود وكلارا، أدت لأن يبذل جيرود كل جهده في العمل في حديقة منزلنا نهارًا إلى أن تعود الصغيرة من مدرستها، فيجلس معها أثناء قيام كيث بمتابعة تعليمها وما أن تنتهي من ذلك حتى ينطلقان فيشاركان اللعب معًا في حديقة منزلنا شريطة ألا تمسّ زهرة من أزهارها بسوء.

- ثم ماذا؟ (الحوورية الأم، بحماسة).
- كان عمر كلارا ثمانية أعوام عندما وجّهت لنا إدارة مدرستها دعوةً لحضور حفل تخريجٍ للأطفال في نهاية العام الدراسي، وبالطبع كانت كلارا من بين الأطفال الذين سيتمّ تخريجهم بالحفل، وللأسف لم أستطع الذهاب للحفل لانشغالي بتسليم

يخت لأحد أهم الشخصيات السياسية في المدينة، ومن من سكان سطح الأرض يستطيع أن يتأخر على مثل هؤلاء؟
- يا للمسكينة كلارا، من الصعب الإحتفاء دون الأعرّاء! (جيندا).
نظرت الحوريّة ديلماف إلى الحوريّة جيندا نظرة حادّة أربكتها،
أكمل نُوا قائلاً دون أن يتتبه لما حدث:

- ولولا انشغالي الهام الذي أخبرتكم عنه لما تأخرت للحظة
عن مشاركة صغیرتي في حفلها، في الواقع لم أكتفِ عند عدم
حضورني للحفل بل حاولت عدة محاولات فاشلة إقناع كلارا
بعدم الجدوى من مشاركتها هي أيضًا فيه، كان حدسي ينخزني
لمنعها من ذلك ولكنني لم أتمكن من إقناعها ولا من إقناع كيت
التي انزعجت بشدّة من كثرة مضايقاتي للصغيرة.
نهض نُوا من مكانه وتحرك في أرجاء المكان ثم عاد من خلف
المقعد الذي كان يجلس عليه وأمسك بمسند ظهره بيديه الاثنتين ثم
تابع قائلاً:

- وفي باكر صباح اليوم المنشود أصطحبت كلارا إلى مدرستها
لتشارك في التدريبات الأخيرة على الاستعراضات التي تم
اعتمادها للحفل، قبلتها على جبينها ثم انطلقت لمعملي. لاحقًا،
قراءة الساعة الواحدة ظهرًا التحق كل من كيت وجيروود بالأهالي
المتوجهين للحفل الذي استمر حتى الرابعة عصرًا.
- كيف كان الحفل؟ (ليلاف).

- لا أعرف ..

أثار جواب نُوا استغراب اللجنة، ولكنه لم يدم طويلًا إذ تابع
كلامه مباشرة قائلاً:

- كل ما أعرفه أن كلارا أخذت بيديّ والدتها وعمّها بعد انتهاء
الحفل لتعرفهم إلى صديقاتها وأهاليهنّ، وكان في تصرفها ذلك
تجربة نوعيّة جديدة لجيروود الذي بسطت بسببها أساريه أشد

البسط، لدرجة جعلت من يومه ذاك أجمل أيام حياته كما عبّر عن ذلك بلسانه، فرفض فكرة ترك مكان الحفل بما فيه من الأهالي والعودة للمنزل، ما استدعى من كيت أن تبذل الكثير من أجل إقناعه بالعدول عن إصراره، وفي نهاية الأمر توصلا إلى الاتفاق على البقاء حتى رحيل آخر المتواجدين في قاعة الاحتفال، وهذا ما حدث، فمكثوا حتى لم يتبقّ في القاعة أحد سواهم؛ كيت، كلارا وجيروود بالإضافة لإحدى صديقات كلارا وكانت تدعى جوليا، على اسم الراحلة العزيزة والدتي.

– يا للمصادفة! (جيندا).

– بُهر جيرود بالصغيرة جوليا إكرامًا لاسمها، وغدا بحضرتها – أقصد بحضرة اسمها – طفلاً صغيرًا تائهاً بعمر بضع سنوات من جديد، واسترجع من خلال سماعه لها ما لديه من ذكريات مختزلة في باطنه تخصّ والدتنا، بكى فرحًا وانتحب حزنًا في نفس الوقت، وبدت على محياه سعادةً مبالغ فيها أخافت الصغيرة وأربكتها، فقامت كيت بطمأننتها قدر الإمكان، ولحسن تصرف الصغيرة تقبلت أمره بابتسامة ورحابة صدر، المهم في الأمر أن الصغيرة جوليا لم تجد أيًا من والديها عقب الحفل، فتيقنت مما توقعته مسبقًا بأنهما لن يحضرا من الأصل، وكيف لهما أن يأتيا وهما لامباليان – كما علمت لاحقًا – فوالدتها شديدة الاهتمام بنفسها وبصديقاتها وأغلب الظن أنها نسيت أمر حفل ابنتها وأمر ابنتها برمتها، وكان والدها يعمل في سلك الشرطة، ولكن يعيبه كونه مدمنًا ويمضي معظم أوقاته في الحانات رفقة مجموعة فاشلين يعدّهم أقرب أصدقائه.

– يا للمسكينة جوليا! (جيندا، من جديد).

– اصطحبت زوجتي صديقة كلارا لتوصلها إلى منزلها، وكان منزلها مقابل منزلنا لا يفصل بينهما سوى حديقتنا الغناء والطريق

العام وحديقة منزلها الخربة، الغريب في الأمر أن كلا الصغيرتين كلارا وجوليا لم تكونا تعلمان بأنهما تسكنان. أوصلت زوجتي الصغيرة جوليا أولاً ثم تابعت لمنزلنا، وبعد بضع دقائق طُرق باب بيتنا وإذ بجوليا على الباب تطلب من زوجتي أن تسمح لها بتناول تاجها الذي حصلت عليه كجائزة في الحفل، إذ أنها نسيته في عربتنا، قدّمت زوجتي لها بعض الحلويات وأخذت بيدها إلى العربة وتركتها تستعيد تاجها بنفسها، فشكرتها الصغيرة وانطلقت تركض فرحةً نحو منزلها، كان الطريق العام شبه فارغ من العربات ما أغفل الصغيرة عن مراعاة أسلوب قطع الطرق العامة.

– ثم؟ (الحوارية الأم).

– ركضت جوليا نحو منزلها مسرعة ولسوء حظنا أن عربةً كانت أشد سرعة منها كادت أن تصدمها لولا أن تدخل جيروود الذي هبّ لحمايتها فحملها وركض بها بأسرع ما أمكنه، ونجح بإنقاذها رغم كونه بطيئاً في طبيعته، ولكنه لبساطته تعثر برصيف الطريق وسقط بالصغيرة على الأرض، وفي هذه اللحظة بالذات ظهر والد جوليا الثمل فوجد طفلة مستلقية على ظهرها على الأرض بيدها تاجها ويعتليها شاب عشريني ما أفقده صوابه، ولم يمهل نفسه أكثر من مجرد لحظات استل أثنائها مسدسه وأطلق النار على جيروود فأصابه برأسه وقتله على الفور.

باستثناء الحورية جيندا التي نهضت من مكانها ووضعت كفيها على وجنتيها، هبطت أنظار مستمعي حديث نوا أرضاً ومظاهر الصدمة تكتسي وجوههم جميعاً دون استثناء، أما الحورية نايا فتمتت بشدة لو أنها لم تتمكن من الاستماع لحكايته أبداً. تابع نوا سرد قصته فقال:

– سقط جثمان جيروود – ويا له من مؤلم بأن يبيت عزيزاً ما جثماناً

– على الفتاة وتسببت دماؤه المنهمرة من رأسه بإغراقها، كما

تسبب سقوطه عليها تحطم تاجها وتبعثره في يدها فأدماها، وبذلك اختلطت دماؤه بدمائها. وبالرغم من وجود عدد لا بأس به من المركبات والمارة لحظة وقوع حادثة إطلاق النار لم يشهد بتفاصيلها سوى شاهدي عيان اثنين، في الواقع إنهما الوحيدان الذين تمسكا بشهادتهما خصوصًا بعدما وجدوا أن المُعتدي من رجال الأمن.

الشاهدة الأولى كانت كيت؛ شهدت الحادثة من فناء منزلنا أثناء مراقبتها لجوليا وهي في طريق عودتها للمنزل، والشاهد الثاني كان عامل تنظيفات أجنبي عن مدينتنا، شهد الحادثة وهو يزاول عمله في باحة مجمع تجاري فخم يقع على الطرف الثاني من منزلنا ومنزل أهل جوليا، يفصل بيننا وبينه طريق عام أوسع من الطريق الذي اجتازه المغدور أخي.

- أتساءل كيف تابعوا حيواتهم! أولئك الجبناء الذين أخفوا شهادات الحق عن العدالة! (جيندا).

- وأنت .. كيف وصلك الخبر؟ (ليلاف).

- وهل هناك ما هو أسرع من الخبر السيئ! خرج على أثر دوي صوت العيار الناري العديد من سكان المنطقة ليتبينوا من أمره، وبمجرد وصولهم لمكان الحادثة تبرع كلٌّ منهم بالمساعدة على قدر استطاعته، فمنهم من طلب الإسعاف ومنهم من طلب رجال الأمن ومنهم من سعى في نشر الخبر بغض النظر أكان نشرهم للحادثة كما شاهدوها حقيقةً بأمر أعينهم أم مع تقديمهم لبعض الإضافات بالمجان، وما ساعد في انتشار الخبر بشكل أكبر كون حادثة إطلاق النار تلك أول حادثة إطلاق نار تحدث في مدينتنا منذ زمنٍ طويلة للغاية.

- أخبرنا كيف تلقيت النبأ؟ (جيندا).

- سأكون صادقًا معكم إن أخبرتكم بأن هذا الموقف بالذات شبه غائب عن ذهني، ما زال ملتبسًا عليّ حتى هذه اللحظة، كل ما

أذكره بأن شاباً ما أظن أن عمره يقارب العشرين عاماً اقتحم عليّ معملي لاهتاً وقال لي: (لقد أطلق الشرطيّ لوكاس النار على رأس جيروود وأرداه قتيلاً على الفور)، فما كان مني إلا أن نهضت واقفاً في مكاني ولم أحرك ساكناً، فاقترب مني ذلك الشاب وانتزع من بين يدي قطعة خشب كنت أنحتها وألقاها أرضاً بغضب، ثم دفعني من كتفي للخارج وهو يكرّر صراخه في وجهي قائلاً: (عليك الذهاب فوراً، هيا انطلق).

ولكنني لم أذهب، أظنني عدت وقتها للخلف وبدأت أغلق معملي على مهل إلا أن الشاب لم يكتف بما قام به فواجهني من أمامي ودفعني بيديه دفعةً قويةً على صدري مستخدماً كلتا يديه فأسقطتني أرضاً ثم صرخ ثانية قائلاً: (اذهب حالاً!) فركت المعمل خلفي على حاله وانطلقت للمنزل.

- ما حدث بعد ذلك؟ (ليلاف، بفضول).

- وصلت للمنزل فوجدت رجال الأمن يطوقون المنطقة برمتها، كانت زوجتي تبكي بحرقة وكذلك كانت كلارا، وما أن ظهرت أمامهما حتى ركضتا نحوي وحضنني بقوة، وأخذت كيت تقصّ عليّ ما شاهدته بأمر عينها وهي ترتجف، كم كانت خائفة يومها! وفي الجهة المقابلة من الطريق، عند الرصيف الذي تسبب بمقتل جيروود، كان لوكاس «والد جوليا» في قبضة رجال الأمن، بينما كانت والدة جوليا رفقة ابنتها بالقرب من عربة إسعاف تعالج صغيرتها من آثار تاجها المكسور في يدها.

- وانتهى الأمر! (الحوارية الأم).

- لا، لم ينته، في البداية ظننت أن الواقعة انتهت بدفننا لجيروود في مقبرة المدينة الجنوبية، وإلقاء رجال الأمن القبض على لوكاس لتقديمه للمحاكمة، ولكننا تفاجأنا بأن لوكاس عاد لمنزله في اليوم التالي لحادثة إطلاق النار حرّاً طليقاً بعدما أصدرت المحكمة حكمها في القضية لصالحه «القتل دفاعاً عن النفس».

- أيعقل هذا؟ (جيندا).
- ولمَ لا؟ فقد تبين لي أن المحكمة لم تأخذ بشهادة جوليا لكونها تحت السن القانونية التي تخولها للإدلاء بشهادتها، والحق يقال؛ أدلت هذه الصغيرة بشهادتها تمامًا كما رأت بلا زيادة ولا نقصان، كما أنها شكرت جيروود على إنقاذه لها أمام الجميع بكل شجاعة بالرغم مما بدا على والديها من حنق شديد.
- لمَ طلبت المحكمة شهادتها إذا؟ (ليلاف).
- أظنها كانت محاولة بائسة من قبل المحكمة لنتزع من الصغيرة شهادة معينة لتدعم حكمها المسبق، ولكنها أُحبطت بما سمعته منها فبرروا رفضهم لشهادتها بصغر سنها.
- يا للعدالة البشرية! (هيفار).
- وماذا بخصوص عامل التنظيفات الأجنبي؟ ألم يدل بشهادته على الجريمة؟ (الهوريَّة الأم).
- لم يحصل شيء، تبرأ من شهادته المبدئية التي أدلاها لرجال الأمن يوم الحادثة، ولم يكتفِ بذلك وقام بقلب شهادته لمصلحة لوكاس إذ شهد برؤيته لجيروود وهو يحاول الاعتداء على الفتاة.
- وشهادة زوجتك؟ (الهوريَّة الأم، من جديد).
- لم يعبؤوا بشهادتها لكونها شهادة «عاطفية» على حد قولهم.
- وأنت وزوجتك؟ ماذا فعلتم؟ (جيندا).
- لم يهن عليّ إثبات القضاء تهمة «الاعتداء على قاصر» على أخي.. فوجئت لجنة الحوريَّات بمطلع إجابة نُوا، ولشدة تفاجئهنَّ لم يخطر على بال إحداهنَّ مقاطعة في محاولة لتبين حقيقة مقصده للجميع، ومن الطبيعي أن التفاجؤ لم يتوقف عندهنَّ بل طال أيضًا الحورية نايا وقطها. الغريب في الأمر أن نُوا لم يشعر بما أصاب من حوله وهذا ما فسح له المجال لمتابعة حديثه فتابع قائلاً:

- أما زوجتي فلم تقبل بحكم المحكمة المجحف، ولم تحاول تقبله من الأصل، ومن هذه النقطة بالتحديد بدأت تنشب بيننا العديد من النقاشات، وداومت على حثي للمعاودة والمطالبة من جديد بدم أخي بحجة فساد المحكمة ومحاولة تضليلها للحقيقة لإخفاء جرائم أحد منتسبي سلك الأمن.
- أبعقل ذلك؟ أن تتواطأ المحكمة ضد الحقيقة؟ (ليلاف).
- لا أحد يستبعد ذلك على الإطلاق، كلنا نحن سكان مدينتنا لم نستبعد ذلك، ولكن ما باليد حيلة! فقد آن الأوان لكي أدفع ثمن سكوتي عمّن ظلّموا قبلي، وأنا على يقين بأن كل سكان المدينة سيقعون بما وقعت به يوماً ما.
- وماذا بعد؟ (الحوارية الأم).
- وفي الفترة التي تلت قضية المحاكمة واجتيازنا لأمرها اعترض لوكاس طريقي عدّة مرات بهدف تحذيري من الاقتراب منه أو من ابنته أو حتى من منزله، وما بدر مني تجاهه سوى أن تجاهلته دون أن أكلمه بأية كلمة، وفي آخر مرة اعترض فيها طريقي كان ثملاً، وكان يترنح وسط الطريق الفاصل ما بين منزلنا يشتم جميع المارة، وفي اللحظة التي كدت فيها أن اجتازه باتجاه معملي اقترب مني وكانت رائحته فذرة وكان لعبه يسيل من فمه، حاولت تفاديه ولكن دون جدوى، فأمسك بكتفي وأخذ يخضني بقوة ثم بكى على صدري، كان يرتجف بينما لم أحرك ساكناً، ثم فاجأني بجلوسه أرضاً وأمسك بساقي واحتضنها بقوة ثم قال: (قتلته، نعم قتلته، قتلته متعمداً، كنت أعلم أنه جيرود، والمحكمة أيضاً تعلم، أرجوك لا تقتل جوليا إنها بريئة، بريئة، اقتلني أو اقتل زوجتي بدلاً منها)، ثم نهض وضحك ثم أخذ يضرب بقبضته على صدري بقوة، على المكان الذي بكى عليه لتوّه، ثم صرخ في وجهي قائلاً: (لن أسمح لك بالانتقام) ورحل.

- وماذا فعلت؟ (الحوورية الأم، مذهولة).
- أكملت طريقي لمعملي.
- (أكملت طريقك لمعملك!) هذا كان لسان حال الحوريات الخمس اللواتي سمعنه وأغلب الظن أنه لسان حال كدي أيضًا.
- استبق نُوا طلب الحوريات بمتابعة حكايته فتابع قائلاً:
- وبعد وصولي لمعملي بقرابة ثلاث ساعات قدمت إلي فتاة شابة، بدا لي أنها ركضت من مسافة ليست بقرية، اقتحمت عليّ المعمل واتكأت على حلق باب الغرفة التي كنت أعمل فيها، فأكرمتها بمنحها عدّة لحظات احتاجتها لتلتقط أنفاسها دون أن أسألها عن نفسها أو عن مبتغاها، ثم قالت من تلقاء نفسها: (أنا جيسي حفيذة السيدة مادلين صديقة والدتك، إنها تطلب منك أن تذهب إلى منزلك على الفور فالنيران تلتهمه، وقد رأيت بأم عينيها رجالاً يخرج من فناء منزلك قبيل اندلاع النيران فيه).
- لا، لا أصدق! (جيندا).
- ولم لا تصدقين أيتها الحورية جيندا؟ ألا تعلمين أن تقبل المهانة يستجلب المزيد منها. (الحوورية الأم).
- ما الذي أصابك أيتها الحورية الأم! .. نُوا لا عليك منها، أخبرني كيف أمكن أن اختبأت كل هذه المصائب في صدر واحد دون أن تدمر صاحبه؟ (ليلاف، متأثرة).
- تساءل نُوا في سره: (أيعقل أن أتوقف هنا! .. لا أظن) ثم تابع قائلاً:
- سألتها وأنا أجلس في مكاني ببرود: «أليس اليوم عطلة كلارا؟» لم تجبني، في الواقع لم تكن تعلم، ولكنني تذكرت على الفور أنه كذلك، فألقيت بما في يدي وانطلقت إلى منزلي، أو بالأحرى لما تبقى منه، كان رجال الإطفاء يطوقونه من كل مكان، مع بضع عربات إسعاف وأخرى تابعة لرجال الأمن.
- ما حل بزوجتك والصغيرة كلارا؟ (جيندا).

- استراحتنا من صخب الحياة.
 - قضيا في الحريق؟ (ليلاف).
 - نعم، لم تُكتب لهما النجاة.
- عادت موجة الصمت لتسود المكان، لم تتجرأ القيمات على أية مبادرة وتركن المهمة هذه للحوارية ديلماف لحنكتها وخبرتها في الحياة، ولم تخيب ظهنَ فنهضت من مكانها واتجهت نحو نُوا وأمسكت بكتفه وضغطت عليها بقوة وخاطبته وعيناها تنصبّ على عينيه قائلة:
- نُوا .. لم تكن مضطراً لتدلي بكل ذلك، نحن نأسف على كل ما قصصته علينا ونأسف لأننا أثرنا عليك مواجعك.
- ثم نظرت للقيّمات الثلاث وتابعت قائلة:
- ومن منّا كانت لتتوقع بأن تفقد والدك ومن بعده والدتك ومن بعدها أخاك الوحيد، ومن بعده زوجتك وطفلتك ومنزلك ومزرعتك، لقد فقدت كل شيء!
 - لا .. تبقى لي المعمل. (نُوا، مبتسماً).
- وفي تلك اللحظات بدأ نُوا يشعر بالإرهاق لما بذلته ذاكرته ولما أرفده قلبه، ولكنه أدرك من الجوّ المحيط به بأنه على الأغلب سيخوض تنمة الحوار الذي وجد نفسه مُقحمًا فيه، لذا أثر المتابعة في قصّ حكايته على الفور أملاً باختصار الوقت المتبقى لإتمام حكايته فقال:
- تركتني جيسي عند رصيف منزلي وأنا أتأمل النيران وهي تُكافح رجال الإطفاء الذين يكافحونها، وتوجهت إلى أحد رجال الأمن وأخذت تتحدث معه بصوت خافت، وأغلب الظن أنها أعلمته بكوني صاحب المنزل المحترق، وبعد فترة قصيرة ابتعدت عن الرجل وأخذت تبكي بصمت، وتعمّدت إعطائي ظهرها كي لا أشهد دموعها التي يبدو أنها سألت بغزارة، تساءلت في سرّي عن الداعي من وراء محاولتها لإخفاء دموعها عني؟ فلا يحتاج توقّع سير أحداث الأمور لمقدار كبير من الذكاء.

اقترب مني رجل الأمن الذي كان يحدث جيسي وعزفني بنفسه دون أن أصغي لما يقوله، وقدم لي بالغ أسفه وحزنه على فقداني لمنزلي، فشكرته على اهتمامه وطلبت منه أن يسرع ويدلي بما تبقى في جعبته من الأنباء التي لا بد لي من سماعها، فانحنى برأسه قليلاً ثم قدم لي التعازي بوفاة كل من كيت وكلارا.

قلت له: (حسناً)، ثم تركته وحيداً يتابع في تقديمه العزاء للهواء وعدت لمعملي وأغلقتة على نفسي ومكثت فيه لمدة أسبوع لم أخرج أثناءه قط، سوى العم ريتشارد "صاحب المعمل الأول والعامل الوحيد المتبقي فيه" لم أقابل أحداً.

عمل العم طوال الأسبوع على تأميني بالطعام وكان يدس الأخبار الجديدة المتعلقة بالحريق أمام مسمعي رغماً عني، فأعلمني أن أقرباء كيت تولّوا كل الأمور المتعلقة بالحادثة كما أنهم قاموا برفع دعوى قضائية اتهموا فيها رجل الأمن لوكاس باففعال انفجار صغير أدى للحريق، واستندوا بذلك على شهادة السيدة مادلين وثلاثة من صديقاتها اللواتي شهدن الواقعة، ثم أخبرني لاحقاً بأن المحكمة أصدرت حكماً ببراءته نظراً لأن صحة الشهود ليست على ما يرام ولكونهن متقدمات في العمر. وفي اليوم السابع وبشكل مفاجئ دون سابق إنذار قدم إلى معملي برفقة العم ريتشارد خمسة أشخاص من أقرباء كيت وحملوني على الخروج من المعمل على الفور دون أن يمنحوني الوقت لأرفض. كانوا سعداء للغاية، ساروا بي إلى أن وصلوا إلى مركز الأمن، فأدخلوني المركز وسط دهشتي ومؤشرات السعادة تتضاعف على محياهم، ثم ساقوني إلى إحدى الغرف، ثم استأذنوا دخولها وسمح لنا فدخلناها جميعاً. كانت قاعةً متوسطة الحجم، سقفها مرتفع وطلاؤها أبيض قديم وأرضيتها من بلاط متسخ أكثر قديماً، وكان في صدر القاعة مكتب ضخم يجلس من خلفه رجل أمن أنيق تبين لي منذ الوهلة الأولى بأنه مسؤول مهم وبأنه أهم الموجودين في القاعة، وكان على الطرف الأيمن للمكتب رجل آخر

أقل رتبةً من الأول، ومن أمامهما كان يقف رجلان إلى يسار المكتب؛ الأول عامل التنظيفات الذي أخبركم عنه، إنه ذاته الشاهد على حادثة إطلاق النار على جبرود الذي بدّل شهادته، والثاني رجل أمن يقف خلفه. كان العامل يرتدي بزّة عمله الخضراء وقبعة بيضاء ويتعلّح حذاءً رياضياً قديماً شديد الاتساخ، وكانت يداه مقيدتين بسلسلة حديدية أمامه أثارت استغرابي.

طلب الرجل الأنيق منّا الجلوس فجلسنا، ثم طلب مني تحديداً أن أجلس قبالة عامل التنظيفات بالقرب من رجل الأمن الجالس إلى طرف المكتب ففعلت، ثم أمر عامل التنظيفات بالحديث قائلاً: (ها قد جئنا بالسيد نُونا كما اشترطت .. تكلم).

دخلت الحوريّات الخمس في حالة من الجمود، بلا حراكٍ كأنهنّ في عالم آخر، أما كيدي فكان ملتصقاً بظهر الحوريّة نايا أشدّ الالتصاق. استحوذت حكاية نُونا عليهم استحواذاً عجيّباً أثار استعجاب نُونا، ما دفعه ليتساءل في سرّه بشكل سريع عمّا إذا كان السبب في ذلك غرابة حكايته أم سرعة تطوّر أحداثها أم ماذا؟

لاحظ نُونا أن لجنة الحوريّات اكتفت منذ فترة بإبداء تداخلاتها على حكايته فاستغل الأمر في سبيل تسريع وتيرة اجتماعهم سعيّاً للخلاص منه، فدخل في صلب حكاية عامل التنظيفات وأدلى بها على مسامعهمّ بأسرع ما استطاع وعلى قدر ما أفادته ذاكرته. فقال:

– كان يُدعى آصف، وهو أجنبيّ، هَجَرَ وطنه المنهوب «كما ادّعى»، ووطنه بعيد جداً عنّا، حتى أنه يقع خارج حدود قارتنا، وقَدِمَ إلى مدينتنا منذ قرابة عشرين عاماً وكان وقتها بعمر العشرين، وكان المالّ الدافع الوحيد وراء هجرته ليَلبّي من خلاله طموحه في إعالة أفراد أسرته الممتدة التي تعاني من ويلات الفقر المدقع. وصل إلينا آصف تائهاً تماماً لا يملك شيئاً، لا مالاً ولا عتاداً ولا مهنةً ولا شهادةً ولا حتى لغةً يتواصل مع البشر من خلالها، كانت حالته

حين وصوله إلى شاطئ مدينتنا كحال من يتخبطه الشيطان من المس، وفور وصوله بدأ بالبحث عن عمل ليقنات منه، ثم ليقنيت به الجياع الذين ينتظرونه بعيداً.

وصادف أن كان من أوائل الأبواب التي طرقها آصف طلباً للرزق باب مالك متجر المدينة المركزي، وكان المتجر وقتها أصغر حجماً بكثير مما هو عليه الآن، ووجد خلف ذلك الباب استقبلاً مَرَحَباً من قبل مالك المتجر، وكان في ذلك الاستقبال ما فاق أحلام آصف الحقيقية وحتى اليقظة منها.

أما في الواقع فقد أعجب مالك المتجر بفكرة كون آصف لا يستطيع التحدّث بلغتنا، وذلك بالطبع يشمل كونه لا يستطيع قراءتها. بهذه الطريقة حَسَبَ الجشيع الأمر، وكان مما زاد في جشعه استطاعته فهم لغة آصف المحليّة بشكل مقبول، فاستغل مالك المتجر الأمر لصالحه وعرض عليه العمل بوظيفة مؤقتة كعامل تنظيفات، ومنحه على الفور مجموعة أوراق ليقوم بتوقيعها، فوقّع آصف عليها دون تفكير، فقد كانت تلك الأوراق طوق النجاة الوحيد بالنسبة إليه.

ومع انقضاء أول ستة أشهر لآصف في عمله الجديد شعر بأنه بفضل العاملين معه في المتجر بدأ يتمكّن من لغتنا استماعاً وتحدّثاً، وأنه يتطور معها بشكل جيد نسبياً، ما منحه الثقة ليتوجّه لمالك المتجر بطلب ترقية كما وعده في لقاءهما الأول، ولكنّ طلبه رُفِض، وتعذّر لذلك مالك المتجر بعدم وجود شواغر أخرى «تناسبه»، وطالبه بالصبر. وحتى بعد انقضاء قرابة سنة ونصف السنة على تلك الحادثة لم يتوفر أي شاغر يناسب آصف حسب وجهة نظر مالك المتجر، ما دفع آصف للبحث عن وظيفة أخرى خارج حدود مكان عمله، وبالفعل قُبِلَ آصف للعمل في محطة وقود بجانب المتجر الذي كان يعمل فيه، وبدخل أفضل بكثير مما كان يحصل عليه، يفوق ثلاثة أضعافه، إذ كان مدخوله من المتجر عبارة عن مقدار ضئيل من المال بالكاد يكفي لإطعام نفسه

ونصف عائلته.

وعندما قرر آصف ترك مكان عمله قام بما يقوم به الجميع عند تركهم لأماكن عملهم، فشكر جميع العاملين معه واتجه إلى مالك المتجر وشكره جزيل الشكر على ما قدمه له، واستأذنه الانتقال للعمل في محطة الوقود المجاورة لهم، ولكنه تفاجأ عندما قوبل طلبه برفض قاسٍ. ولم تكن المفاجأة محصورة بالرفض القاسي من قبل مالك المتجر وحسب، بل كانت بهوضه من مكانه واشتياطه غضبًا وصراخه عليه وشتمه له بأقذر الشتائم، كما أنه هدده بتأديبه باستخدام العنف في حال تكراره لمطلبه في المستقبل، ووصل بأصف الأمر بأنه لم يشك ولا للحظة بأنه سيتعرض للاعتداء بالضرب خلال تلك اللحظات المجنونة. تابع نُوا وسط متابعة الجميع:

- وبعد ذلك المشهد البشع وكان مالك المتجر قد أنهى من إفراغ حمولته النفسية القذرة في وجه أجيره، جلس على مقعده وعمد إلى أحد أدراجه فأخرج منه مجموعة أوراق تذكرها آصف على الفور، كانت ذاتها الأوراق التي قام بالتوقيع عليها يوم وصوله لمدينتنا، وقام بتذكيره بأنه وقّع عليها بملئ إرادته وأن الذنب ليس ذنبه إن لم يكن يعلم بأنها تتضمن تعهدًا بتسديد مبلغ ضخم من المال، ثم أخذ يقهقه بصخب إلى أن خرج آصف من مكتبه ذليلاً.

وهكذا انتهى لقاء آصف بمالك المتجر وكانت خلاصة لقائهما استمرار آصف بالعمل في المتجر مدى الحياة وبنفس الأجر! وبالإضافة لذلك أن يعمل في باحة المتجر فقط وألا يدخل إلى داخل المتجر نهائيًا، كما أنه أجبره على زيادة ساعات عمله لتصل إلى ثماني عشرة ساعة في اليوم، بحجة التسريع في قضائه لدينه، مع العلم بأن حياة آصف بأكملها مهما عاش لن تكون كافية لسداد نصف المبلغ المطلوب.

واستمر آصف على حاله إلى أن أتم قرابة الأربعين عامًا، حتى جاء

اليوم الذي التقيته به في مركز الأمن، ففي ذلك اليوم انتشر في متجر المدينة المركزي خبر دنو أجل مالكة، وكان عمره قرابة الستين، إذ كان يعاني من مرض عضال في رثته منذ فترة طويلة.

ومع ذلك الخبر تنبه آصف لنفسه «متأخرًا» فتساءل إلى متى؟ وهل حقًا سيظل في العبودية إلى الأبد؟ أن يستيقظ كل صباح ليبيت على ما أصبح عليه؟ ثم لم يعيش كل ذلك، لم يتحمله؟ ليحصل على ما لا يكفي لمجرد إطعامه لنفسه وبضعة أفراد من عائلته، فلم يعد يرسل لعائلته المال الكافي منذ فترة طويلة! وهل سيستمر على عبوديته مع ورثة الجشع «الجشعين مثله» كما كان معه من قبل؟ ثم لم يحصل مثل مالك المتجر

على موت هادئ؟ وهل الحياة في السجن أفسى من حياته خارجه؟ لذا قرر آصف قتله، قد يكون قراره غير مدروس ولكنه في النهاية قرار، وأن يأتي القرار متأخرًا خير من أن لا يأتي على الإطلاق، وفور اتخاذه لقراره بقتل مالك المتجر خطر على باله رجل الأمن لو كاس لكونه الخيار المثالي ليسرق منه سلاحه وما أسهل تلك المهمة! فيحكم عمل آصف خارج المتجر المطل على منزل لو كاس كان يعرف تحركاته اليومية حق المعرفة ويعرف بالتحديد الأوقات التي يكون فيها مخمورًا وفاقدًا لوعيه.

وبالفعل ترقّب آصف جاره المخمور يومها، وفور ظهوره اتجه إليه وطلب منه سلاحه ليقوم بتنظيفه له، شكر لو كاس آصف وأعطاه السلاح عن طيب خاطر نظرًا لكونه في عالم آخر بعيد كل البعد عن الواقع، فأخذ آصف السلاح وأخبر لو كاس بأنه سيعود إليه بعد قليل، وانطلق إلى مكتب مالك المتجر لينفذ ما صمم عليه - إذ قرر الجشع نقل مكان إقامته إلى متجره بشكل دائم رغبةً منه في الموت وسط أمواله - ولكنه توقف. توقف آصف وعرض على نفسه شريط ذكرياته فتذكر كيف قتل المخمور لو كاس البريء جبرود بذات السلاح الذي سرقه منه، وكيف أنه صُفِع أمام ضحكات مالك المتجر عدّة صفوفات من قبل رجال الأمن

بسبب إدلائه بشهادته الأولى المتعلقة بتلك الحادثة، لعدم ملائمة شهادته مع ما رغبوا بسماعه، وتذكر كيف أنهم هددوه بالاعتقال طويل الأمد والتأديب اليومي، وتذكر كيف أمره مالك المتجر بتغيير إفادته لتجنب إغضاب رجال الأمن المتنفذين، وتذكر أيضًا كيف شاهد لوكاس وهو يخرج من منزلي قبيل حدوث الانفجار الذي أدى لاحتراقه ومقتل كل من كيت وكالارا، وتذكر كيف أنه أُجبر على الصمت مرةً ثانية.

احتاج آصف لفترة ثلاث دقائق، ثلاث دقائق فقط كانت كافية لتغيير له من مساره، فعاد أدراجه إلى منزل لوكاس الذي كان ما يزال مخمورًا وقتها وأخبره أنه شاهد رجلًا غريبًا في مرآبه، ما سبب جنونه فاتجها معًا إلى المرآب، وهناك استغل آصف الفرصة وانهاه عليه بضربة على رأسه بواسطة أنبوب معدني ملقى على أرضية المرآب، فطرح لوكاس أرضًا ولكنه لم يمت، فصعد آصف على صدره وهمس له في أذنه قائمة جرائمه ثم قام بخنقه بيديه.

كانت تلك الجريمة «جريمة عادلة»، هكذا عبّر عنها آصف، وكانت تلك الجريمة أول جريمة قام بها في حياته ولكنها لم تكن الأخيرة، الغريب في الأمر أنه وجدها أسهل بكثير من قتل دجاجة، وهو من لم يقتل دجاجة من قبل.

وبعدما أجهز آصف على لوكاس اتجه إلى المتجر، بالتحديد إلى مكتب مالكه وطلب رؤيته لأمر ضروري، وأكثر ما أسعد آصف وقتها أن مالك المتجر ضحك بصعوبة عندما دخل آصف عليه وبادر لإخباره وهو يكاد يخنق: «ستموت هنا في المتجر كما أموت أيها الأحمق»، فاعتبر آصف مقولة الجشع هذه دلالة على صحة قراره المتأخر وأطلق عدة أعيرة نارية على قدميه ثم تابع قاصدًا وجهه، وكان ذلك وسط حضور الأطباء والممرضين المشرفين عليه، كان يقصد بذلك إعطاء الجشع الفرصة ليستوعب أنه يتعرض للقتل وممن؟ من أحقر عامل في إمبراطوريته المالية، وبعدما أرداه قتيلاً ألقى بسلاحه على الأرض ثم

جلس على ركبتيه ووضع يديه فوق رأسه وقال ضاحكاً «أستسلم»، ثم انتظر وصول رجال الأمن.

لم تبدِ الحوريات أية ردة فعل أمام ما قصّه نُوا عليهنّ، كنّ مغيبات تماماً، فعمد نُوا للتصفيق بيديه تصفيقتين في محاولة منه لإيقاظهنّ من حالتهنّ ولكن من دون جدوى، حاول مرة أخرى فقال: (انتهت الحكاية) ولكن مزة أخرى من دون جدوى، انتظر قليلاً ثم تبادر إلى ذهنه بأنه من الأفضل له أن ينسحب من القاعة، فاتجه للخارج وأثناء خروجه قال: (حسناً .. إلى اللقاء).

- انتظر! (الحورية الأم).

توقف نُوا مكانه ثم التفت ناحية لجنة الحوريات ببطء. بينما تابعت الحورية الأم كلامها:

- انتظر، لم تُنهِ حكايتك بعد، أليس كذلك؟

- بلى ولكنني ظننت بأنكنّ بحاجة للراحة.

- دعك منّا، تابع حكايتك من فضلك. (الحورية الأم).

- لم يبقَ شيء يُذكر.

- لا، بالتأكيد بقي، هينا إننا نصغي إليك.

تململ نُوا برأسه ثم تابع:

- حسناً .. أقيمت لأصف محاكمة بعد ثلاثة أيام من يوم لقائنا

به في مركز الأمن، وأدين من خلالها بالقتل العمد مع سبق

الإصرار والترصد وبالتالي حُكم عليه بالسجن مدى الحياة.

وحضر المحاكمة حشد غفير من سكان مدينتنا الذين تعاطفوا

مع قصته التي قام بتسريبها الرجال الذين التقوا به معي، وفور

إعلان القاضي عن حكمه ثار الحضور.

ثاروا معاً ثورة رجل واحد وهاجموا باسمه "أصف" عشرات المرات

وطالبوا ببراءته، ولكن ثورتهم لم تكمل الثلاث دقائق، فسرعان ما هدأوا

وعادوا إلى حياتهم اليومية، وأظنهم نسوه مباشرةً وربما نسوا المحاكمة

التي حضروها برمتها. وهكذا انتهت حكايته.

- وأنت؟ (جيندا).
 - لم أتمكن من نسيانه قط، وبسبب هذا الأمر لم أستطع العودة إلى معلمي.
 - معملك! (الحوارية الأم).
 - ألم أخبركم بأنه لم يبق لي سوى معلمي؟
- خيّم السكون على الجميع من جديد وحاصرهم لفترة قصيرة إلى أن كسر نوا حصاره قائلاً:

- كان معلمي الوجهة الوحيدة المتبقية أمامي لذا أفرغت فيه كل طاقتي بشكل يومي، ولكن من بعد انعقاد تلك المحاكمة لم يعد يكفيني، لم يعد يكفيني البتة، ما وضعني أمام اتخاذ قرارٍ جريء لا يتناسب نهائيًا مع شخصيتي، إذ صيرت معلمي نزلًا أقصده للنوم وفي المقابل شغلت أيامي في العمل بأية مهنة أخرى.

- يا له من قرار غريب! (ليلاف).
- ترى ما المهنة التي اخترتها؟ (جيندا).
- في الواقع إنها ثلاث مهنةٍ لا مجرد مهنةٍ واحدة اتخذتها على التوالي. كانت أولها «الغسيل والكي»، لا تستغربن من ذلك، عملت في مشغلٍ صغيرٍ متخصصٍ في غسيل الملابس وكيها، وكم سُعد صاحب المشغل بي، لا لإعجابه بأدائي بل لكوني حافظت على القدوم إليه حال فتحه لمشغله ومغادرتي معه مع إغلاقه، كما أنه سُعد أكثر لكون الأجرة التي طلبتها منه لقاء عملي أجرة زهيدة، مجرد غسيلي لملايسي وكيها.

- وما هي المدة التي عملت بها لديه؟ (هيفار).

- قرابة الثلاثة أسابيع، ثم تركتها.

- ولم تركته؟ (هيفار، من جديد).

- لأنني وجدت البشر لا يشكرون، جميعهم كذلك، فبينما كنت أبذل قصارى جهدي في العمل وبينما كنت أبالغ في الاهتمام بكل تفاصيله، لم أجد التقدير من أحد، لا من مالك المشغل ولا من زبائنه. ولا أقصد بقولي التقدير لذاتي، بل قصدت التقدير للمكان الذي ملأته، فمالك المشغل ينظر لأمواله بعبوس خشية فقدانها، وزبائنه ينظرون إلى ممتلكاتهم بعبوس أقسى للعثور على عيوب فيها كي يطالبوا بإعادة العمل عليها، أو محاولة إعادة أموالهم، وإن لم يروا ما يشوب بضائعهم رحلوا واجمين، ولم يخطر لأحد منهم قول كلمة شكر أو حتى تقديم مجرد ابتسامة، يظنون أنهم بدفعهم لأموالهم يقومون بالواجب وكفى.

- وجهة نظر! (ليلاف).

- إنهم بشر، ألم تتعرف على طباعهم؟ (الحوارية الأم).

- وما كانت مهنتك التالية؟ (ليلاف).

- كانت في متجر لبيع الهدايا والزهور.

- كم أحب أزهار سطح الأرض! (جيندا).

- نُوا تابع من فضلك. (الحوارية الأم، بحنق بسبب عودة جيندا لمداخلاتها).

- وأنا أحببتها أيضًا، أثارَت في حبيها لعبقها ولألوانها ولجمال تشكياتها، أيام صغري كنت أتفقد نموّ أحواض زهور حديقتنا التي قامت والدتي على رعايتها أحسن رعاية، ولاحقًا أحببتها أكثر لسعادة جيروود البالغة أثناء اعتناؤه بها. في السابق كان اهتمامي بالزهور مجرد اهتمامٍ عن بعد، بمعنى أن تكون بخير لا أكثر ولا أقل، ولكن لاحقًا عندما أقحمت نفسي في مجال تنسيقها كباقيات أخذت مني اهتمامًا أكبر بكثير من ذي قبل، وجدت فيها متعة التعامل مع الجمال النقي.

- أيّ الأزهار أحبّ إلى قلبك؟ (جيندا، مع القليل من الخوف من غضب الحوريّة الأم).
- وهل سستمكّنين من معرفتها إن ذكرتها لك بأسمائها التي أطلقها عليها بنو البشر؟
- بالطبع كلنا نعرفها، تتناقل إلينا علوم البشر من خلالكم أنتم رجال آينجه.
- جميل، إن أحبها إلى قلبي هو زهر الأقحوان، والأوركيدا أيضًا والأستر البنفسجي. لا لا.. بل زهرة الكرز، لا توجد من هي أجمل منها.
- ولم تركت العمل في هذا المجال أيضًا؟ (هيفار).
- لذات السبب الذي تركت من أجله العمل في الغسيل والكَيّ، وجدت البشر لا يشكرون وبالإضافة لذلك لا يقدرّون الجمال. وجدت قلوبهم ميتة، يتناولون هداياهم ويتعاملون معها كما يتعاملون مع الجمادات، يحسبون اتباعها مهمةً وعليهم الخلاص منها لا أكثر ولا أقل من ذلك. عملت هناك قرابة الثلاثة أسابيع وتركتها بعدها.
- وما كانت مهنتك الأخيرة؟ (الحوريّة الأم).
- عملت في مقهى جميل يدعى مقهى الحياة، لم أدخله من قبل رغم سمعته الرائعة، كانت كيت ترتاده بكثرة رفقة صديقاتها، والمؤسف أنني وجدت فيه ما وجدته في مشغل الغسيل والكَيّ ومتجر الهدايا، وجدت أن الجميع يحصلون على طلباتهم بقدر واحد من العبوس، بلا شكر ولا حتى بابتسام أو أدنى تقدير للنعمة التي يطلبونها.
- وبعد أسبوع من عملي في المقهى عرضت عليّ إحدى زبائنه، بأن أقوم بزخرفة يختها، في البداية رفضت ثم آثرت الموافقة على زخرفته، وعدت من خلال يختها للعمل في معملي، إلى أن أتيت إليكم.

- كيف جيء بك إلى هنا؟ (ليلاف).
- كيف لي أن أعلم؟ كل ما أذكره أن صاحبة اليخت طلبت مني أن أنتظرها في يوم محدد قرب منارة البحر، وأن أذهب إلى هناك مهما حدث، وأوفيت لها بوعدي رغم أنني سمعت بأنها انتحرت قبيل موعدنا بعدة أيام، قالوا إنها أغرقت نفسها بنفسها، ولكنني لم أتبين من الأمر.
- أيعقل أن يُغرق أحد ما نفسه! (هيفار).
- لا يمكن أن تكون قد غرقت من تلقاء نفسها! هذا في حال صدقتنا بأنها غرقت، كانت الأمهر في السباحة على مستوى بلادنا وربما على مستوى العالم أجمع، كان أصدقاؤها يدعونها بالدولفينية الصغيرة أو الكبيرة، لا أذكر.
- نهضت الحوريّة الأم من مكانها واقتربت من نُوا ثم قالت له: أظن أنه من الجليّ لنا أننا سنحتاجك للعمل على ترميم بيوت مدينتنا وخصوصًا بيت البلجيك، أليس كذلك أيتها الحوريات؟
- بلى. (أجابت الحوريات الثلاث).
- تابعت الحوريّة الأم كلامها فقالت: لون عينيك جميل للغاية، بإمكانك الرحيل الآن وستعلمك الحوريّة نايا بكل ما تحتاج لمعرفته لاحقًا.
- (يا للون عيني!) قال نُوا في نفسه ثم توجه للخروج من القاعة وعند اقترابه أضافت الحوريّة الأم قولها وهي تشير للوحة الألم: بما أننا تطرقنا لموضوع صاحبة هذه اللوحة «الحوريّة آشين» في بداية حوارنا أجد أن عليّ أن أخبرك رأيي بشأنها.
- التفت نُوا للحوريّة الأم فتابعت قائلة: أرى أن الحوريّة آشين ضعيفة للغاية وفيها من الأنانية ما فيها، فلا يمكن أن يكون الهروب من المشكلة حلًا، كما أن خيارها

بالتلاشي لم يكن منصفاً لجنس الحوريات، كان عليها أن تعمل
من مركز قوتها لبناء ما تم انهياره.
ابتسمت الحورية الأم لذهول نُوا من خاتمة حديثها ثم قالت:
- بإمكانك الذهاب، إلى اللقاء.
- إلى اللقاء. (نُوا، خارجًا).

رحلة الانتقام

كم تاق نُوا للحظة خروجه من تلك القاعة التي جمعته بلجنة الحوريات، خرج بأسرع ما أمكنه خروج الهارب وأغلق الباب من خلفه بخفة سارق، ثم اتكأ بظهره على الباب وأطلق بسعادةٍ بالغةٍ زفيرًا - شكليًا - هاتئلاً أراحه بعض الشيء. وللأسف لم تدم سعادته كثيرًا إذ اجتاحت رأسه موجة صداعٍ شرسة سببت له ألمًا فتاكًا. فاستسلم لألمه ووضع كفيه على وجهه وأنهار جالسًا في مكانه.

في تلك الأثناء كانت الحورية نايا وقطها الماكر في سباق مع الزمن للعودة إلى المكان الذي كان من المفترض أن يجدهما نُوا فيه فور خروجه، وذلك بالطبع خشية أن يتتبه القلق أو أن تتسرب له الظنون بامكانية استراقهما للسمع على لقائه باللجنة، خصوصًا لما للقط من تجارب سابقة في هذا المجال.

وصل القط ووصلت الحورية بعده بقليل، نظر نُوا إليهما بيأس وسألهما باستسلام تام نتيجة صداعه وألمه:

- أين كنتما؟
- هنا، نعم هنا، أخذنا نتجول في أرجاء بيت البلجيك. (نايا، مرتبكة).

عاد نُوا إلى صمته فشعرت الحورية بتصديقه لها، ثم بادرت

مضيفة:

- هيا بنا.
- إلى أين؟
- لا أدري، هيا بنا وسنرى.

فُتح الباب فجأةً وظهرت الحوريّة ديلماف من خلفه وخاطبت الحوريّة نايا قائلة:

- نايا، أتمنى منك إخبار الجميع بضرورة التجمع في ميدان جاساريت في بداية الثلث الأخير من نهار اليوم، أيمكنني الاعتماد عليك في ذلك؟
- بالتأكيد. (نايا، مبتسمة).

ردت لها الحوريّة ديلماف الابتسامة ثم عاودت الدخول إلى القاعة مرة أخرى.

- هيا بنا، ها قد وجدنا ما علينا فعله .. إلى المنارة الثالثة.
أمسكت الحوريّة بيد نُوا ونهضت به وسحبته معها للخارج متجهةً إلى المنارة المنشودة وأخذت تُعلم الجميع ممن تلتقي بهم بما أوصتها به الحوريّة ديلماف، وأثناء ذلك خاطبت نُوا قائلة مستبقةً تسأوله:

- من مهام المنارة الثالثة نشر كل الإعلانات التي تريدها قادة الحوريّات.

في الواقع لم يخطر ببال نُوا ما أخبرته به الحوريّة، لم يشغل باله سوى أمرين؛ الأول إن كان حقًا عليه قصص ما قصه على اللجنة؟ والثاني - ولكن بدرجة أقل - لِمَ لَمْ تسأله الحوريّة عمّا حصل معه في الداخل! وصل ثلاثتهم للمنارة والقط في ذيل ترتيب الواصلين، وتحدثت الحوريّة مع إحدى الحوريّات العاملة هناك، فطلبت منها الانتظار قليلًا واختفت داخل المنارة، وبعدها بلحظات سمع الجميع صوتًا بدا كصوت دُولفين استمر لبعض الوقت، وبعدها خرجت الحوريّة العاملة مبتسمة، فشكرتها صديقتنا ثم سحبت نُوا من يده من جديد واتجهت به صوب ميدان جاساريت، وعندما وصلوا الميدان جلست عند أقرب عتباته بالنسبة إلى المنارة الثالثة وطلبت من رفيقها الجلوس معها.
- ألن يخبروا الجميع بما أعلمتك به الحوريّة ديلماف؟ (نُوا).

- لقد أخبروا الجميع بالفعل!
- متى حصل ذلك؟!
- منذ قليل، ألم تسمع الصوت الذي صدر عن المنارة؟ كان رسالة الحوريّة ديلماف لجموع الحوريّات، لدينا نحن الحوريّات مجموعة لغات كما لديكم.
- أتقصدين الصوت الذي يشبه صفيّر الدُولفين؟ ولكنني لم أفهمه! ولا أظن أن أحداً من رجال آينجه فهمه؟
- ومن قال لك إن إعلاننا موجّه إليكم أنتم الرجال؟ ذاك النداء موجّه للحوريّات، ولكنك ستري العديد من رجال المدينة في الميدان حال تجمّعت الحوريّات إذ يتتاب الفضول الكثير منهم.
- وأنا؟
- لا .. أنت مدعوّ، مدعوّ بشكل رسمي. (نايا، مبتسمة).
- ومن دعاني؟
- أنا. (نايا، بفخر).
- جلسُوا بجانب الحوريّة وعرض على القط الجلوس بجانبه، مرّت لحظات توقعُوا أثنائها مشاهدة حراك القط ولكنه لم يسمع شيئاً، فبحث عنه وهو في مكانه فتبيّن له أنه كان ينام بجانب الحوريّة منذ أول جلوسها.
- أخذُوا وقته يحدّق إلى سماء المدينة ثم قال:
- أجمعت لجنة الحوريّات على أن المدينة تحتاج لمن هو مثلي في العمل على ترميم مباني آينجه.
- ابتسمت الحوريّة ابتسامة حزينة واكتفت بقولها:
- عظيم.
- وصادف ذلك مرور مجموعة من صغيرات الحوريّات بجانبهما وكنّ يحملن سلالاً مليئة بالأوتلاش، ومن دون أن يطلبُوا من إحداهن شيئاً بادرت صغيرة منهن بإعطائه كمية وافرة من الأوتلاش وابتسمت له

ثم للهورية نايا وأهملت القط ورحلت مستدركةً مجموعتها. كان من الجلي أن الكمية المعطاة لُنوا تكفي لاثنين على الأقل، ولكنه فضل التغاضي عن ذلك والشعور بالزهو كأنها خصته لذاته، وكم تمنى أن تتكرر معه تلك الحادثة في المستقبل أكثر من مرة، وفي القريب العاجل ولم لا.

- يا لها من لفظة إنسانية جميلة. (نُوا).

- بل حورية، لفظة حورية.

- نعم حورية.

- إنها من صغار المتدربات في قطاع تيرم. (نايا، باقتضاب).

تناولا ولوحدهما كامل كمية الأوتلاش الموجودة بحوزتهما وذلك لرفض كيدي تناول أي منها لشعوره بالإهانة من الحورية المتدربة، وأخذاً بعدما فرغا من طعامهما يسيران صامتين في طرقات المدينة والقط حولهما في الأرجاء يظهر أمامهما ويختفي. كانت الحورية تُبحر في أمر السرية التي تنتظرها، أما نُوا فأخذ يتذكر قصته التي قصّها على اللجنة لتوه. وأثناء ذلك دارت عجلة الوقت دورة لم يتنبه لسرعتها أحد منهما إلا عندما وجدا نفسيهما ضمن جموع الحوريات في ميدان جاساريت. قلق نُوا من الفصل المُتبع في الميدان، إذ كانت الحوريات تملئ القسم الأمامي منه، ويتبعهنّ في المنتصف صغيراتهنّ، وفي الخلف كانت أعداد لا بأس بها من رجال الحوريات، ولكن قلقه تبدد واستبدل بالطمأنينة عندما أمسكت حوريتنا بيده قائلةً له: (اتبعني)، واتجهت به إلى القسم الأمامي من الميدان وأثناء ذلك قال في نفسه: (من حسن حظي أنني على عكس معظم الرجال لا أمانع التبعية للمرأة).

كان القسم الأمامي من الميدان شديد الاكتظاظ إلا أن حوريتنا أصرت للحصول فيه على مكان يتسع لها ولصديقتها، وبالتحديد في الصف الأول، وبالفعل حصلت بإصرارها على ما أرادت، وبعد استقرارها وصديقتها فيه بضع دقائق ظهرت قيمات قطاعات المدينة وتتبعهم

الحوارية الأم حاملةً على ظهرها ما تبين لاحقاً بكونه فأس الأولدوروجو الأسطورية. ومع ظهورهنّ عم الصمت في أرجاء الميدان في انتظار تبيان سبب التجمّع.

اقتربت الحوارية الأم من المنصة المُطلّة على الميدان ورخبت بجموع الحوريات كبارًا وصغارًا، كما رخت بالفضوليين من البشر، وشكرت الجميع على الاستجابة للحضور ثم دخلت مباشرة في صلب موضوعها قائلّة: (لقد استعدناها أخيرًا!) ورفعت فأس الأولدوروجو يمينها لأقصى ما استطاعت.

تأخرت ردّة فعل جموع الحوريات بعض الوقت نتيجة حجم المفاجأة الهائلة التي ظهرت أمامهنّ، ولكنهنّ كفّرن عن تأخر ردّة فعلهنّ بإصدار أصواتٍ غريبةٍ بدرجاتٍ مدويةٍ، تشبه إلى حدٍ كبيرٍ صفير الإعلان الذي سمعه نُوا قبل ذلك. لاحقًا استنتج نُوا بأن تلك الأصوات تُعدّ تعبير الحوريات على شدّة فرجهنّ.

كانت تلك اللحظة رائعة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى بالنسبة للحوريات، فقد كانت حلم الكبار وطموح الصغار، كيف لا وقد كان في تلك اللحظة الإعلان عن استعادة عقب الماضي واستقراء مجد المستقبل. لذا لم تبخل الحوريات على أنفسها بالفرح فأخذن يتقافزن ويتعانقن ويتراقصن، وصغارهنّ فعلمن مثلهنّ، أما الرجال فكانوا على حالهم في الخلف، حالهم بعد المفاجأة كحالهم قبلها، أجزم أن من يراهم حينها سيحسبهم في ميدان آخر.

طالبت الحوارية الأم الجموع بالهدوء، وما إن استجابوا لها حتى أضافت: (ويسرنّي إعلامكم بأنني والقيّمات تشاورنا في ما بيننا وقرنا أن نعهد بفاأسنا الأسطورية للحورية آيلا). ولحظتها تقدمت قيّمة قطاع سافاز وطلبت من الحورية آيلا الصعود للمنصة، شعرت حوريتنا نايا بغضّة عميقة لكون الاختيار لم يقع عليها، ولكن غصّتها لم تمنعها من الفرح لصديقتها أصدق الفرّح، كانت على قناعة بأنها إن أرادت لوم أحد

ما فعلها لوم نفسها.

صعدت الحوريّة آيلا إلى المنصة بتواضع لا ينقصه الثقة، وبحزنٍ ممزوج بالغضب جزاء ما حل بتوأمة آيسلا التي أنارت - بمعنى جرحت - برحيلها قلب أختها، وقامت القيّمات بمعانقتها، ثم عانقتها الحوريّة الأم وسلّمتها الفأس الأسطورية. التفتت الأم للجموع الحاضرة وخاطبتهم قائلة: (رحّبوا بحاملة الأولدوروجو .. آيلا)، وكان ذلك وسط ابتهاج الحوريّات وصفيرهن الكثيف.

طالبت الحوريّة الأم من جديد جموع الحوريّات بالهدوء، ثم أضافت: (أيتها الحوريّات لم يبقَ لدينا عذر الآن بعد أن عادت الفأس لحوزتنا، لقد آن الأوان لرد الدين لسيد الأوركا العايب بأمن المحيطات، علينا قتله، ومن أجل القيام بهذه المهمة قرّرنا إرسال سرّية مكونة من أدكى وأقوى اثنتي عشرة حوريّة، وسأختار أنا قيّمات قطاعات مدينتنا أنسب ثلاث حوريّات للمشاركة فيها، وبالطبع من حق الحوريّات المختارات قبول المهمة أو رفضها).

سألّت الحوريّة الأم الحوريّة حيندا البدء بالإعلان عمّن اختارت، فتقدمت قيّمة قطاع سافاز وقالت:

- أختار كلاً من نالين وسيماف وبالطبع حاملة الأولدوروجو آيلا.
ثم تنحت جانباً لتفسح المجال للحوريّة هيفار التي تقدمت بدورها وقالت:

- وأنا أختار كلاً من نارفين وآشين واستيرا.
ثم تنحت جانباً لتفسح المجال للحوريّة ليلاف التي تقدمت وقالت:
- وأنا أختار كلاً من شيار وجيان ونيروز.
تقدمت الحوريّة الأم إلى الأمام وربّبت على كتف قيّمة قطاع تيرم بحنيّة وأضافت:

- أما أنا فأختار ابنة آخر حاملات الأولدوروجو .. نايا ابنة إيفان، فبالإضافة لكونها من أقوى الحوريّات أجدها الأحق

بالمشاركة في السرية خصوصًا لكون الثأر ثأرها في المقام الأول، كما أنني أطلب منها أن تختار بنفسها من سيرافقها، وكلنا سنكون مع اختيارها.

طلبت الحورية ليلاف من الحورية نايا الصعود إلى المنصة، فصعدت مرتبكة، ولاحظت الحورية ليلاف ارتباكها فأمسكت بيدها تشجيعًا لها، كان موقف الاختيار نيابة عن الحورية الأم صعبًا عليها رغم معرفتها المسبقة بأنها ستفعل ذلك!

تقدمت الحورية نايا بهدوء وقالت:

- شكرًا لكم، إنه لشرف كبير لي بأن أقوم بالاختيار عن حورتينا الأم، وأتمنى أن أكون عند حسن ظنّها ووطنكم، إنني أختار بيرين، وأختار.. نُوا.

صدم الاسم الأخير الذي طرحته الحورية نايا كل القيمات أشد صدمة بينما ابتسمت له الحورية الأم بهدوء، ثم تقدمت من حورتينا وهمست بأذنها برقة: (أحسنت، كنت واثقة بكونك ستفعلين ذلك)، أما نُوا فلم يعلم ما كان عليه فعله أكان يستطيع الرفض أم ماذا؟ أعليه أن يغتر بنفسه أم أن يجزع مما ينتظره؟ وبقي المشهد على حاله إلى أن سمع الجميع صوت الحورية لاليلي - وهي عجوزٌ جميلة شعرها قصير للغاية من القلائل في مدينة آبنجه اللواتي تمكنّ من الإنجاب أكثر من مرة - وهي تقول:

- عذرًا منك أيتها الحورية الأم. ولكنني لا أسمح لكم بالدفع بكلتا صغيرتي دفعَةً واحدةً، خصوصًا في قضية غير مضمونة البتة كالتي تقصدونها، إنه لشرف عظيم لي ولكنني لا أريده ولا أرى نفسي أستحقه، فاسمحي لي.

تباعدت الحوريات المحيطة بالحورية لاليلي مفسحين لها المجال بالظهور أمام الجميع وبالأخص أمام الحورية الأم والقيمات، وبالتزامن مع ذلك ظهرت كل من الحورتين نارفين ونالين بجانب إيمهما بعدما

تدافعتا مع الجموع الحاضرة من أجل الوصول السريع لوالدتهما، وعلى الفور أخذتا ترجونها لسحب اعتراضها وطلبتا منها مباركة ذهابهما مؤكداً عليهما ستكونان علي ما يرام.

استغربن أنهن استغراباً شديداً، لم يكن يعلم أنهن بالتأكيد كن سيفعلن ذلك، فالبذل من أجل الجماعة من أسمى المعاني لدى الحوريات، ولكن الأم لاليلي رفضت توسلات ابنتيهما بصورة قاطعة وأصرّت علي اعتراضها مستندة علي حدسها كأم.

- معك كل الحق أيتها الأم، ما الذي تريه مناسباً؟ (ديلماف).

- أستعيد الصغرى .. نارفين، وإن شئت ذهبت أنا مكانها.
(لاليلي).

- لك ما أردت في الأولى، وفي الثانية أتمنى أن تختارك الحورية هيفار. (ديلماف، مبتسمة).

تقدّمت القيّمة هيفار وقالت مبتسمة:

- وأنا أتمنى ذلك ولكنني سأختار الحورية جين بدلاً منك.

- ستخسرون جهودي، أه لو كان بإمكانكم سؤال الحورية إيفان عني، فشهادتها عني بشهادتين. (لاليلي، ممازحة الجميع).

ابتسمت الحورية الأم ثم أنهت كلامها قائلة: (ستنتقل السرية في مساء الغد، لذا أتمنى من الفريق المختار اللحاق بي إلى بيت البلجيك لتباحث في كل التفاصيل .. عتم مساءً وإلى اللقاء) وانسحبت وانتهى بانسحابها اجتماع الحوريات.

إحدى عشرة حورية يرافقهن بشري واحد؛ نالين، سيماف، آيلا، جين، آشين، استيرا، شيار، جيان، نيروز، بيرين، نايا ونوا، هكذا تم اختيار فريق السرية وسط حسرة الكثيرات من الحوريات اللواتي رغبن في المساهمة في صناعة أمجاد قومهن، ومن المؤكد أن الحورية نارفين كانت أكثرهن حسرة. وبالطبع علينا ألا ننسى أن لكدي موقعا خاصا حجزه بنفسه لنفسه.

ومع مضي وقت لم يكن كافيًا ليتقبل نُوا تسارع أحداث يومه وجد نفسه ينتقل من الاجتماع الكبير الذي فضّته الحوريّة الأم لتوّها إلى اجتماع ثانٍ بقيادتها يجمعه مع القيّمات والحوريّات المختارات اللواتي تعالَى فخرهنّ أمام ثقتهنّ بأنفسهنّ، أما حضور كِدي فكان سرّيًا، وتناقش الجميع فيما بينهم بتفاصيل السريّة بإسهاب، باستثناء نُوا الذي أثر الصمت، واستمر نقاشهم إلى أن تمخّض عن الخطة الأنسب "حسب وجهة نظر المجموعة"، وهي ما لم يفهم نُوا منها شيئًا.

اقتضت الخطة خروج السريّة من خلال الحجرة السريّة المعروفة باسم حجرة "يزلي" باتجاه أحد ينابيع المياه العظيم الذي سيعمل على دفع الفريق بقوة وسرعةٍ بالغةٍ إلى طبقات المحيط العليا، وعليهم فور شعورهم بضعف دفع مياه الينبوع الاتجاه غربًا باتجاه وكر سيد الأوركا بأسرع ما يمكنهم، أما بقية الخطة فستتأثر بالتأكيد بناءً على نجاح السريّة أو فشلها.

وفي المساء المتفق عليه وبالتحديد قبيل تجمّع الفريق المشارك في السريّة عملت الحوريّة نايا على تسليح نُوا بأفضل ما أمكنها، فأمدّته بسيف طويل أودعه في الفتحة المخصصة له في حزامه الأزرق الذي ارتجل قرارًا بالتحزّم به بعد استيقاظه الأول، كما أعطته ترسًا ضخماً سبب له مفاجأةً جميلةً عندما تمكن من حمله على ظهره بسهولة ويُسْر، وأغلب الظن أنه نسي أثر مبيته في الصدفة العجيبة على قوة جسمه، كما زوّدته الحوريّة بسكينين أخفى إحداها في ذراع ردايه الأيمن والثانية في ساق بنطاله اليسرى. وفي طريقهم لنقطة التجمّع المتفق عليها تساءل نُوا كعادته:

- ترى ما قصة الحجرة «يزلي»؟

- إنها حجرة سريّة أو بالأحرى ممر سريّ، موجودة في مكان ما في المدينة، وتفصل بيننا وبين الوسط المحيط بنا في الخارج، أنشأها الجان ليستخدموها أثناء بناء مدينتنا ويقال أنها كانت

كالبوابة لهم. وهناك العديد من الشائعات المتداولة تتحدث بوجود أكثر من حجرة واحدة منها ولكنني أشك في ذلك.

– ولكن لم هي سِرّية؟

– كي لا يتمكن أحد من استغلالها سواء بالخروج أو الدخول منها، فهي على عكس نوافير ودوامات المياه لا يمكن التحكم بها من قبل العاملات في المنارات، لذا من أجل وجوب أخذ الحيلة والحذر حافظت الحوريّات على سِرّيتها، ويُقال أن لا أحد يعلم مكانها سوى الحوريّات التي شغلت منصب الأم والقيّمات على قطاعات المدينة وحاملات الأولدوروجو.

– حجرة تستخدم كبوابة! (نُساء، باستغراب وبصوت منخفض).
– ستكتشف بنفسك، إن الضغط هائلٌ خارج المدينة، لذا صعب الاكتفاء بمجرد باب ليفصل بين ما هو في الداخل وبين ما هو في الخارج.

كانت بوابة بيت البلجيك الثانية نقطة تجمّع أفراد السِرّية، وحفاظًا على الوقت واستغلالًا للظروف الطارئة قطعت الحوريّة نايا وصديقتها الطريق فوق المدينة سباحةً، وبالرغم من ذلك تبيين لهما عندما وصلا أنهما آخر الواصلين.

تأكدت الحوريّة الأم من وجود الجميع ثم دخلت بيت البلجيك ودخل الفريق خلفها، وانتهزت القيّمة حيندا فرصة اقتراب الحوريّة نايا منها وعبرت لها عن اعتراضها قائلة: (كان بإمكانكما الاستغناء عن السباحة في سماء المدينة بقدمكما مبكرًا بعض الشيء، أليس كذلك؟) ولكن حوريتنا ردّت عليها بالتظاهر بعدم سماعها لأية كلمة مما قالته، ولأولويات الموقف اضطرت القيّمة تجاوز الأمر. وفي أثناء ذلك كان نُساء ينظر لنفسه بزهوٍ – متناسيًا قلقه مما هو قادم – وهو يتوسط مجموعة كبيرة من الفاتنات اللواتي لا ينقصهنّ صحة شعور أو جمال ثياب. قال في نفسه: (وما لي بأعمارهنّ الحقيقية ما دامت هيّتهنّ

هذه الهيئة؟ وما لي بحقيقة ثياهنّ إن كانت أسلحة أم لا؟).

عبرت الحوريّة الأم وعبرت من خلفها الحوريّات طريقًا مكوّنًا من عدّة قاعات ضخمة ومجموعة دهاليز متواربة أشعر الحوريّات - باستثناء القيّمات - بكونها المرة الأولى التي يعبرنها فيها، وفي نهاية آخر دهليز وجدوا بابًا متوسط الحجم، وعند ذلك الباب تأكّدت الحوريّة الأم من تواجد الجميع مرة أخرى، ودون أن تنبس ببنت شفة فتحت الباب وأمسكته بيدها وأشارت بيدها الثانية للجميع لعبوره، فعبروه بهدوء على التوالي ثم عبرته الحوريّة الأم بنفسها وأغلقتة من خلفها، وفي تلك اللحظة بالذات أخذ القلق ينتاب نُسوا وقد يكون ذاته شعور جميع من عبروا، من يدري! ومع إغلاق الباب وجد الفريق نفسه في حجرة صغيرة أذهلت الجميع لغرابتها، كانت حجرة مثمّنة الأضلاع مطلية بلون أبيض ناصع البياض، وفي كل ضلع من أضلاعها باب أبيض. كانت جميع الأبواب متماثلة، حتى الباب الذي أغلقتة الحوريّة الأم كان أبيض من الداخل.

أخذت الحوريّات يتلفتن من حولها باستغراب، وكذلك فعل نُسوا، وبينما كان الوضع كذلك عبرت الحوريّة الأم من بين المجموعة متجهّة إلى أحد الأبواب البيضاء المقابل لها، وأثناء عبورها بدأت أرضية الحجرة تتحرك دائريًّا بشكل مفاجئ وبتسارع مُتغير خَصّ الجميع باستثناء الحوريّة الأم والقيّمات، وبعد قرابة دقيقة توقفت حركة الأرضية تدريجيًّا، فتابعت الحوريّة الأم طريقها باتجاه مقصدها وفتحت أحد الأبواب وعبرت من خلاله، فلحقها الجميع وكانت الحوريّة سيماف آخر العابرين فأومأت لها القيّمات ليلاف بإغلاقه من خلفها فأغلقتة. ولم يخطر ببال أحدهنّ بأنهنّ سيجدن أنفسهنّ في حجرة مشابهة تمامًا للحجرة التي كانوا فيها. ثم تكرر المشهد ثلاث مرات، في كل مرة تتحرك فيها الأرضية ثم تتوقف وتقوم الحوريّة الأم باختيار أحد الأبواب الثمانية فيعبر الجميع من خلاله إلى الحجرة التالية. وبذلك كان العدد النهائي للحجرات التي

دخلتها المجموعة خمسًا، وفي الحجرة الأخيرة عندما فتحت الحوريّة الأم أحد الأبواب ظهر من خلفه سرداب قصير دخلته وتبعها الجميع، وساروا فيه إلى أن انتهى بسلم تسلّقه للأعلى نحو فتحة في سقفه، وتحت الفتحة دفعت الحوريّة هيفار بُنوا ليصعد أولاً فتفاجأ وسط تَسَمُّم الحوريات الخَجَلَة، ثم لحقته بالصعود وهي تطالبه بتقديم يد العون لها بدلاً من توزيع نظراته ما بين الحوريات، ما سبب له الخجل بالرغم من كونه لم يكن ينظر لهنّ، ولكن خجله لم يمنعه من مساعدتها ولا من مساعدة الحوريّة الأم من بعدها ومن ثم جميع الحوريات رغم عدم حاجتهنّ لمساعدته.

كان بانتظارهن بعد تلك الفتحة ساحة صغيرة تغطيها شجرة كبيرة وكثيفة من النوع الأكثر انتشارًا في جبال آينجه. ومن ساق تلك الشجرة تناولت القَيْمَة ليلاف جبلاً عشبيًا طويلًا وبدأت تشبكه مع أحزمة خصور الحوريات، بدءًا بالحوريّة آيلا وانتهاءً بالحوريّة شيار، ثم قامت بربط الأخيرة بالحوريّة آيلا مشكلةً بذلك دائرة كبيرة تجمع الحوريات معًا، ولكن بطريقة تسمح لهنّ بحريّة الحركة نوعًا ما.

وعلى الفور همس نُوال للحوريّة نايا متسائلًا عمّا يجري فأجابته:

– ألم تكن معنا مساء أمس!

تقدمت الحوريّة الأم باتجاه الحبل وتفحصته بيدها وسألت القَيْمَة

ليلاف:

– أضمنين لنا عدم انقطاعه؟ كما تعلمين إنه أملنا الوحيد ببقاء

المجموعة معًا حتى نهاية دفع ينبوع المياه العظيم لهم.

– بالطبع أيتها الحوريّة الأم. (ليلاف).

تنهدت الحوريّة الأم ثم ورّعت مبتسمةً نظراتها ما بين الحوريات،

وتمنّت لهنّ أشد التوفيق وأعلمتهنّ بأنها ستشتاق وجميع سكان آينجه

لهنّ، شوق الحوريّة للؤلؤة حياة أمها المتوفاة، ثم قامت باحتضان جميع

الحوريات حسب تسلسل ربطهنّ ببعضهن البعض بدءًا بالحوريّة نالين

ومتجاوزةً عن صديقنا البشري حتى وصلت للحوريّة آيلا، فتوقفت عندها وطلبت منها رعاية نفسها والمجموعة في المقام الأول ومن ثم فأسها ثم احتضنتها بقوة، ثم تابعت احتضان الحوريّات، وبعد ذلك قامت القيّمات باحتضان حوريّات الفريق بحرارة اكتفى نُوا بالشعور بها عن بعد. وبعد ذلك أزاحت الحوريّة الأم غصنًا كبيرًا من أغصان الشجرة فظهر من خلفه لوح زجاجي، قامت بالاقتراب منه ودفعته بقوة فتحرك ببطء مشكلاً فرجةً صغيرة. نظرت الحوريّة الأم للمجموعة نظرةً أخيرة قبل انطلاقهم وأكدت لهن على طلبها بعودتهن سالمين. ومن خلال مطلبها فهمت الحوريّة آيلا المقصود فتقدمت وتبعته الحوريّات وأخيراً كان نُوا الذي رُبط في أبعاد نقطة عنها وبذلك كان آخر الخارجين من تلك الفرجة، وقبيل خروجه بلحظة سقطت أمامه كرة فراء ضخمة أفزعته، وأفزعته أكثر عندما ارتدت عن الأرضيّة التي سقطت عليها لتلتصق على صدره، لم تتب له الحوريّة الأم لكونها انشغلت بإغلاق الفرجة من خلفهم.

احتاج نُوا لبضع ثوانٍ ليدرك بأن كرة الفراء تلك هي ذاتها القط كيدي، وحالما أدرك ذلك صرخ قائلاً:

– كيف جئت إلى هنا!

أجاب القط بصوت منخفض:

– يا لك من أحمق! أنسيت أنني أمتلك لؤلؤة حياة الحوريّة إيفان؟ قفز كيدي أرضاً بعد إهانته لُنوا الذي تقبلها على مضض، أما الحوريّة نايا ففرحت أشد الفرح بلقاء قطها وحضنته على الفور، وتحملت حولهما أعين الحوريّات فرحاً باجتماعهما، باستثناء الحوريّتان آيلا وسيماف اللتين أخذتا تتفحصان المكان الذي وصلوا إليه.

كان الفريق قد وصل أخيراً إلى حجرة يزلي السريّة، واتضح أنها عبارة عن حجرة زجاجيّة صغيرة تبدو كأنبوب مكون من قطعة واحدة، ولها زوج من الأبواب؛ الأول اللوح الزجاجي الذي عبروا من خلاله

والثاني لوح مماثل للأول ويقابله.

التفتت الحوريّة آيلا إلى القط بعد انتهائها من تفحصها للمكان

وقالت له:

- يؤسفني أنه يتوجب علينا إعادتك إلى داخل المدينة.

- أنت تحلمين. (كدي، بهدوء).

- من فضلك اسمحي له بمرافقتنا. (نايا).

- لسنا في نزهة! (آيلا).

- دعيه وشأنه ولا تستهيني به، وتذكري أنه تمكن من الوصول إلى

هنا لوحده! وفي أسوأ الأحوال لن يؤثر وجوده علينا. (سيماف).

أخذت تتجول الحوريّة آيلا في الحجرة ثم التفتت للحوريّة سيماف

وقالت:

- حسناً، لا بأس.

أضف القط:

- لا يُفتح الباب الذي عبرناه من هذه الجهة، سأرافقكم شتّم ذلك

أم أبيتم.

تظاهرت الحوريّة آيلا بعدم سماع ما قاله القط وفضّلت تجاهله

لخطورة المهمة التي تنتظر مجموعتها. وأضافت قائلة:

- صديقاتي ها قد حان الوقت، ولا تنسوا أن الضغط في الخارج

كبير والجوّ شديد البرودة، وأنت .. !

- أتقصديني أنا؟ (نُوا، مشيراً لنفسه).

- نعم. تذكر أنك والقط «الذي جاء إلى هنا بسببك» لن تستطيعا

الكلام خارج هذه الغرفة إلى أن نصل إلى طبقات المحيط

العليا.

وبعدها توالى عدة أحداث، أولها إيماءة نُوا بالموافقة على كلام

الحوريّة آيلا ثم وثوب كدي على كتفه وغوصه في فرجةٍ صغيرةٍ بين

جسمه وترسه المحمول على ظهره، ثم اقتربت الحوريّة آيلا من اللوح

الزجاجي الموجود قبالتهم وسحبته جانبًا وساعدتها في ذلك الحورية نيروز، فارتفع ضغط المكان ارتفاعًا هائلًا بلمح البصر خُصَّ الفريق على أثره، فبادرت الحورية آشين بطمأنة الجميع وأعلمتهم بأنهم سيعتادون عليه مع مرور الوقت وسط شكوك نُوا بصحة كلامهما، وذلك للشعور الذي انتابه بأنه سيموت لا محالة قبل خروجه من الحجرة السرية المدعوة بيزلي.

ومن حسن حظ الجميع أن طمأنة الحورية آشين كانت في مكانها، فبالفعل بدأت أجسام الفريق بالاعتیاد "نسيبًا" على الضغط الجديد، وعندها بدأت مسيرة السرية الفعلية. فخرج الجميع من الحجرة وأعادت الحورية شيار اللوح الزجاجي الذي سحبته الحورية آيلا إلى مكانه، وفور إطباق اللوح على مكانه اختفى واختفت معه الحجرة بأكملها، ولم يتفاجأ لذلك أحد سوى نُوا الحاضر الغائب في اجتماع السرية مع الحورية الأم يوم أمس.

ثم انطلقوا سباحةً بأسرع ما أمكنهم باتجاه ينبوع المياه العظيم الذي استدلوا عليه بسهولة لسماعهم صوتًا شبيهًا بصوت نبضات القلب أخبرتهم القيمة جيندا بأنه يصدر عنه، كانت وصية القيمة جيندا واضحة رغم غرابتها إذ أوصتهم قائلة: "انطلقوا بأسرع ما أمكنكم باتجاه الصوت، إنه الصوت الوحيد الموجود في الأعماق، وإن لم تعثروا عليه سيتكفل هو بالعثور عليكم".

كان الظلام دامسًا وصامتًا - باستثناء صوت نبضات ينبوع المياه العظيم - والأجواء شديدة البرودة، ومع مرور القليل من الوقت أضيئت تيجان الحوريات على التوالي ما أدى لانكسار حدة الظلمة نوعًا ما، ولكن بلا فائدة يعول عليها فالظلام يعدُّ أحق سكان ذلك المكان بالنفوذ. وبعد مرور فترة قدرها نُوا بساعتين - وهي في الواقع أقل من نصف ساعة - شعر الفريق بشيء ما انشغلهم للأعلى بسرعة شديدة سبب تباعد الحوريات عن بعضها البعض أقصى تباعد فشكّلوا معًا دائرةً محيطها

الحبل العشبيّ المربوط على أحزمة خصورهم، فأشادت الحوريّة نيروز
بفكرة الحبل وأيدتها جميع الحوريّات، أما كيدي فغرس مخالبه في أربطة
الترس الداخلية من جهة وفي ملابس نُوا من جهة أخرى، وكان خوفه
من انتهاء دوره في تلك المرحلة المبكرة من السريّة على أشده.

وأثناء صعود الفريق للأعلى شعر نُوا بشعورين؛ شعور العجز
عن الكلام من جهة وكان شعورًا مؤلمًا، ونبض السوار المحيط بيسراه
من جهة أخرى وكان شعورًا مزعجًا، ولكنه تجاهلها. كان قد نسي ما
قالته له الحوريّة نايا عن نبض السوار عند استيقاظه، وبتسارع ملحوظ
أخذت نبضات السوار تشتد، وأخذت تشتد أكثر وأكثر، وعندنا شعر
بالقلق ولعجزه عن الكلام ازداد شعوره أكثر، وأخيرًا تذكر!

وما أن تذكر نُوا سبب نبض سواره حتى صدر وميضاً نورٍ
هائلين من حوله، واحد عن يمينه والثاني عن يساره، وتبعهما تصاعد
مجموعتيّ فقاعات هواء كثيفة تاهت بسرعة مع قوّة تدفق ينبوع المياه،
وفي لمح البصر شعر الجميع بسحبهم لخارج ينبوع، وبمرور لحظات
تبين للحوريّات أنهنّ فقدن كل من الحوريّتين المجاورتين لُنوا؛ نالين
وجين، واستعاضةً عنهما كانت ذراعا أخطبوط عملاق تمسك بمكانهما
من الحبل.

تأخر إدراك نُوا للخطر الذي أحاط به لظهور الأخطبوط من
خلفه، أما الحوريّات فأسرعن على الفور بافتكاك أنفسهنّ من الحبل
الذي جمعهنّ وتحصّرن للقتال، وسط ذهول نُوا الذي دار حول نفسه
للخلف ببطء ليشاهد نفسه بين ذراعيّ أخطبوط أحمر عملاق، وكانت
المرّة الأولى التي يشاهد فيها أخطبوطاً، ولشجاعته المشكوك في أمرها
جمّد في مكانه وهو على حاله؛ رأسه للأسفل وقدميه للأعلى، وسواره
ينبض بقوة، في الواقع لم تكن الحوريّات لتعول على نُوا في القتال
لذا تجاوزته وهاجمن الأخطبوط بشراسة.

والحق يُقال، لولا استخدام الحوريّة آيلا لفأس الأولدوروجو في

الوقت المناسب لُقضي على بضع حوريّات أخريات على أقل تقدير، فبطهور الفأس ارتبك الأخطبوط وانتقل للقتال بشكل عشوائي، فتمكنت الحوريّة سيماف من قطع إحدى أذرعها ولحقتها الحوريّة آيلا وقطعت واحدة أخرى، وعندها شعر الأخطبوط بميل نتيجة المعركة لصالح الحوريّات فنفت من حبره الأسود ورحل.

احتاج الجبر لبعض الوقت كي يتبدد، وعندما وضحت الرؤيا تطمأنت الحوريّات بعضها على أحوال البعض، أما الحوريّة نايا فاكتفت بالاطمئنان على صديقها مُظهرةً أنانية غير مبررة، ثم نقرت على ترسه عدّة نقرات قاصدةً المُختبئ خلفه، فأطلّ كدي بذيله مرفقاً ثم أعاده، تماماً كما يعيد المقاتل سيفه لغمده.

- لمّ هاجمنا! (جيان).
- لم يكن يقصدنا، كان يقصد نُوا، ولكنه أخطأ توقيت هجومه لقوة دفع ينبوع المياه فأصاب الحوريّتين نالين وجين. (بيرين).
- لا، لا أعتقد ذلك. (نايا، نافية بشدّة).
- بل عليك اعتقاد ذلك، إنها المرة الأولى التي يهاجمنا فيها أخطبوط، لا بد أن لديه العديد من الثارات مع بني البشر فقصد الانتقام منه، سمعتم أنهم يأكلونها، تخيلوا! (بيرين).
- معك حق، فلو كنّا المقصودات لاستشعرن بخطر قدومه (نيروز، مؤكدةً لبيرين وجهة نظرها).
- لقد تسبب بتلاشي حوريّتين، ألا ترون أن علينا العودة. (سيماف).
- لا، لا يمكننا العودة مخفقين، علينا المتابعة، مدينتنا بانتظارنا، ولنحزن لاحقاً. (آيلا).
- وفي تلك الأثناء كان نُوا غارقاً في عجز صمته، هو وقط حوريّته. اقتربت الحوريّة آيلا من الجبل - وكان نُوا الوحيد الذي ما زال مربوطاً به - وربطت حزامها به من جديد، وفعلت مثلها باقي الحوريّات والحزن

على الحوريتين المتلاشييتين نالين وجين يخيم على المشهد، ولم يمنع حزن الحوريات عن تساؤلهنّ في أذهانهنّ عن سبب كفت الحورية بيرين عن الضحك منذ بداية الاجتماع الثاني حتى تلك اللحظة.

انتظرُوا الجميع إلى أن انتهوا من ربط أحزمتهنّ بالحبل، ثم سبحوا جميعاً من جديد نحو ينبوع المياه العظيم، ووصلوا إليه في غضون خمسة دقائق إذ كانوا على مقربةٍ منه، وقام بدوره بسحبهم للأعلى فور دنوهم منه بالقدر الكافي، والمختلف في هذه المرّة أن الجميع ضاعفوا من حرصهم.

- كم لفأس الأولدوروجو من هيبية! (شيار).

- معك حق .. ترى ما سيحل بذاك الأخطبوط. (استيرا).

- لا تقلقي عليه، ستنمو أذرعته من جديد. (بيرين).

وبعد مرور وقت ليس بهين بدأ الفريق يستشعر انخفاضاً في قوّة دفع ينبوع المياه، وأخذت قوّة الدفع تخور أكثر فأكثر إلى أن فكرت الحورية آيلا بالخروج من نطاقه والبدء بالسباحة باتجاه وكر سيّد الأوركا غرباً، فاستشارت الحوريات ووافقنها، وخرجوا من نطاق ينبوع وسط تحفزهنّ لإنجاز ما أردن إنجازهنّ، وعمّت الطاقة الإيجابية الأرجاء، ووصلت إلى نُوا وأشبعته وجعلت منه جندياً أجهز ما يكون للمعركة، ومع خروجهم من نطاقه صرخ نُوا بأعلى صوته صراخاً بلا معنى منحه نظرة استغراب من قبل الحوريات ثم قال:

- أخيراً، إنني أستطيع الكلام!

تململت الحوريات من فعل نُوا وباشرنّ بالتخلّص من الحبل الملتف حول أحزمتهنّ، ثم تابعن طريقهنّ في إشارة مباشرة لإهماله، كانت الحورية نايا معهنّ ولكن قلبها معه. استدرك نُوا الموقف قائلاً:

- ومن قال أن اتجاهكم هذا هو الغرب!

عادت الحورية نايا من أجله واقتربت منه وافتكت حزامه من

الجبَل ثم أمسكت بخصلة من أطراف شعرها وقالت له:

- انظر. ستجد أطراف شعورنا تنجذب بشكل بسيط لإحدى الجهات دون الأخرى، إنها جهة الشرق، وذلك بالطبع في حال عدم وجود تيارات مائية تؤثر على ذلك، وكما ترى الآن إنها تنجذب إلى الطريق المعاكس للطريق الذي سلكناه لتؤنا.

ابتسم نُوا شاكراً للحواريّة نايا، فابتسمت له وأمسكت بيده وسبحت معه مسرعة لتلحق بالحواريّات المتقدّمات عنها بمسافة قصيرة، وبعد فترة وجيزة أدركا الفريق وسبح الجميع معاً باتجاه الهدف المنشود، كان الهدف بعيداً نوعاً ما وبالرغم من ذلك لم يشعر نُوا ببذله لأي طاقة تذكر، كانت قوته ومستوى طاقته أجمل ما اختبر في رحلته الخطرة.

وفجأة توقفت الحواريّات، وتوقف نُوا معهنّ وشعر بنبضات سواره وهي تشتد، وقبيل تحذيره للفريق سبقته الحواريّة بيرين وقالت:

- لقد وصلنا، ولكنني أشعر بكون عددهم أكبر بكثير مما تخيلنا!

- نعم أشعر بذلك أنا أيضاً، إنهم أضعاف ما توقعنا. (آيلا).

- إنهم يقتربون منّا! ما الذي يحدث؟ كيف عرفوا مكاننا؟ (نايا).

- أخشى ما أخشى أنهنّ اشتممن رائحة صديقك، فأغلب الظن أن رائحة البشر ما زالت تعلق فيه. (سيماف).

- ستكون المواجهة المباشرة في صالحهم. (بيرين).

- ولكن الفأس معنا. (نيروز).

- الأولدوروجو وحده لا يكفي، علينا خداعهم. (آيلا).

قفز كيدي من خلف نُوا واستقر بين الحواريّات وأخذ على الفور يعرض خطته التي ارتأها ليتجاوزوا الموقف غير المتوقع، ضارباً بالحائط كل ما لدى مجموعة الحواريّات من أفكار تستحق السماع، ولم يتصرف بتلك الطريقة عبثاً بل استناداً إلى ما لديه من حنكة الحواريّة إيفان المخترنة في لولؤتها. وكانت خطته كالتالي:

تنطلق الحواريّات باتجاه مجموعة الأوركا المهاجمة، وذلك بقصد

إظهار شجاعتهنّ والعمل قدر الإمكان على دبّ الخوف في قلوب خصومهنّ، وقبيل لحظة الالتحام بالعدوّ يقومُنّوا بجرح نفسه - يده على سبيل المثال - وإراقة دمائه التي ستعمل بدورها على تشتيت أذهان الأوركا المتعطشة لكل ما هو أحمر قاني، وفور انتشار رائحة الدماء في المكان ستقوم الأوركا بشكل غريزي بملاحقة نُوا.

وفي تلك اللحظة يأتي دور الحوريّة آيلا فتشهر فأس الأولدوروجو وتلوّح به لتراه جموع الأوركا، وبذلك يزداد تشتت أذهانها المشتتة أصلاً جزاء رائحة الدماء، ومن البديهي وقتها أن يبادر أكثرهم حنكة «سيد الأوركا» شخصياً بالهجوم على نُوا ليتخلص منه ومن أثر تشويشه على حاشيته. وعندما يفعل سيد الأوركا ذلك يكون قد وقع بالفخ. وعندها تمنح الحوريّة آيلا فأسها لإحدى الحوريّات - التي ستنوب عنها في قيادة السريّة - وتهرب بُنوا بعيداً، ومن كل بد سيلحق بهما سيد الأوركا، وهكذا يكون قد انفصل عن مجموعته، فيضعف هو ويضعفون من بعده. وفي النهاية على الحوريّة آيلا ونُوا تدبّر أمرهما وقتل مُطارِدِهَما، أما باقي الحوريّات فسيكون دورها في منع حاشية سيد الأوركا من اللحاق به، ووجود الأولدوروجو بين أيديهنّ سييسر عليهنّ المهمة مهما كان كبر حجمها.

ومن سوء حظ نُوا أن الفريق لم يجد الوقت الكافي ليتباحث في خطة القط، وخصوصاً بالموضوع المتعلّق بإراقته لدمائه، وتبيّن له أثناء تفكيره في هذا الأمر أن الحوريّة نايا تحثّه منذ فترة للتحرك، إذ كانت الحوريّات قد انطلقت بالفعل باتجاه مجموعة الأوركا، فلم يكن منه سوى اللحاق بهنّ بأسرع ما أمكنه، ومع اقترابه منهنّ شعر بتعاظم نبض سواره ولكن بالرغم من ذلك تعاظمت شجاعته، وأخذ ينظر إلى الحوريّات من حوله فوجد كلّاً منها وقد أخرجت ما في جعبة ثيابها من أسلحة مدهشة، (تحولت هيئاتهنّ من هيئات ملائكية لهيئات شيطانية) قال نُوا في سرّه.

ووقع الالتحام، وكان عنيماً للغاية لسرعة كل من الخصمين باتجاه الآخر، وانبرى نُسوا للذهول من حجم الأوركا ومن مقدار شراستها، وذُهل أكثر وأكثر عندما شاهد إحداها وهي تتجه صوبه مُسرَّعةً فكَّيها لالتهامه، فتحرَّكت فيه غريزة البقاء ومدَّته بفكرة الاحتماء بترسه، فقام بسحب الترس من على ظهره بخفة واستظلَّ به عن الأوركا المهاجمة واصطدما كاصطدام جرس معدني هائل بمطرقة ضخمة، ونجم عن هذا التصادم أمران؛ تألم الأوركا وخصوصاً لكون نتيجة التصادم غير متوقعة بالنسبة لها، والثاني نجاة نُسوا بأقل الخسائر وكانت حصوله على اصطدام جسدي لا أكثر، وفي المقابل ربح شعوراً فريداً بامتلاكه لقوة وشجاعة لم يتخيل امتلاكها من قبل.

وللأسف لم تدم فرحة نُسوا كثيراً إذ طالبته الحوريَّة آيلا بتنفيذ دوره في الخطة على الفور، فأعاد ترسه إلى مكانه وطالب نفسه بعدم التفكير بحجة أنه إن فكر لن يُنفذ، واستخرج من ساعده سكيناً وجرح راحة يده اليمنى جرحاً طويلاً وعميقاً بعض الشيء، وكان عمقه نتيجة متوقعة لفرط حماسه.

أضاف نُسوا من عنده إضافة صغيرة للخطة، وكانت التلويح بيده المصابة فانتشرت دماؤه ورائحته في الماء بشكل أسرع، فسبب ذلك انطلاقة أسرع من قبل جموع الأوركا باتجاهه باستثناء سيدها، تساءل نُسوا في نفسه: (ماذا لو لم يخفهم الأولدوروجو؟) ولم يجب نفسه عن تساؤله واستعاض عن ذلك بالشعور بدنوّ أجله.

كانت تلك اللحظات شديدة الخطورة بالنسبة إلى نُسوا لدرجة أنها مرّت عليه بطول السنة، كانت مرعبة بالفعل! واستمرت برعبتها إلى أن أنهتها الحوريَّة آيلا بإشهارها لفأسها الأسطورية. وكان أثر ظهورها فورياً إذ بدت جموع الأوركا كمن أصيبت بالمس، ثلّت في أماكنها، أما سيدها فصدمته رؤية الأولدوروجو من جديد أشد صدمة، وشعر لوهلة بوجود خديعة ما وبأن الفأس مزيفة! ولكنه عاود ونفى هذه الفكرة عن

ذهنه ففأس الأولدوروجو لا يمكن تزييفها، خصوصًا وقد رآه من قبل. ولافتقاره للوقت ولهدف حماية مجموعته من أثر دماء البشري والفأس، اتخذ سيد الأوركا قرارًا بالهجوم على مصدر النزيف، متأملًا بذلك استعادة جموع الأوركا القليل من تركيزها لتواجه خطر الفأس الظاهر من بعد غياب طويل بأفضل ما يمكنها، فاقترب سيد الأوركا من نُوا بخفة بقصد اقتناص فرصة مناسبة للانقضاض عليه، وكانت سعادة الحوريّات تصل لأوجها لملاحظتها ابتلاعه للطعم، وبلدح البصر أَلقت الحوريّة آيلا فأسها للحوريّة سيماف وأخذت بيد نُوا وانطلقت به مبتعدة، وكان إلقاء الحوريّة لفأسها أفضل ما حظي به سيد الأوركا - أو بالأحرى هكذا ظنّ - يومها قبل انطلاقه خلفهما، إذ شعر بأن الحوريّة منحتة أمانًا أكبر بإلقائها للفأس، فانطلق خلفهما بجرأةٍ كبيرة وبِعُلّ أكبر. وابتعد ثلاثتهم عن أنظار جموع الأوركا وباقي الحوريّات اللواتي لم يكتفين بالسكون الذي فرضه فأس الأولدوروجو على الجميع فتشاركوا في صناعة مشهد معركة مهيبّة تكفل الفأس فيها بنصف جموع الأوركا - معنويًا نوعًا ما - وتكفّلت باقي الحوريّات بالنصف الآخر، وفي هذه المعركة أظهرت كل من الحوريّات ما أهّلها للمشاركة في السريّة، خصوصًا الحوريّة الرائعة بيرين، أما كدي فأثر البقاء مع الحوريّة نايا سعيًا منه لحمايتها كالعادة، وتخصص بعرز مخالبه في عيون الأوركا المهاجمة لها.

كان هدف الحوريّات الباقيات إلهاء جموع الأوركا إلى أن تتمكن الحوريّة آيلا من قتل سيدها، وفي المقابل كان هدف الأوركا القضاء على الحوريّات دون الحاجة لوجود سبب يذكر سوى الأذى، وفشلت الأوركا في تحقيق هدفها بينما نجحت الحوريّات في تحقيق ما أرادت دون أية خسائر جديدة، وبالإضافة لإلهاء الأوركا قتلت الحوريّات ما زاد عن العشرة منها على الأقل وجرحوا قرابة الثلاثين.

وفي الجهة المقابلة من المعركة حيث كان سيد الأوركا يلحق

بُنُوا والهورية آيلا، ازداد ألم صديقنا البشريّ جرّاء جرح يده، ولذلك أخذت سباحته تتباطأ، وتباطأت معها سباحة الحورية آيلا رغمًا عنها لتجاربه، وكان وضعهما خطيرًا لاقتراب سيد الأوركا منهما، ولذلك وجدت الحورية آيلا أنها ستفقد الوقت لا محالة لإمكانية نقل معركتها لسطح الماء كما خططت، حيث ستسهل عليها «نسيًا» مواجهته هناك.

وأثناء تفكيرها بورطتها وبالتعديل المناسب على خطتها ظهر من تحتها - هي ونُوا - دُولُفِين بِشكَل مفاجئ، كان حجمه أكبر من حجم الحوريات بقليل، وما كان منه إلا أن صعد باتجاههما، فتمسك نُوا بزعنفته لا إراديًا فأسرع الدُولُفِين بالصعود به، وارتفعت معهما الحورية آيلا، وهكذا باعد الدُولُفِين من جديد بين الحورية وصديقها المصاب من جهة وبين سيد الأوركا الذي جن جنونه مما حصل أمام عينيه من جهة أخرى، وعندما وصلوا سطح الماء رحل الدُولُفِين مطلقًا أصواتًا غريبةً.

- قال أنه يتمنى لنا النجاح في ما سنقبل عليه، واعتذر لكونه لا يستطيع البقاء معنا أكثر مما فعل. (آيلا).

- إنه الشاطئ، هناك! (نُوا، يشير باتجاه الغرب).

- وما لنا وله!

- الحقي بي، أقصد انطلق بي إلى الشاطئ.

- أجننت؟

- ثقي بي، هيا لا نملك المزيد من الوقت.

انطلقت الحورية آيلا بُنُوا نحو الشاطئ كما أراد، قلبها يحثها على المضيّ قدمًا معه وعقلها يحاول كبح جماح تهوّرّها وثقتها المفرطة به، وأثناء ذلك طلب نُوا من الحورية القيام باستفزاز سيد الأوركا قدر الإمكان، فأطاعته طاعة عمياء وأخذت تتوعد سيد الأوركا بالقتل جزاءً لأفعاله الدنيئة في عالم البحار، ولقتله حاملة الأولدوروجو إيفان، كما توعدت بفناء فصيلته عن بكرة أبيها، وأضافت بأن مرافقها البشريّ سيتكفّل باستعادة أمجاد مملكة آيف مقابل مساعدة الحوريات له ولبني

جنسه في اصطياد صغار الأوركا. وسيد الأوركا على بعد بضعة أمتار منهما يشتاظ غضبًا.

أخذ ثلاثتهم يقتربون من الشاطئ بسرعة جنونية، وعند ذنوّهم منه أمرُ نُوا الحوريّة بقذفه باتجاه الشاطئ ثم حَرَف اتجاه سباحتها عن الشاطئ بأقصى ما تستطيع لتجنّب نفسها الاصطدام برماله، ولمعرفة الحوريّة آيلا المسبقة بعدم امتلاكها من الوقت ما يسعفها لتستوضح منه فكرته. ألقت به كما أراد، فخرج من الماء وارتفع لما يفوق طوله مرة ونصف على الأقل ثم ارتطم برمل الشاطئ ارتطامًا مؤلمًا، وحرفت الحوريّة من وجهتها كما أمرت وأخذت تشاهد عن بعد ما سيفعله سيد الأوركا، وكانت مشاهدة رائعة؛ إذ وجدته يزيد من سرعته أكثر، ويخرج من سطح الماء باتجاه مكان سقوط نُوا واختفى.

ساورت الحوريّة الكثير من الشكوك حول ما كان يجري خارج المياه بحيث لم يعد باستطاعتها الاحتمال، فقررت إهمال تعليمات نُوا والعودة باتجاه الشاطئ، وفور اقترابها منه بما فيه الكفاية أطلت برأسها من الماء، فوجدت نُوا على الأرض كالركام وسيد الأوركا بجانبه يتلوى وهو عالق بالرمال ويهذي بإصدار أصوات مفادها أنه لم يقتل حاملة الأولدوروجو إيفان!

حاولت الحوريّة آيلا سحب نُوا إلى الماء باستخدام كل ما وجدته على الشاطئ من مواد مبعثرة ولكن محاولاتها باءت بالفشل، وعندما يأسّت من أسلوبها خرجت من الماء مخاطرةً بنفسها وأمسكت به وعادت به للماء على الفور، ومن حسن حظها أنها تمكنت من ذلك، فلولا خفتها وقوتها لتلاشت بكل تأكيد.

احتاج نُوا حوالى ثلاث دقائق ليستفيق من أثر سقوطه على رمال الشاطئ وعلى الفور بادرت الحوريّة آيلا بسؤاله:

- نُوا، ما الذي حل بسيد الأوركا؟ أعلّق في الرمال!
- بلى، لقد دفعناه لتنفيذ استراتيجية الجنوح المتعمد الذي تتقنه

الأوركا، وهي أخطر استراتيجياته في الاصطياد، وكما ترين أخفق نتيجة غضبه في تقدير انحدار سطح الشاطئ وزاوية هجومه فعلق في مكانه، أعلمت الآن لم طلبت منك إغضابه؟ (نُوا، وهو يشعر بالدوار).

- أسيقى عالقًا في مكانه؟
- سيموت، لن يتحمل جسمه تأثير قوى الجاذبية الأرضية عليه. صمت قليلاً ثم أضاف:

- هل رأيت زعنفته المصابة؟
- يا لك من دقيق الملاحظة، بالنسبة إلي لم أنتبه. صممت قليلاً ثم أضافت:

- أسمح لي أن أخبرك بأمر ما؟ (أيلا، خجلة نوعًا ما).
- لم تتوقعي مني أية فائدة ترحي، أليس كذلك؟ (نُوا، ضاحكًا).

ابتسمت الحوريّة لُنوا واقتربت لاحتضانه ولكنها عدلت عن رأيها في آخر لحظة، ومن ثم اتجها لينضمّا إلى مجموعتهم، وأثناء طريقيهما أخذت الحوريّة تفكر بالدولفين الشجاع الذي أنقذهما واختفى، بينما أخذ نُوا يتعافى من أثر سقوطه على رمال الشاطئ، وعندما وصلا إلى المكان الذي تفرقت فيه السريّة وجدوا الحوريّات وهدنّ دون أية آثار لوجود الأوركا، إذ هربت قبيل وصول الثنائي المنتصر بفترة ليست بطويلة.

لم تكن الحوريّة نايا لتتخيّل فكرة مشاهدة نُوا على قيد الحياة من بعد حادثة جرحه لراحة يده، لذا لم يتسع الكون لفرحتها حينما شاهدته، صرخت باسمه بأعلى صوتها وسبحت باتجاهه وطوّقت عنقه بذراعيها والتفت حوله ثم احتضنته بحرارة أخلجته وأثارت استغراب باقي المجموعة وبالأخص كدي.

وفي أثناء ذلك تأكدت الحوريّة أيلا من تواجد جميع الحوريّات وأسرها وجودهم جميعًا أشد السرور، وقصّت عليهم ما حدث معها

وَنُومُوا بِالتَّفْصِيلِ، وَكَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى إِعْطَاءِ مَدَاخِلَةِ الدُّوَلْفِينِ حَقَّهَا فِي قِصَّةِهَا لِحِكَايَتِهَا، وَكَمْ مَنَحَتْ حِكَايَتِهَا الْغُرُورَ لِلْحَوْرِيَّةِ نَايَا لِكُونِهَا هِيَ مَنْ قَامَتْ بِاخْتِيَارِ نُومِهَا لِلْمَشَارَكَةِ فِي تِلْكَ السَّرِيَّةِ، كَمَا لَمْ تَفُوتِ الْحَوْرِيَّةُ آيَلًا الْإِشَارَةَ لِكُونِ نُومِهَا اخْتَارَ الْعُودَةَ مَعَهَا بِالرَّغْمِ مِنْ فُرْصَتِهِ بِالْبَقَاءِ عَلَى الشَّاطِئِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ انْتَقَلَ الْفَرِيقُ إِلَى مَوْقِعٍ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مَسْبِقًا مَعَ الْحَوْرِيَّاتِ الْعَامَلَاتِ فِي الْمَنَارَاتِ وَكَانَ مَرْتَبَطًا بِأَحَدِ النُّجُومِ وَيَدْعَى نَجْمَ مَنَكَبِ الْجُوزَاءِ، وَأَخَذَ مِنْهُمُ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ قَرَابَةَ نِصْفِ يَوْمٍ، وَنُومُوا يَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ عَنِ سَبَبِ تَكْوِينِ دَوَامَةِ الْعُودَةِ بَعِيدًا عَنْهُمْ كُلِّ ذَاكَ الْبَعْدِ.

وَمَعَ وَصُولِهِمْ لِلْمَوْقِعِ الْمَحْدَدِ تَذَكَّرَتْ الْحَوْرِيَّةُ سَيِمَافَ أَنْ عَلَيْهَا إِعَادَةَ فَأَسِ الْأَوْلَادِ وَوَجُو لِصَاحِبَتِهَا فَأَعَادَتَهَا لَهَا، وَبَعْدَ مَضِيِّ بَضْعِ دَقَائِقَ مِنْ اسْتِئْلَامِ الْحَوْرِيَّةِ آيَلًا لِفَأَسِهَا تَشَكَّلَتْ دَوَامَةُ مِيَاهِ كَبِيرَةٍ وَقَامَتْ بِسُحْبِ الْجَمِيعِ لِلْأَسْفَلِ إِلَى أَنْ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ يُقَذَّفُونَ فِي فِضَاءِ مَدِينَةِ آيَنْجِهَ، وَكَانَتْ تَجْرِبَةُ الدَّوَامَةِ تِلْكَ التَّجْرِبَةَ الْأُولَى لِنُومِهَا، وَكَانَتْ جَمِيلَةً وَمَنْعَشَةً بِحَقٍّ، لَمْ يَعْجَبُهَا سِوَى أَلْمَةِ بِسَبَبِ جَرْحِ رَاحَةِ يَدِهِ.

الحوريّة نايا ومدينة آينجل

وفور وصول المجموعة إلى سماء مدينة آينجه طلبت الحوريّة آيلا من أعضاء فريقها الذهاب لتبديل ثيابهن والعودة إلى بيت البلجيك بأسرع ما أمكنهم، فاستجابوا لها على الفور وانتشروا في سماء المدينة كلٌّ إلى منزله، وحين أشارت الحوريّة نايا لُنُوا من أجل اللحاق بها إلى منزلها أضافت الحوريّة آيلا موجهةً كلامها له:

- سأرسل لك في طلب ثيابٍ جديدة تناسبك بدلاً من هذه الممزقة التي ترتديها، بإمكانك الانتظار في مسكن الحوريّة نايا. استهجن نُوا من كلام الحوريّة ثم نظر إلى ملبسه باستغراب فوجدها ممزقة بحق لدرجة أن ما تبقى منها بالكاد يصل لنصفها فشرع بالخدج، وعلى الفور استغلّ كدي خجل غريمه وقام بتمزيق قطعةٍ متداعيةٍ من رداءه بحجة كون منظرها غير مناسب لهيئته العامة الممزقة، ما سبب غضبًا «لحظيًا» لُنُوا وزيادةً في خجله، وفي المقابل سببت حركة كدي ابتسامةً عريضة للحوريّة نايا التي تعمّدت الإمساك بيد نُوا والسباحة معه قاصدةً مسكنها في مساعدةٍ منها ليتجاوز الموقف. وأثناء سباحتهما أخذًا يفكران في ما واجهاه في الساعات الماضية، كلٌّ على حدة.

وصل ثلاثتهم إلى مسكنهم واتجهوا للحجرة الداخلية تتقدمهم صاحبة المسكن، ولكن نُوا تذكر مراد الحوريّة بتبديلها لثيابها فبادر بالتفاف والعودة للحجرة الخارجية، إلا أنها طلبت منه البقاء لمساعدتها في اختيار الثوب الذي سترتديه، وبالطبع لم يمانع وأبدى لها أنها دائماً على الرحب والسعة خصوصًا في مجال كذاك المجال، وبينما أخذ

يحدّثها عن قدراته في مجال الأزياء وانتقاده للنساء اللواتي يرتدين الثياب الأجمل دون الأخذ بالاعتبار كونها تناسبهنّ أم لا عرضت له الحوريّة المحترارة ثوبين اثنتين؛ الأول ذهبي اللون ضيق من الأعلى حتى الخصر وينساب فضفاضاً للأسفل، ياقته دائريّة وكمّاه طويلان وطبيعة أطرافهما شفافة، وفيه ما يتلألأ بكثرة دون مغالاة، أما الثاني فلونه ليلكي غامق، ضيق من الأعلى حتى الأسفل، ويبدو أكثر حداثة من الأول، ياقته على شكل حرف «V» وكمّاه طويلان ومن ظهره يمتد وشاح طويل وعريض يصل الأرض.

- الليلكي بالطبع. (نُوا، على الفور).

- تتساءل عن كونه سلاحاً هو الآخر، أليس كذلك؟ نعم إنه كذلك. (نايا، وهي تضع ما اختاره على جسمها وتدور حول نفسها مبتسمة).

طرق أحدهم الباب وقطع على الثنائي المنسجم حديثهما مسيئاً بذلك السعادة لكدي، فتساءلت الحوريّة عمّن يقصدها في مثل ذلك الوقت وطلبت من صديقها الذهاب لاكتشاف من الطارق بينما ترتدي ثوبها، فأوماً نُوا برأسه ذاهباً واستدار ولكنه عاود والتفت صوبها ليراها مجدداً إذ شعر نحوها للمرة الأولى بمشاعر غريبة، فوجدها تعيد ثوبها الذهبي بعناية إلى دولا ب ثيابها المليء بالسائل الأخضر، وأثناء ذلك أظهر السائل الأخضر ما فاجأه أيما مفاجأة، إذ ظهرت قارورتا زجاج كبيرتان كتلك التي يستخدمها البشر، وتحتويان على أوراقٍ ما.

ارتبكت الحوريّة لظهور الزاجتين أمامها وعملت على إخفائهما بسرعة، وفور تداركها للأمر التفتت صوب نُوا لتتأكد من كونه لم ينتبه لما ظهر بين يديها، ولكنه كان بالفعل قد استدرك وجود أمرٍ ما خفيّ فاتّجه إلى خارج الحجرة والسعادة تتابه لتمكنه من ملاحظته لتينك القارورتين اللتين تخفيان ولا بد سرّاً ما.

خرج نُوا إلى الحجرة الخارجية باتجاه الباب وقام بفتحه، فوجد

حوريّة صغيرةً بانتظاره، كانت خجولة بعض الشيء، وبشرتها بيضاء ذات شعر بني فاتح جميل تحمل بين يديها ثياباً جديدة مطابقة لثيابه قبل تمزقها ملفوفةً بأوراق شجر كبيرة. ناولته الصغيرة الثياب وابتسمت خجلةً ورحلت. وما كان من نُوا إلا أن أخذ الثياب منها وشكرها وهي ترحل، ثم أغلق الباب وتساءل في سرّه من جديد تساؤله القديم: (تري أين أنا!) وشرّد ذهنه.

وبعد بضع ثوانٍ عاد ذهنه له فوضع أسلحته أرضاً وقام بتبديل ثيابه بسرعة، ثم التفت صوب الحجرة الداخلية حيث من المفترض وجود القبط والحوريّة التي تبذل ثيابها، ولكنه تفاجأ بوجودهما أمامه. قال في سرّه مخففاً عن نفسه حرجها: (لقد أتيا لتؤهما، نعم، نعم لا بد من ذلك!) وخجل أشد الخجل، ثم أمهل نفسه بعض الوقت ليستعيد لون بشرته من أثر الخجل. ومن ثم أمهل نفسه من جديد المجال الكافي لينظر إلى الجمال المنتصب أمامه، وأثناء ذلك أضاف قائلاً في سرّه: (حقاً إنها حوريّة!).

وعندما انتهى من تفحص جمال الحوريّة أعلن عن جاهزيته - وفي باطنه أعلن عن شدّة تعبه وإرهاقه - فخرجوا قاصدين بيت البلجيك استجابةً لطلب الحوريّة آيلا، ولحسن حظهم أن صادف ذلك مرور أربع سلاحف بحريّة من أمامهم، فطلبت الحوريّة اثنتين منها لينقلوهم، فتبرعت سلحفاتان بذلك، امتطت الحوريّة واحدة وفعل نُوا مثلها وقفز كيدي على ظهره، وانطلقت السلحفاتان إلى مقصدهما بسرعتهم المعهودة.

وللمرة الأولى منذ وصول نُوا لمدينة آينجه كانت الحوريّة نايا ورفيقاها أول الواصلين لمكان ما، وكم فرحوا بذلك! ولم ينتظروا كثيراً لوصول الحوريّات تبعاً، وأثناء وصول الحوريّات خرجت القيّمة جيندا من إحدى بوابات بيت البلجيك لتبين أحوال أفراد السريّة فوجدتها منقوصة، إذ لم تجد الحوريّات استيرا ونالين وجين، فأعلمتها الحوريّة

نيروز أنهنَّ فَقَدْنَ كَلاً من الحورَيَّتَيْنِ نالين وجين، فتأسفت القِيَمَة لذلك ودخلت في صمت مطبق استمر بضع دقائق حتى ظهرت الحوريَّة استيرا من بعيد على ظهر سلحفاة كبيرة وهي تبرر تأخر قدومها بمساعدتها مجموعة أسماك عالقة بين أغصان نبتة كثيفة كالمخالب قرب مسكنها. دخلت الحوريَّات ونُوا إلى داخل بيت البلجيك دخل الفاتحين، وتسلسل كيدي معهم دون حاجته للتسلل؛ ولكنها عادة اعتادها، وجلسوا في إحدى حجرات البيت الصغيرة. وبشكل مفاجئ بادروا متسائلاً ومهاجماً الجميع:

– أراكنَ لا تحزنَ على من تفقدن!

– بل نحزن أشد الحزن. (شيار).

– هناك فرق ما بين الحزن وإظهاره للعيان. (بيرين).

قطعت الحوريَّة الأم التي اقتحمت الحجرة بلهفة الحديث الدائر بين نُوا والحوريَّات قائلة: (أهلاً بأبطال آينجه) وأخذت تتفحص وجوه الجميع بترقب وقلق، وكم حزنت حين تيقنت من وجود نقص في عدد الحوريَّات المفروض تواجده، وفي المقابل لم يمنعها حزنها من إبداء صدمتها عندما وجدت نُوا معها في نفس الحجرة حيّاً يرزق! وفي محاولة بائسة منها لإخفاء صدمتها جلست على أحد المقاعد الشاغرة وأخذت تستعجل قدوم كل من القِيمَتَيْنِ هيفار وليلاف اللتين تأخرتا عنها في دخولهما للحجرة، وأثناء ذلك تبين لها أن الراحلتين هما الحوريَّتان نالين وجين.

وبعد دخول القِيمَتَيْنِ المتأخرتين وتبادل تحياتهما مع الجميع سألت الحوريَّة الأم بقلق وسط ترقب القِيمَات عن نجاح السريَّة، فأجابتها الحوريَّة آيلا على الفور بالإيجاب والفخر يقطر من وجهها مُزيلة عن المتسائلة والقِيمَات العبء الكبير، فأطلقت الحوريَّة الأم تنهيدة عميقة ثم أضافت والسعادة تشعّ من عينيها: (بإمكانكم الآن قصّ تفاصيل ما جرى معكم، ها نحن تستمع).

تصدت القائدة آيلا لطلب الحوريّة الأم وأخذت تسرد بالتفصيل كل ما جرى مع فريقها مسلطة الضوء على دور نُوا في نجاح مهمة السريّة، وأغلب الظن أنها تعمّدت ذلك لتكهنها بما دار ويدور في رأس الحوريّة الأم التي أبدت امتعاضها فور اكتشافها لوجوده. أما باقي الحوريّات فشاركن قائدتهنّ في ما غاب عن ذاكرتها، وكانت الحوريّة بيرين الأكثر مداخلة من بين الحوريّات خصوصًا في الجزء الذي انفصلت فيه القائدة عنهنّ، كانت الحوريّة بيرين تتحدث بوقار غير معهود منها جاعلةً من حالة فقدانها لروحها الضاحكة تساؤلًا حاضرًا لدى جميع المتواجدين. أما الحوريّة نايا فكانت في أشدّ الابتهاج لحضور اسم صديقتها بوفرة وبصيغة البطل «البطل نُوا»، وهو من حافظ على صمته شاعرًا بكونه ذي أهميته غير مسبوقه.

وفي نهاية تلك الجلسة اقترحت القيّمة ليلاف إقامة احتفال كبير يحضره جميع سكان آينجه للإعلان عن نجاح السريّة وتهنئة ذوي الفقيدين نالين وجين، وعلى الفور أيدت كل من القيّمتين هيفار وجيندا الفكرة، أما الحوريّة الأم فأومأت برأسها موافقةً من بعد تفكير عميق وهي تركز بنظرها على إحدى زوايا الغرفة. أضافت بعد برهة: (سأتدبر أمر الاحتفال بنفسي، سأستدعيكنّ عندما أحتاج إليكنّ، بإمكانكم الانصراف الآن).

وهكذا انصرفت القيّمات والحوريّات جميعًا باستثناء الحوريّة نايا فانتظر معها رفيقها نُوا وكدي، والحوريّة الأم على حالها تركز بنظرها على زاوية الغرفة ذاتها. بادرت الحوريّة نايا قائلة:

- نُوا، بإمكانك انتظاري في الخارج.
- لا بأس، لست على عجلة من أمري. (نُوا).
- لا داعي لخروجه. (الحوريّة الأم).
- نُوا! (نايا، بجديّة).
- حسنًا. (نُوا، خارجًا ويتبعه القط).

- ستعلمين زوجي من نُوا في الاحتفال الكبير أليس كذلك؟
(نايا، مخاطبةً الحوريّة الأم بعد إغلاق نُوا الباب من
الخارج).
- كلاً.
- بل ستفعلين!
- عليك تفهّم الأمر.
- بل أنتِ من عليها تفهّمه! لقد منحتَه فرصةً مثاليّةً كي يموت،
ولكن الموت رفضه، ماذا تريدِين مني أكثر من ذلك؟
وكان لما قالتَه الحوريّة نايا أثرٌ صاعقٌ على نُوا المسترق
السمع خلف الباب، بالتأكيد ما كانت لتتفوه بما تفوهت به لو شكّت ولو
لمجرد شك بسيط باحتماليّة قرب نُوا منها بالدرجة الكافية ليستمع إلى
كلامها، أما القط فلم يبدِ أيّة ردة فعل تذكر لكونه سمع ما يُتوقع سماعه!
تابعت الحوريّة الأم:
- أنتِ من اختاره، أليس كذلك؟
- بلى.
- ألم تتعرفي بنفسك إلى لون عينيه قبيل انتقائه؟
- بلى.
- بلى! .. ألم تزرعي قشرة لؤلؤة حياتك في عنقه بملء إرادتك؟
- بلى.
- إذًا!
- ولكن ..
- نايا! ما بالك؟ أحقًا تريدِين حرق إحدى شرائع الحوريّات
المقدسة!
- صدقًا لم أتعمد ذلك ولكنني ..
- وإن كان!
- أخذت الحوريّة نايا بعض الوقت ثم تابعت بحدّة أكبر:

- ولكنها شرائع قديمة.
- نعم وقديمة للغاية، ولكن قدمها لا يعيبها، وإن كنت تقصدين ما يجول في ذهني فأنا على يقين بإيمانك المطلق بصحة تواترها.
- حسناً ولكن خرقاً واحداً لا يؤثر.
- إنها شريعة وليست قانوناً!
- وما الفرق!
- الفرق كبير! الشريعة فوقنا أما القانون فهو صنعة أيدينا. أنت تعلمين ذلك فلا داعي لتناسيه.
- وإن كان؟ خرق واحد لن يهدم الكون.
- أتضمنين لي ذلك؟ اضمنيه لي وافعلي ما يحلو لك.
- اكتفى نُوا بما سمعه عند هذا الحد وابتعد مستاءً عن الحُجرة حيث يدور النقاش بين الحوريتين، وأخذ يتساءل بصوت فيه ما فيه من الأسى: (ما بال لون عيني! منذ أول أيامي في المدينة وأنا أشعر بوجود معضلة ما تخص لونهما!) ولدى سماعه لذلك شعر كيدي بضرورة تدخله لتوضيح الأمر العالق ما بين نُوا وزواجه من الحورية، فطلب منه اللحاق به إلى ميدان جاساريت ليكملا حوارهما بعيداً عن الحوريتين وعن بيت البلجيك، فلحقه نُوا، وما أن وصلا حتى تابع كيدي قائلاً:
- مما تنص عليها شرائع الحوريات المقدسة ألا تتزوج الحورية إلا من رجل يماثل لون عينيه لون عينيها، وكما تعلم لون عينيك أزرق ولا أدري إن لاحظت خضار عيني الحورية نايا أم لا.
- يا لها من شرائع مُجردة من المنطق! .. نعم لاحظت.
- أحياناً لا يكون المنطق في الشريعة بحد ذاتها، ولكنه في المقابل يكون في الحماية مما قد ينتج عن خرقها، أليس كذلك؟
- يا لها من فلسفة!
- ولكنها واقع.
- اقترب نُوا من كيدي وحمله على كتفه اليسرى وطاف به في أرجاء

ميدان جاساريت، وأثناء ذلك أخذ يتأمل بصمت تفاصيل المدينة العظيمة، تارةً محدقًا في سماءها الواسعة وتارةً في سفوح جبالها الحادة العظيمة، ولم يخلُ ذلك من تقافز نظراته ما بين حلقات منازل المدينة الخلابة وما بين أسراب أسماكها العابرة من فوقه، أما على الأرض فتابعت عيناه المارة من الحوريات والرجال الذين كثيرًا ما تجنّب الاحتكاك بأيّ منهم دون امتلاكه سببًا واضحًا لذلك.

وأثناء تلك الأجواء الخلابة تساءل نُوا متأثرًا: (ترى لم يحدث كل هذا لي! أهذا جزاء ما بدأت أشعر به من السعادة والإلفة بينكم!) وبشكل مريب التفت صوب بيت البلجيك وحدّق إلى البوابة التي خرج منها مؤخرًا رفقة القط لفترة من الزمن، وأثناء تحديقته خطر على باله خاطر فجذب وجه كيدي ليتقابل وجهها معًا وقال له:

— خذني إلى الحوريّة هيف حالًا.

— الحوريّة هيف!

— الحوريّة هيف أنسيته! قيّمة قطاع تيرم السابقة، تلك التي اعتنت بالحوريّة نايًا أيام صغرها.

— حسنًا.. ولم لا! خصوصًا وإن كان في ذلك ما يخفف عنك الهمّ الذي أصابك. إنها تسكن بعيدًا عن هنا، إنها تسكن ضمن أعلى حلقة من حلقات منازل الحوريات من جهة ميدان تيرم. ولا أظن أن صديقتنا ستأخر في العودة إلى مسكنها. لذا دعنا ننطلق لنكسب الوقت.

— أتمنى أن نصادف إحدى السلاحف في طريقنا. (نُوا).

— وأنا أتمنى أن تقبل السلاحف نقلك فتقلني معك. (كدي).

وعلى الفور انطلقا إلى مسكن الحوريّة هيف بقوة دفع نابعة من رغبة نُوا الخفية وبتوجيه من القط المتعاطف، أما الحوريّة نايًا فكانت في المقابل في قطاع سافاز تتباحث مع كل من القيّمة جيندا والحوريتين آيلا وسيماف حول مشكلتها المعقدة، فزواجهما من نُوا مُحَرَّم لما فيه من

خرق لإحدى شرائع الحوريات المقدسة، وعدم زواجها منه يعني بشكل أو بآخر الحكم عليها بعدم الإنجاب للأبد، فقلة قليلة من الحوريات في مدينة آينجه من استطاعت أجسامها تكوين قشرة لؤلؤة حياة ثانية تخولها الإنجاب من زوج آخر.

كان كل ما طالبت به الحورية صديقاتها مسانبتها أمام الحورية الأم لتسمح لها بخرق «الجزئية الصغيرة» - حسب وجهة نظرها - من شرائع الحوريات المقدسة التي تعاندها وتمنع زواجها، وكم تفاجأت حورتنا القليقة من التأييد الشديد الذي قدمته كل من الحورتين جيندا وآيلا لها، أما الحورية سيماف ففضلت عدم التدخل في هذا الشأن واعتزله متذرعة بعدم قدرتها على اتخاذ قرار صائب، كما تمكنت من أفناع نفسها بسهولة أن في قرارها بالعزلة مصلحة لها ولجنس الحوريات.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فانطلق فريق الحوريات المؤيد لقضية الحورية نايا؛ جيندا وآيلا، بالإضافة إلى نايا بالطبع، متوجهين إلى قطاع تيدافي للقاء القيمة هيفار، وبالمصادفة وجدنها تتحدث مع الحورتين آشين واستيرا، وكنّ يجلسن على أريكة دائرية بيضاء مفرغة من الوسط وفي مركزها منضدة يجتمعن حولها، وكان في اجتماعهن فرصة مثالية لتعرض الحورية نايا مطلبها مرة واحدة.

وعلى الفور أدلت حورتنا بما لديها وهي متفائلة بردود حوريات قطاع تيدافي، إلا أن ردة فعل القيمة هيفار كانت صادمة نوعاً ما إذ انتفضت قائلة:

- أجننت! لا يمكن لأحد خرق شرائع الحوريات المقدسة!
- على رسلك أيتها القيمة هيفار! إنه خرق بسيط. (آيلا).
- كما أن هذه الجزئية من الشرائع غير مفهوم البتة. (آشين).
- أنتِ معهن! (هيفار، متعجبة وهي تخاطب آشين).
- نعم معهن، أندرين أنني لم أنس حتى هذه اللحظة كيف منعتني من الزواج من الشاب لوران قبل ستة أعوام لذات السبب.

- (آشين).
- ولكن يبدو لي أنك نسيتِ كونك محظوظة لوجودي معك حينها لتحذيرك من أن لون عينيه غير حقيقي قبل أن تغرسي قشرة لؤلؤة حياتك في عنقه.
- لا لم أنس. (آشين، باستياء).
- أعلم أن الذنب ليس ذنبك، فمن كانت لتدري وضعه لما يخفي لون عينيه الحقيقي! ولكنه في المقابل لم يكن ذنب الحوريات. (هيفار).
- لا وقت للجدال في أحداث الماضي، فلنبقَ في حاضرنا. (نايا).
- حسناً.. ما سيحدث في حال تم حرق إحدى الشرائع المقدسة؟ ألا تستحق الحورية نايا استثناءً صغيراً لما قدمته لمدينتنا خصوصاً في مهمتنا الأخيرة؟ وذاك الرجل، ألا يستحق الشكر على ما بذله بذكاه للقضاء على سيد الأوركا؟ أجيبي من فضلك؟ (جيندا).
- لا أدري، ولكن أثر ذلك سيعم ولا بدّ علينا جميعاً، ما بالكن تتحدثن عن شرائع الحوريات المقدسة كما وكأنكن تتحدثن عن قوانين مدينتنا التي وضعتها أمهاتنا وعدلنا عليها وخرقناها مرات عدّة! (هيفار).
- وأنا معكن. (استيرا).
- ومع مداخلة الحورية استيرا انسحبت القيمة هيفار قائلة:
- اخرقن ما شئتم، لا دخل لي في هذا الشأن.
- شعرت الحورية نايا بالتفاؤل لكون ميزان آراء معظم الحوريات يميل لصالحها، فحتى تلك اللحظة اصطفت معها كل من الحوريات جيندا وآشين واستيرا وآيلا، وفي المقابل لم يصطف ضدها أحد، وحتى من اصطفت على الحياد كن اثنتين فقط وهما الحورية هيفار والحورية

سيماف.

وكسباً للوقت طلبت حوريتنا من فريق مؤيديها الذهاب معها لمقابلة القيّمة ليلاف، ووافقنا دون تردد وانطلقن معاً للمبنى الرئيسي في قطاع تيرم حيث يُتوقع وجود القيّمة، ومع وصولهنّ للمكان المنشود وجدن كلاً من الحوريتين جيان ونيروز خارجتين من المبنى فسألتهما الحوريّة آيلا عن مكان القيّمة ليلاف لتتأكد من أنها موجودة في الأرجاء أم لا، ولوجود ذلك الوفد العريض شعرت الحوريتان بوجود أمر طارئٍ ما فاصطحبنا الفريق إلى مكان قيّمة القطاع، وهناك وجدناها جالسةً مع الحوريّة شيار وثلاثة حوريات أخريات.

طلبت القيّمة جيندا من القيّمة ليلاف الكلام معها على انفراد، وقبل أن تجيب القيّمة ليلاف بالإيجاب استأذنت جميع حوريات قطاع تيرم المتواجדות في المكان وهممن بالخروج. وعند مشاهدتها لذلك أضافت القيّمة جيندا: (شيار، جيان ونيروز، أرجوا أن تبقين معنا، فالأمر يخصكن أيضاً).

وهنا جاء دور الحوريّة نايا، فبعد التحية المقتضية بدأت الحوريّة المتحمسة بعجالة عرض ما قدّمت من أجله أمام قيّمة القطاع والحوريات الثلاث، تماماً كما عرضته على الحوريّة هيفار من قبلها. ثم أخذت تنتظر ردهنّ بفارغ الصبر.

نهضت القيّمة ليلاف من مكانها واقتربت من الحوريّة نايا وحدّقت إلى عينيها بغضب سائلةً الحوريّة شيار:

- شيار .. ماذا تقولين في ما سمعناه؟

- حماقة.

- نيروز؟

- استهتار.

- جيان؟

- أنانية.

- أستنتج من تجمعمكن ووجودكن هنا رفض الحوريّة الأم لمطلبكن، أليس كذلك؟ (ليلاف، ثم صمتت).
 - أرجو منك متابعة ما تنوين قوله بسرعة. (جيندا).
 - يؤسفني أن أقول لكن بأننا لن نسمح لكن بخرق شرائعنا المقدسة مهما كلفنا الأمر. (ليلاف).
 - وإن قبلت الحوريّة الأم بمطلبنا؟ (آيلا).
 - لن تقبل. (ليلاف).
 - وإن قبلت؟ (آيلا).
 - لكل حادث حديث، ولكن عليك تأجيل الخوض في هذا الموضوع حتى انقضاء الاحتفال الكبير. (ليلاف).
- صمت الجميع بضع ثوانٍ إثر ذكر الاحتفال الكبير الغائب عن أذهان فريق مؤيدي الحوريّة نايا، وبقي الصمت إلى أن تابعت قيمة قطاع تيرم كلامها قائلة:

- يبدو أن الاحتفال الكبير غائب عن أذهانكن جميعاً، أعمتكن مطالبكن عن مصلحة جنس الحوريّات، أليس كذلك؟

وبذاك التساؤل فضّت الحوريّات المؤيدات للحوريّة النائرة نايا اجتماعهنّ وتوجهت كلّ منهنّ إلى حياتها اليوميّة وهنّ عاقدات العزم على متابعة مطالبهنّ - وهي ذاتها مطالب الحوريّة نايا - بعد انقضاء الاحتفال الكبير، أما الحوريّة نايا فأخذت تستذكر المكان الذي تركت فيه صديقها وقطعها لتصحبهما معها إلى مسكنها وبالكد تذكرت، فانطلقت مسرعةً إلى بيت البلجيك والأمل يحذوها بالعثور عليهما في أسرع وقت نظرًا لإرهاقها الذهني.

بالتأكيد ما كان ليخطر على بال الحوريّة نايا كون صديقها قد أنهيا منذ زمن قصير زيارتهما للحوريّة هيف وأنهما عائدان في طريقهما إلى مسكنها. ويا لها من زيارة! كم تفاجأ نوا بسببها! - وبالتأكيد لم يكن ذلك لكونها أول زيارة يقوم بها لحوريّة - فعوضًا عن تبديد القيّمة

السابقة الغموض المحيط بشخصية حوريته وجدها ساعدت بشكل أو بآخر على نمائه، ولم تكنف بذلك بل سببت بزيادته، فقبيل مقابلة الحورية هيف انحصرت رغبة نُوا بمعرفة الحورية نايا؛ بمعرفة من هي؟ وما هو ماضيها؟ أين نشأت وكيف؟ ولم لا - إن استطاع - معرفة سبب انتقائها له «حسب قولها»؟ ولم كل هذا الإصرار عليه هو بالذات؟ أما بعيد زيارته لها فالأمر مختلف، مختلف جدًّا.

بدأ الأمر باستغراب نُوا من طلب كدي طرق باب أحد مساكن الحوريات، وكان ذلك أثناء مسيرهما باتجاه مسكن الحورية هيف، كان بالتأكيد سيستغرب لعدم انتباهه لانتقضاء وقت طويل قضياه معًا في طريقهما إلى مسكن الحورية، وفي ذلك دلالة على انشغاله بتساؤلاته حول صديقته الغامضة. ولكن لم يمنعه استغرابه من الانصياع لطلب القط وطرق الباب المنشود بلطف دون تردد وانتظار، انتظرًا مطولًا إلى أن همًا بالرحيل يائسين أكثر من مرة ولكن كانت بعض الأصوات الغريبة تصدر من الداخل تعدل من رأيهما.

وعندما هم نُوا بطرق الباب للمرة الثانية وجده يُشْرَع أمامه ببطء لتظهر من خلفه حورية فاتنة للغاية سمراء ذات شعر أسود قصير جدًّا وتمائله في الحجم، تسببت في إرباك نُوا أشد الإرباك. بادرت مستندةً إلى صمته:

- تفضل.
- حسنًا، جئت في طلب الحورية هيف. (نُوا، بشيء من التوتر).
- تفضل، ها هي أمامك! (هيف).
- إنه نُوا، صديق الحورية نايا وقد يكون زوجها مستقبلاً ويود أن يتحدث إليك بخصوصها. (كدي، بهدوء).
- كدي! أهلاً بك، مرّ وقت طويل على آخر مرة التقيتك فيها، تفضلاً إلى الداخل. (هيف، تلتفت للقط).
- دخلت الحورية هيف ودخل القط من خلفها وتبعهما نُوا متثاقلاً،

وكان ثاني مسكن يدخله من مساكن الحوريات، وفور عبوره باب مسكنها استنتج أن جميع مساكن الحوريات متماثلة من الداخل كما هي من الخارج. جلست الحورية هيف على أحد المقاعد وجلس كيدي مقابله وانتظرت جلوس نُوا ولكنه لم يجلس، وتبادر لذهنها أنه لم يجلس خجلًا فابتسمت، بينما في الواقع كان شارد الذهن يفكر في ما وصل إليه خياله حتى تلك اللحظة.

- نُوا بامكانك الجلوس! (هيف).
- بالتأكيد، إنه من دواعي سروري. (نُوا، جالسًا).
- اسمك جميل كاسم حوريتك. (هيف).
- شكرًا لك. (نُوا).
- واسمك كذلك. (كيدي، مخاطبًا الحورية هيف).
- قلت منذ قليل أن هذا قد يكون زوج الحورية نايا، أليس كذلك؟ (هيف، موجهة سؤالها لكيدي).
- نعم، إنه كذلك. (كيدي).
- ومنذ متى يُسمح للحوريات الزواج من رجالٍ يخالفونهن في لون العينين! (هيف).
- لا تقلقي، ستعمل الحوريات على إيجاد مخرج لهذه المشكلة. (كيدي).
- مشكلة! أتحسب خرق شرائع الحوريات المقدسة مجرد مشكلة! (هيف).
- في الواقع جئت أسألك عن الحورية نايا، احترت في شخصها. (نُوا، مختصرًا دخول القيمة في جدل مع القط).
- الحورية نايا! الحورية التي لم يغيرها الزمان ولا أظنه سيفعل يومًا ما، منذ طفولتها وأنا أشعر بأنانيتها .. لا عليك، دعك مما قلته. حسنًا سأجيبك؛ عهدت بها إلي الحورية سلافا - الحورية الأم التي سبقت الحورية ديلماف - بعدما جاء بها هذا القط

- وأشارت لكِدي - من سطح البحر وأخبرنا بتلاشي والدتها الحوريّة إيفان.

- هل سعدتِ بذلك؟ أقصِد أن تضعها في عهدتك؟ (نُوا).
- بالطبع، كان ذلك من دواعي سروري. (هيف).
- ترى لمَ عهدت بها إليكِ إنْتِ بالتحديد؟ (نُوا).
- توقعت سؤالك. (كِدي، ضاحكًا).

شعرت الحوريّة هيف بغرابة الصداقة التي تجمع بين ضيفيها فأثير فضولها وأخذت تتنقّل ببصرها بينهما، ولم ينتبه نُوا لذلك لكونه منشغلًا يتساءل في نفسه: (ترى هل تضحك القبط حقًا أم ماذا! ما الذي يحدث لي! أين أنا؟).

قررت القيمة السابقة تجاهل مداخلة كِدي وأجابت نُوا:

- لأنني صديقتها، ولأنني كنت من القلائل في مدينة آينجه اللواتي لم يتزوجنَ وبالتالي لم ينجبن، وذلك لعدم تكوين لؤلؤة حياتي قشرة خارجيّة.
- يؤسفني ذلك. (نُوا).
- لا بأس. (هيف).
- كيف كانت طفولتها؟ (نُوا).
- أحببتها وأحبها بشدة، أذكر أن قلبي انتفض برتم نبضٍ جديد فور تكليفي من قبل الحوريّة سلافا للعناية بها، وما زلت أكن لها مشاعري كما عهدي الأول مهما جرى أو سيجري منها أو بسببها. في البداية ظننتها حوريّة صغيرة طبيعية، ولقلة خبرتي في مجال الأمومة احتجت وقتًا طويلًا لاكتشف غرابتها، ولولا تزايد احتكاكي مع الأمهات من الحوريّات وكثرة نقاشاتنا حول صغارنا لما تبين لي اختلافها عن مثيلاتها.. عذرًا يبدو لي أنني تسببت في إثارة فضولك أليس كذلك؟ (هيف، تراقب لهفة نُوا).

- بالتأكيد. (نُوا، خجلاً).

نهضت الحوريّة هيف من مكانها وأخذت تتجول في الحجرة، ثم تابعت قائلة:

- لقد فتحت عليّ باب جحيم ذكريات الماضي.

- عذراً لم أقصد ذلك. (نُوا).

- أتعلم، أشم رائحة الموت في ذكرياتنا. نُوا استثمر حياتك فإنها أقصر مما تتخيل! (هيف).

- أعتذر منك، صدقاً لم أقصد التسبب بأذيتك. (نُوا، والفضول يقطر منه).

- إنه يعتذر ويعتذر! (كدي، بصوت منخفض).

- لا بأس. (هيف).

عادت القيمة السابقة وجلست مكانها وعدّلت من هيئة ثيابها - وكانت ترتدي ثوباً فضفاضاً للغاية أبيض اللون ومرقط بزهور صغيرة متقاربة - ثم أسندت ظهرها إلى ظهر المقعد الذي كانت تجلس عليه ووضعت ساقها اليمنى فوق اليسرى وتابعت قائلة:

- كانت تنام نصف يومها بشكل متواصل وتستيقظ في نصفه الثاني

دون استراحة، على خلاف كل صغار الحوريات اللواتي يدخلن

في نطاق النوم والاستيقاظ أربع مرات في اليوم الواحد، وأكثر

ما أثار استغرابي بشأنها كان عدم تغيير نمط حياتها إلا مؤخراً!

- مؤخراً! (نُوا).

- ألم أقل لك من قبل إنك عجول! (كدي).

ومع مداخلة كدي الثانية تأكدت الحوريّة هيف من غرابة صداقة

ضييفها. فابتسمت لذلك ثم تابعت:

- عُرِفَت منذ صغرها بتناولها كميات أكبر بكثير من الطعام بين

مثيلاتها من صغار الحوريات لدرجة شكو كنا في قطاع تيرم

بمرضاها، كما عُرِفَت بكونها عاشقة للتمرد والشك وسوء الظن،

وكانت عدوانية قليلاً، وفي المقابل كانت ولا تزال اجتماعية إلى أبعد الحدود لدرجة أنني كنت أستشعر جوعها لبناء الصداقات مع أي أحد، وهي ودودة تحب الجميع ولكن دون تعلق، ولم يمنعها ذلك من حبها لنفسها حد الغرور. كما عُرفت بعشقها للفوز وكراهيتها الشديدة للخسارة، كانت تسبب لها الخسارة الغير الشديدة وكانت تصل بها أحيانا إلى حد الحقد على ذاتها وإمكانياتها، ولكن الجيد في الأمر أنها غير من دون حسد، وأظنها تجد نفسها فوق الحاجة لحسد الآخرين، وكانت تمرض على إثر تعرضها للخسارة الأيام طوال، تخيل!

ولعدة أسباب وجدتها أكثر نضجًا من قريناتها، فعلى سبيل المثال فاجأتني منذ صغر لؤلؤة حياتها بتعلقها الشديد بحديث الحوريات عن سطح كوكبنا، أذكر أنها كانت تعشق السير التي تأتي على ذكر المطر وقوس المطر، آه من قوس المطر هذا! كم من مرّة صعدت فيها إلى سطح البحر كي أراه ولكن من دون جدوى، أحقًا كما يقولون عنه؟
- وماذا يقولون؟ (نُوا).

- أنه يتكون من سبعة ألوان؟ (هيف).
- أحمر من الخارج ويتدرج للبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالأزرق الغامق فالبنفسجي من الداخل، نعم سبعة ألوان حسب ما أذكره. (نُوا)، وهو يعدّ على أصابع يديه ألوان قوس المطر).
صمت نُوا برهة من الزمن ثم تابع قائلاً:

- في الواقع استهجنّت سؤالك عن ألوان قوس المطر!
- معك حق، فحديث الآخرين بشغف عن الأمور البديهية بالنسبة إلى العارف بها أمر مستهجن! ستستهجن أكثر بالتأكيد إن تمكنت من معرفة قدر ذهولنا نحن معشر الحوريات من البديهيات في حياتكم. (هيف).
- ليست الشيء الكثير. (نُوا).

- على ديمومة النعم - مهما كانت بسيطة- أن لا تسبب في الانتقاص منها. (هيف).
- ولكننا لا نشعر بالمثل حول عالمكم! (نُوا).
- يا لك من أحمق! كيف ستذهل ببديهيّات عالم لم تعلم بوجوده إلا مؤخرًا! (كدي).
- تسببت صراحة كدي في شعور نُوا بحماقة مداخلته، وكم خجل لذلك! ولم يشعر بذلك منذ زمن وهو في المدينة المائيّة، ومع شعور الحوريّة هيف بسوء درجة حرجه تدخلت لإنقاذه قائلة:
- أتدري، لم تكن صغيرتي الوحيدة المهتمّة ببديهيّات كوكبنا، كوكب الأرض كما تسمونه، أنا أيضًا مثلها، بل جميع الحوريّات مثلها دون استثناء، ولكنها للأمانه أكثرنا. وليس المطر وحده ما نحب، فنحن نحب السماء والغيوم والرياح والطيور والصدى، نعم الصدى! .. والظل كذلك الأمر! نعم إنه المفضل لديّ.
- يا لها من قائمة! (نُوا).
- تريدني أن أتابع حديثي عن صديقتك، أليس كذلك؟ لا بأس، قل ذلك. (هيف).
- لا .. (نُوا).
- أعلم أنك لم تأت من أجلي. (هيف، مبتسمة وهي تقاطع نُوا عن تبرير نفيه).
- تنهدت القيّمة السابقة ثم أخذت تراقب كدي بحنوّ وهو يعدّل من جلسته وعندما أتمّ تعديلها التفتت صوب نُوا وتابعت قائلة:
- ومزّ الوقت سريعًا وكبرت صغيرتي وأنهت تدريبيها في قطاع تيرم ثم في قطاع سافاز وأخيرًا في قطاع تيدافي وبرعت فيها كلها براعة حقيقيّة، ثم انتقلت للسكن في منزل جديد كما تفعل الحوريّات في عمرها، ولن أنسى لها أنها لم تقطعني يومًا من زياراتها حتى يوم قدومك إلى مدينتنا.

- أعتذر عن كون وجودي السبب في ذلك. (نُوا).
- لا عليك. (هيف).
- ما زال يعتذر! (كدي، ضاحكًا).
- تظاهر نُوا بعدم سماعه مداخلة كدي، وكذلك فعلت الحوريّة وهي تتمالك نفسها من الضحك لتيقنها بوجود سجل طويل وممتع بين ضيفيها، ثم تابعت:
- وعندما عُرِضت عليها فرص العمل الشاغرة المناسبة لها اختارت منارات بيت البلجيك.
- عليك التوضيح من أجله، ثقي بي. (كدي).
- أخجلت مداخلة كدي صديقنا بينما تابعت الحوريّة هيف قائلة:
- بالتأكيد. تعمل الحوريّة الأم مع القيمات على قطاعات المدينة بشكل سنوي على تقييم الحوريّات اللواتي يُتممّن تدريبهنّ ليختارواهنّ أنسب فرص العمل، وفي العادة يخترن لكل حوريّة ما بين الفرصتين والثلاث، لتضمن مدينتنا بذلك وجود الأكفأ في المكان المناسب، وفي المقابل تجد الحوريّات اليافعات فرصة اختيار ما هو محبب إليهن. وبالطبع هناك مجال لوجود الاستثناءات، فكما تعلم؛ على رغبة الفرد الصادقة أن لا تُرد.
- أتمنى لو يكون نظامنا مثل نظامكم، أقصد نحن البشر.
- إنكم تحتاجون الكثير!
- ماذا حدث بعد ذلك؟ (نُوا، وفضوله في أوجه متجاهلاً مداخلة القيّمة السابقة التي تنتقص من بني جنسه).
- عملت صغيرتي في المنارة رقم III لمدة عامين وبرعت في عملها بشكل ملفت، وأخذ قدرها يكبر بين الحوريّات شيئاً فشيئاً، واستمرت على حالها إلى أن عرضت عليها القيّمة جيندا أن تعمل معها كمعاونة لها في قطاع سافاز، وعلى الفور قبلت صديقتك بالعرض.

- كمعاونة! وقبلت على الفور!
- إن كنت تقصد الاستهانة بمنصب المعاونة فأنت مخطئ، عليك أن لا تستهين به على الإطلاق. فلكل قيمة من قيمات القطاعات مجموعة من المعاونات، والمعاونة منصب رفيع بالنسبة لمجتمعنا ويعد القبول به واجب مقدس لما يفسحه من مجال أوسع لخدمة جنس الحوريات. وبالإضافة لذلك للمعاونة فرصة لأن تصبح قيمة يومًا ما، وللقيمة فرصة بأن تصبح الحورية الأم في المستقبل. من يدري؟ .. يبدو لي أنهن لم يعلمنك بأن جميع حوريات السرية التي شاركت بها من المعاونات.
- بالفعل، لم يخبرني أحد .. هل لي أن أسألك سؤالاً شخصياً؟
- بالتأكيد.
- لم أصبحت قيمة «سابقة»، أو بالأحرى كيف؟
- تنتحى الحورية الأم من منصبها عندما تجد من هي أكفأ منها من قيماتها، وكذلك تفعل القيمات، فتنحى القيمة للمعاونة التي تجدها أكفأ منها، وهكذا.
- وبذلك تتحول الحورية الأم والقيمات إلى حوريات من عامة الشعب؟
- بالطبع، ولكن بمهمة إضافية صغيرة ألا وهي تقديم المشورة «إن استطعن» لأي كان.
- أحقاً! تنتحين في سلام تام!
- نُوا، نحن لسنا بشرًا مثلكم.
- البشر! أتعلمين أن من البشر من هو على أتم الاستعداد لإبادة من حوله للحفاظ على منصبه، حتى من دون أن يتم تهديده بفقدانه أدنى تهديد.
- بلى، سمعت عن ذلك كثيرًا من رجال الحوريات. (هيف،

مستاءة).

عم الصمت الحجرية، فاقترح نُوا إكمال حديثهما في الخارج للاستمتاع بجمال المَطَل أمام مسكنها، فأيدت الحورية هيف مقترحه وأثنت عليه، وتقديرًا لمكانة القيمة السابقة وتقديرًا لعمرها - استنادًا إلى قصر شعر الحورية - عرض نُوا عليها أن تسبقه وتمرّ من أمامه، فشكرت ذوقه واتجهت إلى الخارج فلحقها بحماسة، ولسوء حظه تعرّ بحذائه وسقط باتجاهها وكاد أن يصطدم بها، وما أن شعرت الحورية هيف بوجود أمر ما غير مطمئن حتى انتفخت ثيابها بسرعة البرق وأصبحت كالكرة، فصدمت بُنوا بعنف وتسببت بقذفه بعيدًا عنها، فاصطدم بجدار الحجرية ومن ثم ارتطم بالأرض.

تسبب صوت الاصطدام فالارتطام بإيقاظ كيدي فزعًا من منامه - إذ غافله النوم منذ زمن دون أن ينتبه له أحد - وازداد فزعه أكثر عندما استوعب المشهد من أمامه إذ وجد الحورية هيف تقف قبالة باب مسكنها مشهرةً سلاح ثيابها - وهو سلاح الانتفاخ كالكرة المطاطية - ووجد نُوا على الأرض بجوار أحد جدران الحجرية بلا حراك. أما الحورية هيف فأعدت ثيابها لسيرتها الأولى بعدما استوعبت أبعاد الموقف واتجهت مسرعة نحو نُوا وأخذت تعتذر منه وتحركه يمينًا ويسرة إلى أن تحرك ثم أخذ يحاول النهوض وأثر الدوار بادٍ عليه. وأثناء ذلك عاتب قائلاً:

- كانت مجرد حادثة، لم أقصد فعل شيء.
- أعرف ذلك، ولكنها ردة فعل لا إرادية، اعذرني.
- يا له من سلاح تمتلكينه!
- صمت قليلاً ثم أضاف:
- يا لك من قوية!
- دعك من ذلك، كانت مجرد ممازحة خفيفة من القيمة. (كدي، شامتًا).

- كم أتمنى لو كنت مكاني. (نُوا، بصوت منخفض).
- شكرًا لإطرائكما. (هيف).
- أتساءل هل حقًا تنازلتِ عن مركزك كقيمة لحرورية أقوى منك! (نُوا).
- إنها القيمة ليلاف - معاونتي السابقة - أقوى مني، كما أنها أفضل مني في عدّة مجالات وما القوة إلا إحداها. (هيف).
- نهضت القيمة السابقة بضحيتها على مهل وبالرغم من ذلك تألم أشد الألم، حاولت إجلاسه على أحد المقاعد ولكنه رفض وفضّل الخروج إلى خارج مسكنها كما اقترح من قبل، وبالرغم من عمل القيمة المستحيل لإقناعه بالمكوث في الداخل قليلًا ريثما يستعيد توازنه، رفض نُوا ذلك مستغلًا كونه ضحية عنف الحورية وأصرّ على اقتراحه إلى أن انصاعت الحورية إلى رغبته وخرجا، وتبعهما كيدي.
- وفور خروجهم من باب مسكن الحورية أطبق الباب على نفسه تلقائيًا مصدرًا صوتًا مرتفعًا نسبيًا أفزع نُوا فقال في نفسه: (حدث ذلك لي من قبل!) فنظر لا إراديًا إلى الخلف صوب الصوت فوجد الباب بلا مقبض، قال في نفسه: (نعم تذكرت!) ثم تابع مسيره إلى الأمام فاصطدم بها من الخلف وكاد أن يسقطها أرضًا إلا أنها تمالكت نفسها بخفة مثيرة للإعجاب. قال في نفسه: (لا، لا لست همجيًا) وقال لها متأسفًا:
- عذرًا لم أنتبه لكونك قد توقفتِ هنا.
- من حسن حظك أن المشهد السابق لم يتكرر! (هيف).
- كيف علمتِ به؟ كنت والحورية نايا وحدنا! (نُوا).
- عن ماذا تتكلم؟ لم يكن في الحجرة سوانا أنا وأنت وكيدي! (هيف).
- يبدو أنني لست على ما يرام. (نُوا، في محاولة للتستر على ما فهمه).
- شرعت الحورية يديها وهزت رأسها يمينًا ويسارًا برقة بالغة وأمالته

للخلف، ثم التفتت ناحيته مبتسمةً وقالت:
- نُوا .. انظر! ما أجمل مدينة آينجه!
وبعد تلك الجملة شعر نُوا بانهايار ذهنه ووضع يديه على رأسه
كمن يحمله وقال:

- إن المشهد يتكرر! اقسم إنه ذاته يتكرر!
ابتسمت الحوريّة هيف وقالت:

- وما ضير ذلك؟ الجمال هو الجمال ولا يعيبه تكراره!
(معها حق، ما ضير ذلك!) قال نُوا في نفسه، ثم تقدم وتجاوز
الحوريّة وقطع الطريق الموازي لحلقة مساكن الحوريّات واقترب من
حافته واتكأ على سور رخاميّ في آخره وأخذ يتبحر بعينه في أرجاء
المنظر المنتصب أمامه، ولتبحره فغر فاه ببطء ورحبت المنطقة البيضاء
من عينيه على مهل بما رآه، وتلفت رأسه في كل الاتجاهات كمن يترقب
تلقي صدمات دهشة على حين غرة.

الفرق الوحيد بين المشهدين اللذين عاشهما نُوا كان ظهور معالم
المدينة بحجم أصغر، كبيت البلجيك وكقطاعات تدريب الحوريّات،
كلها بدت أصغر، وحلقات مساكن الحوريّات بدت أجمل وأكثر عددًا
وأقرب من بعضها البعض، كما بانت سماء المدينة أكبر وسفوح جبالها
أشد انحدارًا. ولجمال المشهد المعروف أمامه قرر نُوا أن لا يبخل
على نفسه بالوقت ليتشبع منه فأخذ منه كفايته ثم قال مذهولاً:

- حقًا إن الجمال هو الجمال وإن تكرر! بالتأكيد سيّدت هذه
المدينة بناءً على خيال فنان لا على علوم مجموعة مصممين!
ابتسمت الحوريّة هيف للمذهول نُوا ومنحته بعض الوقت
الإضافي ليتأمل المدينة من أمامه لإيمانها بأنه مشهد يستحق، وبعدما
أحسّت أنه أخذ من الوقت كفايته بادرت قائلة:

- ما الذي تنوي السؤال عنه بعد؟
- قلت لي إن نمط حياة الحوريّة نايا تغيير مؤخرًا، لم أفهم

قصداً بذلك؟

- ذات يوم وعلى غير العادة أفأقت صغيرتي في غير موعد استفاقتها المعتاد تتألم بشدة وتصرخ بأعلى صوتها بشكل مفرع.
- أين حدث ذلك؟
- في مسكنها.
- أهو قريب منك؟
- لا، دعني أكمل لك.
- كم سمعت هذا الجملة! «دعني أكمل لك» (نُوا)، بصوت منخفض).

- عم صراخها الحاد منطقة سكنها ووصل إلى مسامع الحوريات المقيمات بجوارها، فسارعت الحوريتان ستيرك وأواز - وهما الأقرب لها في السكن حتى يوم حوار القيمة السابقة هيف ونُوا - للاطمئنان عليها فافتحمتا حجرتها وتفاجأتا بها تتوسط سريها وتتلوى من شدة الألم، وسوى محاولة تهدئتها لم تستطع الحوريتان تقديم أية مساعدة، وبدون سابق إنذار غطت صغيرتي في النوم من جديد فاستغلت القلقة آواز نومها وانطلقت تستغيث وتطلب النجدة من الحورية هيفار بصفتها القيمة على قطاع تيدافي، ولم تتوان القيمة عن القدوم شخصياً للاطمئنان على صغيرتي النائمة حاملةً في حقيبتها مجموعة من النباتات المختصة في العناية بالشعر.

- وماذا فعلت القيمة هيفار؟

- في الواقع لا شيء، كانت حالة الحورية النائمة فريدة من نوعها لدرجة أن قيمة تيدافي وقفت عاجزة أمامها. وبعد مرور بضع ساعات وجدت صغيرتي نفسها تستيقظ ومن حولها تغط كل من الحوريات هيفار وستيرك وأواز وأيلا وأيسلا وأشين ونيروز والضاحكة بيرين في نوم عميق، وكنت وحدي المستيقظة

بجوارها أداعب شعرها تمامًا كما كانت تحب أن أفعل أيام صغرها. ومنذ ذلك اليوم باتت تنام وتستيقظ حرة دون قيود الوقت، مثلها مثل جميع الحوريات.

– يا لها من حكاية غريبة!

– نعم، حالة غريبة! لم يوجد لها تفسير حتى يومنا.

– أطلت عليك ولكن هل لي أن أسألك سؤالاً أخيراً؟

– بالطبع. (هيف، مبتسمة).

– لِمَ وصفتها في البداية بالأنانية؟

ابتسمت الحورية هيف ثم استدارت بجسمها وتوجهت إلى باب مسكنها وسط صمت نُوا واستغرابه وعندما وصلت الباب التفتت صوب نُوا وقالت:

– لأنني صريحة بشكل مبالغ فيه.

أخذت وقتًا تفكر في أمر ما ثم أضافت:

– أحذرك! لا تكن سببًا في خرق شرائع الحوريات المقدسة، إياك أن تفعل مهما كلفك الأمر.

– أعدك أن أحاول.

ثم مدّت يدها إلى مقبض الباب ففتحت تلقائيًا ودخلت مسكنها وأغلقتة من خلفها. معلنةً بذلك عن انتهاء مدة زيارة الفضولي وقطعه المتعاطف.

– هيا بنا إلى مسكن حوريتنا، لا بد وأنها تنتظرنا بفارغ الصبر. (كدي).

– هيا. (نُوا، شارد الذهن).

ثم انطلق الزائران عائدين إلى مسكن الحورية نايا سيرًا على الأقدام، بسبب ندرة تواجد السلاحف البحرية في مرتفعات المدينة لبعدها عن ينابيع الهواء حيث تجد جنتها، وأثناء الطريق العودة انشغل كدي بالتساؤل عمّا تفعله الحورية نايا أثناء غيابهما، أما نُوا فظهر بمظهر من عقد العزم على أمر ما.

وبعد مدةٍ ليست بوجيزةً وجدُنا وكِدي سلحفاة نقلتُهما إلى
مكانهما المنشود، إلى مسكن الحوريّة نايا، وهناك التقيا بصغيرتين
جميلتين من صغار الحوريات - وكل الحوريات جميلات، كبيرات
وصغيرات - وكانتا متشابهتين للغاية، وذواتي شعور حمراء لامعة فاتنة،
اقتربت إحداهما من نُوا وسألته:

- أنت المدعو نُوا؟

أجاب نُوا:

- بلى!

تابعت:

- تبلغك الحوريّة نايا بأنها بحثت عنك لفترة طويلة في بيت
البلجيك حيث تركتك ولم تجدك، وتبلغك أيضًا أنها انتظرتك
هنا لفترة أطول من الأولى إلى أن استدعتها القيّمة جيندا
للمساعدة في الإعداد لليوم الكبير.
- حسناً! (نُوا).

- يا لذكائك! إنها تقصد بقولها أن الحوريّة نايا ستأخر في
العودة إلى هنا، أي أن لا تقلق عليها. (كِدي).
- بل تقصد «أقلق». (نُوا، بتعال).

لذوقها ابتسمت ذات الشعر الأحمر ورحلت بصحبة رفيقتها،
فدخل نُوا والقط مسكن الحوريّة ليستريحا من عناء يومهما الطويل،
واستلقيا كلٌّ على مقعد واسترخيا، ولم يخفِ نُوا عن نفسه شعوره
بغصّة صغيرة لعدم وجود حوريّته معه في مسكنها.

- أرايت الصغيرة التي حدثتنا لتوها؟

- نعم.

- إنها حفيدة الحوريّة هيف.

- حقًا! كيف لم أنتبه لشبههما!

- يا لك من أحمق، ألم تخبرك الحوريّة هيف بأنها لم تزوج!

(كِدِي، ضاحكًا).

- قط وتكذب!

- إنسان ويصدق!

وبشكل مفاجئ نهض نُوا من مكانه وقال مخاطبًا القط: (هيا اتبعني) واتجه بعزم إلى حجرة الداخلية، فلاحقه كِدي على الفور وفوجئ به يفتح دولا ب ثياب الحوريّة فقفز أمام وجهه في محاولة لمنعه عمّا يفعلُه ولكن من دون جدوى. قال القط متوحشًا:

- ما الذي تفعله أيها الأحمق!

- انتظر! (نُوا).

- أحذرك من مغبة ما تفعله! لقد جن جنونك بكل تأكيد! (كِدي).
أهمل نُوا وجود كِدي ومحاولاته البائسة في ثنيه عمّا عقد العزم على فعله وقام بالكشف عن حوض ثياب الحوريّة ليظهر له السائل الأخضر وأطراف بعض الثياب، وبدون مبالاة أدخل نُوا كلتا يديه في الحوض وأخذ يبعثر ما فيه إلى أن ظهرت إحدى قارورتي الزجاج التي شاهدها من قبل فتوقف عن البعثرة وتسمّر نظره والقط على القارورة، وبعد بضع ثوانٍ ظهرت القارورة الثانية كالمستسلمة فابتسم نُوا بمكر ووسط قلق كِدي وتوتره، ولم يكتفِ بذلك فأعاد البحث من جديد ولكن دون أن يستفيد شيئًا.

أخرج نُوا القارورتين من مكانهما وتبين له بوضوح أنهما تحتويان على رسالةٍ أو خطابٍ ما فسعد لذلك، وعلى عجل أعاد كل شيء إلى مكانه ثم حمل كِدي والقارورتين من فوقه وخرج بها إلى الحجرة الخارجية وأفرغ حمولته على أحد المقاعد هناك وجلس بجانبها، وعلى الفور أبدى كِدي استياءه من سوء معاملة نُوا له وتراجع إلى المقعد المجاور للمقعد الذي وضعه عليه نُوا.

أما نُوا فأخذ القارورة المقيّدة بوثاق واحد - إذ أن القارورة الثانية مقيّدة بوثاقين اثنين - متيقنًا من أنهما الجزء الأول لسلسلة من جزئين

وقام بفتحها وسط ذهول كيدي من جرأته الحمقاء، وكم بُهت نُوا عندما شاهد فقاعات الهواء تتطاير من القارورة فصرخ قائلاً:

- تبا، كيف سأعيد الهواء إلى داخلها!

- يا لك من أحمق! (كيدي).

- في كل الأحوال كان عليّ فتحها لأقرأها. (نُوا، مستخفاً بفعلة).

- ألم يخطر على بالك أنها مكتوبة بلغة غير لغتك؟

- تبا، لم يخطر على بالي ذلك. (نُوا، وهو يشعر بأنه متورط في ما لا يستحق التورط من أجله).

تشجع نُوا وتناول الورق الموجود في القارورة الأولى وشعر من ملمسه بأنه من النوع الذي لا يتأثر بالماء فسُعد لذلك، وسُعد أكثر عندما فتحها ووجدها عبارة عن رسالة طويلة مكتوبة بلغته، وسعد أكثر وأكثر عندما وجد كلماتها لم تتأثر بالماء.

كان لحظتها في قمة سعادته، عدل من جلسته وأخذ يقرأ بصوت مسموع، وكيدي يستمع بقلبه قبل عقله رغم تظاهره بعدم رغبته في ذلك.

القارورة الأولى «ما قبل نوا»

اسمي نايا وهو الحقيقة الوحيدة التي عثرت عليها أثناء تنقيبي في مجريات حياتي، قضيت حياتي كلها في مدينة ساحلية صغيرة نوعاً ما، امتازت بوداعتها وهذونها واحتوائها في ربوعها على كل ما هو جميل، فيها الجبل والسهل والشاطيء، مناخها متوسطي؛ يرتكز بشكل رئيسي على فصلي الشتاء والصيف؛ نهار شتائها قصير جميل بما فيه من الأمطار ودرجات الحرارة المنخفضة، ونهارها صيف طويل، وهو أجمل بما فيه من الشمس الساطعة البرّاقة ودرجات الحرارة المائلة إلى الارتفاع بحذر، أما ربيعها وخريفها فما هما إلا فصلان ثانويان لا يكثرن لحلولهما أحد سوى قاصديها للسياحة وهم قلة.

اعتبر مدينتي عالمي الصغير رغم ضآلة مساحتها بالنسبة للعاصمة، أحببت الحياة فيها بشدة وعشقت ترابها ومياهها وهواءها وجماداتها وحيواناتها وأسماكها وكل شيء فيها لدرجة الهوس، كما أن جسمي لم يتجاوز حدودها الجغرافية، إلا حينما انتقلت إليها مع عائلتي - أو بالأحرى هكذا ظننت - فور ولادتي، لذا سترون أنني مهما أحببتها فقد أحببتها حباً منقوصاً بمقدار درجة، لا لشيء سوى لكونها لا تعبر لي للأسف عن مفهوم الوطن بالشكل الكامل المطلق.

ما أجمل كلمة «وطن»! لا أملك وطناً ملموساً أعيش فيه ولا حتى وطناً منشوداً أغني من أجله، كل ما لدي بخصوصه هو ما أخبرني به والدي بكونه موجود في مكان بعيد جداً عنا، وأنه لا يطيق الحديث عنه لما ينجم عند ذكره من نبشٍ لذكرياته القديمة المؤلمة التي تخص والدتي المتوفاة، لذا احترمت مشاعره ولم أضغط عليه أكثر لأعرف منه المزيد.

لربما أحن إليه لاحقًا .. وطني .. من يدري!

تتكون عائلتي من شخصين اثنين؛ أنا ووالدي، وبالرغم من صغرها بعدّ وجودي ضمن عائلة مثلها نعمةً لا مثيل لها، خصوصًا لكون العديد منّا نحن البشر لا يحظى بعائلة، فكما ترون بات يُعدّ وجود العائلة في زماننا هذا شكلاً من أشكال البذخ نوعًا ما. فزماننا زمن الخيانات والجرائم والحروب والسرقات العظمى.

أظن أنكم تتساءلون عن والدتي، أليس كذلك؟ توفيت والدتي فور إنجابها لي ولم يبقَ لي منها سوى قرطين جميلين صُنعا يدويًا من مادة الفضة، وشكّل بها كلمة «نايا» بإحدى اللغات الشرقية العريقة، وأضيف إليها بعض الأحجار الكريمة، لذا أطلق عليّ والدي اسم نايا، خصوصًا لأنه - كما قال لي - ووالدتي لم يكونا قد اتفقا على تسميتي حين ولادتي بعد. نعم، يا لبؤسي لم يبقَ لي من والدتي سوى قرطين!

أما عن الأخوة فأتحسر على حرمانني منهم، فلم يتجه والدي للزواج بعد رحيل والدتي لفرط الحب الذي يكنّه لها - كما قال لي - ولا أظنه سيتزوج الآن أو في المستقبل خصوصًا لما آلت إليه الأمور في حياته. إنني أميل لكوني طويلة قليلًا ونحيلة، لست من ذوات البشرة البيضاء، وجهي دائري كعينيّ الزرقاوين ذواتي الرموش الطويلة المعكوفة، يتميز أنفي بالصغر بينما فمي بالاتساع نوعًا ما، ولكنني أعتبره أكثر من مجرد جميل، حاجباي متوسطا السماكة وشعري أسود طويل موثوق مجدول بشكل باذخ الصحة والجمال طوال النهار، لا لشيء إلا حبًا منّي بإظهار قرطي والدتي العزيزين على قلبي، تمامًا على عكس حالته في الليل فأطلق سراحه بكرم ليحوم حول رأسي دون أية قيود، لأنني لا أطيق القيام بمحاصرته ليلاً بأية أربطة، إنني وبلا سبب أشعر بالاختناق وأحيانًا أحلم بالموت إن ربطته أثناء الليل!

لعشقي المكنون وغير معلوم الدوافع لكل من السماء والبحر أحببت كل ما هو أزرق. ولحبي الشديد للأزرقين هذين «السماء والبحر»

أحببت ساكنيهما من طيور وأسماك لدرجة أنني أُحَرِّم مذاقهما تحريمًا مطلقًا على نفسي، كيف لا وهما الفصيلتان الوحيدتان اللتان تحلّقان في العوالم الزرقاء! كما أنني أحب القطط وأكره لكرهها كل الكلاب، وأحب السلاحف البحرية! أمري غريب أليس كذلك؟

أما هواياتي فأصنفها صنفين اثنين؛ المعلنة منها والسريّة، أما المعلنة - معلنة لوالدي خصوصًا - فمحصورة ما بين السباحة وتصميم الأزياء الغريبة والنوم، نعم النوم! فالنوم بالنسبة إليّ هواية أهواها وكم منّا يفعل ذلك! أما غير المعلنة منها فمحصورة ما بين التمكن من الطيران والتخليق في السماء تمامًا كما تفعل الأسماك في البحار، والتمكن من القتال بشتي الأسلحة القديمة كالسكاكين الحربية وفؤوس القتال والسيوف والأقواس والرماح والدروع، ولكن سوى سكين المطبخ لم أخط بتجربة أي منها. نعم، أعلم كم هو جميل التستر على مثل هواياتي السريّة هذه!

أحب أكل الأعشاب والتهمها بنهم، وأقصد بالأعشاب كل ما هو أخضر ينبت مخترقًا قشرة الأرض، ولا يهمني التفريق بين النافع منها والضار، كل ما يهمني هو تناولها باستمتاع وحسب، وهذا أكثر ما يسبب نوبات الجنون لوالدي خصوصًا عندما أوكد له بأنه طعام غير مقرف البتّة، مع العلم بأنني أُميّز السام منها.

وأحب أيضًا مشاهدة حركات الخفة - وهو ما اصطُح مجتمعا على تسميته بالسحر رغم أنها بعيدة كل البعد عن عالم السحر - ولكنني في المقابل لا أرغب بممارستها لما يخيّل إليّ في داخلي من كونها رمزًا من رموز الشرّ، مع أنني على يقين بأنها مجرد مجموعة حركات خفيفة يقوم بها أشخاص ذوو أيادٍ متدربة ماهرة.

وأجمل ما في حياتي - باستثناء آخر فصولها حتى كتابة كلامي هذا - كان عملي في مرصد فلكي صغير في مدينتنا يتبع لمرصد العاصمة، فمن خلاله أبحر في ما بعد العالم الأزرق الذي أعشقه، وأبحر في المجرات وما فيها من النجوم، وخصوصًا في شمسنا الخلابّة وقمرنا

المتألق المرافق لنا، وأبحر في الكواكب وأقمارها وفي الكواكب القزمة والكويكبات وفي ما يرافقها في الكون من مذنبات ونيازك وشهب.

وللأسف اتفق جلّ سكان منطقتنا «بجهالة» على كوني فتاة مريضة. وأجمع الأطباء المختصون وغير المختصين على حد سواء في مدينتنا والعاصمة إثر تداولات عدّة أجروها فيما بينهم على تشخيص ما أسموه «إصابتي» بمرض نادر أقرب ما يكون للذاتويّة (التوحد)، أو بما معناه نوع من أنواعه الحديثة الذي لم يصادفه أي طبيب منهم، أعلنوا لنا ولمجتمعنا أن حالتي فريدة لا مثيل لها في البلاد وربما في العالم أجمع، تخيلوا!

لربما لا تعرفون الذاتويّة؟ الذاتويّة كما قال لي والذي ذات مرّة عبارة عن اضطراب نادر يصيب النموّ العصبي للطفل، يظهر في سنّ مبكرة للغاية ويقوم بالتأثير في نشأة الطفل بعدة طرق من أبرزها اللغة وكيفية التكلّم ووجود أنماط سلوكيّة مقيدة ومتكررة، وبالإضافة لذلك وجود جفاف في التفاعل الاجتماعي. وأسوأ ما في هذا المرض كونه لم يتم فهمه جيّدًا حتى الآن ولم يوجد له علاج فعّال يساهم في الخلاص منه، وللأسف لا يوجد مجتمع قادر على احتواء المصابين به.

أما عن حالتي بالذات فشخصها الأطباء تشخيصًا جماعيًا - تشخيص جماعيّ نظرًا لكون حالتي شديدة الندرة - بأنها تدرج تحت مظلة الذاتويّة استنادًا إلى ما رأوه في أسلوب حياتي منذ طفولتي، فاعتبروا نومي الذي يمتد يوميًا لاثنتي عشرة ساعة «بالضبط» وفي «نفس الموعد» أكثر من مجرد سلوك مقيد ومتكرر.

وبالإضافة لما سبق اعتبروا تعلّقي الشديد بالأسماك وادعائي «كما يقولون» بأنني أستطيع التحدّث معها مظهرًا من مظاهر جفاف تفاعلي الاجتماعي، هل أتكلّم معها حقًا؟ لن أجيب. وما حير الأطباء أكثر هو تعلّمي الفطري للسباحة الذي اكتشفه والدي وصديقه صدفةً عندما وضعاني ذات مرّة على الشاطئ لألهو بالرمال بينما كانا يستمتعان معًا بالسباحة في البحر بمحاذاة الشاطئ لكي أكون على مرأى منهما، ففوجئنا

بي دون سابق إنذار أسبح بينهما بطرق متنوعة وغريبة وأكثر فاعلية مما يفعلان وأقل إسرافاً للطاقة الجسدية التي كانا يصرفانها في لهوهما في الماء.

ومنذ ذلك اليوم أطلق عليّ لقب «الدولفيننة الصغيرة»، ومع مرور الوقت وحتى يومي هذا الذي أكتب فيه أجد السباحة أجمل هواياتي. ولم يقتصر الأمر على فكرة كونها هوايةً أمارسها بل باتت الدّور الذي أصل عن طريقه للبطولة المطلقة في كل مسابقات السباحة التي تمت في مدينتنا وبفارق كبير عن أقرب المنافسين.

ومن أجمل ما حققته من خلالها كان تحطيمي للرقم القياسي الذي سُجّل في كتاب موسوعة جينيس الشهير عن فئة السباحة المتنوعة لمسافة 100م، والذي كان 50.66 ثانية عن فئة الرجال، فتخطيته بجدارة العام الماضي ب48.67 ثانية فقط! وأفضل ما في الأمر أنني حطمته رغم كوني امرأة، يا لبؤس الرجال! ولكنني ما زلت موقنة حتى هذه اللحظة أنه كان بإمكانني إبراز ما هو أفضل من ذلك، ولكن وفي نهاية الأمر وجدت أن للتوتر كلمته المؤثرة.

أغرب ما في هذا الموضوع كان كرهني لكل من الرقمين 48 و67 لما أشعر به من شعور داخلي «غير مبرر» بوجود معنى الهزائم في طياتهما، ولكنني ويا لها من مفارقة تمكنت من إيجاد الانتصار فيهما معاً عندما دمجتهم، وهذا ما يهمني.

كثيراً ما تساءلت وأتساءل حتى الآن عن أهمية التشخيص الذي قام به الأطباء لحالتي! فها أنا قد عشت حياتي كلها حتى كتابة هذه الكلمات أنام نصفها ولا يستطيع أن يوقظني أثناء نومي أحد، وأستيقظ نصفها الثاني ولا يستطيع أن يدخلني في السبات أثناء يقظتي أحد! إلا باستخدام العقاقير الطبية القوية. ولم يشكّل ذلك لي أية مشكلة تذكر، كل ما كان في الأمر هو أنني أتخذت قراراً ذاتياً بالتأقلم مع حالتي والتزمت به كلياً رغم كل ما مرّ عليّ من الظروف.

في الواقع لم أحسن من تشخيصهم لحالتي سوى رفض المجتمع لي ونبذهم لاختلافي عنهم وتهامسهم عني فور رؤيتهم لي، وكم يجيد البشر ذلك! وهذا بالطبع أفضى لبقائي وحيدة، ولم يكتفِ المجتمع بذلك فاخترت كل عائلة من العائلات المحيطة بنا ما ناسبها لتلقبني به، فمنهم من لقبني بالمريضة ومنهم من لقبني بالمسكينة والغريبة والفضائية وابنة الساحرة ونصف الجنية، والعديد العديد من الألقاب الأخرى. أجزم لكم أن وحدتي وما صاحبها من استهزاء المجتمع بي كانت نتيجة التشخيص الذي منحني إياه أولئك الأطباء لا نتيجة لما في كياني من خلل، «خلل» كما قالوا.

لم يبق لي سوى والدي وصديقه حتى التاسعة من عمري، وصديقه هذا الوحيد الذي لم يفكر في أن يصادق غيره، ولا حتى بعد افتراقهما! كثيرًا ما كنت أتساءل بسببهما كيف للمرء أن يكتفي بصديق واحد فقط! خصوصًا عندما يمتلك كل أو حتى مجرد بعض ما يشجع الآخرين على مصادقته.

بالمناسبة يدعى والدي تيري ويدعى صديقه باولو، ولا يمكنكم مشاهدة تيري من دون باولو ولا باولو من دون تيري، أو بالأصح هكذا كان الأمر. يعتبر والدي حنطي البشرة رغم ادعائه الدائم ببياض بشرته الناصع وشقار شعره الأزلي، وهو فارغ الطول ومتين البنية بشكل ملفت، إذ يبرز العضل في كل مكان من جسمه، ولن أبالغ إن قلت لكم أنه كذلك باستثناء حاجبيه! ومنحه هذا هيبة كافية لكي لا يجرؤ أحد على ممارسة الرياضة أمامه ولا حتى السباحة بالقرب منه! أما صديقه باولو فهو أقصر منه، ونحيل وكتفاه منحنيان إلى الأمام قليلًا ويمتاز بأنفه الطويل، وهو حنون للغاية، وأصهب البشرة، في شعره ما يشير للون الأحمر ولو من بعيد.

أؤمن ما وجدته في العم باولو كان رائحة وطني العالقة به، وهي رائحة لا أظن أن غيري قد يشتمها فيه، فهو الوحيد الذي تبقى مع والدي

من مدينتنا السابقة، وفي المقابل كان رفضه القاطع للحديث عن وطننا أسوأ ما فيه. لا .. بل الأسوأ من ذلك كان إحجامه عن تبرير رفضه القاطع، عموماً لا أستطيع أن أقول سوى «كم للعم هذا من أثر عظيم على حياتي»!

عمل والدي في التجارة منذ قديم الزمن حتى آخر عهده بالعمل، أما في ما كان يتاجر به بالتحديد فلا أعلم! وكم اجتهد كي لا يدعني أعلم أي شيء عنه، أما صديقه العم باولو فعلم أثناء فترة طفولتي المبكرة في أحد فنادق المدينة الكبيرة التي طالما منحنا فيها عدّة أيام مجانية لنستغل أثناءها الفندق بما فيه من مرافق استجمامية على مسؤوليته الشخصية، وبعد فترة من الزمن انتقل للعمل في مقهى محلي بعد زواجه من الأرملة التي كانت تديره.

وهناك فرد آخر من أفراد عائلتي لم أخبركم عنه بعد، وهو فرد سرّي لم أخبر أحداً عنه من قبل، إنها الجميلة هولي، رافقتني منذ استيعابي لفكرة أن أمي متوفاة واستمرت علاقتي بها إلى أن اختفت بغموض في اليوم الذي حظيت به بأول صديقة في حياتي، هولي .. طفولتي «حديثه الولادة».

ما زلت أذكر أول مرة ظهرت فيها هولي أمامي. وكان ذلك عندما خلّدت إلى النوم مساء اليوم الذي تعرّفت فيه إلى مفهوم كلمة «أمي»، حدث يومها أن شاهدت طفلاً صغيراً ينادي على امرأة كبيرة السن والحجم بلفظة «أمي» ولجهلي بها لم أفهم معناها، ولكن تهيأ لي بأن معناها مشابه لمعنى كلمة «أبي».

كم تساءلت يوماً لم لم ينادها بأبي البدين أو بأبي الذي لا شارب له؟! ولكنني عندما عدت إلى منزلي وعرضت على والدي تساؤلي البسيط هذا، أجبني على مضض بما لم أتمنّ سماعه قط، وهكذا تبين لي استحالة حصولي على أم مثل أم ذاك الطفل، فقضيت ما تبقى من يومي حزينة بالإضافة لما اعتدت عليه من كوني وحيدة، وعندما توجهت

إلى سريري فاجأتني هولي بالظهور أمامي، إنني أذكرها حتى الآن، بدت لي كلعبة صغيرة جميلة للغاية تردي ثيابًا قطنية مزركشة ناصعة البياض وتتمتع بقبة، صغيرة الفم والأنف والعينين، كانت ذات بشرة بيضاء تكاد تكون شفافة وشعرها أسود قصير ووجنتها ورديتان.

كانت وجودها في غرفتي وحيدة مستفزًا لدرجة أنني اتخذت قرارًا بتجاوز فكرة استحالة حصولي على أم لأتحول أنا إلى أم «مباشرة». فعرضت على هولي أن تكون ابنتي وأن أكون أمها، فضحكت لي ضحكة ساحرة استنتجت منها قبول ما عرضته عليها بكل فرح ورحابة صدر.

لم تكبر هولي جسديًا ولا قيد أنملة، حافظت على هيئتها منذ ظهورها الأول أمامي إلى أن اختفت، واكتفت بأن رافق نموها الفكري نمويّ الفكريّ، كنا فكريًا متطابقتين تمامًا، وجدت في هولي ما ساهم في إطفاء ظمأ شوقي لحنان الأم وحبها، ووجدت فيها حلاً مثاليًا لإشباع رغبتني التي غدت جامحة في تجربة شعور الأمومة. والجميل في هولي هو استمرار ذكرها الحنونة في ذهني رغم كل السنين التي مرّت على اختفائها، إنها تذكّرني بأعظم أمنياتي ألا وهي الحصول على الأطفال، ولو حتى مجرد الحصول على طفل واحد فقط!

آه لقد نسيت أن أخبركم أن أمي كانت تدعى جيني - هكذا قال لي والدي - وللأسف لا أملك لها أية صورة ولا أعرف أين يسكن أيّ من أهلها ولا أملك أيّة معلومات عنها إلا ما قاله لي والدي بأنها كانت فاتنة وجذابة للغاية.

شئت أم أبيت كان عليّ تقبل فكرة وفاة أمي إثر إنجابها لي، ولكن أن يصل بي العمر إلى التسعة أعوام بلا أم وبلا أية صديقة حقيقية! حقًا إن هذا ما كان ليطاق! تبًا لأطباء مدينتي وتبًا لأطباء العاصمة فلولاهم لما وصل بي الحال لما وصل إليه، آلت بي الأمور لأتيقن من كوني سأموت وحيدة كما عشت طفولتي وحيدة، كانت فرصتي في العثور على صديقة تقبل صداقتي تؤول للصفير بالمئة في أفضل الحالات، ولكن وكما يقول

والذي دائماً «لكل مأزق مخرج»، ولحسن حظي كان مخرجي في زواج العم باولو من أرملة مقهى كان يقضي معظم وقته فيه. تُدعى أرملة المقهى جينيفر، وهي امرأة رائعة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، كانت أول امرأة أتعامل معها، وأعد هذا من أجمل ما حظيت به في حياتي كتعويض مجزٍ عن حرمانني من والدتي، لن أقول إنها كانت ذات جمال أسر ولكنها كانت جذابة ذات سحر غامض مبهر يصعب مقاومته، وبالرغم من جاذبيتها تلك لم تكن السبب الأول في إغارة انتباه الرجال لها، فكانت قوة شخصيتها وبدرجة أقل قوتها البدنية تلفتان انتباههم أكثر، وما أكثرهم!

لم تُنجب العمه جينيفر من العم باولو الأطفال واكتفيا بما لها منهم من زوجها الأول آرون. فلديها منه ابنتان؛ الكبيرة تدعى سارة وهي من نفس عمري تقريباً والصغيرة تدعى لانا، لانا التي كانت رضية حينما قتل أحد اللصوص الحمقى والدها عندما باغته وحاول السطو على مقهاه بهدف سرقة.

يومها وكان يومها يوم مشمس هادئ وجميل - كما قصت علي العمه جينيفر قصتها - لم يتمكن زوجها آرون من اللحاق من فعل أي شيء يُذكر حيال اللص سوى قوله له: (أرجوك دع عائلتي وشأنها، وسأعطيك كل ما أملك من المال، وأعدك بأنني لن أخبر أحداً من رجال الأمن) - هذا ما اعترف به اللص - إلا أن اللص لم يأبه لما قاله آرون وأطلق النار عليه بهدف كان أقصاه إصابته ولو فقط بالذعر، إلا أن رمية اللص الأحمق كانت موفقة أكثر مما توقعه فتفاجأ بها، وكانت مفاجأته أكبر عندما اقترب من ضحيته وتبين من حجم التفوق الذي حظيت به رميته، وهو من تمكن منه اليأس من إصابة أي هدف ولو لمرة واحدة في حياته!

وهكذا وبكل بساطة انتهت حياة آرون الزاهرة جزاء إصابته في منتصف جبهته بعبارة ناريٍّ من نوع 9 ملم باستخدام مسدس معروف باسم

مكاروف «الروسيّ الصنع» على يد لصّ أحمق.

سمعت جينيفر صوت إطلاق النار فانطلقت لتتبين مما حدث، وما أن شاهدت زوجها وهو يتوسط بركةً واسعةً من دمانه الدافئة حتى خلعت مضرب كرة الجولف من النوع ذي الرأس الفولاذية من على أحد حوائط المقهى التي كان معلقًا عليه بهدف الزينة وهجمت به على اللص، ومن سوء حظ اللص هذا أنه لم يتوقع مقدار جرأة زوجة الضحية على مهاجمته، يبدو أنه لم يعلم من قبل أن الويل كل الويل لمن يقترب من عشّ امرأةٍ حرة!

هجمت عليه وحيدةً رفيعة مضرب كرة الجولف خاصتها وانهالت به على رأسه، بدا للص أن يديها تتحركان بسرعة الصوت أو حتى بسرعة تكاد تفوقها، وفي غضون ثوانٍ قليلة للغاية كان اللص الأخرق على الأرض في مشهد مشابه لمشهد ضحيته لا يختلف عنه سوى باختلاف كم الدماء التي توسطها، إذ كانت أقلّ كمًّا ولكن أسرع انتشارًا، أسرع انتشارًا بكثير.

هشمت جينيفر رأس اللص، وكان من دواعي سرورها أنه لم يمت مباشرة لتتمكن من التلذذ بألمه، ظهرت بمظهر السادية للمرة الأولى في حياتها وأظنها المرة الأخيرة أيضًا، فمكث الأحمق من جزاء ما أصابه في المستشفى الوطني بحالة من هو أقل من حيّ بكثير وأكثر من ميت بقليل، وابتهلت جينيفر من أجله على قدر استطاعتها ودعت له بالشقاء وطول العمر، وبسبب دعائها أو لأسباب أخرى - لا فرق - فارق اللص الحياة بعد ثلاثة أسابيع من مقارعتة لآلام فظيعة.

وبذلك انتهت قضية مقتل آرون بحكمين اثنين؛ الأول براءتها من دماء اللص لكونها في حالة دفاع عن نفسها، والثاني اتهامها بالبطولة وتبئسها جزاء فعلتها مع اللص لقب «البطلة» وهو ما نبه رجال المنطقة أكثر على وجودها، فباتت بأعينهم أجمل بطلة والأهم من ذلك أنها وريثة مقهى محليّ مزدهر.

وبعد مقتل زوجها آرون وجدت العمّة جينيفر نفسها ومقهاها عرضةً للطمع من قبل العديد من رجالات المنطقة، خصوصًا المتنفذين بالسلطة والأثرياء، لذا ولتتخلص من الضغوطات المحيطة بها عرضت نفسها على العم باولو ليتزوج منها، ووافق على الفور. كان العم باولو زبونًا مثاليًا في مقهاها، كان من النوع الصامت الوحيد الشارد الذهن دائمًا، اختارته لما بدا عليه من هدوء شخصيته ولانعدام وجود أسرة لديه لثُطِّمَعَه في مقهاها ومقهى ابنتها الصغيرتين، أما العم باولو فكانت موافقته ليقينه بعدم وجود امرأة عاقلة تزوّج نفسها من رجل غريب عن الديار مثله، وتقدم له المأكل والمشرب بالإضافة للسكن.

يا لي من حمقاء ما الذي أكتبه الآن! إنني حقًا لا أدري لم تطرقت لقصة العمّة جينيفر وما حل بزوجها في مذكراتي الشخصية، ترى أيكون افتقاري للشخوص والأحداث في حياتي سببًا لذلك؟ يا له من سبب مخجل! إن كل ما يعنيني من حكاية العمّة جينيفر هو ابنتها سارة التي باتت صديقتي الوحيدة، ولولا التقارب الأسري الإجباري الذي حصل فيما بيننا - بين عائلة تيري وعائلة باولو الجديدة - لما تمكنت من التقرب منها، وهي التي تأقلمت بكل رحابة صدر مع اختلافها عنها حالما سمحت لنفسها بتجربة أداء دور الصداقة معي.

في الواقع باتت سارة جزءًا أساسيًا من كياني، جزءًا كبيرًا ومؤثرًا للغاية، تعلّقت روعي بها تعلّق الرعد ببرقه، وكيف لا أتعلق بها وهي صديقتي الوحيدة! وهي التي جاءتني من بعد معاناة طويلة ومريرة مع العزلة الظالمة! إنها صديقتي القادمة من بعد اليأس.

ترى هل لكم أن تتخيلوا كيف أنني لم أسمح ليوم واحد بأن ينقضني من عمري دون أن أراها وأحدّثها ولو لبضع لحظات!

ولم يؤسفني في علاقتي معها سوى امتلاكها للعديد من الصديقات، ولكنها في المقابل تعدّني الأقرب إلى قلبها - هذا ما كانت تقوله لي دائمًا - وإني أراها صداقة في ذلك، ولن أخفي ذلك عليكم - هل يعقل

أن يقرأ المكتوب هذا أحد! لا أتمنى ذلك - إنني أكره كل صديقاتها بدون استثناء خصوصاً تلك المتدحرجة ذات اللسان الطويل والضحكة المصطنعة الرقيقة، كم تمنيت ألا أرى أيًا منهنّ على الإطلاق كم تمنيت أن ينتقلن جميعهنّ من مدينتنا بلا رجعة، في حقيقة الأمر لم يهمني كونهنّ طبيبات أم لا، كل ما همني هو ألا أرى سارة تخرج مع إحداهنّ أو حتى أن تكلمهنّ سواء إن أعلمتني بذلك مسبقاً أم لم تفعل.

وبقيت على حالتي أكنّ لصديقاتها مشاعر الكره إلى أن ألمت بنا حادثة غريبة؛ حادثة إصابة العم باولو بشلل نصفيّ أقعده عن الحراك بشكل شبه كامل، وبالتالي أقعد سارة ووالدتها وأختها عن الراحة وكان ذلك بعد عام واحد فقط على زواجه من العمّة جينيفر. يقول الأطباء في مدينتنا إن دماغه أو حبله الشوكي - لا أدري أيهما بالتحديد - تعرض لضرر جسيم ويحتاج لعناية فائقة وأمله بالشفاء ضئيل، لذا اضطرت عائلته الجديدة ككل تقاسم مسؤولياتها للاستمرار بالحياة.

ولا عجب أنهم استبدلوا اسم مقهاهم بمقهى «الحياة» مباشرة بعد إصابة العم باولو كنوع من استجلاب الأمل، وهكذا تفرغت سارة والعمّة جينيفر للعناية بالمقهى وبمتطلبات زواره، بينما أعطت لانا كلّ وقتها للعناية بزوج والدتها القعيد.

يعود سبب إصابة العم باولو بالشلل المدمر إلى تعرضه للدهس بعد مشاجرة غريبة وقعت بينه وبين والدي، كانت المرة الأولى والأخيرة التي تشاجرا فيها ويا له من شجار! إذ كفاني ما شهدته منه من صراخ غريب مرعب لم أفهم منه شيئاً سوى آخره عندما قال العم لوالدي: (تيري، سيُفتضح أمرك مهما اجتهدت)، ثم دفع الباب بقدمه وخرج وبعدها بلحظات قليلة دُهِس وأصابه الشلل فأقعده مدى الحياة.

لم يُعلّق لي والدي على حادثة الشجار تلك رغم أنه رأيّ وأنا أدخل لحظة خروج العم من باب منزلنا وهو غاضب، وأنا لم أسأله بدوري عمّا حدث، ومن يومها حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها لم يلتقيا. بالمناسبة

لم يكن العم باولو المتضرر الوحيد من ذلك الشجار، إذ أثر انهيار العلاقة التي ربطتهما وما حدث من إصابة العم بالشلل على مزاج والدي تأثيراً كبيراً جعل منه شديد التذمر وأضحى صاحب مزاج سيئ للغاية، ومن أسوأ ما حلّ به استغلاله للنهار بالمواظبة على التدخين بشراهة واستغلاله لليل بالإدمان على السهر خارج البيت بالإضافة لسخافات أخرى لا داعي لذكرها.

وكنتيجة لما أصاب العم باولو اضطرت سارة للعمل في مقهى عائلتها طوال فترة تقديم المقهى لخدماته، بل وكان عملها أكثر من مجرد دوام كامل، فزاد عنه بعد إغلاقه لأبوابه ترتيب المقهى وتنظيفه وحساب غلّته وتدوين حاجياته ونواقصه والقيام بتأمينها قبل حلول اليوم التالي. دعوني أسرّ لكم بسرّ ما زلت أكتمه في نفسي حتى هذه اللحظة؛ لقد اعتبرت وجود سارة الذي بات اضطرارياً في المقهى نقطة إيجابية بالنسبة إليّ، فلم يعد بوسعها الخروج مع صديقاتها كما اعتادت من قبل، أمّا صديقاتها فلم يُطقن البقاء معها في سجنها الاضطراري في المقهى، باختصار لم يستفد من ذلك الأمر أحد سواي.

ومرت السنون علينا جميعاً ونحن على حالنا، ألتقي يوماً بصديقتي سارة ويلعن والدي والدها كلما تذكّره، لا كرهاً له بل تحسر على ما آلت إليه أحوال كل منهما جزاء فقدانهما أحدهما للآخر. وها هي سارة لا تزال في المقهى تساعد أمها في أعمالها وتنتظر زيارتي لأغير لها من جو عملها المطبق على أنفاسها، أما العم باولو فيمارس هوايته بالجلوس في مقعده المتحرك يتأمل ما في الأعلى سواء أكان سقف الغرفة أو السماء. وفي صباح أحد الأيام المشؤومة طرق أحدهم باب غرفتي وكنت حينها قد استيقظت لتؤي. سألت جزعة (لا لشيء سوى لكونها أول مرة يُطرق فيها بابي منذ سنوات عديدة):

- من الطارق؟

أجاب الطارق:

- ومن غيره يا عزيزتي! والدك، أعلم أن ساعة استيقاظك دقت منذ لحظات.

أذكر يومها أنني تساءلت في سري «ترى كم مضى من الوقت على آخر مرة سمعته فيها ينعتني بهذا النعت؟» ومع تساؤلي هذا ثارت في نفسي عاطفة جياشة لأقوم فأرحب به، فنهضت عن سريري مسرعة نازعة الغطاء عن جسمي بحركة واحدة بلمح البصر، واتجهت صوب الباب وفتحته له مبتسمةً ابتساماً أستر فيها على ما في نفسي من دهشة، بادرت قائلة:

- تفضل.

ظهر لي والذي يومها بثياب متسخة رغم حداثة اقتنائه لها، وبرائحة سيئة تحتوي في طياتها على مزيج ما بين رائحة السجائر الرخيصة والعطور المقلدة التي لم يكن ليشتريها قط من قبل شجاره مع العم باولو، ولكن أكثر ما ميّزه يومها كان انتفاضة شعره الثائر في كل الاتجاهات. دخل الغرفة متناقل الحركة واختار الجلوس على طرف سريري رغم احتواء الغرفة على أريكتين أكثر راحة مما اختاره، ثم أمعن النظر إلى أرضية الغرفة لفترة ليست بقليلة، وبعدها بقليل خلع حذاءه مكتفياً بالاستعانة بقدميه الاثنتين وألقى به في وجه الحائط باستهتار ثم استلقى على ظهره في وسط السرير وقال:

- ستزوجين يا نايا.

في الواقع فرحت، فرحت أشد الفرح لدى سماعي لكلمة الزواج، يا لها من كلمة لم أسمعها منذ فترة طويلة! كدت أقفز على والذي من مكاني كالمجنونة تماماً وأقوم بتقبيل رأسه ووجتيه ولم يمنعني عن ذلك سوى خشيتي من أن يفهمني بشكل خاطئ، انتظروا لا تظنوني تلك السخيفة التي تفرح لمجرد وجود عابر سبيل تكرم وارتضاها لنفسه العظيمة كزوجة، لا، فقد كانت فرحتي لمجرد إعادة طرح فكرة الزواج وتحقيق أعظم أحلامي بإنجاب الأطفال أمام نفسي، خصوصاً لكوني

قد نسيت هذا الأمر برمته، وهكذا وبلا سابق إنذار ذكّرتني به والدي واستحضره لي من غياهب النسيان.

ترى كيف لفكرة الزواج وإنجاب الأطفال بأن تكون مغيبّة تمامًا عن فتاة تبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا؟ هكذا.. ولا تتذكرها هي بنفسها بل ويذكرها بها أحد ما! ترى أتكون وحدتي السبب في ذلك؟ أم أنه فقداني للألم كشخص وكمفهوم وما رافق ذلك من تجرّعي لألم الحرمان على مدار السنين؟ أم أنه تشخيص السوء الذي ألصقه بي أطباء مدينتي الحمقى وزملائهم من العاصمة الذين حرّموني به حتى مجرد التفكير بما هو أمر بديهيّ وفطريّ؟

وفي غضون الثواني التالية التي أعقبت ذلك الإعلان خفت وطأة فرحتي تدريجيًا ليزيد مستوى قلقي، كنت ما أزال واقفةً بجانب باب غرفتي الذي فتحته له، بينما ظلّ والدي مستلقياً على ظهره يحرك قدميه يمينًا ويسارًا إلى أن بادرت وسألته:

- ممن؟

أجاب:

- إدواردو، صديقي إدواردو، هل رأيت من قبل؟

تساءلت:

- صديقك، لم أعلم أن لك صديقًا!.. لا لم أراه من قبل، ولكن..

أترى في زوجي من رجل يتراوح سنّه ما بين الخمسين والستين أي منطق؟

توقف عن تحريك قدميه ثم أجاب ضاحكًا:

- لا ليس خمسينيًا إنه في الثانية والثلاثين من عمره، إنه صديقي

كما قلت لك ويعمل معي في التجارة منذ زمن طويل.. وعليك الزواج منه، لن أكذب عليك إنها صفقة مهمة بالنسبة إليّ وستساعديني على إتمامها، أليس كذلك؟.. خصوصًا لعلمك بأن فرصك بالزواج معدومة أو شبه معدومة، فمن سيقبل

بالزواج من امرأة تحيا مجرد نصف حياة! وهكذا تربحين أنت
الزواج وتزيد بذلك أموالى.
لم أستغرب من أسلوبه، تغير والدي كثيرًا في السنوات التي تلت
شجاره مع العم باولو، تغير كثيرًا. أجبته ببرود شديد:
- كما تريد.

وبعد مرور أقل من شهر واحد كنت قد تزوجت من المدعو
إدواردو، إدواردو شاب أسمر وفير الصحة، واسع الصدر وعريض
المنكبين، لحيته قصيرة كثة تملأ وجهه، لم يكن جيدًا ولم يكن سيئًا
كذلك، لم أجد فيه ما يحب كما لم أجد فيه ما يبغض، سكنا في عشنا
الزوجي بشكل جسدي فقط، له عالمه الخاص ولي عالمي الخاص،
يسهر يوميًا في الخارج مع والدي بينما شغلت نفسي لأقصى الدرجات
بإعداد رسومات الأزياء الغربية التي أتخيلها بين الفينة والأخرى، أترقب
اللحظة التي اكتشف فيها وجود جنين ينمو في أحشائي.

انتظرت طويلًا، انقضت سنة كاملة على زواجي وأنا أنتظر، لم
يشغل بالي أثناءها سوى إنجاب الأطفال، في الواقع قد لا تكون السنة
فترة طويلة بالشكل الذي شعرت به ولكنها بطول الدهر أمام من ينتظر،
(ما عليّ فعله؟) تساءلت في سري عدّة مرات وسألته لصديقتي، أشارت
سارة عليّ بمصارحة إدواردو في الموضوع كما أشارت عليّ باستغلال
الذكرى الأولى لزواجنا للقيام بذلك، وهذا ما حدث.

وفي الذكرى الأولى لزواجنا عزمت أمري وذهبت لزواجي الذي
كان مستلقيًا على أريكته الرمادية المفضلة في الصالة، كان يرتدي قميص
نوم تكاسل في إقفال أزواره ويشغل نفسه بتفقد تكتلات الدهون حديثة
الظهور حول خصره بينما يستمع لمذاياعه الخشبي القديم.

كان إدواردو شبه نائم، تائها ما بين الأحلام الحقيقية واليقظة منها،
وما أن أعلمته برغبتى في إنجاب الأطفال حتى نهض كمن مسّه الشيطان
بسوء أو كمن أصابته صاعقة كهربائية على بلبل، نظر إليّ ببلاهة نظرة

المصدوم وأمال رأسه متعجبًا وصمت. قلت في سرّي: (لعلّي أخطأت التعبير، فالأمر ليس بيدي ولا بيده)، لم يبح بأية كلمة، لم أفهم حينها لماذا أثر الصمت!

تابعت قائلة:

- إدواردو، انقضت سنة على زواجنا وعلينا القيام بالتحاليل اللازمة لنتمكن من تحديد ...

هزّ إدواردو رأسه بالنفي، لم أفهم مقصده فصمت، ولم أكمل ما بدأت بقوله إلى أن قال هو:

- لا تقلقي، إنني أعرف السبب في ذلك.

قلت متعجبةً من إهماله للأمر وبرودة أعصابه:

- أتعرف السبب ولا تحرك ساكنًا!

أجاب ساخرًا:

- إنني أتناول حبوب منع الحمل خاصة بالرجال.

حتى الآن لا أعلم كيف صدقته! فقد بدا الأمر شديد الغرابة بالنسبة

إليّ، لم أكن أعلم بوجود مثل هذه الحبوب على وجه سطح الأرض قبل

ذاك اليوم. تُرى لم يصنع البعض بمثل هذه الصناعات القدرة! ألا توجد

للعالم سلسلة أولويات أفضل ليعملوا على تصنيعها؟

أضفت قائلة:

- منع حمل؟ لم؟ .. حسنًا لا بأس هل ستوقف عن تناولها الآن؟

أجاب:

- بالطبع .. لا.

تمالكت نفسي ولا أدري كيف فعلت ذلك وسألته:

- لم؟

أجاب:

- هناك اتفاق بيننا! أنسيته أم لم يبلغك والدك به؟

هل للفتاة أن تكره أباه؟ كم كرهت والدي يومها! لم يكن ليخطر

على بالي قط أن لوالدي علاقة بذلك الأمر، ذهبت وبدلت ثيابي لأقصده في منزله، كم تمنيت أن أجده ميتًا حالما أدخل عليه. وصلت إلى منزله ووجدت بابه مفتوحًا كعادته فدخلت للدخل ووجدته متكئًا وشبه نائم على طاولة المطبخ يتوسط مائدة كبيرة من الأطعمة الجاهزة التي توحى لناظرها بأن معظمها متعفن.

أيقظته بسؤالِي:

- علامَ اتفقت مع إدواردو؟

أجاب:

- كنت واثقًا من قدوم هذا اليوم.

قلت:

- أجبني فورًا.

قال:

- أن لا تنجبي منه.

قلت:

- حقًا! وتقولها هكذا ببساطة؟

صرخ في وجهي غاضبًا:

- أحقًا ترغيبين في إنجاب الأطفال؟ ألا تنظرين إلى نفسك ولو

لدقيقة واحدة؟ أتعقدين أن الأمومة أمرٌ هين؟ كيف للأم أن

ترعى أطفالها وهي تنام نصف يومها؟ ..

رحلت من منزله مكتفية بما سمعته منه ولم يعن لي أن أسمع المزيد

المتوقع، لا لم ألعنه، ولم أبك وعزمت على أن لا أبكي أبدًا، (سأنجب

مهما كلفني الأمر) عزمت على ذلك في سرِّي، ثم عدت إلى إدواردو

فوجدته مستغرقًا في النوم في مكانه، فتركته لأحلامه وبدأت منذ صباح

اليوم التالي بالإلحاح عليه بأمر الإنجاب.

مرت قرابة سنة أخرى وأنا على حالتي الجديدة ألح على إدواردو

بذات الموضوع بلا أية فائدة تُرجى، لم يتزحزح عقله أثناءها ولو قيد

أنملة، لم أتخلص منه لكونه خيارى الوحيد المتاح ولم يتخلص منى لعلمه بأنه سيكلفه نصف ممتلكاته بالإضافة لتدمير تجارته الرائجة التى يتشارك بها مع من كنت أسميه والدى.

وذات يوم وعلى غير العادة دعانى إدواردو لتناول طعام العشاء فى أحد مطاعم المنطقة الشهيرة، الذى يعود سبب شهرته لكلفته الباهظة لا لجودة ما يقدمونه فيه، فجودة أصناف طعامه أقل من متوسطة ومستوى حلوياته أقل من المقبول بكثير، المهم فى الأمر أننى ظننته قد جنح أخيراً للرضوخ لمطلبى الذى عكّرت به صفو حياته، وأنه قبل بجلب خادمة لتساعدنى فى أمر رعاية طفلنا القادم كحلّ لمشكلة نومي، خصوصاً وأن المال آخر العقبات التى قد تواجهه.

كالأحبة تماماً .. ذهبنا معاً وتسامرنا، كم هُيئ لي بأننى ظلمته بعدم إعطائه أية فرصة لأتقرب منه، شعرت حينها وللمرة الأولى والأخيرة فى حياتى معه بإمكانية نشوء حبٍ فيما بيننا، كم كنت بلهاء! ولكن ككل الأوقات الجميلة انتهى عشاؤنا بسرعة ولكن بسرعة أكبر مما قد يتوقعها أحد، إذ أصابنى على غير العادة ألم حاد فى معدتى لم أع سببه، أسقطنى عن مقعدي وجعلنى أتلوى على الأرض من شدة الألم، (لقد سمّموا لى زوجتى .. لقد سمّموا لى زوجتى، يا لهذا المطعم القذر!) سمعت زوجى يصرخ بذلك ثم فقدت الإحساس بكل شيء وفقدت وعيى إلى أن استيقظت فى صباح اليوم التالى.

نمت ليلتها بشكل متواصل قرابة يوم ونصف اليوم للمرة الأولى فى حياتى، استيقظت بعدها يرافقتنى ألم فظيع فى رأسى، كنت منهكة الجسد وكنت أشعر بدوار شديد فى رأسى، لم أجد أحداً بجانبى ولم أستغرب، فمن سيكون بجانبى؟ والذى أم زوجى! ستكون سارة بالتأكيد لو سمحت لها ظروفها بذلك، خرجت متمهلة إلى صالة الجلوس فوجدت إدواردو يحتسى القهوة بينما يشاهد التلفاز، نظر لى وقال:

- هل أنتِ على ما يرام؟

أجبت:

- نعم، ما الذي حدث لي؟

أجاب:

- تسبب لك الطعام الذي تناولناه بتسمم بسيط، لا عليكِ استريحي اليوم، وأنا سأذهب إلى عملي الآن.

ثم نهض ودخل إلى غرفة النوم وقام بتبديل ثيابه ثم خرج يحمل حذاءه واقترب مني وطبع قبلة خفيفة على جبينني وأخذ مفاتيحه من على المنضدة وانتعل حذاءه ثم ودّعني وخرج من المنزل، قلت في سرّي: (إنها المرة الأولى التي يقبلني فيها دون سبب! ثم لمّ لمّ يتسمم مثلي! هو أو غيره من رواد المطعم؟ حسناً لا بأس إنه مجرد تسمم).

حاولت الجلوس في المنزل ولكنني لم أستطع، حاولت النوم وأنا أعرف مسبقاً باستحالة حدوثه وبالطبع لم أستطع، تساءلت في سرّي عمّا سأفعله، ثم إن المنزل ضجر، وضجّر كل ما هو فيه، لذا قمت وبدلت ثيابي وخرجت قاصدةً مقهى الحياة، كم اشتقت لصديقتي سارة يومها! وما أن رأته حتى التفت حول منصة عرض لائحة الطلبات التي تفصلها عن زبائن المقهى وعانقتني أحر عناقٍ حظيت به في حياتي. يا لمقهى الحياة من أثر عظيم على حياتي!

أمسكتني من كتفي بشكل جاد وقالت:

- لم يسمح لي إدواردو بزيارتك لا في منزلك ولا حتى في المستشفى، وفي وقت لاحق لم يسمح لوالدتي بذلك أيضاً! يا له من وقح! لقد قلقنا عليك كثيراً.

لن أخفي عليكم بأن ما قالته سارة أثار قلقي، حاولت جاهدة نسيان الأمر برمته ومع مرور أسبوع كنت قد تمكنت من نسيانه تماماً، أما بخصوص علاقتي بإدواردو فاستمرت على حالها كما كانت قبل حادثة تسممي، له عالمه الخاص ولي عالمي الخاص، ولم تعن لي شيئاً عودة علاقتي معه إلى الصفر على الإطلاق، ومع مرور الأيام عدت إلى طريق

الإلحاح عليه بخصوص إنجاب الأطفال إلى أن جاء اليوم المشؤوم.
كنت عائدة من المتجر الواقع قبالة مركز رجال الأمن آخر الطريق
العام، دخلت المنزل فوجدت إدواردو ومعه والدي في حالة غريبة
وتفوح منهما رائحة قذرة، كأنهما مخموران. كان إدواردو على أريكته
المفضلة بينما جلس والدي على أحد مقاعد مائدة الطعام يتكئ برأسه
على سطحها، كانا يتحدثان بثناقل مريب ويضحكان بشكل متقطع بلا
أي سبب، وجدت قميص والدي ممزقاً من الخلف بشكل كامل، بدا
كمن خرج لتوّه من عراك شرس، وكذلك وجدت بنطال إدواردو ممزقاً
في منطقتي الركبتين، بدا كمن سقط لتوّه سقوطاً خطراً. كانت حياتهما
أسوأ من حياة مراهقين مجانيين.

طرحت ما بحوزتي من الحاجيات التي ابتعتها أرضاً وصرخت
فيهما:

- إلى متى! سئمتكما وسئمت الحياة معكما.
- اقتربت من والدي ورفعته من كتفه أنظر إلى عينيه وقلت له:
- يا ليتك لم تنجبني!
- ثم نظرت صوب إدواردو وصرخت بأعلى صوتي:
- وأنت أيها الأحمق أريد طفلاً، أريد طفلاً!
- ضحكا كلاهما بينما كنت أبكي، أظنها المرة الأولى والأخيرة التي
بكيت فيها في حياتي حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها، ولا أظن أنني
سأعيش مثل هذه اللحظة في ما كُتِب لي من حياة، نهض إدواردو عن
أريكته واقترب مني يريد أن يحتضنني، وما أن اقترب حتى دفعته فسقط
أرضاً، تألم ألماً شديداً وكان ألمه مضاعفاً لفجائية الموقف الذي وضعته
فيه ولم يتوقعه، صرخت قائلة:
- تَبّاً لك!
- اتجهت إلى المطبخ، وبينما أنا في طريقي إليه قال إدواردو باستهزاء:
- تريدن طفلاً أيتها العقيمة!

تساءلت في سرِّي إن كان الزمن قد توقف لحظتها؟ وهل يعقل أن يُختصر طول الدهر في لحظة؟ التفتت للخلف ببطء، لعله لم يكن بطئًا إلا أن الموقف أشعرنني بذلك، اقتربت منه وقلت له:

- أتقصدني أنا؟ .. ولكنني سليمة، تحققت من ذلك بنفسني عند أربعة أطباء ذوي سمعة حسنة!
ضحك النجس مطولاً ثم قال:

- لقد أخضعتك لعملية عقم أيتها ال.. حمقاء.

نهض والدي من مقعده غاضبًا واكتفى بذلك كخطوة أولى لأمر عزم على تنفيذه، ولكنني في الواقع لم أكرث فكل ما شغل بالي حينها كان ما قاله سيء الذكر إدواردو، أخذت أفكر: (لمَ قد يكذب إدواردو؟ لمَ يكذب الآن؟ لمَ يسبق له أن تحدث بأسلوب كهذا! لأنه مخمور يا ترى؟) وبعد فشلي في الحصول على إجابة تشفي صدري تساءلت عن الجانب الآخر من الموضوع: (حسنًا لماذا نهض والدي!).

وبينما استدرت إلى الخلف للعودة إلى مكاني السابق أضاف إدواردو:

- أتذكرين عشاءنا الحميمي الأخير؟

لم أجه بشيء. تابع:

- بالطبع تذكرينه وتذكرين ما أصابك نتيجة الطعام المسموم الذي تناولته حينها، أنا من وضع لك السم في طبقك، وضعته بيدي هاتين عندما طلبت منك إغلاق عينيك من أجل إظهار الهدية السخيفة التي أعطيتك إياها، وما أن قام السم بدوره حتى أخذتك إلى طبيبٍ ماكر .. أقصد ماهر، ابتعت منه ضميره برزمة نقود ليعطيك العلاج الأنسب لحالة إلحاحك المزمن.

ولا تقلقي، سأعمل على جمعك به مرة أخرى ليطلعك على حالتك إن رغبت في ذلك، إنه ماهر للغاية، في الواقع إن الفكرة برمتها فكرته فما أن عرضت عليه رغبتني بالتخلص من إلحاحك حتى وصف لي خطة

العمل الأنسب وأعطاني السم، وعندما عدت بك إليه أجرى لك عملية بسيطة تسمى استئصال البوق، بمعنى استئصال الرحم .. بكل أريحية. نايا أنت عقيمة الآن .. وإلى الأبد، كفي عن إزعاجي، تبًا لك ولوالدك ولرحمك المُستأصلة.. بالمناسبة لا داعي لمراجعة الطبيب فمعه من الأوراق ما يكفي ليثبت موافقتك المسبقة على إجراء العملية. ضحكت، لم أجد ما أفعله سوى الضحك، ما زلت أتساءل حتى الآن لم ضحكت حينها؟ أكان ضحكًا لقيطًا؟ هل لكوني وصلت إلى أسوأ نهاية قد تقع لأحلامي؟ ألم توجد الأحلام رحمة بالبشر؟ فكيف لفرد من أفراد بني البشر بأن يفنيها للأخر بملء إرادته! أضحكت لأنني ولدت بلا أم ولأنني سأموت بلا ابن أو ابنة؟ سلّمت أمري قديمًا في ما يتعلق بالأولى فما باليد حيلة، أما أن تكون الثانية بسبب ضمير طبيب ميت مدفوع بالأجر من مجنونٍ قدر، كان ذلك أكثر من أن يُحتمل!

اتجهت صوب باب المنزل بهدوء وفتحته دون أدنى معرفة عن المكان الذي سأقصده، ثم نظرت إلى الخلف نحو إدواردو وقلت له ببرود:

- أعدك، سأعود إليك لأقتلك.

وبعد أقل من لحظة سمع ثلاثتنا صوت إطلاق نار، وبعد أكثر من لحظة بقليل من صوت الإطلاق ذاك سقط إدواردو أرضًا منكفئًا على وجهه، وبشكل مباشر ظهرت من تحته دائرة دماءٍ أخذت تتسع بسرعة إلى أن أخذت تتوقف ببطء.

هل ضحى بنفسه من أجلي؟ قال لي ذات مرة: (على التضحية أن تكون لمن يستحقها) ترى هل كنت أنا من استحققتها حقًا؟ صدقًا كانت المرة الأولى التي افتخرت فيها بالودي منذ شجاره القديم مع العم باولو، وهي الأخيرة بكل تأكيد.

تساءلت كثيرًا أتراه قتله من أجلي أم لخلاف نشب بينهما من قبل؟ أتراه ندم على معرفته وصداقته والتعاون معه في التجارة؟ أم تراه ندم على

تزويجي منه؟ أم أنه ندم على قتله؟ أم أنه لم يندم على شيء؟
وأنا هل كنت سأقتل إدواردو حقاً؟ هل أستطيع أن أكون قاتلة؟ لا
أظن، لا أظن أن مثلي قادرة على ذلك .. بل نعم لم لا أقتله وما المانع
في ذلك؟ أليس هو من بدأ بالقتل! ألم يقتل حملي! لا أدري، لا أدري
وحسب! يقولون إن أجمل ما في المفاجأة ما تحدثه في أنفسنا من أثر،
وكذلك الأمر في ما فعله والدي، كان أجمل ما في مفاجأته لي بقتله لذلك
الوعد ما أحدثه في نفسي من اضطراب فرح.

ألقى والدي مسدسه على الأرض وركع على ركبتيه وتسمّر في
مكانه، فقلت له وأنا أتجه إلى خارج المنزل:

– عليك استدعاء رجال الأمن، بإمكانك أن تدّعي دفاعك عن
نفسك، وأنا بدوري مستعدة للكذب من أجلك.

أجابني ببرود:

– لست بحاجة لكذبك.

(سأهاتف سارة) قلت في سري، لذا عدت إلى الداخل وقمت
بمحاولة لذلك ولكن كالعادة وجدت هاتف مقهاها معطلاً. كانت
الأجواء الماطرة قد بدأت في تلك اللحظات، لا بد أنها قطرات الفرح،
لم أعر موضوع الطقس أية أهمية تذكر واعتمرت قبعتي الواسعة المُظلمة
وخرجت متجهةً إلى مقهى الحياة فلم يكن لي وقتها من ملجئ إلا إليه
فالتقي بسارة، (على الأغلب ستكون هناك، من المؤكد أنها في المقهى
كعادتها) بهذا حدثت نفسي.

لم أكن حزينة على مصير والدي وبالطبع لم أحزن على نهاية
زوجي، في الواقع كنت أميل للسعادة نوعاً ما، سرت نحو المقهى
وركضت مسرعةً عندما وجدت نفسي قد اقتربت من بابه متجاهلة الركازة
التي طالما طالبت نفسي بها أمام الأعراب، فالسما كانت تدلق الماء
دلّقاً. دخلت المقهى وكان فارغاً سوى من بدين يحدث سارة، ومراهق
ومراهقة يبدو على محياهما الكذب وهما يتسامران حول إحدى الموائد،

خلعت قبعتي عند الباب ووضعتها على العلاقة الخشبية المخصصة لذلك في ركن المقهى واتجهت صوب صديقتي وجلست على المقعد المقابل لها. بادرت قائلة:

- إنني هنا، كيف حالك؟ (سألها مبتسمة).

كانت سارة تعطيني جانبها عندما سمعت صوتي، قالت وهي على حالها:

- نايا! أهلاً بك، إنني بخير، أمهليني بضع دقائق من فضلك. كنت سأمهلهما دقائق كلهما بكل تأكيد، أخذت أتجول ببصري في المكان ولاحظت وجود العم باولو في قاعة الزبائن وهو أمر أشهده للمرة الأولى طوال فترة إصابته بالشلل، ألقيت عليه التحية وقلت في نفسي: (يا لها من مصادفة!).

قمت من مكاني وجلست على المقعد الدائري المرتفع المقابل لطاولة تحضير طلبات الزبائن أنتظر انتهاء سارة من تحضير أحد الطلبات، كانت لا تزال تتحدث مع الزبون السمين الذي كانت طلباته ثقيلة مثله، أجمل ما في طلباته كونها خارجية. وبينما كانت تنتهي منه أخذت أتأمل المقهى الجميل الهادئ.

المقهى قديم نوعاً ما وبحاجة لبعض أعمال الترميم، وهو مكون من قسمين اثنين، في القسم الأول تعد طلبات الزبائن ويُعرض فيه بقصد البيع بعض من منتجات يدوية الصنع، كما يُعرض فيه بعض الكتب واللوحات والمنحوتات الصغيرة الجميلة لأغراض الزينة، والقسم الثاني عبارة عن صالة الزبائن؛ فيها طاولات أحادية وثنائية وثلاثية، ويفصل بين القسمين طاولة إعداد الطلبات. أجمل ما في المقهى اللون الخشبي الفاتح الذي يملأ المكان بالهدوء اللازم للاسترخاء.

دقائق معدودة أنهت بها سارة عملها ثم اقتربت مني وقالت:

- ما الذي أتى بك إلى هنا في هذه الأجواء الماطرة، كما أن كل من رآك سيحسب أنك كنت غارقة في مستنقع ما.

أجبتها مبتسمة بغرور منقطع النظير (وكان الابتسام بقصد إصااق المزاح على إجابتي):

- أنا لا أغرق! تعرفين هذا يا صديقتي.

تابعت سارة قائلة:

- عذرًا منك أيتها الدولفينة الصغيرة!

وبدأت تعد لي فنجانًا من القهوة التي أفضلها وأثناء ذلك قلت لها:

- لقد قُتل زوجي.

وما أن أتممت جملتي القصيرة المختصرة حتى سقط الكوب الذي

كانت سارة تحمله بيدها بينما اكتفى العم بالنظر إلى وجهي، قلت حينها

في سري: (أخيرًا أشاح العم بنظره عن الأعلى) ثم أضفت: (يا لخسارة

الكوب).

ثم شرحت لهما بالتفصيل كل ما حدث من لحظة اعتراف إدواردو

بما فعله بي منذ دعوته القدرة على العشاء حتى لحظة خروجي من المنزل

وقدومي إلى المقهى. ولا أنسى كيف كانت صدمة كل منهما أكبر من أن

توصف، وختمت قصتي قائلة:

- وأعتقد أن والدي في قبضة رجال الأمن الآن.

تساءلت سارة:

- ألا ترين أن عليك التواجد هناك معه، أو على الأقل التواجد في

منزلك «مسرح الجريمة»، بالتأكيد سيغلقونه بالشمع الأحمر لا

بد أن تعودي الآن.

التفتت سارة للعم باولو وأضافت قائلة:

- أرجو أن تخبر أمي بما أخبرتنا به نايا وأخبرها بأنني سوف

أذهب معها، ولكنني سأبدل ثيابي، لحظة وأعود.

دخلت سارة لتبديل ثيابها ولكنها عاودت الخروج للحظات لتضيف:

- هل أصابك الجنون؟ ألن تبكي ما أصابك من عقم؟ ألن تبكي

والدك؟ ألن تبكي زوجك؟ ألن تبكي لمجرد البكاء! يبدو أنني

سأبكي بدلاً عنك!

ثم أعادت لقطّة انسحابها للداخل، وبقيت مع العم باولو في الصالة وكانت فارغة، يبدو أن الخوف من تدهور حالة الطقس أتلّف على المراهقين جلستهما فرحلاً. جُلّت بنظري في المقهى ثم تركته يستقر على النافذة وتابعت المطر.

قاطع العم باولو شرود ذهني مع انسياب المطر قائلاً:

- لا عليك يا بنيّتي فتيري ليس بوالدك.

نظرت إليه مندهشة دون أن أحدثه بشيء وقلت في نفسي (يا لهول المفاجأة! أجنّ جنون هذا الرجل أم أنه فقد عقله كما فقد صديقه عقله من قبله؟) ثم تابع العم كلامه الغريب قائلاً:

- استمعي لي يا بنيّتي وقد لا تصدقين ما سأعلمك به، وذلك من حقاك ولن أنكره عليك، أه لو تعلمين كم انتظرت قدوم الوقت المناسب الذي أتمكن فيه من أخبارك بما يثقل على صديري. إن تيري ليس بوالدك الحقيقي، لقد عثر عليك مصادفةً عندما كنت طفلة رضية في عرض البحر بين حطام مركبٍ شرقيّ قديم، أغلب الظن أن كل ركابه غرقوا ولم يبقَ منهم أحد سواك، وقد كان هذا الحدث، أقصد العثور على مراكبٍ شرقية محطمة، رائجاً جداً في تلك الأيام، كنت عندما عثر عليك برفقة امرأة توقع تيري أنها والدتك ولكنها تعجّلت بالرحيل عن الدنيا حالما قام بإنقاذكما، أذكر أنه قال لي عنها: «كأنها حافظت على صمودها فقط من أجل ابنتها».

كان تيري يعمل ضمن قوّات خفر السواحل في المدينة التي تجاور مدينتنا هذه شرقاً، وكان يعمل معه على نفس مركبه شريكٌ مزامل له عرف بكنية عائلته «رامسي»، وفي يوم من الأيام وأثناء خروجهما في جولة تفقدية اعتيادية ضمن نطاق مياه بلادنا الإقليمية عثرا على حطام مركب تتبعثر حوله العديد من الأمتعة والحاجيات التي تطفو على سطح الماء

وتتباعد في كل الإتجاهات.

وعندما اقتربا من الحطام وجداكما أنتِ وتلك المرأة، وفي اللحظة التي وجداكما فيها شاهدا كائناً غريباً يهاجمكما من عمق الماء ما استدعى من تيري أن يطلق النار عليه فاختمى ومن ثم أنقذاكما واتجها بكما إلى الشاطئ، لم تصمد من يعتقد تيري بأنها والدتك أكثر من بضع دقائق ثم فارقت الحياة وبقيت أنتِ آخر الناجين من ذلك المركب المحطم.

سألته:

- أعتقد بأنني سأصدق هراءك هذا؟

أجاب:

- نعم، ستصدقينه، لا بد وأن تفعلني. كما أنني أقص عليك الحكاية لأستريح منها لا لمجرد أن تصدقها.

صمت العم قليلاً ثم تابع قص حكايته المريبة بهدوء قائلاً:

- عادا إلى الشاطئ على عجلة، ومن سوء حظ تيري أنه تعرّس بجرة خزفية فاجأه وجودها في طريقه عندما همّ بالنزول من على المركب، والأسوأ من ذلك أنه كان مسرعاً بغية إرسالك للمشفى، فسقط على وجهه شر سقوط. أما تلك الجرة فأثارت الحيرة في قلبي البحارين فالأكيد في أمرها أنها لم تجلب لا من قبل تيري ولا من قبل زميله رامسي، وبالرغم من يقينهما بذلك بالكاد صدقا بعضهما البعض.

وبعد خمود عنصر المفاجأة تمكن منهما الفضول إلى أن تشجعا واقتربا منها أكثر بغية الكشف عما فيها فوجداها متوسطة الحجم ومزخرفة بألوان باهتة للغاية وشديدة القدم، أمسك تيري غطاءها لكونه الأكثر جشعاً بينهما وكشف عما فيها ليتبين لهما أنها مليئة بحلبي ذهبية «أثرية».

قاطعته قائلة:

- يا لها من قصة لا تُصدق!

لم يأبه لما قلته وتابع قائلاً:

- لم يشغلا بالهما بقصة الجرّة، لا بقدّمها ولا بقيمة ما فيها ولا حتى بكيفية وصولها للمركب خصوصاً أنهما كانا على متنه عندما تم وضعها فيه، كل ما شغل بالهما هو الخطوة التالية التي سيعمدان لتنفيذها. ارتأى رامسي أن يسلماك وجزة الذهب لرجال الأمن وهذا ما لم يعجب تيري على الإطلاق.

رفض رامسي المساس بالذهب لكونه «كما رجح» أثرياً، أي بمعنى أنه كنز وطني ثمين ولن يفلتا من العقاب إن تصرفا به أدنى تصرف، أما بخصوصك أنت ففضل تسليمك لرجال الأمن لعلهم يجدون لك أهلك أو يسلمونك لمن هم أهل ليقوموا بما يناسبك، وفي المقابل وجد تيري أن الفرصة التي سنحت لهما ليبيتا بالثراء يستحيل أن تتكرر في المستقبل، ولم يكن ليأبه بك ما دام سيبقى الذهب في حوزته.

- كيف تدعي حرص تيري عليّ ثم تنفيه برغبته بالتخلص مني؟
- إنه الذهب.

- أكمل حكايتك الغريبة.

- سأكمل دون أن تطلبي مني ذلك. تجادلا مطولاً ما بين وجهتي نظرهما، وأصر كل منهما على رأيه، اتهم تيري رامسي بكونه يتعاطف معك لأنه من أصول شرقية وهذا ما لم يعجب رامزي لكونه عمل المستحيل لإقناعه بعدم قدرة أي منهما لا على تركك للمجهول ولا حتى على العناية بك، وفي المقابل قد يسفر إدخال رجال الأمن في الموضوع عن فقدان الذهب، وللأسف لم يسفر نقاشهما عن أيّة نتيجة، كان عراكهما شفوياً وغير قادر على الحسم، لذا لجأ لاستخدام أيديهما كوسيلة أجدى للنقاش، فتعاركا جسدياً وأسفر عراكهما عن اصطدام رأس رامسي بحافة المركب المعدني ومات في مكانه.

- في الواقع رغم كوني سبباً في المشكلة التي دارت بينهما كنت سأتبني وجهة نظر من اعتقدت بأنه والدي، فما لرجال الأمن

والذهب؟ ومن سيضمن أنهم سيوصلونه إلى مكانه الصحيح؟
ألست أحق به منهم؟ وأما الفتاة الرضيعة التي هي أنا فكان
بإمكانهما التخلص مني على عتبة أي مستشفى أو ملجأ للمسنين
أو دار عبادة.

— لم يقصد تيري قتله ولكنه في المقابل لم يندم على ذلك، هرع
إلى منزلي وكنت وحيدًا حينها وقد بُعثرت عائلتي بالمهجر،
واقترحته عليّ دون استئذان وقال لي: (عليك برعايتها ريثما
أعود) ورحل، كان عندما اقتحم البيت مسرعًا يحملك بين
ذراعيه ولم يترك لي أدنى فرصة لكي أستعلم منه عن أي شيء
مما جرى وقتها، أما أنت فكنت تبكين بإصرار مؤلم، فما كان
مني إلا أن حملتك وذهبت بك إلى أقرب صيدلية وابتعت لك
كل ما نصحني به الصيدلاني الذي أخبرته أنك حفيذة عمتي
التي دخلت المستشفى بشكل مفاجئ.

كم تساءلت في ذهني أثناء قصّه لحكايته عن الجدوى منها! عن
الهدف المنشود من ذكرها، خصوصًا في ذلك الوقت.

تابع العم باولو:

— عاد تيري إلى منزلي بعد قرابة ست ساعات، كان متسرحًا، أخبرني
أنه قام أثناء فترة غيابه بدفن جرة مليئة بالذهب في مكان آمن،
ثم أنه قام بإعلام رجال الأمن بمقتل زميله رامسي، وأعلمهم أنه
قُتل أثناء دفاعه عن قاريهما أثناء هجوم مجموعة لصوص عليهم
في عرض البحر بهدف سرقة مركبهم. ثم اتجه للدخول وقال:
(عذرًا منك، سأستحم وسأرتدي ما أجده من ثيابك) وهذا ما
قام به، وعندما خرج أخبرني بكامل حكايته الغريبة، وأخبرني
بأنه سيأخذ الفتاة معه وسيرحل نهائيًا إلى المدينة المجاورة
وأنة سيعمل على استرجاع الذهب لاحقًا لكي لا يشك أحد
به، فاقترحت مرافقته ولكنه رفض، وأنا بدوري رفضت رفضه

فانتقلنا إلى هنا معًا بعدما استقال من عمله بداعي الحزن على مقتل زميله، وها نحن الآن كما ترين.

سألته:

- أرحلت عن مدينتك من أجله؟

أجاب:

- إن تيري هو مدينتي، إنه الصديق والعائلة والمدينة، ما كنت لأتركه.

سألته:

- وعائلتك؟

أجاب:

- لم تفتقدني، ولن تفعل ذلك.

- ألا تعتقد أنك عرضت نفسك للخطر من أجله؟

أجاب:

- لا يهم، لا يعينني ذلك، فأنا صديقه وساكون معه على حلو

الحياة ومرها، وسأناصره ظالمًا كان أو مظلومًا، إنه تيري!

عادت سارة ويا لها من فتاة بطيئة الحركة! قالت متعجلة:

- عذرًا على تأخري، هيا بنا.

أمسكت بمعصم يدها بقوة وقلت لها:

- انتظري، أريد أن أسمع من العم تكلمة قصته.

أجاب:

- أنهيتها لتوي.

أجبت:

- لا لم تنته منها بعد، أخبرني من فضلك لم تعلمني بها الآن؟

أجاب بعد ضحكة ضعيفة:

- كي لا تحزني على تيري وعلى ما سيؤول إليه مصيره.

أضفت:

- أحزن! ألا تعلم أنه لا يوجد ما يستحق مشاعري في هذه المدينة.

أعترف أنني أخطأت بحق سارة في ما قلته حينها ولكنني كنت غاضبة من سير الأمور ومما رافقه من ظهور حقائق خفية، كنت قد توصلت في تلك اللحظة إلى يقينٍ بصدق العم باولو في حديثه، ولكنني ومن دون سبب واضح خاطبته وأنا خارجة من المقهى ممسكة بيد سارة: (لا أصدق أنك تخاف عليّ من الحزن!) ويا لي من محظوظة، فلولا تلك الجملة الأخيرة التي نطقت بها على غير هدى لما أكمل لي الحكاية حتى آخرها، صرخ بأعلى ما تبقى له من جبروت صوته مستدرگًا للحاق بنطاق سمعي:

- انتظري .. أخبرك لشعوري بالذنب!

تركت معصم سارة وعدت أدراجي إليه، وطلبت منه أن يكمل فأكمل قائلاً:

- بعد مرور عدة سنوات على تلك الحادثة، زارت تيري في منزله امرأة غريبة لم يكن يعرفها من قبل، وصادف يومها وجودي عنده وكان الوقت متأخرًا بعض الشيء، دخلت المرأة إلى الصالة وجلست وأعد لها تيري شرابًا ساخنًا لتحتسيه، أذكرها جيدًا بدت متوترة للغاية، وما أن شربت ما أعده تيري حتى طلبت منه طلبًا واحدًا وخرجت.

تضاعف فضولي بشكل مخيف لم أنتظر أن يلتقط أنفاسه فطلبت منه أن يكمل حكايته بأسرع ما يمكنه لنتتهي منها، فاستجاب قائلاً:

- طلبت منه تلك المرأة أن يسلم نفسه لرجال الأمن، كانت تدعى صوفي، مخطوبة رامسي قبل وفاته، فصل ما بين وفاته وزفافهما ثلاثة أسابيع فقط، لم تصدق صوفي مجرى تحقيقات قضية مقتل زوجها فاستمرت في البحث عن حقيقة حتى تمكنت من العثور عليها بعد عدة سنوات ولا أدري كيف! ومن ثم بحثت

عن مكان اختباء تيري إلى أن وجدته، ورفضت تقديم أي أدلة لتيري لتدينه فيها، كما رفضت الاتجاه للشرطة بشكل مباشر، طلبت ما طلبته من تيري ثم رحلت بهدوء.

تجاهل تيري زيارة صوفي، ولكنها عادت بعد أسبوع، ثم عادت بعد أربعة أيام ثم باتت تعود بشكل شبه يومي، كان يزداد عليها آثار الجنون في كل زيارة تقوم بها لتيري، ومع الوقت تيقنا من جنونها وبدا لنا ظاهرياً، حتى سكان الحي تيقنوا من ذلك، واستمر الحال هكذا حتى هددت تيري بالقتل.

أذكر أنني قاطعته وقتها متعجبة:

- تابع .. كنت ستخفي عني كل هذا!

فتابع قائلاً:

- وذات يوم قَدِمْتُ إلى منزل تيري كما طلب مني لمساعدته في نقل الأخشاب من المخزن للخارج بهدف تنظيفه، وعندما اقتربت من منزله شاهدت صوفي تقف في الطريق العام أمام منزل تيري تشهر مسدساً في وجهه وترتجف، وكان تيري في المقابل مدهولاً من شدة خطر الموقف، لم أصدق أن الأمر بات خطراً إلى ذلك الحد، أجزم أنها كادت تقتله، ترددت كثيراً ثم .. دهستها!

قاطعته:

- دهستها! .. يا إلهي! أبي مجهول وتوفيت أمي في عرض البحر، ووحيده بلا أخوة، ونشأت في أكناف قاتل، له صديق واحد قاتلٌ مثله، حقاً ياللي من فتاة محظوظة! أنت أيضاً قاتل! .. حقاً إن الطيور على أشكالها تقع، يا للعدالة البشرية! قاتلان يجولان في المدينة بلا حسيب وبلا رقيب!

أضاف:

- كان من السهل إثبات براءتي، ادعينا أنا وتيري أن هذه المرأة

مختلة عقلياً وأنها هاجمتني بسلاحها فاضطرت لدهسها أسفاً.
أضفت:

- يا لك من آسف!

تابع:

- أرجو ألا تظلميني، اجتمع عليّ كل من حرصني على تيري وخطورة ذلك الموقف، فارتجلت قرأاً بقتلها ونفذته، وبعد مرور عدّة سنوات على تلك الحادثة طلبت من تيري أن نسلم نفسينا لرجال الأمن ولكنه رفض، وبتّ أحاول اقناعه بين الفينة والفينة بشكل دوريّ، وذات مرّة تشاجرنا شجاراً أكبر من المعتاد، وانتهت علاقتنا.

أذكر أنني نظرت صوب سارة وقلت لها: (هينا بنا) ولكنني لم أذكر ما حدث لي بعدها، حدثني سارة لاحقاً أننا خرجنا إلى أن دخلت في سباتي المقدس، خشيت عليّ كما خشى العم باولو من أن الحديث أفقدني وعيي من درجة سوئه، ولكنها تيقنت من دخولي في النوم حالما تنهت لساعة الحائط، حاولت إيقاظي يائسة ثم سحبني لسريها ونمت فيه إلى أن استيقظت بعد نصف يوم.

أجمل ما في الأمر أن العمّة جينيفر عملت أثناء نومي على توضيب كل الأمور العالقة جزاء مقتل إدواردو، فتابعت إجراءات الدفن والجنائز كما تابعت مع رجال الأمن الأمور المتعلقة بتيري واستلام مكان الجريمة، كما عملت برفقة ابنتيها على إعادة تنظيف المنزل كاملاً من أجلي.

وعندما استيقظت وجدت العمّة جينيفر قد استأذنت لي من عملي للحصول على إجازة للراحة لمدة أسبوعين، وحجزت لي غرفة مطلة على البحر في أحد أكبر منتجعات المدينة لمدة أسبوع، ولم أمانع اقتراحها على الإطلاق فكان في ذهابي لمثل ذلك المكان فرصة لي لكي أقوم بتنقية ذهني جزاء ما عصف به من الأحداث، لذا ذهبت واستمتعت

- رغم وحدتي - لأقصى الدرجات، وفي اليوم الأخير لي في المنتجع أرسلت العمدة لي محاميين أحدهما موكل تيري والثاني موكل إدواردو واجتمعا بي على حدة لأكتشف في نهاية رحلتي تلك بأنني أصبحت من أصحاب الملايين!

القارورة الثانية «ما بعد نوا»

- انتهى.
 - أيعقل هذا! (كدي، مذهولاً).
 - اتبعني، أخشى أن تعود الحوريّة وتكتشف أمرنا. (نُوا، على عجلة).
 - أمرنا! بل أمرك أنت!
 - صمت القط قليلاً ثم تابع:
 - انتظر، ألم تقل منذ قليل «انتهى»، إلى أين تذهب؟ أعد كل شيء إلى مكانه.
 - سأقرأ ما كتب في القارورة الثانية. (نُوا، بحماسة).
 - يا لك من أحمق! يبدو أنك مصمم على فضح أمرك أمام الحوريّة.
- صعد نُوا الدرجات المؤدية إلى الحجرة الخارجية ومن ثم خرج خارج مسكن الحوريّة، فلحقه القط يائساً وفكرة ملاقات الحوريّة فجأة ترعبه، ومن حسن حظه أنه استطاع الخروج قبيل إغلاق الباب على نفسه، وعندما خرج وجد نُوا أمام الباب حائراً يلتفت يمنة ويسرة وفي كل يدٍ من يديه قارورة زجاجية وهو يتساءل "أين نذهب"، قال القط في سرّه: (لا بد وأنني تورطت مع هذا الأحمق) ثم أضاف:
- الحق بي، سنختبئ كالجرذان، هناك مجموعة شجيرات صغيرة في الجوار ستحمينا من عيون المازّة، وأتمنى أن تفي بالغرض.
 - وبالفعل اتجها صوب مجموعة الشجيرات وتخفياً بينها، وكانت مناسبة للغرض المنشود منها، وعندما اطمأن نُوا للمكان سارع وفتح

القارورة الثانية فتصاعدت منها فقاعات هواء على هيئة ثوران بركان تمامًا كالقارورة الأولى. قال القط فزعًا:

- كدت تتسبب في فضح أمرنا.

- لا تقلق، الطريق خالٍ من المازة. (نُوا، مجيبًا).

أخرج نُوا محتوى القارورة وأخذ يقرأ بنهم، والقط بين الفضول لمعرفة تنمة مجربات ما قرأه نُوا، وبين قلقه من ردة فعل الحوريّة حال معرفتها لما يجري من خلفها.

قرأ نُوا بصوت خافت:

القارورة الثانية «ما بعد نُوا»

خرجت من المنتجع قاصدةً الذهاب إلى منزلي، كنت أشعر بسعادةٍ حديثة النكهة تجتاح براعم تذوق مشاعري، وكان وقوعي في شرك الحيرة هو أول ما حلّ بي عند خروجي من المنتجع! تساءلت: (أذهب إلى بيتي الذي ورثته عن إدواردو أم أن عليّ الذهاب إلى بيتي الذي عشت فيه مع تيري؟ لبيتني من زوجي السابق أم لبيتني من والدي غير الحقيقي؟) شرد ذهني للحظات ثم قلت: (بدأت تغزوني الحيرة مع أول خطوة في دربي الجديد! يا لها من بداية! يا لي من محظوظة).

نعم، بدوت كالأثرياء للمرة الأولى في حياتي ويا له من شعور رائع، لم أجد في نفسي أية طاقةٍ لأستنزفها على حيرتي باختياري لأحد المنزلين، لذا اتجهت للمنزل الأقرب وكان منزلي من تيري فسرت إليه.

دخلت المنزل واستغربت لما بدا بحجمٍ أوسع مما اعتادت عليه عيناى من قبل، وأخذت أتساءل إن كانت وحدثني «الجديدة» السبب في ذلك، أم أنها رؤية العين المُقيّمة لقيمة المنزل المادية، فالمنزلات منزلي، ملكًا لي لوحدي، لقد أعلمني موكل تيري أنه كتب كل ما يملكه

باسمي يوم زفافي، وأعلمني أيضًا أنه ما كان ليفعل ذلك لولا كونه على يقين تام بسعي إدواردو الجاد والحثيث لقتله. قال لي موكله: (رغم كل التجارة المشتركة الهائلة والمتنامية فيما بينهما لم يكن يثق به) لذا عمد لإفساد فرحته عليه في حال تمكنه من قتله، فلا يستطيع الاستئثار بالتجارة المشتركة بينهما لوحده خصوصًا لوجود تيري البعيد والمنعزل عن أهله منذ زمن طويل.

كما أنه أخبرني أن تيري كثيرًا ما كان يقول له مذعورًا: (عاجلاً أم آجلاً، سيتمكن هذا الوغد من قتلي)، وأخبرني أيضًا أن زواجي من المغدور ما كان إلا محاولة من تيري لتأجيل موعد تنفيذ إدواردو لخطة ... إدواردو! آه لو أتمكن من أن أريك كيف أن كل ممتلكاتك أنت أيضًا باتت في قبضتي.

وضعت حقيبتَيَّ في غرفة النوم وعاودت الخروج من المنزل، في الواقع لم أعد إلى لمنزل سوى من أجل هذا الأمر، كانتا تعيقان حركتي ليس إلا، كانت عودتي تلك مجرد محطة قصيرة للانتقال من المنتجع لمقهى الحياة حيث ما تبقى من حياتي «سارة». كان الطريق مزدحمًا بعض الشيء وهو ما زاد من شوقي تجاهها أكثر، أذكر أن شوقي هذا كان مؤلمًا لما في رحمي من غصة.

دخلت المقهى متعجّلة فاصطدمت بواقع وجود لانا وحيدة في الصالة دون أهلها والمقهى يضجّ ببعض الزبائن. كبرت لانا كثيرًا ولا أدري كيف لم أتبه لهذا الأمر من قبل! أكسبها طولها الفارع الذي امتازت به جاذبية إضافية لما منحها إياها وجهها الجميل، امتازت لانا عن قريناتها بخجلها وكثرة تبسمها، منذ نعومة أظافرها ووجتها تصطبغان بالحُمرة كلما سمعت مديحًا لجمالها أو لذكائها، نعم، منذ صغرها والذكاء بادٍ عليها، كانت تستوعب كل ما يجري من حولها بصمت وكأنها تعمّدت السرية منهجًا لها، أذكر أنها دائمًا ما كانت تفوز بكل المنافسات والمسابقات والرهانات.

ألقيت التحية عليها بينما قدّمت لي العزاء في زوجي وتمنّت لي الصبر على ما آل إليه حال والدي، حتى وقتها لم أكن قد علمت بعد ما آل إليه حاله، في أسوأ الأحوال لن يصل به الحال للإعدام فلا إعدامات في مجتمعنا .. ثم لم عليّ أن أقلق!
سألتها:

- أين سارة ووالدتك؟

أجابت:

- لقد أخذتا العم باولو لإجراء فحوصاته الدورية، لا تقلقي سيعودون في أي لحظة فقد خرجوا باكراً، سأعد لك كوب قهوة رائعاً، تفضلي بالجلوس.

جلست في مكاني المفضل لأنتظر سارة في المقام الأول وفي المقام الثاني لأنتظر كوب القهوة الموعود من قبل لانا، وكم تمنيت أن يكون ضمن المستوى المعهود من قبل الصغيرة الكبيرة، أخذ نظري جولته التفقدية المعتادة في المقهى وكان كل شيء على حاله إلا من رجل غريب لم أشهده من قبل، لا في المقهى ولا حتى في الحي، كان يقف خلف طاولة إعداد الطلبات يعدّ شيئاً ما، تساءلت في نفسي: (من هو هذا الرجل؟) إنها المرة الأولى التي أشاهد فيها أحداً ما خلف طاولة إعداد الطلبات سوى سارة وأمها وأحياناً قليلة الجميلة لانا!

- نُوا، اسمه نُوا، قدم إلى هنا منذ ستة أيام وطلب من أمي معاونتها في العمل في المقهى لفترة مؤقتة، وقبلت أمي بدورها على الفور دون تردد. لا تتعجبي من ذلك فلم يطلب أجراً لقاء عمله سوى كوب قهوة واحد يحتسيه في المساء قبيل رحيله، كما أنه اشترط بأن يعدّه هو بنفسه! وبالنسبة لأمي لم تجد داعياً لرفض عرض كمثل هذا العرض، «إنه عرض مثالي» بالضبط هذا ما عبّرت به أمي عن رأيها بشأن موضوعه، فاستشارت العم باولو فطلب لقاءه، ومن ثم وافق على أن

يلتحق بالعمل معنا في المقهى، فباشرُوا عمله الجديد،
وها هو كما ترين.

أجابتني لانا دون أن أسألها، أراحتني عناء السؤال وعناء تفسيره من
بعد طرحه، بدأنا بالنسبة لي مع أول نظرة رأيته فيها في نهاية عقد
الرابع، لاحقاً أكدت لي سارة بأنه أتم الرابعة والثلاثين قبل ثلاثة أيام من
يوم لقائي الأول به. بالمناسبة يصعب عليّ تحديد أعمار الرجال بشكل
أدق مما حددته، ولكن لا يهم.

نُوا حنطي البشرة، أقرب لصف أصحاب البشرة البيضاء، حليق
الذقن والشارب، شعره أشقر خفيف متوسط الطول، لا يصففه لا للأمام
ولا للخلف، بمعنى آخر إنه غير منتظم، ولكنه ضمن تناسق طبيعي جميل،
عيناه زرقاوان جميلتان كعيني وأنفه مدبب نوعاً ما، أسنانه ناصعة البياض
تصطف في ترتيب مثالي لا تشوبه شائبة سوى فكرة احتمال تعرضه
لعمليات تجميل لشدة مثاليته، ومع نتيجة كنتيجة اصطفاً أسنانه لا
مشكلة في التجميل ولا في عملياته بكل تأكيد.

لم أدقق النظر فيه كثيراً، فليس من عادتي التدقيق في وجوه البشر
إلى حد كبير، ولكم أن تعتبروا كل ما وصفته لكم الآن حصيلةً متوقعةً
لنظرتي الأولى تجاهه، أليس كذلك؟ ما ذنبي إن كانت نظرتي الأولى
طويلة ودقيقة بعض الشيء؟ ألا يشاركني الكثيرون رأيي؟ ولكنني
بالرغم من عدم تدقيقي في أمره لاحظت فيه ما يريب. ولاحقاً تأكدت
مما لاحظته.

لقد أثار مقدار انهماكه في عمله الاستغراب في نفسي، كان يبذل
تركيزاً عظيماً في إعداده لما يعده، كان وقتها يعد إحدى الوجبات الخفيفة
لأحد الزبائن، تساءلت في سرّي: (إنها مجرد وجبة بسيطة لا أكثر، أستحق
كل هذا الضمير!) للعلم فقط، يقدم مقهى الحياة وجبات مختلفة بالإضافة
لما يقدمه من المشروبات الساخنة والباردة وبعض الحلويات المميزة.
كان يرتدي قميصاً أبيض ناصع البياض بياقة منتصبة واسعة وكبيرة،

كَمَا قَمِيصَهُ مَطْوِيَانِ حَتَّى مَرْفَقِيهِ، أَفَلْتِ زَرَاهُ الْعُلُويَانِ مِنْ عَرَوْتِيهِمَا
فَتَشَرَّعْتَ لِذَلِكَ يَاقَتَهُ عَلَى مَصْرَاعِيهَا، وَأَظُنُّ أَنَّ جِدَّهُ الْمَبَالِغُ بِهِ فِي عَمَلِهِ
كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ. اعْتَلَى سَاعِدِيهِ شُعَيْرَاتُ قَصِيرَةٍ شَقْرَاءَ نَدِيَّةٍ بِعَرْقِهِ،
كَمْ تَعَجَبْتِ مِنْ مَقْدَارِ الْعَرَقِ الَّذِي تَجْمَعُ مِنْ كُلِّ أُنْحَاءٍ وَجْهَهُ لِيُغْوِصَ
فِي الْغِيَاظِ خَلْفَ يَاقَةِ ذَاكَ الْقَمِيصِ! لَا أُدْرِي أَكَانَ عَرْقُهُ جَرَاءَ قَرْبِهِ مِنْ
مَصْدَرِ النَّارِ الْمَخْصَصِ لِلطَّهْيِ أَمْ أَنَّ بَذْلَهُ الْوَفِيِّ لِعَمَلِهِ كَانَ الْمَسْبَبُ فِي
ذَلِكَ!

أَحْضَرْتِ لِأَنَا كُوبَ الْقَهْوَةِ خَاصَّتِي وَنَاوَلْتَنِي إِيَّاهُ، لَمْ أَتَّبِعْ لَهَا، فِي
الْوَاقِعِ لَمْ أَكُنْ لِأَتَّبِعْ لِأَيِّ أَحَدٍ فِي حَضْرَةِ ذَاكَ الرَّجُلِ وَلَا أُدْرِي لِمَ! يَبْتَئِثُ
لِأَنَا مَنِي فَوَضَعْتَ الْكُوبَ عَلَى الْمَائِدَةِ أَمَامِي وَجَلَسْتَ قِبَالَتِي، لِحِظَاتٍ
ثُمَّ تَبْتَهَيْتِ لَوْجُودِهَا فَشَكَرْتَهَا، ابْتَسَمْتَ ثُمَّ بَادَرْتَ فَسَأَلْتَنِي:

- كَيْفَ أَنْتِ الْآنَ؟

أَجَبْتُهَا:

- لَا عَلَيْكَ مَنِي .. أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ مَا قِصَّتُهُ؟ الْفَضُولُ
يَسْرِي فِي كُلِّ أُنْحَاءٍ جَسْمِي كَمَا وَكَأَنَّهُ اتَّحَدَ مَعَ دِمَائِي وَأَخَذَ
يَتَجَوَّلُ دَاخِلِي.

أَجَابْتَنِي بِبُرُودٍ:

- لَا أَعْلَمُ.

قَلْتُ فِي سَرِّي: (يَا لَهَا مِنْ بِلْهَاءٍ غَيْرِ مَدْرَكَةٍ، كَيْفَ لِبَشَرِي مَنَّا أَنْ
يَقِفَ غَيْرَ مَبَالٍ أَمَامَ غَمُوضِ كِهَذَا الْغَمُوضِ! تَرَى أَلَمْ يُخْلَقْ فِيهَا عُشْرًا مَا
خُلِقَ فِي نَفْسِي مِنَ الْفَضُولِ؟) وَأَثْنَاءَ تَسَاوُلَاتِي هَذِهِ ظَهَرَ الْجَمِيعُ، سَارَةٌ
وَأَمَّا يَسْنَدَانِ الْعَمِّ بَاوَلُو. بَادَرْتَ بِسُؤَالِ سَارَةٍ بَعْدَ التَّحِيَّةِ:

- أَخْبِرْنِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟

أَجَابَتْ:

- وَمَا لَكَ بِهِ؟ لَا أَعْلَمُ عَنْهُ شَيْئًا؟ (أَجَابَتْ بِاسْتَهْتَارٍ، وَأَشَاحَتْ
بِوَجْهِهَا).

كانت تمازحني، أعرف كيف تفعل ذلك، عاودت سؤالها بالاح
أكبر:

- أرجوك أخبريني بما تعلمينه عنه، تعلمين قصصي مع
الفضول.

أجابت بفوقية مصطنعة:

- كل ما أعرفه أن اسمه نُوا، وأنه فقد أسرته منذ قرابة شهرين
في حريق هائل أصاب منزله وأعتقد أنك تذكرينه، ألم تخبريني
أنتي به؟ نعم إنها أنت. كما أنني سمعته يقول للعم باولو بأنه
يعمل في مجال زخرفة اليخوت في معمل خاص يملكه، ورثه
قديمًا عن والده ويقدم لأصحاب اليخوت هذه الخدمة، وأظنه
ثريًا نوعًا ما.

انهالت عدّة تساؤلات على ذهني؛ ترى ما الذي يدفع بشري ما
لعمل في مهني وكأجير؟ وما الذي يدفعه لإهمال أجره لقاء تعبه؟ وما
الذي يدعوه للإخلاص في عمله إلى هذا الحد؟ قلت في نفسي: (عليّ
أن أثق أكثر بحدسي، ألم يخبرني حدسي بوجود ما يريب في أمره منذ
نظرتي الأولى التي صادفته فيها؟).

وعندها اتخذت قرارًا باكتشاف سره الغامض ولا أدري أكان الفراغ
في حياتي السبب في سعبي وراءه أم أنه هو «نُوا» لمجرد كونه نُوا
ذاك الشخص بذاك الوجه وبذاك الجدّ وتلك التعابير؟ وهكذا انتقلت
من حالة الحيرة التي انتابتني حال خروجي من المنتجع لحالة الفضول
التي اعترتني حال ملاقاتي للمدعو نُوا.

لم أنتظر كثيرًا يومها، كنت كمن لا تمتلك المزيد من الوقت، لذا
ذهبت إليه واصطنعت أول احتكاك فيما بيني وبينه، لذا قلت لسارة بصوت
مصطنع مسموع:

- لا بأس .. سأهتم بأمرني، عليك الاعتناء بالعم باولو.
نظرت لي سارة باستغراب فغمزتها بعيني اليمنى لتفهم ما خططت

له وابتعدت عنها قاصدةً الاقتراب منه، لمحتها بتبسم ويغالبها الضحك، وما إن وصلت عنده حتى سألته: (هل لك أن تعد لي مثل هذا الطبق؟) وأشرت لأحد الأطباق التي فرغ لتؤه من تحضيرها، في الواقع ما كان ليعنيني ماهية ما في ذلك الطبق فكل ما شغل بالي حينها هو مجرد الاحتكاك به.

نظر إلى عيني وابتسم قائلاً:

- بالتأكيد .. من دواعي سروري.

لم أشهد في حياتي ابتسامة كابتسامته قط، باختصار كانت ابتسامته ابتسامة مذهلة رغم حزنها، كم تساءلت حينها: كيف للجمال أن يتصور في ابتسامة واحدة؟ وكيف لقوة الجذب أن تُختزل في حركة بسيطة واحدة؟ كانت ابتسامته تلك نقطة تحوّل أصابت مفهومي عن الجمال، بات لي مفهوم خاص للجمال ما «قبل»، وآخر لما «بعد»، ما قبل وما بعد تلك الابتسامة الأسرة، وعلى مبدأ يشابه هذا المبدأ كتبت مذكراتي، «مذكراتي ما قبل نُوا» ووضعتها في زجاجة و«مذكراتي ما بعده» ووضعتها في زجاجة أخرى، فظهور نُوا بالنسبة لي أعظم نقطة تحوّل عملت عملها في حياتي.

تساءلت في نفسي: (هل هذه حقًا مصادفة؟ هل حقًا صادف أن يُكتب للملاك الظهور في حياتي من بعد خروج الشيطان منها؟ تبًا له من خروج متأخر). لقد قال لي: «بالأكيد .. من دواعي سروري»، قالها بصوت رقيق منخفض، تمامًا كمن يسرّ بأمر ما، ثم انطلق في تحضير طلبتي كمن يحقق أمنيةً لمحبوته.

سمح لي موقعي المطل على جبهة تحضير الأطباق التدقيق في تقاسيم وجهه الجادة، كان كالمحارب يحارب على كل الجبهات ساعيًا لتوفير الوقت عليّ، ترى من شكا له ضياع وقتي؟ إنه العُرف أليس كذلك؟ تبًا له من عرف جاهل لمقاصد القلوب. لم يكن نُوا يعلم أنني كنت على أهبة الاستعداد لبذل الوقت كل الوقت، والمال أيضًا، من أجل بقائي

في موضعي المطل بالقرب منه، ليته كان يعلم.
كانت قطرات عرقه تتكاثر على جبينه تبعاً بتسارع مثير، وتأخذ أحجامها بالنمو تدريجياً ببطء وتبقى هكذا على حالها إلى أن تتأكل إحداها إبان ما آل إليه حجمها أكثر مما تحتمل، فتقتلع أوتادها عن جبينه الجاد يائسة من محاولاتها بالصمود أكثر على منبعها، فتساب بروح مقاومةً للانسحاب وتبدأ الرحيل على مهل وتسحب أثناء انسيابها من جاورها من القطرات الأصغر حجمًا والأكثر صمودًا وثباتًا، فتشكّل معًا، رغمًا عنها، جدولاً صغيراً قانطاً يستعجل الرحيل تدريجياً ليتحد مع جدول آخر وآخر ليصنبا معاً في مصب نهرهم المخفي خلف غياهب ما يرتديه من القميص.

لم يكرر نظرتة اليتيمة إليّ، واكتفى بنظرة واحدة إلى أن انتهى من إعداده لطبقي، ناولني إياه بابتسامة جديدة، مكرراً بها ابتسامته الأولى، وهي ما لا يملّ من مثلها أحد، وقال لي:
- إنه جاهز، أتمنى أن يعجبكِ الطبق.

رددت له الابتسامة وأملت برأسي صوب اليسار قليلاً وقلت له:
- شكراً، سيعجبني بكل تأكيد، شكراً جزيلاً لك.
أخذت طبقي وسارعت بالجلوس أمام أقرب مائدة منه، متخذةً من دائرة نطاق عمله مجالاً لبصري ليتمكن من الإبحار فيه، من حسن حظي أنها كانت شاغرة، تناولت طبقي بنهم وأنا أتفحصه، لم أع ما كان في طبقي ولكنني حافظت على أعلى درجات وعيي لمدى جودته، كان كل تفكيري ينصبّ وقتها حول الطريقة التي سأعود فيها الاحتكاك به. بالتأكيد لن أطلب منه طبقاً آخر فلست بحاجة لأية سمعةٍ سيئةٍ مسبقة العرض.

انهيت طبقي بسرعة أكبر مما تمنيت ولا أدري أكان ذلك لجودة طعمه أم لهيأته أم يا ترى لانشغالي بالتفكير بكيفية إنشاء حوار مع معدّه! أخذت أفكر وأفكر، للأسف خانني تفكيري ولم أتوصل لأي نتيجة تذكر،

حملت الطبق الفارغ بائسةً ووضعتَه في المكان المخصص للأطباق
المتسخة واتجهت لإرادياً إلى الخارج وسط ذهول ومفاجأة سارة لفعلي
ولرودة فعلي - هي من أخبرتني بذلك لاحقاً، كما أنها أخبرتني بأنني ما
كنت لأطيق تذوق الطبق الذي التهمته حينها بنهم - وعندما أمسكت
مقبض باب المقهى لأدفعه للخارج وجدتها، نعم وجدتها، وجدت
الفكرة التي ستضمن لي لقاءه عدة مرات، كم سررت بذكائي في تلك
اللحظة، عدت إليه وقلت له:

- أستمحك عذراً، هل حقاً تعمل في مجال زخرفة الينخوت؟
سمعت من سارة أنك تفعل ذلك، أليس كذلك؟ أملك يخنًا،
أقصد أنني أريد أن ابتاع واحداً وأتمنى منك أن تزخرفه لي، ولا
تقلق بخصوص الوقت فلست على استعجال بتاتاً، ولا تقلق
بخصوص المال فإنني أملك ما يكفي من أجله، ما رأيك؟
نظر نوا إلى سارة وابتسم - أعلم أنني افتضحت أمر تجسسها
على لقاءه بالعم باولو ولكن لا بأس، أجزم أنها كرهتني في تلك اللحظة
- ثم نظر لي وقال:

- يقع معلمي على الشاطئ تماماً، عنوانه سهل للغاية لا يضيع من
يقصده، إنه أقرب مبنى للمنارة البيضاء القديمة جهة الشرق،
أكون هناك مساء كل يوم، بإمكانك المرور عليّ مساء أي يوم
تشائين.

أجبتُه:

- حسناً اتفقنا .. لا، لا أستطيع مساءً، ألا يمكنك في الصباح؟ ..
أو الصباح الباكر مثلاً؟

كان مني أن تأقلمت مع حالة نومي الغريبة التي تصيبني يوميًا منذ
ولادتي ولذا لم أعان منها، ولكن فجأة وعلى أهون سبب عوضت عليّ
تلك اللحظة كل ما فاتني من معاناة بل وأضافت عليها الكثير من الألم.
أجاب:

- اعتذر منك فكما ترين إنني أعمل هنا صباحًا، وإن كنت تودين بإمكانني أن أرسلك إلى صديقٍ ماهرٍ يستطيع أن يؤدي مثلي وأكثر، وبإمكانك زيارته في أي وقت تشائين.
أجيبته:

- حسنًا سأنظر في الأمر، شكرًا لك.
رحلت بعدما شكرته، قلت في نفسي أثناء خروجي من مقهى الحياة: (سأكتفي «مبدئيًا» برؤيتك هنا)، وعدت إلى منزلي وجلست وحيدة أفكر في ما آلت إليه حياتي وبما سأشغل به وقتي ولكن دون أن أحصل على أية نتيجة تذكر، كانت حياتي فارغة والفراغ قاتل كما تعلمون، لم أجد ما أنشغل به سوى الغموض الذي يكتنف المدعو نُوا، كثيرًا ما تساءلت في نفسي: ما لي وله، وأجيبها بعد تفكير عميق «بسبب فراغي» للأسف.

ومرت بضعة أيام تشابهت كثيرًا مع أيام حياتي السابقة قبيل مقتل إدواردو واعتراف والدي بقتله وقتل زميله رامزي من قبله وتبئيه الكاذب لحادثة دهن خطيبته المسكينة صوفي، زرت فيها مقهى الحياة بشكل يومي أحدث سارة في أوقات فراغها القليلة وأتسامر مع العم باولو بعض الوقت وأساعد العمّة جينيفر بما أمكن، وأضفت لهذه الطقوس طقس مراقبة العامل الجديد «نُوا» ويا لها من إضافة مرهقة للبال والفكر والقلب، نعم القلب!

كما أنني عدت للعمل في المرصد بعد انقضاء أسبوعي الإجازة وكم سررت لذلك، أحببت العمل أكثر بكثير من ذي قبل، وبات العمل هو شغفي الجديد ولا أدري قد يكون ذلك لتفرغي الكامل له، فبسببه بدأت أملأ يومي قليلًا، شعرت أن غيمة الفراغ أخذت بالانقشاع أخيرًا، ومع عودتي إلى العمل بات يومي محصورًا ما بين المرصد والمقهى والنوم.

وفي أحد الأيام بينما عرّجت كعادتي على المقهى وبينما كنت

أمارس روتيني اليومي بتبادل الأحاديث والأخبار وتشارك الضحكات مع الجميع تنبّهت لعدم وجود نُوا، سألت سارة عنه وتبين لي أنه ترك العمل في المقهى مساء أمس ذاك اليوم، قالت لي سارة إنه تركهم بدون سبب، توجه إلى العمّة وقال لها بشكل مفاجئ: (أستميحك عذراً، سأترك العمل ابتداءً من الغد، أن الأوان لأخوض مغامرة جديدة، شكراً لكم على هذه الفرصة الجميلة). لقد رحل! قدم بغموض ورحل بغموض أكبر .. أكبر بكثير.

لم يزعجني أمر رحيله على الإطلاق بل فرحت به، قلت في نفسي: (بات نُوا حراً طليقاً بعد ترك العمل في المقهى وبإمكانه الآن العمل على زخرفة يختي، اليخت الذي سأبتاعه من أجل ذلك، فلأبدأ بالعمل)، وبالفعل لم أنتظر كثيراً فذهبت في اليوم التالي بعد انتهائي من عملي في المرصد إلى معمله مباشرة، في الواقع ما كنت لأفوت الذهاب إليه مباشرة بسبب النوم العائق بيننا.

بالفعل ذهبت في اليوم التالي ووجدت المعمل بسهولة، كان في المكان الذي وصفه لي بالضبط "أقرب مبنى للمنارة البيضاء القديمة إلى جهة الشرق" عبارة حفظتها عن ظهر قلب، كُتبت على لوحة خشبية تشير إلى المعمل بخط مذهب فاتن يشي بقدمها عبارة "معمل آدم لفن زخرفة اليخوت".

ثم وجدت نُوا بسهولة أكبر من سهولة عثوري على معمله، كان يجلس على مقعد خشبي بجانب مدخل المعمل مشابه لمقاعد الحدائق ولكن يفوقها جمالاً بمراحل كثيرة لما فيه من زخارف، كان خلفه نافذة زجاجية كبيرة وكانت أمامه قطعة خشبية متوسطة الحجم يبدو أنه بدأ بالنحت في أحد أطرافها منذ زمن، كان أشعث وأغبر وكان يرتدي ملابس خاصة بعمله، اقتربت منه وألقيت عليه التحية، نظر إليّ بطرف عينه المدققة في عمله ثم نهض عن مقعده مبتسماً وسحب أثناء ذلك عوداً خشبياً صغيراً كان في فمه وألقاه أرضاً ثم ردّ عليّ التحية وقال:

- عذراً على حالتي الرديئة، لم أتوقع قدوم أي زائرة في مثل هذا الموعد.

أجبتة:

- لا عليك .. وما ستوقع زائرة المعمل أن ترى؟

ثم أضفت:

- آدم .. والدك؟

أجاب:

- منذ زمن طويل.

اعتذرت له فقال لي:

- لا بأس.

سألته:

- هل تتذكرني؟

أجاب:

- بالتأكيد.

سألته:

- هل تعلم ما جاء بي إليك؟

أجاب مبتسماً:

- زخرفة يختك الذي لم تمتلكيه بعد، أليس كذلك؟

أجبتة وفي قلبي غير ما أجبتة به:

- بالضبط.

ترى لم كذبت عليه؟ .. «بالضبط» يا لها من إجابة كاذبة، لم يكن ليخت أية أهمية تذكر سوى كونه وسيلة مؤقتة أتواصل بها معه لا أكثر. تنحى جانباً مُفسحاً لي المجال لأجلس على المقعد بجانبه، فجلست بكل سرور وبدأ يستفسر مني عن تخيلاتني وتطلعاتي لزخرفة يختي بالتفصيل الممل.

في الواقع كنت قد أعددت العدة جيداً للقائنا الأول «خارج المقهى»

ولكنها كانت عدّة مختلفة عمّا كان يجب عليّ أن أفعل، فكل ما جال بذهني حينها إمكانية حصولي على إجابات عن استفساراتي التي أعدتها من أجله، لم تكن كثيرة؛ كنت سأسأله عن سبب تركه للمقهى وعن سبب التحاقه بالعمل فيه من الأصل وعن سبب انهماكه وجدّيته في عمله هناك، كما أنني كنت سأسأله عن نفسه وعن ماضيه وعن حاضره وعن كل ما يخصه.

أما هو ففاجأني باستفساراته رغم كونها متوقعة. فبدأ بالاستفسار عن نوع الخشب الذي أفضله ليشكّل به الزخارف، ولجهلي المطلق بأنواعها خيّرني بما يستخدمه في معمله، خيّرني ما بين أخشاب الزان والأبنوس والماهو جنبي والبلوط والزيتون والجوز، وعرض عليّ نماذج عن كل منها، ثم استفسر عن طراز الحفر الذي أفضله، وعندما استشعر جهلي «مرة أخرى» بخصوص هذا الشأن، خيّرني من جديد ولكن هذه المرة ما بين الطراز القيصري والطراز العربي والفارسي والأندلسي، وعرض عليّ نماذج عن كل منها، ولم يكتف بذلك فاستفسر عن نوع الحفر الذي جئت لأجده ولكنه اختصر على نفسه الطريق تلك المرة ووضح لي الاختلافات ما بين الحفر البارز والمفرغ والغائر والمجسم.

لم أكن أعلم من قبل أن الحفر على الخشب يعد فنّاً وله أهله من ذوي المهوبة والاختصاص والخبرة، أعلمني نُوا أن هذا الفن يسمى «الأويمة» وأنه يهدف لتحويل القطع الخشبية الجامدة إلى قطع أنيقة خلاصة نابضة بالحياة، وأعلمني أنه من أقدم الفنون الجميلة في التاريخ، وأن الإنسان بدأ به منذ العصور القديمة، وكم أعجبت بما للأويمة من أدوات كالمطرقة الخشبية والأزاميل بكافة مقاساتها والملتوتة، والبرينو والخشخان والصفرة والسكين الياباني، والمبرد والمقشطة وأدوات التنعيم وغيرها العديد العديد.

وهكذا بات فن الأويمة باكورة أحاديثنا المشتركة وبات لقاؤنا ذاك

المقدمة العريضة للقاء اتنا المتعددة التي تلت. باتت زخرفة يختي الشماعة المثالية التي تتسع برحابة لكل ما أعلق عليها من حجج واهية لملاقاته والتحدث إليه.

وبقيت على حالتي تلك، تواقّة للقياه، أجتهد كي أجد سبباً ما فأزوره متعذرةً به كي أراه، أو أجتهد لأختلق ملاحظة تخص ذوقي فأهاتفه لأبلغه فيها، وكم بدّلت في عمله وكم عدّلت! وكم تحمّلتني! كثيراً ما كان يقول لي بأسى: (إن التعديل في العمل المُنجز وإن صَغُرَ أفسى بكثير من إعادته من الصفر! صدقيني إنه أفسى بكثير)، وما كنت لأحزن عليه فبعذابه ذاك استمرارية لسعادتي بالالتقاء به والظفر بوجوده في حياتي، لذا تعمّدت تعويضه بالمال بسخاء لأستحلب كل ما في جعبته من الصبر، ولأطرد كل ما ييدر منه من الملل والسخط، ولكن الحق يُقال لم أجد في حياتي رجلاً مستسلماً مثله!

وفي إحدى الليالي الربيعية حلمت بحلم غريباً، في واقع الأمر وجدته غريب لكوني اعتدت طوال حياتي الحلم بأحلام تتعلق إما بالأزياء الغريبة أو الغوص والسباحة والرحلات المائية، أو بقيعان البحار والأحياء البحرية وما شابه ذلك، ولكن في تلك الليلة شاهدت في منامي ما خالف ذلك تماماً، إذ حلمت ليلتها باقتراب حلول ظاهرة فلكية غريبة تمر للمرة الأولى على كوكبنا. كما حلمت بالكثير من المحادثات والمناقشات عن سطوع القمر العملاق برفقة زخات شهب كثيفة وعنيفة لدرجة غير مسبوقة، كان الحلم جميلاً للغاية وأجمل ما كان فيه ما تركه في نفسي من أثر من رفع شأن مجال عملي، ما زلت أذكر كيف وجدت نفسي مرهقةً عندما صحوت منه، بدا لي الحلم وكأنه حقيقي تماماً.

إنني أعلم تماماً بحكم عملي في المرصد أن القمر العملاق ظاهرة تظهر للعيان بشكل دوري، وهو ما يطلق على البدر عندما يتزامن مع وصوله إلى أقرب نقطة من الأرض ضمن مداره الإهليلجي، ما يجعله يبدو أكبر حجماً مما اعتاد عليه البشر، حيث يكون أكبر حجماً بنسبة 14٪

حسب ما يظهر للعيان، وأكثر إشراقاً بنسبة 30٪ من حالته وهو في أبعد نقطة ضمن مداره حول الأرض. أما زخة الشهب أو ما يسمونه الانهمار النيزكي أو عاصفة الشهب فهي حدث فلكي يلاحظ فيه عدد من الشهب قد تصل لأكثر من ألف شهاب في الساعة الواحدة، منطلقة في السماء بسبب دخول النيازك إلى الغلاف كوكبنا الجوي بسرعات مرتفعة جداً وفي مسارات متوازية نوعاً ما.

وأغرب ما في الأمر أنني اكتشفت في صباح اليوم التالي لتلك الليلة أن مرصدنا مزدحم بالعديد من البشر في الخارج، وعندما استفسرت عن الموضوع تبين لي أن مرصد العاصمة رصد حالة فلكية غريبة ستصيب سماء الأرض مساء يوم الإثنين التالي لذلك اليوم - أي بعد خمسة أيام من يوم حلمي - وعندما أخبروني عنها بالتفصيل تبين لي أنها تشابه كثيراً الحالة التي شاهدها وعاشتها في منامي.

وما زاد الأمر غرابة تنبؤ المنجمين والعرافين والدجالين ومن على شاكلتهم بنهاية العالم في تلك الليلة، وأن الظاهرة هذه ستؤدي لحدوث فيضانات غير مسبوقة وأنها ستؤدي أيضاً إلى زلازل فتاكة تفوق بدرجة كبيرة زلزال فالديفيا (زلزال تشيلي العظيم) من ناحية القوة وأكثر فتكاً بكثير من زلزال شانشي (زلزال محافظة هاو الصينية)، ولهذا كثرت الدعوات لتحث الناس على كتابة مذكراتهم من باب محاسبة النفس من جهة، ومراجعتها من جهة أخرى، ولكن دون بذل الجهد في توجيهها لأي أحد ليقراها، فالنهاية ستطال جميع سكان الكوكب، هكذا قالوا!

لم يعن الأمر لي شيئاً فمن الواضح أن القضية كلها قضية إعلام يود أن يحرك الناس بخفاء للانفعال في أمور تعود عليه بالنفع المادي من جراء الإعلانات المتعلقة بنسب مشاهدة البرامج التي تدور مواضعها حول النهايات وما بعد الموت وما شابه ذلك. ولكن أعجبتني فكرة نُوا المتعلقة بالموضوع إذ قال لي: (وما الضير في أن يكتب الإنسان عن نفسه

ما يشاء؟ إن الظاهرة الفلكية هذه فرصة للبدء في ذلك)، ولذلك، من أجله فقط قررت أن أكتب هذه الصفحات، وكما كتبت من قبل فبسبب وجوده في حياتي وضعتها في قارورتين اثنتين واحدة تعبر عما قبله وواحدة عما بعده، «قبل نُوا» و«بعد نُوا» وشتان ما بينهما.

وفي مساء يوم الاثنين الموافق لنهاية العالم المزعومة حاولت جاهدة وعملت المستحيل كي أتمكن من السهر ومشاهدة الظاهرة الفلكية الغريبة ولكن عبثاً! خسرت معركتي مع النوم حتى من قبل أن أبدأ فيها فنمت كعادتي في موعد نومي بعمق، ولكنني استيقظت صباح اليوم التالي مصدومة، فقد حلمت بالظاهرة الفلكية! نعم، حلمت بالقمر العملاق وهو يتوسط السماء بينما تنهمر من حوله أمطار كثيفة من الشهب في مشهد مخيف، كان الحلم في منتهى الجمال رغم ما بثّه في نفسي من رعب مُطبق، ما زلت أذكر كيف أنني وجدت نفسي أرْتجف عندما صحوت منه، الغريب في الأمر أن الحلم بدالي وكأنه حقيقي تماماً.

وفور استيقاظي أخذت أتابع ما يبثه التلفاز من التغطية الإعلامية الخاصة بالظاهرة الفلكية الغريبة. بدأت بالمحطة الوطنية وللوهلة الأولى شعرت بكونها تعرض مادة مفبركة، لا لشيء سوى لكونها مطابقة لما راودني في منامي، ثم تنقلت من محطة لأخرى باحثاً عن حقيقة ما حدث، ويا للمفاجأة التي واجهتني! كانت الظاهرة الفلكية بالفعل تماماً كما حلمت ليلتها! وكم أثار ذلك التساؤلات في ذهني! أصابني صداع مُستحکم واستمر لفترة من الوقت، أذكر أنني صرخت بملء صوتي عجزاً وألماً عشرات المرات، ومن حسن حظي أن منزلي كان فارغاً «كما هو دائماً».

خفت وطأة صداعي على مهل إلى أن اختفى تماماً، وكم استغرق ذلك من الوقت! ومع اختفائه بدأت تظهر أمامي صلات ربط غريبة وعجيبة ربطت ما بين حالة نومي الفريدة والأحلام الغريبة التي تراودني

أثناءها كل ليلة، خصوصًا لوجود تسلسل أحداثٍ للأحلام بشكلٍ منطقيٍّ نوعًا ما رغم غرابة فكرتها.

فعلى سبيل المثال ألا توجد صلة ما بين عدد ساعات نومي الطويلة بما فيها من الأحلام واستيقاظي اليومي بحالة إنهاك مزرية؟ ثم ألا يوجد مبرر لتوقي المضاعف للأمومة وعشقي المكنون للسماء والبحر وساكنيهما من الطيور والأسماك وحيي للقطط وكرهي للكلاب؟ ألا يوجد مبرر لكون هواياتي محصورة ما بين السباحة وتصميم الأزياء الغريبة والحلم بالطيران والتحليق في السماء والتمكن من القتال بشتى الأسلحة القديمة، وكذلك حبي لتناول الأعشاب وتحريمي للسحر وحيي لعلم الفلك واعتقادي بقدرتي على التحدث مع الأسماك، كل هذه ألا يوجد مبرر لها؟

ومنذ ذاك اليوم أخذت تتضاعف الروابط بين نهاري وليلي وتضاعف لذلك اندهاشي منها، بت أنام مذهولة واستيقظ مذهولة أكثر، وبقيت على هذه الحالة إلى أن وصلت لاستنتاج مجنون، استنتاج لا يصدقه عاقل ولا ينطق به سوى معتوه، ولكنني احتجت لإجراء تجربة صغيرة قبل أن أتيقن منه فأتبناه، فما كان مني إلا أن أخذت قارورة زجاجية وملاؤها بزهور مجففة صغيرة وأحكمت إغلاقها وحملتها معي إلى الشاطئ ودفتها في أبعد نقطة ينسحب إليها جزر موجات البحر وحددت مكانها استنادًا لصخرة مميزة غريبة الهيئة، وعدت إلى منزلي واستغرقت في النوم.

وفي صباح اليوم التالي، ذهبت إلى الشاطئ أول ما نهضت من نومي واللهفة تملكني لمعرفة ما جرى لقارورتي، أذكر أن الطريق أخذ مني أكثر مما يستحق من الوقت وأظن ذلك يعود لأسباب نفسية من أهمها القلق من مجابهة اليقين أو الاصطدام بالفشل والعودة إلى الواقع. وصلت إلى الشاطئ وهرعت نحو القارورة بشغف، وما أن وصلت إليها حتى تيقنت من واقعية ظنوني المجنونة، لم أجد الزهور المجففة في

القارورة، ووجدت عوضًا عنها أصداف محار صغيرة ملونة بألوان رائعة ونادرة.

لوهلة خطر على بالي أنه قد يكون هناك من يمازحني، لذا عاودت التجربة من جديد ودفنت قارورتي في مكان جديد، ولكنني في هذه المرة وضعت فيها بعض اللآلئ الصناعية وغادرت المكان مع اجتهادي قدر الإمكان على التأكد من خلو الوسط المحيط بي من المازة، ساعيةً لضمان أكبر بعدم عبث أيّ كان بالقارورة. وفي صباح اليوم التالي عدت إليها ووجدتها ما تزال في مكانها ولكن استبدلت لآلئها بحصى أملس بعدة ألوان وأحجام وشكلها مألوف بالنسبة إليّ نوعًا ما!

ولم أتنبه إلى أن انشغالي في أمور تجاربي مع دفن قواريري الزجاجية قد أخذني عن حياتي إلا مؤخرًا، فلم يعد يعينني عملي في المرصد ولا ذهابي لزيارة سارة في مقهاها ولا حتى لقاءاتي المتكررة بنُوا في معمله، كان كل ما يعينني هو ملامستي للروابط المتنامية بين نهاري وليلي. ولولا انتهاء نُوا من يختي لما تنبّهت، ففي أحد الأيام التي مررت فيها عليه في معمله بهدف زيارته، فاجأني بإنهائه لزخرفة يختي وأنه آن الأوان لأقوم باستلامه.

ارتبكت حينها ولم أعرف ما عليّ فعله، أراحني نُوا مما حل بي وأخذني في جولة حول يختي وشرح لي بإسهاب عن كل ما قام به، كان اليخت تحفة حقيقية أخجل شخصيًا من أن أقوم بتسعيرها برقم ماديّ، لم أكن أحلم في حياتي قط بأنني سأمتلك مثل ذلك اليخت وبمثل تلك الزخرفة، حقًا شكرًا لكما عزيزاي تيري وإدواردو، شكرًا لكما.

عرضت عليه عندما انتهينا من جولته التعريفية حول التحفة التي صنعها الذهاب إلى الحديقة العامة المقابلة لمعمله لأشكره ولتتجاذب فيها بعض أطراف الحديث بينما يقوم أحد رجاله بنقل يختي المزخرف إلى الرصيف المخصص لركن اليخوت، وافق نُوا على فكرة الحديقة دون تردد، أظن أن إرهاقه الذي بدا عليه واضحًا وقتها المسبب الأبرز

لموافقته، كان الجو باردًا لدرجة أنها لم تكن متوقعة من كلينا، قلت في نفسي: (برودة معقولة ولكن لا مجال للتراجع) ، ولحسن حظي أنني من شدة ارتباكي بحضرته نسيت معطفي في معمله.

وبالرغم من مساحة الحديقة الشاسعة احترنا في اختيار أنسب مكان نجلس فيه، كانت الحديقة مكتظة بالبشر. مللنا الحيرة، بالأحرى مللت أنا منها، أتساءل كم يدفع المرء من وقته في سبيل الحيرة! أليس الكثير؟ وبشكل مباشر قررت عنيّ وعنه واخترت مكانًا بشكل عشوائيّ قائله له: «دعنا نجلس هنا، على العشب، فلنستغل الوقت بشكل أفضل». (وأشرت إلى بقعة أرض مكسوة بالعشب) ولم يمانع، بالطبع لم يمانع، على فكرة لم أشهد نُوا يمانع قط أثناء فترة معرفتي به!

جلسنا معًا، ومع مرور الوقت بدأ البرد يزداد، لاحظ نُوا ذلك وعرض عليّ معطفه الخفيف - خفيف ولكنه يفي بالغرض - فرفضته متعذرةً بخوفي من إصابته بالبرد، فاستنتج من سبب رفضي موافقتي الخفية على عرضه فأعصرّ، ومن منّا من ترفض كرم الرجال؟ فأخذت معطفه متظاهرةً بكون قبولي على مضض، أما هو فتظاهر بكونه على الإطلاق لا يشعر بالبرد.

وبعد مرور بضع دقائق دنت منّا فتاة صغيرة، كانت سمراء تربط رأسها بعصابة ويشكل شعرها «الأشقر» جديلةً هزيلةً فقيرة الحال، كانت تحمل في إحدى يديها معطفًا وفي يدها الثانية حقيبة أضخم من أن تحملها فتاة في عمرها.

قالت:

- أتشترون معطفًا؟

سألتها:

- كم ثمنه؟

أجابت:

- ثلاثون.

أجبت:

- ثمّنه مرتفع!

تابعت:

- لديّ منه مجموعة ألوان ...

لم تستوعب الصغيرة رفضي معاطفها لأن أثمانها باهظة. كانت تتوق لموافقتي، ومن شدة توقها لذلك توقعتها، ولتوقعها تخيلتها، بل وصدّقتها وتابعت على إثر ذلك تلاوة عرضها التجاري بقولها «لديّ منه مجموعة ألوان»، احتاجت عدّة لحظات لتستوعب رفضي. وبعدها ابتسمت الفتاة بلطف ورحلت، رحلت تلك الفتاة بكبرياء وأنفة، وفي تلك اللقطة امتزجت أمام أعيننا - أنا ونُـوا - الطفولة بالعظمة، كانت فتاة عظيمة بحق، لم تبيكِ منها عيناها ولكن أجزم أن قلبها بكى، أيعقل أن قلبها لم يبكي؟ على الأقل بكى برحيلها قلبي أنا، صمتت وتضامن نُـوا معي في الصمت لفترة.

تساءلت في نفسي: (ثلاثون .. فقط! ثمناً لمعطف أحاجه! ألم أدفع في طريقي ثلاثة أضعاف هذا المبلغ التافه على أمور أنفه منه! أتكون أموالني الجديدة سبباً في إعطاب قلبي؟) لمحت في عيني نُـوا عتاباً خجولاً، ما كان ينقص قلبي وقتها سوى عتابه.
قلت له:

- سأذهب خلف تلك الفتاة وأبتاع منها معطفاً.

أجاب:

- لا، سأذهب أنا، ابق في مكانك.

كان سببنا منها معطفاً من أجلي لولا أنه خشي من شعوره بالهرج أمامي لتظايره بعدم تأثره بالطقس، وبالتالي سيتسبب بإحراجي فأنا من سلبت منه معطفه. انطلق يبحث عنها، أخذ يركض في الاتجاه الذي رحلت فيه يبحث وسط زحام البشر، حاولت بعينيّ تقفي أثره قدر المستطاع إلى أن اختفى من أمامي، أغمضت عينيّ وأخذت أمسد كميّ

معطفه، في الواقع لقد تلذذت لفكرتين؛ لفكرة تبرعه بمعطفه لي، ولفكرة وجوده يقوم عني بأمر ما؛ أمر البحث عن الفتاة، فابتسمت وبقيت على حالي مبتسمة إلى أن عاد حاملاً معه معطفاً أسود قدمه لي وقال:

- كانت الصغيرة تائهة الوجدان بعقل عاجز وسط الزحام، ناديت عليها: «لو تفضّلتِ» عدة مرات من دون جدوى، لم تكن لتتخيل أن تعيش يوماً يسألها فيه أحداً ما من فضلها، نظرت إليّ نظرة قلقة أربكتني، ترافقت بابتسامة برزت كسلاح يُقصد به إفشاء حقيقة وجود شجاعة لا يُستهان بها كامنّة خلف نظرتها، أعطيتها النقود وطلبت منها معطفاً أسود، فابتسمت ابتسامة حقيقية وتلت من جديد عرضها عليّ بقولها: «لديّ منه مجموعة ألوان»، واخترت لك الأسود لما يقولون عنه إنه ملك الألوان.

ابتسمت لُنوا وارتديت المعطف الجديد وأعدت له معطفه خجلةً منه، وفرحت بدوري بنهاية تلك القصة وارتاحت ضمائرنا بعض الشيء بفضل إنقاذ نُوا للموقف وبات بإمكاننا استئناف جلستنا ولكن!

ظهرت أمامنا - في الواقع ظهرت أمامي أنا، أما نُوا أو بالأحرى الرجال بشكل عام لا يابهون بما حولهم كما تأبه النساء - فتاة أخرى بنفس عمر بائعة المعاطف، ولا أدري كيف أستيقظت فيّ مشاعر الأمومة حال رؤيتي لحالها لتبلغني بأن أمامي طفلة صغيرة تائهة بشكل ما، لم أكذب مشاعري فاقتربت منها مباشرةً لأسألها إن كانت تائهة بالفعل أم لا، فأجابتنني شاكراً بالنفي، لم أصدقها، كانت تكذب بشكل بيّن، كان كل ما فيها يخبر بكذبها صارخاً "نحن تائهون .. أنقذونا". كانت ترتجف بشدة خوف لا برداً، جزمت من تلقاء نفسي بأنه خوفاً، لحقتها وأعدت عليها السؤال فأعدت عليّ ذات الجواب ورحلت "لا لست تائهة"، لحقتها فتكرّر المشهد ذاته عدة مرات، قلت في نفسي: (لن أتركها أبداً)، وبينما كنت ألاحقها كان نُوا يتابع مجريات مطاردتي لها عن بعد، وأثناء ذلك وبالتحديد في اللحظة التي تلاقت فيها عيناها مع عينيه تساءلت في سري:

(ألا يمتلك الرجال في قلوبهم عُشرَ ما تمتلكه قلوب النساء؟).

تابعت سيرها وتابعت ملاحظتها إلى أن استسلمت واعترفت لي بأنها تائهة عن عائلتها، طلبت منها التوجه معي إلى مركبة الأمن المتواجدة بالقرب من مدخل الحديقة فرفضت وبعد محاولات عديدة وافقت فاتجهنا مسرعين إلى البوابة، كانت تُدعى علياء، وكانت تتحدث لغتنا بطلاقة رغم كونها سائحة قادمة لمدينتنا برفقة والديها وأخويها الصغار، أخبرتني أنهم قدموا لمدينتنا من مكان بعيد للغاية عنّا. كم تلفت انتباهي فكرة قدوم مثل هؤلاء السياح من أقاصي البلاد لزيارة مدينتنا، وها أنا أسكنها ولم يخطر على بالي قط الخروج منها!

أخبرت رجل الأمن بالموضوع فشكرني وقال لي إن بإمكانني المغادرة وإن الفتاة بأمان معه، ولكنني بالطبع رفضت عرضه، ظننته أحمق لطلبه مني ذلك ولكنني تأكدت من حماقته بالفعل عندما سأل الصغيرة ضاحكًا:

– أمات والدك؟

أجابته الصغيرة بالنفي ولكنه أعاد سؤاله عليها مرةً أخرى، ولا أدري أكان الهدف من ذلك إعادة تأكيده على حماقته أم ماذا؟ كم كرهت جنس الرجال بسبب ذلك الأحمق! حثثته على الإسراع في الإعلان عن العثور عليها، وبعد جهدي الجهد نادى على اسمها في مُكبر الصوت الإلكتروني الموجود في مركبته، وكرر نداءه ثلاث مرات، مرت بضع دقائق طويلة على ذوي القلوب الجزعة – قلبي وقلب الصغيرة وقلوب ذويها بكل تأكيد – ظهر بعدها طفلان صغيران يصغران الطفلة التائهة ببضعة أعوام وتفاجأ بوجود علياء رفقتنا فركضت الصغيرة واحتضنتهما وابتعد ثلاثتهم عنّا، عني وعن نُسوا وعن رجل الأمن الأحمق، كان نُسوا الأكثر سعادة بين الجميع لانتهاء القصة أخيرًا على خير بينما زادت مع تلك النهاية الغريبة مخاوفي، لذا سارعت وانطلقت من خلفهم ولحقت بهم وسألتهما:

- من ذان الصغيران؟

أجابت:

- إنهما أخوأي.

تبدل المشهد في تلك اللحظة، تحولت علياء من تلك الفتاة الصغيرة المرتعدة من الخوف إلى الفتاة الأكبر المشبعة بالشجاعة، استمدت من وجود من هم أصغر منها ما يجعل منها أكبر من ذاتها، أمسكت بكل يد من يديها بيد أحد أخويها الصغيرين وأحكمت عليهما قبضتها وهمت بالرحيل.

سألتهم برجاء والقلق لا يفارقني:

- إلى أين أنتم ذاهبون؟

قال الصبي الأكبر:

- إننا تائهون.

ضحكت، ضحكت ظاهريًا وبكيت داخليًا، وعدت بهم إلى رجل الأمن الأحمق وقام بدوره بالإعلان من جديد ولكن في هذه المرة أعلن عن العثور على ثلاثة إخوة، ومن حسن حظي أن الصغيرة علياء انسأقت لطلبي مطمئنة هذه المرة ولم تعاود الكثرة في الممانعة من جديد. وبعد دقائق طويلة شديدة البرودة قدمت أمهم ومعها مجموعة من النساء فركض التائهون إليها وتعانقوا بحرارة ورحلوا دون أن يلتفتوا إليّ ولا مجرد التفاتة، ولا بأس في ذلك فأحيانًا يفعل فينا خجلنا أكثر من ذلك، أليس كذلك؟

اقرب نُـوا مني وهنأني بسعادة منقطعة النظير على انتهاء قصة المفقودين الثلاثة ودعاني للعودة معه إلى معمله لإكمال جلستنا التي كادت تنتهي دون أيّ جلوس، فقد أخذت أحداث هذه القصة فترة طويلة للغاية وبات الطقس لا يُحتمل، وكادت الحديقة أن تفرغ من زوارها. قال لي في طريق العودة:

- هل لك أن تتخيلي ما كان سيحدث لنا أو بالأحرى ما كان سيحدث لي لو لم نشتر من تلك الفتاة هذا المعطف الذي ترتدينه الآن؟ أجزم أنني كنت سأتجمّد من البرد! اعتذرت منه على العودة معه رغمًا عن قلبي وعدت مسرعةً إلى منزلي حيث أكون لوحدي، ما زلت أذكر كيف ودّعته بعجالة، بالأحرى ما زلت أذكر كيف لم أودعه كما يجب! في الواقع ما كنت لأفوت دعوته تلك لولا تساؤله الأخير، إذ أثار تساؤله لديّ العديد من التساؤلات التي أوصلتني على مهل إلى فكرة خطيرة وعجيبة. وكان منها؛ أيعقل أن يكون توقيت زيارتي لُنسوا في ذلك اليوم بالتحديد مصادفة؟ وأن يكون مصادفةً مع إنهاء عمله في زخرفة يختي؟ تُرى هل كانت مصادفة اقتراحي عليه الذهاب إلى مكان ما ومن ثم كانت تلك الحديقة بالذات؟ وأن نجلس بالتحديد في تلك البقعة العشبية على غير هدى؟ ورغم ذلك الطقس؟ وأن تظهر بائعة المعاطف؟ وأن أتردد بشراء ما لزمني منها؟ وأن يتقفى نُسوا أثرها من أجل المساهمة في إرضائها؟ وأن يتبع ذلك عثوري على الصغيرة التائهة؟ ومن ثم على أخويها الصغيرين؟ والأهم من ذلك كلّ! ترى أصدف حدوث كل تلك الأمور بالتزامن مع المستجدات التي طرأت على حياتي وكأنها تستثيرني للإقدام خطوة إلى الأمام؟ أيعقل تجمّع تلك الصدف معًا!

أنا لا أؤمن بالصدف .. قطعياً، خصوصاً عندما لا تأتي بصيغة قابلة ولو بشكل جزئي للتفسير، لذا آمنت أن ما حدث معي قد حدث لأمر ما، كأن يقودني إلى قدرتي بطريقة ما، شعرت أن عليّ اتخاذ قرار نهائيّ حاسم ولكنني لتعقّلي الأنبي أو لجبني - لا أدري - تمهّلت، أخذت أفكر جدّياً بشكل أعمق وأعمق وبقيت على حالي إلى أن توصلت إلى فكرة منطقية وحسنة.

كانت الفكرة تقتضي مني كتابة رسالة قصيرة وألفها وأرابطها برباط حريري وأضعها في قارورة زجاجية ومن ثم أن أدفنها في مكان ما على

الشاطيء، لم أستطع الانتظار كثيرًا لذا قمت على الفور ونفذت الفكرة، فكتبت الرسالة وربطتها وأودعتها القارورة وحملتها إلى الشاطيء، واخترت لها المخبأ ذاته الذي خبأت فيه آخر قواريري ودفنتها فيه، وما اخترته بالذات إلا ليقيني بأنه أكثر الأماكن التي يبذل له قاصدوه الجهد. وتابعت يومي يكتفني الملل، صمدت بصبر إلى أن حل المساء، وبصبر أكثر إلى أن حان موعد نومي المقدس فنمت منتظرة قدوم الصباح وما يحمله لي من الهدايا، من حسن حظي أنني لا أحظى على الإطلاق بما يسمونه الأرق، سمعت كثيرًا عن ألمه خصوصًا عندما يكون المرء في حالة ترقب.

كنت قد تغيرت كثيرًا في تلك الأيام، أعترف لم أعد كما كنت سابقًا، فلم أعد أذكر متى جالست سارة آخر مرة أو حتى متى هاتفتها؟ حتى المرصد لم أعد أذكر ما يجري فيه رغم حفاظي على الذهاب إليه في أيام العمل الرسمية حتى لحظات كتابه هذه المذكرات، كنت محافظة على ذهابي بشقي الجسدي فقط!

وما أن حلّ علينا صباح اليوم التالي حتى وجدت نفسي باكراً مزروعةً عند قارورتي المدفونة فقممت باستخراجها من مكانها ونزعت عنها كل ما علق بها من الرمال المبلّلة، وكم شعرت بالإحباط عندما نظرت إليها، وجدتها وقد دخلت المياه إلى جوفها ما أدى لانحلال حبرها، كانت المياه في القارورة زرقاء وتبادر لذهني فشل فكري الأخيرة.

فتحت القارورة وأفرغتها من مائها الأزرق ثم استخرجت الرسالة الغريقة وتفحصت ما تبقى من كلماتها ولكنني لم أجِد منها شيئًا، كان وضع الرسالة مزريًا للغاية ولكنه في المقابل كان يوحي بأن أحدًا ما قد استخراجها وبذل من طياتها.

نجحت فكري إذن وبتّ بعد نجاحها على يقين من صدق تخيلاتي المجنونة، لذا ذهبت لأحد محامي البلدة المشهود له بنزاهته وكتبت كل ما أملكه باسم العمّة جينيفر باستثناء يختي المزخرف فكتبته بشكل

خاص باسم صديقتي سارة، ثم توجهت إلى المقهى وجلست مطولاً مع الجميع - مع سارة ولانا والعمة جينيفر والعم باولو - وتبادلنا الكثير من الأحاديث وقضينا وقتاً رائعاً، من حسن حظي أن المقهى كان شبه فارغ حينها.

ثم قمت بزيارة «والدي» تيري في السجن وكانت زيارتي تلك الزيارة الأولى والأخيرة له، ونصحته بالتأقلم مع ما آل إليه حاله بصفتي خبيرة في مجال التأقلم، وتمنيت له قضاء فترة سعيدة في مدفنه الذي أدخل نفسه فيه، كما تمنيت له أن يحظى بفرصة للخروج منه ولو لمجرد سويغات عابرة.

ثم توجهت إلى معمل نُوا وتابعت معه ما تبقى من يومي وكم أحببت فكرة أن يكون هو آخر ما أحصل عليه في دنياي البائسة على سطح الأرض - في الواقع ما كنت لأجرؤ على التفوه بكلمة «بائسة» لو لم أقارنها بخياري الآخر الذي تبينت لي معالمه قليلاً، وقبل أن أودعه طلبت منه لقائي عند المصفاة القديمة المشيدة في عرض البحر في منتصف ليل اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الجاري مهما كانت الظروف، وشدت عليه كي لا ينسى ذلك وأن لا يحجم عن الموعد مهما سمع من الأخبار أو حتى مهما رأى بعينه.

ثم عدت إلى منزلي وأخذت أكتب وأكتب، كتبت مذكراتي على شكل فصلين، بحبر لا تتلفه المياه على لفاتي ورق لا تتلفه المياه أيضاً، كل فصل في لفافة، ربطت اللفافتين كلاً على حدة كي أسهل استخراجهما لاحقاً وأودعتهما في قارورتين زجاجيتين وأخذتهما إلى البحر، بالتحديد إلى آخر المخابئ التي استخدمتها في الأعيبي معه.

وها أنا أفرغ آخر الكلمات الموجودة داخلي، لم أسف على شيء سوى أنني ما زلت أجهل كل شيء عن نُوا، ولكن لا بأس فلحياتي معه تتم. والآن سأرحل إلى البحر، وبالتحديد إلى عمق البحر.

أتمنى أن أنجح في ما يدور في خلدي
وأتمنى أن لا يفعل أحد مثل ما سأفعل
وداعاً
نايا

وخرجت الحوريّة وقبيل خروجها كتبت لمن سيبحث عنها على
ورقة صغيرة أين سيجد ما يتبقى منها، كما كتبت شكرًا خاصًا لصديقتها
سارة وللعمة جينيفر وللانا وللعم باولو، ولم تكتب له لكونها ستنتظره.
وما كان منها إلا أن دفنت القارورتين في المكان المنشود واستلقت
على وجه المياه وانتظرت نومها المقدّس الذي سيضمن لها غرقها بكل
تأكيد.

المشهد الثاني عشر

الجريمة البيضاء

- انتهى! (نُوا).
 - يا لها من نهاية! (كدي).
 - اتضح لي الرؤيا الآن، لا أصدق! ولكنني لا أملك وقتًا لذلك، ما العمل الآن؟ (نُوا).
 - تسألني أنا! علينا بالطبع إعادة القارورتين إلى مكانهما قبل افتضاح أمرنا للحوارية، هيا تدبّر أمرك. (كدي).
 - أحقًا! إنني لا أقوى على الحراك! لقد أتعبني ما قرأته.
 - هيا بنا، لا وقت لدينا أسرع.
- انطلق كدي يستطلع المكان ونُوا من خلفه متوجسًا، وتفاجأ بوجود الحورية قبالة مسكنها عند الحائط المطل على المدينة. الجيد في الأمر أنها كانت تعطيهما ظهرها، فأشار القط لنُوا بذيله ليتسلل إلى الداخل ويعيد القارورتين إلى مكانهما بينما سيحاول هو جاهدًا إلهاء الحورية حال التفتت صوبهما. وبالفعل تسلل نُوا بشكل سريع وأعاد القارورتين إلى مكانهما بنجاح وخرج على الفور حيث القط دون أن ينتبه إليه أحد، ومع تمام المهمة تنفسا الصعداء - شكليًا - واقتربا من صديقتهما سعيدين لنجاح مهمتهما، ولدى دنوهما منها سمعاها تغني لأسماء المدينة القريبة منها قائلة:

طِر يا صغيري ودعني أنتظر المطر
لعله يطفئني كي لا يتلفني الشجن
التهب قلبي شوقًا لتحقيق الأمل
- أنغنين للطيور؟ (نُوا، يفاجئ الحورية من خلفها).

- لا، إنها تأكلها! (كدي، ممازحًا في محاولة لخلق مناخ طبيعي يخفي فعلتهما عن الحورية).
- لا .. لا أغني. (نايا، خجلة من نُوا وضاحكة بسبب كدي).
- بل سمعتك تغنين، مطر وصغيري .. ترى ما الحكاية؟ (نُوا، ممازحًا).
- قلت لك «لا» .. انتظر! أين كنتما؟ (نايا، بجديّة).
- أتعلمين، إن صوتك كصوت طائر الكناري! (نُوا، مجاملًا).
- أعلم ذلك، قال لي ذلك الكثيرون من قبلك. (نايا، بتعالٍ).
- أتعرفين طائر الكناري؟ كيف علمت به! والكثيرون هؤلاء الذين تتحدثين عنهم كيف عرفوا به؟ ترى أوجد الكناري هنا تحت سطح الماء؟ (نُوا، بخبث).
- أقصد .. حسنًا أرايت الملائكة؟ (نايا، في محاولة للتهرب من الموضوع).
- لا. (نُوا).
- وكيف تشبهون أصوات بعضكم بأصواتها؟ (نايا).
- حسنًا، الموضوع مختلف، نحن لا نعرف شيئًا عن أصوات الملائكة لذا سمحنا لأنفسنا استعارة هذه التسمية كدلالة رمزية، ولكننا نعرف الكثير عن أصوات الكناري. تُرى لم تتهربين من سؤالي؟ (نُوا).
- أقصد .. ما هذا! (نايا، بجديّة).
- وبشكل مباشر اتجهت منقبضة الصدر اتجاه القط ويدها ترتجفان غضبًا، وأمسكت ذيله بغير رقتها المعتادة وافتكت عن طرفه رباطًا كان قد علق به. أمسكت الرباط من طرفه وقالت: (من أين جئتم بهذا؟) لم يجب القط وتفاجأ كُنُوا من الخطأ الفادح الذي وقعا به، انتقلت الحورية بنظرها لِنُوا تستنطقه فاختصر على نفسه الأمر واعترف على الفور قائلاً:
- الذنب ذنبي، أنا من فعل ذلك ولا علاقة لكدي بالأمر.

فما كان من الحوريّة إلا أن احمرّ وجهها وانتفخت أوداجها وألقت الرباط من يدها وداسته ثم قفزت محلقةً في سماء المدينة، وأخذت تبتعد إلى أن اختفت خلف بيت البلجيك تاركةً صديقها خلفها، واللذين لم يتعابتا عقب ما حدث؛ الأول لفعلته والثاني لانكشاف الأمر عن طريق ذيله، واستعاضا عن ذلك بالاتجاه إلى باب مسكن الحوريّة والجلوس على عتبته وطمأنة بعضهما بعودة صديقتهما من كل بد. وبالفعل عادت لاحقًا، فأين المفر من عودتها!

عادت الحوريّة نايا في صباح اليوم التالي ووجدت صديقها نائمين عند عتبه باب مسكنها، فأبّها ضميرها لذلك. ثم اقتربت من قطها وأخذت تمسّد له شعره بلطف إلى أن استيقظ فابتسمت له تسترضيه فأشار بذيله بقبول تودّدها له، ثم اتجهت باتجاه نُوا لتوقظه ولكن القط سبقها وقفز على وجهه وأيقظه بفرع في رغبة منه بتوفير احتكاك الحوريّة به. وعندما وجدته الحوريّة وقد استيقظ بشكل كامل معدلاً من جلسته بادرت تخاطبهما:

- أعتذر عمّا بدر مني، لقد أغضبني ما فعلتماه.
- إنه هو من فعل. (كدي، متهمًا نُوا).
- بل نحن من نعتذر. (نُوا، وهو يقذف بالقط بعيدًا عنه).
- كان عليّ إخبارك بكل شيء. (نايا).
- لا بأس. (نُوا).
- في الواقع كنت أحتاج لذلك. (نايا).
- تحتاجين! (نُوا).
- لا عليك. (نايا).
- أكنت تنوين الاعتذار عمّا فعلته معي؟ عن «اختياري»؟ (نُوا).
- لا، ولكن تبريره .. نعم. (نايا).
- لا! .. حسنًا، ما الذي تنوين فعله الآن؟ (نُوا).
- لا أدري، أشعر أنني أهزم تحت سطح البحر نفس الهزيمة التي

- مُئيت بها فوق سطحه، يا لسوء حظي! يتيمة فوق سطح البحر
 وبيتيمة تحته، وها أنا على وشك أن أكون عاقراً تحت سطح
 البحر كما كنت فوق سطحه. (نايا).
- لا داعي للقلق، سنفعل من أجلك كل ما ترغبين به. (نُوا).
- لن نستطيع الزواج دون موافقة الحوريّة الأم، وهي أشد
 الحوريّات الممانعة لزواجنا. (نايا).
- بإمكاننا التخلص منها. (كدي).
- أجننت! لن أسمح لنفسي بالتفكير في ذلك. (نايا).
- مؤقتاً! سنتخلص منها مؤقتاً، وعندها سيضطر مجلس كبار
 الحوريّات لاختيار حوريّة أمّ جديدة ولا أظن أن هنالك من
 هي أقرب من الحوريّة جيندا لتكون الحوريّة المختارة، ولكن
 قبل كل شيء عليكِ ضمان وقوفها إلى جانبك. (كدي).
- إنها بالفعل إلى جانبي. (نايا، مذهولة من فكرة قطعها).
- يا لك من قط مخبأً في فرائك. (نُوا).
- ها قد اجتزنا نصف الطريق إذن. (كدي، متجاهلاً مداخلة
 نُوا).
- حسناً سأكمل معك حتى النهاية، أخبرني كيف ستتخلص من
 الحوريّة الأم «مؤقتاً» كما تقول؟ (نايا، وهي غير مصدقة لما
 تتحدث به).
- لا يوجد أمامك إلا اللجوء لمجموعة الحوريّات المنبذات،
 الساحرات. (كدي).
- أجننت! (نايا).
- أتسمين العمل من أجلك جنوناً. (كدي).
- أتتحدث من عقلك؟ (نايا).
- بل من.. (كدي، فهم نُوا أنه قصد لؤلؤة والدتها).
- صمتت الحوريّة نايا وأخذت تسير في الطريق ذهاباً وإياباً قبالة

مسكنها تفكر في ما قاله كِدي، وبعد مرور القليل من الوقت نظرت صوبه
وقالت:

- وما يمكنهنّ فعله من أجلي؟
- الكثير، ولكننا بحاجة للقليل، للقليل فقط، أو تلاشة واحدة ستفي
بالغرض. (كِدي).
- أو تلاشة! (نايا).
- شريطة أن تكون مسحورة بما يُدخل الحوريّة الأم في سبات
عميق، ولا نحتاج لأكثر من شهر أو شهرين من الزمن، لمّ لا؟
(كِدي).
- ومن أين لهنّ بالأوتلاش؟ (نايا).
- سنأخذها نحن لهنّ. (كِدي).
- وكيف سنخرج من المدينة أيها القط المتحذلق؟ (نايا).
- ستمشين معه في ما يقول! (نُوا).
- سأتكفل بهذه المهمة. (كِدي، متجاهلاً مداخلة نُوا مرّة
أخرى).
- ومتى سنخرج؟ (نايا).
- في اليوم الذي تنشغل فيه جميع الحوريّات. يوم الاحتفال
الكبير، إنه فرصتنا الوحيدة. (كِدي).
- ستمشين معه في ما يقول! (نُوا، مكرراً مداخلته).
- سأتكفل بهذه المهمة. (كِدي، مكرراً إجابته ومتجاهلاً مداخلة
نُوا مرّة أخرى).
- انتظر .. كيف سنعرف مكانهنّ! (نايا).
- قلت لكي سأتكفل بهذه المهمة. (كِدي، مشيراً إلى اللؤلؤة في
عنقه).
- تعطيك قشرة اللؤلؤ ما لا تعطيه لغيرك، يا لك من ماكر! (نايا).
- بل من مخلص. (كِدي).

- متى تمكنت من التخطيط لكل هذا؟ (نايا).
- لم أُنم منذ رحيلك غاضبة إلا والخطة جاهزة في ذهني. (كدي).
- انتظروا! ولكن لمَ السحر؟ ألا يوجد لديكم عقاير مناسبة أو حتى سمٌّ مؤقت مناسب؟ (نُوا).
- لن تفلح، خصوصًا مع وجود الصدفة العجيبة. (كدي).
- نُوا. ستأتي معنا أليس كذلك؟ (نايا).
- أجاب نُوا بياس وفي ذهنه يدور كل من كلام القيمة السابقة هيف وما قرأه في القاروريتين ومقتنغًا بعدم امتلاكه لخيار آخر:
- بلى، إنني معكما في كل ما تنويان فعله.
- اتفقنا، ولكنني لن أستعمل الأوتلاشة المسحورة قبل إعطاء من هِنَّ في صفِّي من الحوريَّات فرصة لإقناع الحوريَّة الأم.
- (نايا).

- وهو كذلك. (نُوا وكدي معًا).

وعلى أثر ذكر الأوتلاشة شعر ثلاثتهم بالجوع فدخلوا مسكنهم وجلسوا في الحجرة الخارجية يتناولون الأوتلاش بنهم مستمتعين بجلستهم ومتجاهلين مخاطر ما قاموا للتو بالتخطيط له، وأثناء تناولهم الأوتلاش أخبرت الحوريَّة رفيقيها تفاصيل ما توصلت إليه قائدات الحوريَّات، وهو ذاته ما تنوي الحوريَّة الأم الإعلان عنه يوم الاحتفال الكبير.

إذ اجتمعت كبار الحوريَّات واتفقن على بدء العمل من أجل استعادة أمجاد مملكة آيف، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هذا القرار قرارًا جريءًا للغاية، فعالم ما تحت سطح الماء بات في أخطر عصوره بعد أن كان الأكثر أمانًا في عهد الحوريَّة الأم الأولى، حتى في عهد ممالك الحوريَّات المتناحرة كان الأمان مستتبًا نوعًا ما في معظم أرجائه، إلا أن انسحاب الحوريَّات الكامل منه كان لحساب تفشي حيتان الأوركا وتفشي مخاطرها.

وبرزت قائدات الحوريات رؤيتها هذه بعدة أسباب أبرزها الحفاظ على جنس الحوريات من الانقراض، فمنذ يوم انتقال الحوريات إلى مدينة آينجه بات أمر إنجاب الحورية لأكثر من مرة ضرباً من الخيال، وهذا إلى جانب أن كلفة المكوث فيها مرتفعة للغاية، وعلى الحوريات، عاجلاً أم آجلاً، استعادة دورهن الفطري في توفير الأمان لسكان ما تحت سطح البحر كما تنصّ شريعتهم المقدسة التي تنوي الحورية نايا خرقها. وبالطبع ما كانت قائدات الحوريات ليأخذن قرارهن بشكل اعتباطي، بل توصلوا له بعد دراسة معمقة وتحليل طويلٍ مستندٍ إلى استغلال هيجان مشاعر النصر لدى عامة الحوريات إثر عدة أمور منها العثور على فأس الأولدوروجو الأسطورية ونجاح السرية بقتل سيد الأوركا الأخير الذي يعدّ من أشرس سادة الأوركا وأكثرهم فتكاً بالحوريات.

وتقتضي خطة قائدات الحوريات إرسال ثلاث مجموعات كبيرة من الحوريات ورجالهنّ إلى المملكة المهجورة بشكل دوري بحيث تعمل إحداها على تنظيف المملكة بينما تقوم الثانية بترميم مبانيها، وأما الأخيرة فستعمل على حماية المجموعتين مما قد يواجههما من المخاطر وبالأخص من هجمات الأوركا، فلا بدّ أن يحتاج سيد الأوركا الجديد لعدة عمليات انتقام لشدّ أزر مجتمعه.

وسيدوم إرسال مجموعات الحوريات حتى الانتهاء من كل الأعمال في المملكة، ومن ثم سيتنقل سكان آينجه إلى مملكتهم القديمة المجددة وسيتم توزيع حراسات مشددة على كل أنحاءها مع التأكيد على الحوريات بالبقاء على أتم الاستعداد لمجابهة أية مخاطر محتملة.

وبالرغم من اعتراف الحورية نايا ورفيقها بنبل ما تخطط له الحورية الأم رفقة القيّمات وأهل الرأي من الحوريات وجدوا أن مؤامرتهم - وهذا في حال رفضت السماح بزواج نُوا من حوريتها - لا تتعارض مع ما خطّطت الحوريات له، متذرعين بنبل وحكمة الحورية جيندا «الحورية الأم» المستقبلية المتوقعة.

وفي صباح يوم الاحتفال استيقظ كدي باكراً على غير عادته ولم يجد الحورية نايًا بجانبه في السرير كما العادة فخرج إلى الحجرة الخارجية باحثًا عنها، وفيها وجدُوا جالسًا على أحد مقاعدها شارد الذهن يحدّق إلى السقف، فسأله القط عن مكان الحورية عدّة مرات دون أن يجد أدنى استجابة منه، فانتظره قليلًا ثم يئس منه وخرج إلى الطريق العام والقلق يتملّكه، وما أن اجتاز باب مسكن الحورية حتى وجدها أمامه مباشرةً تعتنى بالشجيرات المزروعة أمام مسكنها، فسُعد لرؤيتها واقترب منها وأخذ يمسح برأسه على أطراف ثوبها السفلية ودار حولها باشتياق جلبي أثار سعادتها.

فهمت الحورية من تصرف قطها أمرين اثنين؛ الأول أن الوقت قد حان للانطلاق والثاني أن ما يقصدونه ليس مجرد نزهة بل مغامرة خطيرة، قالت في سرّها: (وإن كان!) ثم دخلت مسكنها وشحذت همّة صديقها الثائه القلق من مغبة ما سيشارك به، وقامت بتحميله سكينين صغيرين ليتمكن من إخفائهما عن مرأى أهل مدينة آينجه أثناء الذهاب إلى حجرة يَزلي، ومن ثم خرجا ليقودهم القط في درب الوصول إلى وكر الحوريات المنبذات.

كان بيت البلجيك أول محطات مغامرة الفريق، وذلك لتظاهر الحورية نايًا أمام سائر الحوريات بالمشاركة في التحضيرات للاحتفال الكبير، وبعد إثبات حضورها وتوثيقه من قبل أكثر من حورية انسحب فريقنا الصغير إلى الخارج وهناك أكلت الحورية دفة القيادة لقطها، واستغلالًا للوقت أخذ كدي يجري ويحث رفيقه على العجلة قائلاً: (بإمكانكما الآن القول بأن في العجلة السلامة)، وبقي على حاله يجري والحورية ونُوا من خلفه إلى أن التقوا بعدة سلاحف، فطلب القط من الحورية أن تطلب من السلاحف إيصالهم لأبعد حلقات مساكن الحوريات جهة ميدان جاساريت، وبالفعل طلبت الحورية من السلاحف ووافقن على الفور.

وصل الفريق إلى أقصى حلقة مساكن للحواريّات كما طلب كيدي، وفور وصولهم تظاهر القط بانتظار أحدٍ ما إلى أن رحلت السلاحف بعيداً، وكان تصرفاً مآكراً منه، وعندما تأكد كيدي من خلو المكان من المازة أمر صديقيه اللحاق به، وبالطبع فعلا دون أي نقاش، وعبروا أحد الممرات الموجودة بين مساكن أقصى حلقة مساكن وصولاً لحدود غابة كثيفة.

تدخلت الحوريّة نايا باستهجان:

- لن تدخل بنا إلى الداخل، أليس كذلك؟
- بل سأفعل. (كيدي).
- لن نخرج منها! لم يسبق لأحد بأن خرج منها، أنسيت ذلك؟ (نايا).
- لا. (كيدي).
- ماذا! لن نخرج منها؟ لم؟ ما هذا المكان؟ (نُوا).
- إنه غابة هاريكا، الغابة الوحيدة في مدينة آينجه، وتمتد على كامل المساحة المحصورة ما بين أكبر حلقات مساكن الحواريّات حتى قمم جبال المدينة، وهي مهجورة لا يجرؤ على دخولها أحد، سواء أكان حوريّة منّا أم كائنًا من الكائنات البحريّة. (نايا).
- ولم؟ لم لا يستطيع أحد الخروج منها؟ (نُوا).
- لا أدري، لا أظن أن هناك من يدري. (نايا).
- عليكما الوثوق بي، هيا اتبعاني. (كيدي)، وهو على وشك دخول الغابة).

بدأت غابة هاريكا من الخارج مذهلة بحق، ساحرة وجذابة، طبيعة نباتاتها غريبة ومميزة وإنارتها مطمئنة للنفس وتعرجات دروبها الظاهرة من الخارج مغرية تدفع ناظرها للسير عليها. وكانت بالتأكيد المرة الأولى التي يراها فيها نُوا. أما بالنسبة إلى الحوريّة نايا فكانت المرة الأولى التي تقترب فيها إلى ذلك الحد منها. وأثناء تأمل نُوا والحواريّة عمق

الغابة دخل القط بخطوات ثابتة وتبعه رفيقاه على مضض، وبعد اجتيازهم لبضعة أمتار خفتت إضاءة الغابة وازدادت كثافة ضبابها بشكل تدريجي أفزع نُوا وبدرجة أقل الحورية. وبشكل تصاعدي أُضيئ تاج الحورية ما خفف على نُوا فزعه، وعندما ذكّرت الحورية بأهمية السوار الذي يضعه في يسراه ازداد اطمئنانه أكثر، (عدم نبض سوارك يوحي بالاطمئنان، أليس كذلك؟) قالت الحورية تطمئنه على قدر استطاعتها.

أخذ الثلاثي الجريء يتوغل في أرض غابة هاريكا ومع توغلهم ازدادت كثافة الغابة، وبعد مضي بضع دقائق أعلن نُوا بشكل مفاجئ استسلامه وقرر الرجوع والخروج من الغابة واتجه بالفعل إلى الخلف ومضى. لم يأبه القط له وطلب من الحورية نايا تركه وشأنه وطمأنها من عودته رغم أنفه، وبالفعل عاد نُوا، ما أن اختفى عن البصر حتى عاد، وجد نفسه يتجه صوب كدي والحورية فصدمه ذلك.

- ألم تُعلمك الحورية نايا بعدم استطاعتك الخروج من هنا؟
(كدي).

لم يجب نُوا وأخذ ينظر إلى السماء فوجد الضباب يخفيها، قال بانفعال: (سأخرج سباحةً) وركض بضعة أمتار وقفز وارتفع قرابة الذراع



أو ذراعين ثم سقط على الأرض.

- ألم تعلمك الحورية بعدم استطاعتك الخروج من هنا؟ (كدي، مرّة أخرى).
- نُوا، تمالك نفسك! (نايا).
- أخبراني ما الذي يحدث هنا. (نُوا).
- أنت في غابة هاريكا المكان الأكثر غموضًا في أعماق البحار، نُسج حول هذه الغابة العديد من الحكايات بالرغم من قلّة تداولها بين الحوريّات خشية أن يتسبب فضول أيّ منهنّ بما لا يُحمد عقباه. قيل إن الجان أوجدوها كخط دفاع لمدينة آينجه ولكنني لا أصدق ذلك، وأميل لتصديق الحكاية التي تدعي بكونها من أحد الأماكن التي يتكاثر فيها الجان، ورغبةً منهم بعدم تواجد أيّ من الكائنات في أماكن تكاثرهم عمدوا لجعلها على ما هي عليه، وأظن أن احتواء الغابة على حجرة مشابهة لحجرة يَزلي دليل على أنها كما أعتقد. (كدي).
- ولكن لِمَ لم نخرج عن طريق حجرة يَزلي التي خرجنا عن طريقها في المرة السابقة؟ (نُوا).
- لا أعرف مكانها، لأن الطريق إليها متغير، تغيّره الحورية الأم أو إحدى القيمات بشكل يومي، وذلك لكونها مكشوفة الموقع ولكن غير مكشوفة الطريق، على عكس هذه الحجرة، فهي مجهولة الموقع ولكن مكشوفة الطريق نوعًا ما. (كدي).
- حسناً، وأين هي الحجرة المشابهة لحجرة يَزلي التي نتحدث عنها؟ (نُوا).
- لا أجدها، أظنني نسيت مكانها. (كدي).
- لا تقلق، إنه يمازحك. (نايا، موجهة الكلام لُنُوا).
- تابع الثلاثي الجريء المسير بضع دقائق أخرى، وكان عدم وجود الكائنات الحيّة في الغابة مدعاة لاطمئنان نُوا قليلاً، ولاطمئنانه من

أمر المخاطر تفرغ ذهنه للتفكير وتشكيل العديد من التساؤلات حول المكان وحول المستقبل وحول نفسه، ولكنه أثر الصمت على التصريح بها واختار السير بهدوء، وفي خضم ذلك توقف القط قبالة شجرة شبه مية ارتفاعها متوسط ومقطوعة من الأعلى. وقال:

- ها قد وصلنا!

- إلى أين؟! (نُوا).

تجاهل القط تساؤل نُوا وتسلق الشجرة شبة المية بخفة، وحالما وصل قمته المقطوعة اختفى، ولذلك لم تتفاجأ الحوريّة نايا ورفيقها إذ باتا يتوقعان كل شيء من قطهما القائد، وبعد اختفاء القط ببضع ثوانٍ أخذت الحوريّة تحثّ صديقها على اقتفاء أثر القط، ففعل دونما أي اقتناع، وتسلقوا الشجرة معًا وهناك اكتشفا أنها مجوّفة من الداخل والظلام يسكن جوفها. بادرت الحوريّة من جديد تحفّز نُوا قائلة: (هيا، إنه دورك .. اقفز)، ولكن نُوا رفض بشكل قاطع هذه المرة، فاضطرت الحوريّة للخديعة وتظاهرت بخوفها من الظلام الذي ينتظرهما داخل جوف الشجرة والتصقت به كمن تستجدي الأمان، ثم أمسكت بخصره بقوة وقفزت به إلى جوف الشجرة قائلة: (اعذربي فلا وقت لدينا). وهكذا انزلقا معًا في تجويف الشجرة انزلاقًا طويلاً شديد الميلان في البداية وبسيطًا في نهايته إلى أن وصلا إلى ما ظن نُوا أنها حجرة يَزلي، فسأل نُوا:

- كيف تمكنا من الوصول إلى هنا؟

- إنها مختلفة عن حجرة يَزلي. (كدي).

- ولكنها .. (نُوا).

- نعم مطابقة لها. (كدي).

- تفاجتني كثيرًا أيها القط. (نايا).

- لست مجرد قط، صدقيني. (كدي).

- ماذا الآن؟ (نُوا).

- فلننطلق. (كدي).

اتجهت الحوريّة صوب بوابة الحجرّة لفتحتها وأثناء اقترابها منها
قال نُوا:

- نايا!

التفتت صوبه وقالت:

- ما بك؟

- أريد أن أخبرك بشيء .. أحببت الأوتلاشة فاتحة اللون أكثر من
الغامقة. (نُوا، والخجل يعتصر وجهه).

- لا بأس. (الحوريّة، مبتسمة وقد وصلتها رسالة تمنّت سماعها
منذ زمن طويل).

ثم تابعت الحوريّة طريقها صوب البوابة وحاولت فتحها ولكنها
عجزت عن ذلك، حاولت أكثر من مرة دون فائدة، حاول نُوا من
بعدها وفشل كذلك، ولذلك اهتزّت ثقة القط بنفسه وكانت المرة الأولى
التي تهتز فيها ثقة القط بنفسه منذ غرس الحوريّة إيفان لؤلؤتها في عنقه،
وبالطبع الحق معه فعدم فتح البوابة يعني الموت المحتّم في غابة هاريكا
فدخلوها مختلف تمامًا عن الخروج منها.

ولحسن حظ الجميع تذكر القط في الوقت المناسب عدم إمكانية
فتح البوابة إلا في سبع فترات من اليوم، وكل فترة تمتد فقط ثلاث
دقائق، فطلب القط من صديقيه الجلوس والانتظار، وكعادته «الحديثة»
سأله نُوا عن الفترة التي سينتظرونها فأجابه: (حتى نسمع صوت طرق
خفيف من خارج البوابة).

تكوّر القط حول نفسه وأغمض جفنيه ليستريح، وجلست الحوريّة
نايا وتبعها نُوا وجلس قبالتها. ابتسمت له وقالت:

- علينا الاستمتاع بهذه الراحة، أظننا لن نحصل على مثلها طوال
الرحلة.

- معك حق .. أخبريني كيف دخل السحر عالمكم؟ (نُوا).

حاولت الحوريّة تمالك نفسها من الضحك ولكنها فشلت في ذلك، فاسترسلت بالضحك وهي تتساءل في سرّها: (يا له من فضولي! ما زال يقوى على السؤال رغم كل ما يمر به!)، وبعدها أن هدأت من نفسها أجاوبته:

- قديمًا، دخل السحر عالمنا عن طريق زوج الحوريّة روماف.
- إحدى الحوريّات الملقبات بالخالات، أليس كذلك؟
- بلى، قيل إن الحوريّة روماف تزوجت من رجل يُدعى ليلاند، وكان ليلاند هذا قويًا ووسيمًا للغاية، وللأسف تبيّن للحوريّات لاحقًا أنه خبيث أيضًا، احتاج هذا الماكر بضعة أيام ليستوعب فكرة الحياة تحت سطح الماء، وعندما استوعبها وجد أنها أعجبته أشد الإعجاب لدرجة أنه أخذ يخطّط للسيطرة عليها عوضًا عن الحوريّة الأم.

وبالفعل خطّط وبدأ بتنفيذ خطته على الفور، وكانت خطته تقتضي استغلال أجيال الحوريّات الجديّدات وتحويلها تدريجيًا مع الوقت إلى مجنّذات يعملن المستحيل من أجله، ومن أجل ذلك لم يجد أفضل من أن يحمل لواء تعليم صغار الحوريّات مهارات الإنسان لتساعدهنّ في حياتها، ولأسلوبه الماكر بالإلحاح المزمّن وإجاده لتمثيل دور المفطور قلبه خوفًا على مستقبل الحوريّات الصغيرات وثقت الحوريّة الأم به ووافقت على طلبه بتعليم صغار الحوريّات فور طلبه منها السماح له بذلك.

وهكذا أخذ ينزوي بشكل قانوني وعلى مرأى من الجميع بعدد من صغار الحوريّات ليعلمهن، ومع مرور الوقت ازداد عدد الصغيرات اللواتي يتعلمنّ عنده وأخذ معدل ازدياد أعدادهنّ يتصاعد بشكل ملحوظ مما أثار حفيظة الحوريّة أفيندار، فما كان منها إلّا أن طلبت من زوجها - وكان كثيرًا ما يرافق ليلاند - معرفة تفاصيل ما يقوم به ذاك المشبوه. ولم يضطر زوج الحوريّة أفيندار لإسراف الكثير من الوقت ليكتشف

أن ليلاند يعلم صغار الحوريات فنون السحر، وبالتحديد الخبيث منه، وليتأكد من ذلك أكثر طلب من اثنين من رجال الحوريات المقربين منه التحقق من النتيجة التي توصل إليها، فوافقا وقاما بما طلب منهما، وبكل سهولة ويُسر تبين لهما حقيقة ما توصل له زوج الحورية أفيندار. وبشكل متسارع وصل الأمر إلى الحورية الأم فأرسلت للساحر مجموعة من أكفأ الحوريات فألقين القبض عليه دون مقاومة تذكر، وقررت الحورية الأم قتله، ولكن العديد من الحوريات عارضنها في ذلك الوقت، فامتثلت لرأي الأغلبية الساحقة وقامت بنفيه خارج المدينة، بل خارج عالم البحار، فأرسلته إلى سطح الماء وانتزعت منه قشرة لؤلؤة الحورية روماف.

- يا لها من قصة!
- لم تنته بعد!
- تابعي من فضلك.
- ستكون محظوظًا إن تأخر فتح البوابة أكثر من ذلك.
- أتمنى ذلك، تابعي من فضلك، دعينا نكسب الوقت.
- يا لك من عجول! حسنًا .. وبعد ذلك طلبت الحورية أفيندار من الحورية الأم تحريم السحر في عالم البحار لما تبين للحوريات من تجارب بني البشر في التعامل به، وبدورها قامت الحورية الأم بتحريمه.
- الحورية الأم!
- نعم، على مدار حياتها وضعت الحورية الأم الأولى - الأولى فقط - القوانين المقدسة.
- وكيف للحورية أفيندار التدخل بهذا الشأن؟
- وما الضير في ذلك ما دام القرار قد صدر من الحورية الأم الأولى؟
- لا، لا بأس. ما حدث بعد ذلك؟ (نُوا، بعجالة).
- عاد الهدوء إلى عالم الحوريات ولكن ليس كسابق عهده، إذ

كانت الحوريّات تكتشف بين الفينة والفينة استخدام بعض تلميذات ليلاند بعض أسرارها، ومن أجل ذلك بذل مجتمع الحوريّات أعظم الجهد للتخلص من أثر السحر إلى الأبد.

– وهل نجحن في ذلك؟

– هكذا اعتقدن، إلى أن عاد في عصرنا يوم أنقذت الحوريّة بيرين الحوريّة الأم.

قال نُوا في سرّه: (وها نحن نسعى للجوء إليه مجدداً!) ثم أضاف

متسائلاً:

– وليلاند؟

– قيل إن بعض الحوريّات شاهدنه أكثر من مرة يتجول في قاربه بحثاً عمّا يوصله إلى عالمنا، وقيل أنه استطاع بالسر التواصل بالفعل مع بعض الحوريّات.

وبشكل مفاجئ ظهر صوت نبض يشبه صوت نبض ساعات البشر أيقظ القط من غفوته، فنظر إلى الحوريّة ونُوا وقال: (ها قد حان الوقت)، فاقتربت الحوريّة من البوابة وقامت بفتحها، وقبيل ذلك بلحظات كان كيدي متمترساً على صدر نُوا، وحدث للجميع ما في حدث في حجرة يَزلي في المرة الأولى؛ ابتداءً بازدياد الضغط الفظيع ومن ثم الاعتياد عليه.

خرجت الحوريّة وتبعها نُوا حاملاً القط وأغلقت الباب من خلفهم فاختمى على الفور واختفت معه كل مصادر النور في المكان، وبعد بضع لحظات أخذ تاج الحوريّة يضيء تدريجياً، فأسعد ذلك نُوا الذي شعر لوهلة أنه سيموت في الظلام، أما الباب المختفي فلم يمر أمره مرور الكرام، بل تسبب لكل من الحوريّة ونُوا التساؤل حوله ولكن في سرّهما: (ترى كيف سنعود!). ثم نظرت الحوريّة صوب القط وقالت له: (حسناً من أين الطريق؟) ولكنه لم يجب، وقبل أن تقلق من جزاء ذلك تذكرت عجزه ونُوا عن الكلام في قاع المحيط وقالت في سرّها: (يا

لها من رحلة ممتعة!).

قفز القط من مكانه وانطلق يسبح في أحد الاتجاهات واتبعه رفيقه لا يملك شيئاً سوى الإيمان به والثقة بإمكانياته، وسبح ثلاثهم لساعات طوال أنهكتهم سمعوا خلالها ما أقلق وأخاف من أصوات كائنات أعماق المحيطات، وبالرغم من ذلك كانت السعادة تغمرهم لعدم اعتراضهم من قبل أحدها، وبقوا على حالهم هذا إلى أن شاهدوا عن بعد خمسة أنوار متقاربة، فانطلق كيدي بمجموعته صوب الأنوار وأثناء ذلك استشعرت الحوريّة بوجود خطر ما، وشعرُوا بنبضات في سواره تزداد مع اقترابهم منها ولكنه لم يستطع التعبير عن ذلك. وعندما وصلوا إليها وجدوها عبارة عن خمس أسماك غريبة تحمل كل منها على جسدها تاجاً من تيجان الحوريات، وفي غضون ثوانٍ معدودة وجدُنا أنفسنا عالقاً في شبك ما ويُسحب بقوة للخلف، التفتت الحوريّة لما حدث خلفها لتستوضح ما حصل فوجدت خمس حوريات يشهرن أسلحة ثيابهنّ في وجهها ووجه قطها.

- دعوه وشأنه! (نايا).

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟ (إحدى الحوريات).

- جئت لمقابلة مجموعة الحوريات المنبذات. (نايا).

- الحقني بنا. (إحدى الحوريات).

- لن ألحق بأحد. (نايا).

ثم رحلت الحوريات وهنّ يسبحنّ نوا في شبكٍ خلفهنّ، تاركين خياراً واحداً أمام الحوريّة نايا فلحقت بهنّ وكان كيدي يسبقها، ومع الوقت أخذت المجموعة تتجه إلى الأسفل كمن يهبط إلى قاع المحيط إلى أن وصلوا إلى ما بدا وكأنه فتحة نفق فدخلوها، وبالفعل وجد كل من الحوريّة نايا ونُوا نفسيهما في نفق، كلما توغّلوا فيه قلّ منسوب تدرّجه لأسفل، ومع عبور المجموعة أكثر بدأ منسوب النفق يتدرّج للأعلى إلى أن وصلوا إلى نهايته، وفي نهايته كان ما يشبه حوض مائي

كبير جوانبه مضاءة بشكل مذهل.

أخذت الحوريّة نايا تتفقد المكان فوجدت جوانبه محاطة بما يشبه أقفاص العصافير التي يصنعها البشر ولكنها مختلفة بكونها مليئة بعدد هائل من أسماك مشعة، ما فسّر للحوريّة سبب إضاءة ذاك المكان، وبشكل مفاجئ صرخ نُوا بأعلى صوته.

- ما بك! (نايا).

- أستطيع الكلام! (نُوا).

- حسنًا! (كدي).

- وأنت أيضًا؟ (نايا ونُوا).

- بالطبع أستطيع. يوجد في نهاية هذا النفق - أي فوقنا - تجويف ضخم مليء بالهواء، وذلك يوفر ظرفًا مشابهًا لظرف المناطق القريبة من الشواطئ التي نستطيع الكلام فيها. (كدي).

- يا لك من مُطلع! (إحدى الحوريّات اللواتي أمسكن بُنوا).

- من أنت؟ (نايا).

- الحوريّة ليفني، أحقًا نسيّتي؟ لا بد وأنك ذات ذاكرة ضعيفة، من المؤكد أنك رأيتني عندما أخرجتنا الحوريّة الأم من مدينة آينجه.

انضمت حوريّة أخرى لاجتماع الحوريّات حول نُوا المحتجز في الشباك، فأفسح لها الجميع - باستثناء الحوريّة نايا - وحيّوها بخشوع قائلين: (أهلا بالحوريّة جولدا) فأومأت برأسها راضيةً واقتربت أكثر منهّن ومن نُوا بالتحديد، وسبحت حوله عدة دورات ثم اقتربت من الحوريّة نايا وقالت لها بريية:

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- أريد منكم سحر هذه لي، فيخلد من يأكلها في النوم لمُدّة أقلها دورة قمرية. (نايا، وهي تخرج من جيبتها ثلاث مكعبات أو تلاش).

- ولم تتوقعين مني فعل ذلك لك؟ (الهوريّة جولدا، بغرور).
- لأنني سأطعمها للهوريّة الأم. (نايا).
- أفضل إطلاعنا على كل حيثيات الموضوع. (الهوريّة جولدا).
- باختصار تمانع الهوريّة الأم زواجي من هذا الرجل بدعوى اختلاف لوني أعيننا. (نايا).
- لمعت عينا الهوريّة جولدا وأبدت ابتسامة مآكرة وقالت:
- تريدن خرق شرائع الهوريّات المقدسة إذًا؟
- خرق بسيط .. أليس كذلك؟ (نايا).
- بلى .. بلى، خرق بسيط. (الهوريّة جولدا).
- صممت الهوريّة جولدا قليلاً ثم أضافت:
- حسنًا، لك ذلك.

أشارت الهوريّة جولدا بسبابتها اليسرى إلى مكعبات الأوتلاش فانقلت من كف الهوريّة نايا إلى كفّها اليمنى، ثم أشارت بسبابتها للأعلى وأخذت تنظر ناحيتها وهي صامته وكأنها تنصت إلى أمر ما. وبعد مرور بضع ثوانٍ وبشكل مفاجئ تجمّع النور الموجود في المكان عند طرف سبابتها على هيئة كرة مُشعة للحظات ثم اختفت، وحل مكانها ظلام داكن زاد من ظلمته صممت الحاضرين، حتى تيجان الهوريّات فقدت حينها نورها.

واستمر الوضع على ما هو عليه إلى أن ضحكت الهوريّة جولدا قائلة: (لا داعي للخوف)، ومع انتهاء عبارة الهوريّة عاد النور إلى المكان ووجدت الهوريّة نايا الأوتلاش وقد عاد إلى يدها دون أن تحس بذلك، كما وجدُوا نفسه محرراً من الشباك دون أن يحس هو كذلك أيضاً. وعلى الفور بادر كيدي قائلاً: (هيا فلنرحل من هنا).

وبالفعل رحلوا، رحلوا على عجلة، وأثناء رحيلهم توارد لذهن نُوا الكثير من التساؤلات؛ فهل عليهم الوثوق بمجموعة المنبذات؟ وهل سيتكونه والهوريّة نايا والقبط يعودون إلى المدينة دون مهاجمتهم

أو الغدر بهم؟ وهل سيلحقون بهم ليصلوا لمدينة آينجه الممنوعين من دخولها؟ ودونما أية حاجة للسؤال أجاب القط متنبئًا بما بدور في ذهن رفيقه قائلاً: (سأجيبك قبل فقداننا القدرة على الكلام، وأعلم أنك لن تتحمّل فكرة انتظار إجابات تساؤلاتك لحين وصولنا للمدينة. لن يهاجمونا ولن يغدروا بنا كما لن يلحقوا بنا، وما الحاجة لذلك وقد بلغن من العمر عتياً!) صمت ثم أضاف: (كما أننا نحقق انتقامًا جزئيًا لهنّ) وما أن أنهى ما قاله حتى فقد هو ونسوا القدرة على الكلام، فترأس القط المجموعة وانطلق بهم في درب العودة.

أما مجموعة المنبذات فأخذن يلححن على الحوريّة جولدا بالسؤال عن سبب مساعدتها للحوريّة الجريئة، وبعد إلحاح شديد عليها ابتمت وقالت: (ستعود قريبًا إلينا، وفي عودتها سنحقق كل ما طمحنا إليه من احتلال عالم البحار) دون أن توضح لمجموعتها أكثر من ذلك. ثم انسحبت وفُضّ تجمهر المجموعة.

وأثناء ذلك أخذ كيدي يمضي في رحلة العودة إلى مدينة آينجه والحوريّة نايا ونسوا من خلفه يتساءلان كلٌّ في سرّه عن كيفية دخولهم المدينة، واستمروا على حالهم لفترة طويلة أنهكتهم كان الظلام فيها سيد المشهد الوحيد، حتى نور تاج الحوريّة لم يكن ليضيء أكثر من مجرد بضع خطوات حوله لا أكثر. ولكن كان من الجليّ للجميع وجودهم على ارتفاع بسيط من أرضيّة قاع المحيط.

وبقوا على حالهم مستمرين إلى أن فوجئ القط بما كان يتمناه من أعماقه، وكان يتمنى العثور على ينبوع هادر، وفور سماعه صوته انطلق صوبه بحماسة ظمآن رأى ماءً في الصحراء، وتبعه رفيقه جاهلين بما يخطط له القط، ومع اقترابهما من الصوت أكثر اتضح لهما كونهما يتجهان إلى منبع ينبوع ما، وعند وصولهم توقفوا قبالتة، وكان الصوت في ذاك المكان مدويًا، فأخذ القط يشير باتجاه الينبوع ولكن دون أن يفهم رفيقه ما يقصده، خصوصًا مع شدة ظلمة المكان، اجتهد القط

في إيصال فكرته ولكن من دون جدوى فيئس، واقترب من الينبوع وقفز إليه واختفى.

نظرت الحوريّة إلى نُوا وقالت: (يؤسفني عدم امتلاكنا لخيار آخر) وفعلت كما فعل القط واختفت. انتظر نُوا في مكانه قليلاً متأملاً عودة أحدهما ولكن من دون جدوى، ثم أمعن النظر في المكان الذي قفزت فيه رفيقته، وكم تمنى لو يستطيع الصراخ حينها ولو لمرة واحدة! ثم استجمع قواه وأغمض عينيه وقفز.

كان من البديهي أن يقوم الينبوع بقذف كل من يدخل في مجاله بعيداً وهذا ما هيأ له نُوا نفسه، ولكنه تفاجأ عندما وجد نفسه يُسحب إلى منبع الينبوع، وتفاجأ أكثر من قوة سحبه للأسفل، ولم ينتظر كثيراً حتى اصطدم بالحوريّة نايا في تجويف صخريّ صغير يتسع بأفضل الحالات لأربع حوريات فقط، ولاصطدامه بها عبّر كدي عن استيائه منه، ثم نظر للأعلى وقال: (إياك أن تكشف مكاننا).

نظر نُوا إلى الأعلى فوجد نفسه أسفل إحدى الشجيرات والسعادة تغمره لشعوره بقدرته على الكلام، ولسعاده بذلك نسي الاعتذار من الحوريّة على اصطدامه بها. وعلى عجل طلب كدي من رفيقه الخروج من مخبأهما، فخرجوا على التوالي ووجدوا أنفسهم في بيت البلجيك، وبشكل مباغت ظهرت الحوريّة آشين خلفهم فسألت حوريتنا باستغراب:

- نايا! كيف وصلت إلى هنا؟
- كنت .. (نايا، بارتباك).
- ظننت نفسي أول مغادرات الاحتفال. كان احتفالاً جميلاً أليس كذلك؟
- بالطبع. (نايا، بارتياح).
- إلى أين تتجهون؟
- إلى مسكننا.
- سأرافقكم. تبدوون منهكين! معكم كل الحق فالاحتفال كان

طويلاً للغاية.

صممت ثم أضافت:

- إن لم تمانعوا ذلك، أقصد مرافقتكم
- بالطبع، يسرنا ذلك. (نايا ونُوا، باستياء).

خرجت الحوريتان من بيت البلجيك ومن خلفهما كل من كدي ونُوا، فلمحتهم الحورية آيلا عند إحدى بوابات البيت الخارجية فأسرت باتجاههم لتخبرهم بأن الحورية الأم طلبت منها إعلام من تبقى من أفراد السرية التي قتلت سيد الأوركا رغبتها بحضورهم إلى بيت البلجيك في صباح الغد لعزمها على إقفال موضوع زواج الحورية نايا من نُوا، ليتفرغ الجميع لتنفيذ رؤية الحوريات الجديدة التي تم الإعلان عنها في اجتماع الحوريات، وكان ذلك دون إعطاء الحورية الأم أية مؤشرات لمباركة الزواج أو رفضه.

ولذلك الخبر شعرت الحورية نايا بالتوتر فاعتذرت من الحوريتين آشين وآيلا واستأذنت منهما الانسحاب لتستريح في مسكنها مُتعدرةً بتعبها أثناء التحضير للاحتفال من جهة، ومن جهة أخرى بضرورة استيقاظها باكراً في صباح الغد، فأذنت لها الحوريتان وتعاطفهما معها يقطر من قلبيهما، ثم انطلقتا كلٌّ منهما لما عليها فعله، وعادت الحورية نايا مع رفيقها إلى مسكنها مستعينين بسلحفتين بحريتين.

كانت تلك الليلة شديدة القسوة على الحورية نايا، إذ أرهاقها الأرق رغم شدة تعبها ورغبتها في النوم، وفي محاولات للتخفيف عن نفسها خرجت أكثر من مرة إلى الحجرة الخارجية حيث يستغرق نُوا في نوم عميق، فتنظر إليه بعين الغبطة لتمكنه من النوم قير العين رغم كل ما حل به سواء في مدينة آينجه أو قبلها، وكم تساءلت في سرّها وهي تنظر إليه إن كان يُقدّر كونه أول رجل في آينجه يدخل حجرة يزلي، وأولهم الذي يدخل غابة هاريكا وأولهم وربما آخرهم الذي خرج منها سالمًا، وأولهم كذلك الذي يخرج إلى قاع المحيط، وليس في واقعة

واحدة فقط بل في واقعتين.

وفي صباح اليوم التالي انطلقت الحورية إلى بيت البلجيك وكل من رفيقها بجانبها، تساءل في سرّها عمّا ينتظرها من الحورية الأم، بينما أخذ نوا يتفكر كيف أن الطريق إلى بيت البلجيك أصبح طريقاً روتينياً بعد أن كان طريقاً مذهلاً لدرجة لا تُصدق، وعندما وصلوا البيت وجدوا كلاً من القيمتين جيندا وهيفار في الخارج تتباحثان في ما بدا وكأنه أمر سرّي، وكانتا الوحيدتين في المكان - وكان من الغريب حال المدينة شبه الخالية من الحوريات في ذلك الوقت - وفور رؤية الحورية جيندا للحورية نايا ورفيقها أشارت لهم ليدخلوا البيت وقالت: (إلى القاعة الزرقاء).

دخلت الحورية ورفيقها إلى القاعة المنشودة، وفور دخولها صُدمت لوجود كل من الحوريات شيار، جيان، نيروز، آشين، استيرا، آيلا وسيماف قد سبقنها وهي من ظنّت أنها أول الواصلات، أما نوا فلم تكفه الحوريات السبع اللواتي اجتمعن أمامه بالإضافة للحورية الثامنة التي ترافقه ليذهل بجمال أيّ منها، وعوضاً عن ذلك أخذ جمال القاعة الزرقاء بلبّه لدرجة أن أعماه عن كل جمال سواه؛ إذ كانت قاعة ضخمة للغاية؛ أرضيتها كمرآة زرقاء شاسعة المساحة، مثلها مثل جدرانها، وسقفها مرتفع بخيلاء ومكون من قطع فسيفساء متفاوتة الأحجام وتدرّج ألوانها من أخف درجات الزرقة إلى أغمقها.

وبعد تبادل التحيات بين الحوريات وتموضع آخر الواصلين في أماكنهم بيضع دقائق دخلت القيمتان جيندا وهيفار ومن بعدهما دخلت القيمة ليلاف رفقة الحورية الأم، وبذلك اكتمل عقد المدعوين للاجتماع. في البداية شكرت الحورية الأم الجميع لحضورهم، وبيّنت لهم أنها استدعتهم بالذات - أعضاء السرية التي نجحت بقتل سيد الأوركا الأخير - لكونهن أفضل من سيدافع عن قرارها مهما كان، وأفضل من سيقنع من يعارضه من الحوريات بضرورة التسليم به لمصلحة مدينة

آينجه، وبالطبع ما كانت لتتوقع من العديد ممن استدعتهن ومنحتهن الثقة المسبقة معارضة وجهة نظرها، ثم تابعت وأخذت تتحدث عن القوانين المقدسة وعن تاريخها وعن أهمية عدم خرقها، واسترسلت في ذلك، وكان كل ما تحدّثت به عام بعيداً كل البعد عمّا تنتظر الحوريّة نايا سماعه، وبقيت الجلسة على حالها إلى أن قاطعتها الحوريّة القلقة قائلة:

– أتمنى أن ندخل في صلب الموضوع، أستسمحين بزواجي من

نُوا أم لا؟

– لا. (الحوريّة الأم، بهدوء).

نهضت الحوريّة الأم من مكانها بينما أعين المجتمعين تلاحقها

وأخذت تسير حول الحوريات بهدوء، ثم تابعت قائلة:

– دعونا نستمع لآرائكن .. القيّمة ليلاف؟

– وما الفائدة من آرائنا؟ (نايا، باستهزاء).

– لا فائدة منها، لك أن تعتبره مجرد حديث .. القيّمة ليلاف؟

(الحوريّة الأم).

– خرق القوانين المقدسة جريمة، لا يجب التهاون في هذا الأمر.

– الحوريّة شيبار؟ (الحوريّة الأم، مبتسمة).

– أتفق معك تماماً أيتها الحوريّة الأم. (شيبار، بحزم).

– الحوريّة نيروز؟ (الحوريّة الأم، مبتسمة).

– أتفق معكنّ في ما ترونه. (نيروز، بحزم).

– رأيتم؟ (الحوريّة الأم، بقليل من الغرور).

– لمّ لا تكملين جولتكِ التفقدية؟ (نايا، بثقة).

– حسناً .. الحوريّة آشين؟ (الحوريّة الأم، مبتسمة).

قطعت القيّمة جيندا الطريق على الحوريّة آشين وأجابت بدلاً عنها:

– الحوريّة الأم. اسمحي لي إجابتك بالنيابة عني وعن الحوريّة

آشين.

– بالتأكيد! (الحوريّة الأم، باستغراب).

- في الواقع إننا لا نرى أن من المنصف في حق الحوريّة نايا - الحوريّة نايا بالتحديد - منعها من الزواج ممن ترغب، وذلك لسببين؛ لوزنها ودورها في مدينتنا ولكونها ترغب بالزواج ممن تمكن من قتل سيد الأوركا بذكائه. كما إننا لا نرى أن في خرق أحد القوانين المقدسة القديمة وغير المبررة نهاية لعالمنا. (جيندا).
- الحوريّة آشين؟ أنتِ معها في ما تقوله؟ (الحوريّة الأم، بذهول).
- وأنا معهما. (آيلا).
- نعم. أنا معها أيتها الحوريّة الأم. (آشين).
- وأنا كذلك. (استيرا).
- لا أصدق ما أرى .. ومن كذلك أيضًا؟ (الحوريّة الأم).
- لم يجب أحد، فتابعت الحوريّة الأم متساءلة:
- وأنت، الحوريّة سيماف؟
- في الواقع لست مهتمة في الأمر، فلا أنا مع ولا أنا ضدّ. (سيماف).
- الحوريّة جيان؟ (الحوريّة الأم).
- أنا معك في ما قلته، لا يحق لأيّ من الحوريّات أيّا كانت خرق القوانين المقدسة. (جيان).
- وأخيرًا، لم يبقَ غيرك أيتها القيّمة هيفار؟ (الحوريّة الأم).
- اعذريني، ما كنت لأقحم نفسي في هذا الأمر، فالأمر بيدك، ولا شأن لي به. (هيفار).
- لا أصدق أين وصل بنا الحال! أربع حوريّات مع خرق القوانين المقدسة وأربع ضدّ، وحوريّتان ترفضان التعليق على الأمر! (الحوريّة الأم).
- بل خمس مع الخرق، من حقي الإدلاء برأيي. (نايا).
- ليس خرقًا للقوانين المقدسة، إنه مجرد استثناء صغير لأحدها.

(جيندا).

وبشكل مفاجئ دخلت الحورية بيرين القاعة الزرقاء حيث تجتمع الحوريات والصامت نُوا، والتعب بادٍ عليها وقالت:
- بالرغم من علمي أنه فعل خاطئ، وبالرغم من يقيني بأن الندم سيكون نتاج ما نفعله، أجيبيكم دون أن تسألوني؛ إنني مع زواج صديقتي ممن تحب.

ثم سقطت الحورية بيرين على الأرض، فتدافعت الحوريات للاطمئنان عليها باستثناء الحورية الأم والحورية نايا، اللتين تبادلتا النظرات الحادة في ما بينهما، الأولى تصوّر بنظراتها على موقفها والثانية تؤكد بها على استحالة استسلامها، أما نُوا فكان وحيداً في مكانه يشعر بأنه منبوذ من قِبَل ظروف ما تحت سطح البحر، كما شعر سابقاً بأنه منبوذ من قِبَل ظروف ما فوق سطح الأرض.

وبذلك فضّ اجتماع الحوريات ونقّلت الحوريات آشين واستيرا الحورية المنهارة إلى الصدفة العجيبة لتُسرع في استعادتها لعافيتها، بينما أخذت الحورية آيلا تلوم نفسها وتتعجب من كيفية نسيانها لإعلام الحورية بيرين أمر اجتماع السرية كما أعلمت باقي الحوريات، ولكن الحق يقال فما كانت الحورية آيلا الوحيدة التي نسيتهما، فقد نُسيت الحورية المسكينة من قِبَل كل المُجمعات وعلى رأسهم صديقتها المقرّبة الحورية نايا، أو بالأحرى هذا ما بدا الأمر عليه.

وفي محاولة لتخفيف الحوريات من تأنيب ضمائرهنّ لها أحاطت بالحورية المنسية وهي نائمة في الصدفة العجيبة وبقين على حالهن إلى أن استيقظت واستردت عافيتها بعد قرابة ساعة صامتة، وعندها قصّت على الجميع كيف تمكنت لوحدها من قتل حوتي أوركا لتنفذ إحدى الفقمات مع صغيرتها.

عادة ما تكون المصادفات جميلة ولكن في حالتنا هذه كانت مصادفة اقتتال الحورية بيرين مع الحيتان القاتلة في ذاك التوقيت بالذات أجمل

مصادفة ممكن حدوثها على الإطلاق، فهكذا ومن دون تخطيط مسبق سببت الحوريّة بيرين عن طريق الموقف الذي أصابها حالة من رآب صدع خلاف حادٍ كان على وشك الوقوع بين الحوريات - هذا ما ظنّته الحوريّة الأم جزاء وضع الحوريّة بيرين - ولكن للأسف لم يدم ذلك طويلاً. إذ اقتحمت إحدى الحوريات وكانت تدعى الحوريّة روسيل، بفضع والقلق بادٍ عليها حجرة الصدفة العجيبة حيث تتجمع الحوريات، وعلى الفور انتقلت عدوى القلق لجميع الموجودات في الحجرة.

- ما الذي يجري؟ (جيندا، مخاطبة الحوريّة الفزعة).

- الحوريات! (روسيل).

- ما بهن؟ (الحوريّة الأم).

ارتبكت الحوريّة روسيل أكثر مما جعل الحوريّة جيندا تقول منفعة:

- أجيبي بسرعة. ما بهن؟

- إنهنّ مجتمعات خارج بيت البلجيك. (روسيل).

- مجتمعات! (الحوريّة الأم).

- معظمهنّ، وربما كلهنّ، لا أدري! (روسيل).

عادت الحوريّة روسيل إلى المكان الذي جاءت منه وخرجت في إثرها الحوريّة الأم لتستوضح الأمر بنفسها، وعلى الفور لحقتها القيّمات لشعورهنّ بخطورة ما يحدث، وفي المقابل أخذت الحوريّة بيرين تبتسم بين الفينة والأخرى وتشارك الحوريات آيلا وآشين واستيرا ذلك وسط استغراب باقي الحوريات المتواجّدات معهنّ، ولاحقاً أسرت الحوريّة بيرين للحوريّة نايا بكونها وضعت خطة محكمة بالاتفاق مع الحوريات المؤيّدات لزوجها من نوا.

وباختصار تقتضي الخطة بتظاهر الحوريّة بيرين بكونها منسية من الدعوة لاجتماع الحوريات المشاركة بالسريّة، وذلك لتتمكن من التنصت على المجتمعات من الخارج، لكون دورها يعتمد على مجريات الاجتماع، ففي حال مباركة الحوريّة الأم للزواج تنسحب الحوريّة بيرين وكأن لم

يكن، أما في حال رفضها مباركته؛ تخرج الحوريّة بيرين بأسرع ما يمكنها لتعلم الحوريّات المشاركات في الخطة بوجوب الظهور من مخابتهنّ القريبة من بيت البلجيك والتجمع أمامه والمطالبة بعود الحوريّة الأم عن رأيها، وذلك عن طريق شبكة واسعة من الحوريّات، تخبر الحوريّة بيرين إحدى الحوريّات فتخبر بدورها اثنتين أخريين وبدورهما تخبران الأخرى، وفي المقابل تدخل الحوريّة بيرين قاعة الاجتماع وتظاهر بالإرهاق لكسب الوقت، وستكون كل دقيقة تكسبها الحوريّة بيرين في الداخل لمصلحة تجمع عدد أكبر من الحوريّات المؤيدات لزواج الحوريّة نايا.

وجدت الحوريّة الأم حشدًا هائلًا من الحوريّات خارج بيت البلجيك لدرجةٍ أذهلتها، فأخذت تسأل باستغراب بعض الحوريّات المتواجرات فيه عن سبب تجمعهنّ في ذاك المكان ولكنها لم تحصل على أيّ إجابةٍ منهنّ، واستماتت في البحث عن إجابة تروي قلقها إلى أن حصلت عليها من الحوريّة روسيل التي أجابها قائلة: (إنهنّ يطالبنك بمباركة زواج الحوريّة نايا بالبطل نُوا، المسبب الرئيسي لمقتل سيد الأوركا «كما يقولون»).

وكم استاءت الحوريّة الأم لما سمعته لدرجة أنها عبّرت عن ذلك بالصراخ بملئ صوتها: (يبدو أننا بعيادات أيما بعد عن تحقيق رؤيتنا الجديدة) ثم دخلت بيت البلجيك، وبالنيابة عنها حاولت القيّمات إقناع الحوريّات بفضّ اجتماعهنّ - أو بالأحرى فضّ اعتصامهنّ - ولكن من دون جدوى، فلحقن يائسات بالحوريّة الأم وبحثن عنها إلى أن وجدنها في حجرة الصدفة المقدسة مع باقي الحوريّات المجتمعات حيث يعمّ الصمت بشكل مرعب.

- ما العمل الآن؟ (سيماف).

- ستخرج الحوريّة نايا لتعلن للجمع الموجود في الخارج
صرف النظر عن الزواج من صديقها. (القيّمه هيفار).

- أيتها الحوريّة الأم! (القيّمة جيندا).
لم تجب الحوريّة الأم بشيء وأثرت الصمت، فتابعت القيّمة جيندا
قائلة:

- أستباركين زواجهما؟
- لا. (الحوريّة الأم، بهدوء وهي خارجة من الحجرة).
- وأنتِ؟ (القيّمة جيندا، مخاطبة الحوريّة نايا).
- أنا! لا شيء. (نايا).
- ألا ترين أن عليك الخروج وإخبار الجميع بعدم رغبتك الزواج
من صديقك هذا، وإنهاء هذا الأزمة! (جيان، مخاطبة الحوريّة
نايا).
- لا.

وطوال تلك الفترة كان نُوا صامتًا يفكر بعدّة أمور أبرزها موقعه
في تلك الأزمة، والدور المطلوب منه لحلها بأي حلّ كان، وحوريته
الواقعة ما بين حقها الذي تتكلم عنه وأنانيتها التي تعرض الجميع
للمخاطر، وبقي على حاله يفكر دون جدوى إلى أن اقتحمت الحوريّة
روسيل الحجرة مرة ثانية ولكن بفرع أكبر هذه المرة لتعلم الحوريّات
المجتمعات بظهور مجموعة جديدة من الحوريّات الراضات لزواج
الحوريّة نايا، وأن التصادم لا بد وأن يحدث بين المجموعتين عاجلاً
أم آجلاً إن استمر الحال على ما هو عليه.

فما كان من الحوريّة نايا إلا أن نهضت وقالت وهي متجهة إلى
باب الحجرة: (سأحلّ خلافي مع الحوريّة ديلماف بنفسي) وخرجت،
وعلى الفور انطلق كيدي خلفها ليذهب معها ولكنها أوقفته وأمرته بالعودة
فاستجاب لها وتابعت طريقها، وعندما عاد قال له نُوا بشيء من السخرية:

- ألم تقل على مسمعٍ منك «سأحلّ خلافي بنفسي»؟
- يا لك من أحمق! ألم تقل على مسمعٍ منك «الحوريّة ديلماف»؟
(كدي).

شعر كِدي بعدم فهم نُوا لما يرمي إليه فتابع قائلاً باستياء:

- أقصد أنها لم تقل «الْحورِيَّةُ الأم» أفهمت ذلك؟

- اه .. نعم .. فهمت. (نُوا).

- أشك في ذلك! (كِدي، بصوت منخفض).

أخذت حوريتنا تبحث باستعجال عن الحورية ديلما في أرجاء بيت البلجيك مستهلكةً الكثير من الوقت الثمين - ثمين بالطبع لخطورة الأحداث التي ترافقه خارج بيت البلجيك - إلى أن رأتها إحدى الحوريات مصادفةً وأعلمتها بأنها لمحت الحورية الأم تتجه إلى حجرتها الخاصة، وكم سعدت حوريتنا لسماعها ذلك! لا لشيء سوى لشعورها بأن في توجه الحورية الأم إلى حجرتها إشارةً تشجعها لتمضي قدماً في ما تنوي القيام به.

وبشكل مباشر اتجهت صديقتنا إلى حجرة الحورية الأم وعند وصولها إلى هناك وجدت باب الحجرة موارباً مما أسعدها مجدداً، لشعورها بكونها إشارةً مميزة ثانية تشجعها أكثر وأكثر على المضي في ما تنوي القيام به، وبسبب اقتناعها بأمر الإشارات اجتاحتها شعور كبير بالثقة فدخلت الحجرة وهي تسلمح به، وكان ذلك على حساب استئذانها بالدخول.

كانت الحورية الأم تجلس على مقعد كبير على هيئة دائرة وفي منتصفها منضدة صغيرة مرتفعة بعض الشيء. وفور رؤيتها هناك اقتربت صديقتنا منها وجلست قبالتها، وفي المقابل لم تتنازل الحورية الأم حتى للنظر إلى زائرتها، انتظرت الحورية ناياً قليلاً ثم قالت:

- علينا الإسراع في إيجاد حل ما لأزمئتنا. (نايا).

- إيجاد! (الحورية الأم، مبتسمة وهي تنظر إلى أرضية الحجرة).

- نعم.

- ما زلتِ صغيرة يا عزيزتي.

- اعذريني، لم أفهم!

- الحل موجود.

- رائع، علينا به.

نهضت الحورية الأم من مكانها مبتعدةً عن صديقتنا التي استطاعت بنجاح استغلال تلك اللحظات الثمينة أفضل استغلال، فاستبدلت ما في صدفة صغيرة موضوعة أمامها على المنضدة مما فيها من الأوتلاش بأوتلاشها المسحورة، كما تمكنت من التخلص بشكل سريع من الأوتلاش السليم بغرزه بين الحصى الصغير الموجودة أسفل المنضدة.

- اعلمي بأن الزواج لن يتم مهما كلف الحوريات من ثمن.

- مهما كلف!

- حتى ولو كان نفيهن جميعًا خارج المدينة!

- حسنًا.

أظهرت حوريتنا للحورية الأم موافقتها على كلامها ببالغ الأدب، ثم أومأت برأسها وغادرت الحجرة بهدوء وأغلقت الباب خلفها وتأكدت من إغلاقه، ثم اتجهت إلى زميلاتها في حجرة الصدفة العجيبة، ولكنها لم تضطر للوصول إلى هناك إذ فاجأها وجودهن - رفقة كيدي ونساء - أمامها عند أول انحناء في طريقها إليهنّ وعيونهنّ الفضولية تفترسها، فابتسمت ابتسامة خفيفة باضطراب ثم أجابت دون الاستماع لسؤالهنّ المتوقع قائلة: (اختارت الحورية الأم العزلة لبقية اليوم، لتخرج علينا صباح الغد حاملّة معها قرارها النهائي).

أعطت الحورية نايا بإجابتها الأمل والاستبشار بالخير للحوريات، وبالتالي وجدن أن لا فائدة تُرجى من تجمعهنّ في مكانهنّ، لذا غادرن على التوالي كلّ إلى عملها، أما القيّمات فخرجن من بيت البلجيك حيث حشود الحوريات وأعلمنهنّ بما أعلمتهنّ به الحورية نايا.

وكما هو متوقع فضّت الحشود بالتدرّج والتفأول يكسو قلوب معظم الحوريات بما ستوصل له الحورية الأم في الغد سواء أكان بالسماح لإتمام الزواج بالنسبة لمؤيديه أو برفضه بالنسبة لممانعيه. وهكذا عادت الحياة إلى طبيعتها في مدينة آينجه، أما كيدي فكان الوحيد

- باستثناء الحورية نايا - الذي فهم أن الحورية ديلماف لن تستيقظ لا في الغد ولا في اليوم الذي يليه، وربما ولا حتى في القريب العاجل! كان صباح اليوم التالي استثنائياً في مدينة آينجه، إذ اتجهت فيه جميع الحوريات ومعظم أزواجهنّ إلى بيت البلجيك، كان تجمعاً ضخماً للغاية فاق بالتأكيد تجمع الحوريات يوم الاحتفال الكبير، وقد يكون أضخم تجمعات الحوريات في العصر الحديث، ولم يكن الوضع داخل بيت البلجيك مختلفاً إذ استنفرت كل التعاملات داخله وتوزعت ما بين حجرة الحورية الأم الخاصة وبوابة البيت الرئيسية، والتوتر بلغ مستويات قياسية لدى القيّمات.

كان الوقت يتلصقاً في سيره تلكؤ اللثيم، أو بالأحرى هذا ما شعر به الجميع في ذلك الحين، كانت الثانية تسير سير الدقيقة والدقيقة تسير الساعة والساعة تسير اليوم، والجمع الضخم القابع خارج بيت البلجيك لا شيء يفعلُه سوى الانتظار. في الواقع كانت الحياة في مدينة آينجه متوقفة تماماً عن العمل كساعة جدار نفذ منها مخزون طاقتها المحرك لها، وزاد من ثقل الزمن على الجميع مرافقته للصمت، فالجمع كان واجماً على بكرة أبيه لا يتكلم ولا حتى بكلام العيون، ونوعاً ما لا يتحرك أيضاً، وبقي الحال على ما هو عليه إلى أن انتصف النهار والجمع يرتقب دون أدنى تحرك من قبل الحورية الأم.

وبشكل حاسم قررت الحورية حينها اقتحام حجرة الحورية الأم وكسر حالة الصمت الغريبة التي حلت على المدينة كما تحل اللعنة، فانطلقت مباشرة إلى هدفها دون استشارة أيّ من الحوريات - ولا حتى القيّمات - لعلمها مسبقاً بكونهنّ سيحاولن منعها ممّا عقدت العزم على فعله بشتى الطرق، وبالفعل اقتحمت الحورية الحجرة المقصودة بجراً حاول كبح جماحها القليل من القلق، فظهر أمامها خلف الباب الذي فتحت ما احتاجت لعدة لحظات لاستيعابه ومن ثم أصابتها الصدمة، إذ وجدت الحورية الأم مستلقية على حصى الحجرة وشعرها يغطي وجهها،

فهرعت إليها على الفور وصرخت بأعلى صوتها طالبة النجدة.
ومن حسن حظ القِيمة جيندا أو من حسن حظ الحوريّة الأم أو من حسن حظهما معًا أن النجدة كانت قريبة، فعلى الفور هبّت لنصرتها مجموعة من الحوريّات وقمن بحمل الحوريّة المصابة ونقلوها إلى الصدفّة العجيبة حيث استقبلتها حوريّات قطاع تيدافي أحسن استقبال؛ القِيمة هيفار ومعاونتها كل من الحوريّة آشين والحوريّة استيرا، وأثناء تطييبها أخذت القِيمة جيندا - وشاركتها بذلك الحوريّة آيلا - تبحث في حجرة الحوريّة الأم على أمل إيجاد ما قد يفسر ما حدث مؤخرًا بين جدران تلك الحجرة.

وبعد مسح دقيق وشامل طال كل أرجاء الحجرة اتجهت القِيمة جيندا إلى الباب الذي فتحته واتفكت عليه ثم نظرت صوب الحوريّة آيلا نظرة حادّة وطلبت منها إخلاء المكان وإغلاقه، ثم منحتها ابتسامه جافّة وخرجت، وبالرغم من غرابه ما بدر من القِيمة جيندا استجابت الحوريّة آيلا لما طُلب منها بانصياع تام وأغلقت الباب واتجهت إلى حجرة الصدفّة العجيبة للاطمئنان على الحوريّة الأم.

وفي هذه الأثناء كانت الحوريّة نايا برفقة صديقها نُسا جالسين على الأرض صامتين ويتكئنان على جدار المنارة الثانية، وكِدي بينهما نائم كعادته، ولم يكونوا ليختاروا ذلك المكان إعجابًا به، بل لأنّه أول مكان منذ ساعات من البحث صادفاه خاليًا من الحوريّات وأزواجهنّ، وكان ذلك بسبب تجمع معظم سكان آينجه - ولربما كلهم - حول بيت البلجيليك بانتظار ما سيتمخض عن عزلة الحوريّة الأم.

وبشكل مبالغت ظهرت القِيمة جيندا أمام الصامتين بملامح حادة

وقالت:

- ها قد عثرت عليكِ أخيرًا!
- القِيمة جيندا! (نايا).
- نعم، القِيمة جيندا! ألم تتوقعي قدومي؟

- لا، ولم عليّ ذلك؟
- من أجل ما فعلته، ألا يستحق ذلك؟
- لم أفعل شيئاً يُذكر!
- الحوريّة لا تكذب، تذكرني ذلك.
- لم أفعل شيئاً يُذكر! أوّكد لك.
- أأست من بذل الأوتلاش في حجرة الحوريّة الأم؟ أأست من أخفى الأوتلاش السليم بين الحصى؟ أأست من تسبب بما حدث مع الحوريّة الأم؟
- وما حلّ بها؟
- أأست أنت؟ (جيندا، بغضب).
- فضّلت الحوريّة نايا الصمت، فتابعت القيّمة جيندا:
- ألم تسعى لتلاشيها؟
- لا. (نايا، صارخة).
- توقعت القيّمة جيندا من الحوريّة نايا أن تكمل كلامها فانتظرت بصمت إلى أن ثبت صحة توقعها.
- لن تتلاشى، لا تقلقي، ستغط في نوم عميق لفترة من الزمن.
- فترة من الزمن! تقصدين يوماً؟ يومين؟ شهراً؟
- لا أدري.
- لا تدرين! ما الذي فعلته أيتها الأنانية؟
- نهضت الحوريّة نايا غاضبة واقتربت من القيّمة جيندا وسط قلق كل من نُسا وكّدي وتابعت قائلة:
- فعلت ما توجب عليّ فعله، حللت المعضلة التي عجزت عن حلها القيّمات ذوات الكفاءة كما عجزت عنها كبار الحوريات ذوات الخبرات الحياتية، انظري من حولك! ألا ترين ما يحدث من حولنا؟ ألا تلاحظين أن الأحداث تتسارع بشكل مقلق؟ فما الذي تريدينه مني؟ أتريدين مني انتظار اشتباك الحوريات

بعضهنّ مع بعض؟ ومن أجل ماذا؟ من أجل سماح الحوريّة الأم
بخرق قانون بسيط أو منعه؟ انظري حولك أيتها القيّمة جيندا!
اشتباك الحوريّات قادم لا محالة، وفضّه الآن بيدك.

– بيدي؟

– لا تتظاهري بالبراءة، غداً ستكونين الحوريّة الأم «المؤقتة»
وستسمحين لي بالزواج من هذا (وأشارت إلى صديقها نُوا)،
ولاحقاً عندما تستيقظ الحوريّة النائمة ستجد أمر زواجي واقعاً
وستسلم به وينتهي بذلك الأمر.

– أخشى ما أخشى أن تقضي الصدفة العجيبة على أحلامك.

– لا، لن تتمكن من فعل شيء.

– ما الذي فعلته؟

قصت الحوريّة نايا على القيّمة جيندا بالتفصيل الممل كل ما
حدث معها، من لحظة مغادرتها للمدينة إلى لحظة عودتها إليها، والقيّمة
جيندا تزداد مع قص الأحداث ذهولاً على ذهول، واستمرت على ذلك
حتى انتهاء القصة.

– انتهيت؟ (جيندا).

– نعم. (نايا).

وبحركة خاطفة من القيّمة جيندا وجد نُوا عنقه المكشوف
الأعزل في مواجهة سيفٍ حادٍ كانت قد شكلته القيّمة جيندا من ثوبها
بلمح البصر، وبينما كان فزع نُوا على أشده كانت الحوريّة نايا على
طمأنينتها.

– ما رأيك؟ ألا ترين أن عليّ قتله؟

– الحوريّة الأم لا تقتل الأبرياء! أليس كذلك؟

– تَبّاً للحوريّة الأم!

– والحوريّة «من عامة الحوريّات» لا تقتل بريئاً! أليس كذلك؟

ضغطت القيّمة جيندا قليلاً على عنق نُوا فسالت منه قطرة دماء.

ولرؤية الدماء تابعت الحورية نايا قائلة:

- إنها إحدى شرائع الحوريات المقدسة، الشرائع التي لا يجوز

خرقها مهما حدث، أليس كذلك؟

تلاشى سيف القيمة حيندا وعاد سيرته الأولى مما أعطى نُوا

الحرية ليتفقد عنقه والقيمة تنظر إليه بشفقة، ثم توجهت بوجهها إلى

الحورية نايا ووقفت قبالتها على بعد بضع أقدام وقالت لها وهي تدفع

نُوا عنها:

- ما الفرق بينك وبين الحوريات المنبذات؟

- تعلمين الفرق! (نايا، باستهتار).

- ألا تعلمين أنك ارتكبت جريمة؟

ابتسمت الحورية نايا وأجابت بغرور:

- بلى، ولكنها جريمة بيضاء.

كانت القيمة حيندا تعلم مسبقاً بعدم جدوى حديثها الأخير مع

الحورية المتمردة، فمن الجلي أن أنانيتها أعمت بصيرتها بشكل تام،

ولكنها هدفت من خلاله إعلامها بأن أمرها قد بان وانكشف، على الأقل

أمامها وباقي القيمات، وبعد تحقيق القيمة حيندا مرادها تركتها وشأنها

وعادت إلى بيت البلجيك حيث طلبت من الحوريات المتواجדות في

البيت التكتم على مصاب الحورية الأم إلى حين عودتها. وفور مغادرة

القيمة أبدت الحورية نايا حسرتها قائلة:

- كم أشتاق إلى والدي!

- وأنا كذلك. (نُوا).

حقاً إنها من سمات الرجال، يفضلون المشاركة عوضاً عن محاولة

الاحتواء، فلو كان نُوا المتحسّر في قصتنا لبذلت الحورية المستحيل

في سبيل إخماد حسرته، أما في حالتنا والحورية متحسرة فأبدى نُوا

مشاركتها الحسرة. ولم يكتف بذلك وحسب بل أضاف بعد لحظات:

- ولكنك تقصدين والدك جو كهان أم والدك تيري أم والدك الذي

لا تعرفينه؟

- لا أدري، ربما .. في الواقع لا فرق!
- لا فرق! .. ولم الشوق إذن؟
- شوقي ليس لذاته بل لمكانته، شوقي للترس الحامي وللدرع الحاضن، شوقي لتلك المكانة العظيمة التي على أحد الرجال ملؤها، والرجال كما تعلم يتراوحون ما بين العظيم والوضيع.
- أعتقد أنك تقصدين جوكهان بالعظيم وتيري ..؟
- لا، فكلاهما عظيم. لست في موقع لأقيم أيًا منهما.
- أجابت الحورية إيجابتها ثم دخلت في الصمت والحزن يتجلى على وجهها، وبقيت على حالها إلى أن كسر نوا صمتها بإضافة صغيرة منه:
- ولكنني أشواق لوالدي، لمكانته ولذاته.
- أحقًا يستحق آدم شوقك هذا؟ لا أقصد إنكار ذلك عليه، ولكنك قد تكون مخطأً.
- اطمني لست مخطأً.
- صمت نوا قليلاً وأخذ يسترجع من ذكرياته ثم تساءل متعجبًا:
- ما زلت تذكرين اسم والدي! يوم قدمت لزيارة معلمي أول مرة أليس كذلك؟
- لا، في الواقع استرقت السمع على لقائك باللجنة، أعذرني.
- (نايا، وهي تنظر لكدي مبتسمة).
- نظر نوا إلى القط نظرة غاضبة ليقينه بكونه المفتاح الذي استخدمته الحورية لتتمكن من تجسسها عليه، وفي المقابل تظاهر كدي بعدم فهمه للحوار الدائر بينه وبين الحورية. حاول نوا جاهدًا إخفاء غضبه ولكن من دون جدوى، فقالت الحورية مخففةً عنه:
- لا بأس، لقد قرأت مذكراتي ردًا على ما تنصت عليه، أليس كذلك؟
- معك حق. (نوا، باستياء).

وبشكل مفاجئ ظهرت الحوريّة هيف أمام المتعابئين الثلاثة وطلبت بصوت خافت من الحوريّة نايا التحدث إليها على انفراد، فنهضت الحوريّة لتحادثها وابتعدتا قليلاً حيث لا يسمعهما أحد وسط استغراب كادي، إذ أنها المرّة الأولى التي يحدث معه فيها مثل ذلك الموقف المغاير لطبائع الحوريّات.

وفي الجهة المقابلة من قصتنا انضمت القيّمة جيندا وكل من القيّمتين ليلاف وهيفار إلى مجموعة حوريّات تُعرف باسم مجموعة ديفام، وقد استدعتهن القيّمة ليلاف بسرّيّة تامة فور علمها بما حصل مع الحوريّة الأم، لا لشيء سوى لعدم إثارة البلابل في المدينة في محاولة للحد من مخاوف الحوريّات المتخوّفة مسبقاً. وللعلم فقط شكّلت هذه المجموعة منذ زمن قديم للغاية من قبل الحوريّة كادي؛ أول من شغلت منصب الحوريّة الأم في مدينة آينجه، وقامت الحوريّة كادي على تأسيسها لتكون الدفّة القادرة على إعادة توجيه مركب حياة جنس الحوريّات في حال انحرف يوماً ما، وبالرغم من كونهن منزوعات السلطة حظيت حوريّات مجموعة ديفام باحترام كبير من يوم تأسيسها حتى يومنا الحالي.

وتتكون المجموعة من ست حوريّات، منهنّ من كانت ذات منصب سابقاً ومنهنّ من لم تكن، وهنّ أفضل من امتلك خبرة الحياة في المحيطات. وتعد هذه المجموعة معزولة عن مجتمع الحوريّات وعن سلّم سلطته فلا تُضم لها حوريّة إلا باستيفاء شرطين اثنين؛ أولهما تلاشي عضوة من أعضاء المجموعة، والثاني أن تقوم باقي المجموعة باختيار حوريّة ملائمة لتقوم بملء المكان الشاغر فيها.

وهي كمجموعة شبه منسيّة لا يكاد يُذكر اسمها في مدينة آينجه لندرة الحاجة إليها، إذ يقتصر اجتماعها في الأمور الجلل التي تصيب جنس الحوريّات، ويقال إنها اجتمعت قرابة السبع مرات طوال فترة تشكلها، وكانت آخرها يوم تلاشت الحوريّة الأم ديفا بشكل فجائي، واختارت كل قيّمة من القيّمات الثلاث - حينها - زميلتها لتكون الحوريّة

الأم، فكانت تتدخل مجموعة ديفام بالمشورة لترشيح القيّمة على قطاع سافاز للمنصب، وبالفعل هذا ما حدث رغم تماشي القيّمات المبدئي مع أحد الاقتراحات الداعي لإقامة قرعة فيما بينهم.

أخذت القيّمات جيندا، ليلاف وهيفار ومجموعة ديفام يتباحثن في مستجدات المدينة وكم طال وقت تباحثهن! وكان النصف الأول مما تباحثن فيه معروف مسبقاً إذ لا يمكن أن تبيت مدينة آينجه بدون حوريّة أم ولو كانت مؤقّته. وكما توقع كدي وكما رغبت القيّماتان ليلاف وهيفار وكما أيّدت مجموعة ديفام بالإجماع تم اختيار القيّمة جيندا لتكون الحوريّة الأم «المؤقّته» إلى أن تتوضّح أكثر الحالة الصحيّة للحوريّة ديلماف، فإن استعادت عافيتها فقدت القيّمة جيندا منصبها الجديد وإلا بقيت عليه، وتبع ذلك القرار اختيار الحوريّة آيلا لتصبح القيّمة - مؤقّتا - على قطاع سافاز.

أما النصف الثاني من مباحثات الحوريّات فكان غير متوقع البتّة، إذ أوّست إحدى حوريّات مجموعة ديفام - وأيدتها مجموعتها بالإجماع دون تردد - برفض زواج الحوريّة المخالف لشرائع الحوريّات المقدسة مهما بدا الرفض قاسياً، أو القبول به شكلياً بشرط قتل الزوج البريء قبيل إتمام زفافه بانتزاع قشرة لؤلؤة الحياة من عنقه. وأغرب ما كان في الأمر هو رفض أعضاء المجموعة سماع ما لدى القيّمات من آراء حول هذا الزواج من جهة، ومن جهة أخرى ردة فعلهنّ الغريبة بإصرارهن على مقترحهن القاسي وعدم الحياد عنه ولو قيد أنملة، وكان في موقفهنّ ما فيه الكفاية ليثير حفيظة القيّمات، ولكن أعضاء المجموعة برّرن موقفهنّ ذلك برفضهنّ المشاركة في أكبر الحماقات التي قد تحدث في تاريخ الحوريّات على الإطلاق.

أما خارج بيت البلجيك فكانت مستويات توتر حشود الحوريّات المرابطات حوله في أقصى مستوياتها، لذا ولتهدئ القيّمة هيفار من تلك الحالة غير الصحيّة أرسلت فور انتهاء المباحثات مع مجموعة ديفام

رسالة للعاملات في المنارة الثالثة ليقمن بإعلانها على الملأ؛ مفادها أن لإصابة الحورية ديلماف بوعكة صحية شديدة أفقدتها وعيها؛ ستشغل القيمة حيندا منصب الحورية الأم مؤقتًا، لتترك موقعها كقيمة على قطاع سافاز للحورية آيلا، ابتداءً من لحظة انتهاء الإعلان. وأنه سيعلن عن القرار النهائي بخصوص زواج الحورية نايا صباح الغد عبر المنارة.

عمّ الصمت مع انتهاء إذاعة ذلك الإعلان، وعمّت معه مشاعر ما بين الصدمة والخيبة علت وجوه الحوريات المحتشدات، ووصل للجميع الشعور ذاته بكون مجتمع الحوريات على موعد مع بداية عصرٍ جديدٍ مغاير عمّا عهدنه واعتدن عليه، ثم تفرّقن كلّ إلى مشاغل يومها وتفرّق معهنّ الرجال المحتشدون رغم عدم فهمهم لما احتواه الإعلان، ومع الوقت ترجمت كل حورية ما جاء في الإعلان للرجل الذي يخصها من رجال المدينة.

أما الحورية نايا فشعرت بغصة من نوعٍ مغاير، فخبر الحورية ديلماف قديم بالنسبة إليها، وخبر الحورية الأم الجديدة شبه محسوم، وفي المقابل سبّب خبر قيمة قطاع سافاز الجديدة غصتها، فما كانت لتتوقع اختيار حورية غيرها لمثل ذلك المنصب على الرغم من كل ما بدر منها مؤخرًا. وكم حاولت حوريتنا تناسي هذا الموضوع ولكنها لم تستطع! وما زاد من غصتها اختيار الحورية آيلا عوضًا عنها، خصوصًا لكونها قد اختيرت من قبل لتكون حاملة الأولدوروجو وهو ما كانت تتوقعه لنفسها، مع العلم أن القيمة وحاملة الأولدوروجو منصبان لم يجتمعا لدى نفس الحورية من قبل. أما بخصوص زواجها فاعتبرته تحصيل حاصل ونتيجة محسومة لكل ما عانته من أجل إتمامه.

كان سائر ذلك اليوم كالإجازة الصيفية البشرية للحورية نايا، فلم تعمل فيه ما يُذكر سوى تناول الأوتلاش وبدرجة أقل تبادل الأحاديث مع نُوا، وبقيت على حالها مع الطعام والكلام إلى أن حل مساء آينجه فالتجأت إلى حجرتها واستسلمت للنوم بطمأنينة وسكون، وبالطبع كان قطها يلازمها كظلها، وعلى قدر طمأنينتها المريبة انتاب نُوا القلق

وتدريجياً انتابه تأنيب الضمير، ومع حلول المساء بدأ يشعر بالندم على مجاراته لهوريته، وبالرغم من تأخر قلقه وتأنيبه لضميره وندمه بعض الشيء إلا أن شعوره بهذه المشاعر أفضل من عدمه.

وفي صباح اليوم التالي أيقظت الحوريات العاملات في المنارة الثالثة مدينة آينجه على عزف موسيقي هادئ عذب ورقيق للغاية استمر لقراءة ثلاث دقائق، وكان هدفهنّ منه إيقاظ حوريات المدينة أرقّ إيقاظ، ومن ثم أعقب الموسيقى إعلان يتضمّن مباركة الحورية الأم الجديدة «جيندا» لزفاف الحورية نايا من المدعوّ نوا مساء ذلك اليوم في ميدان جاساريت، وأن دعوى الحضور مفتوحة للجميع، وللمرة الأولى في تاريخ مدينة آينجه تمت إذاعة الخبر بلغة بشر أيضاً. للوهلة الأولى استقبلت حوريتنا الإعلان بابتسامة هزيلة أتبعها بالخجل، خصوصاً لكون شريكها المستقبلي قبالتها لحظة سماعها للخبر، وما بين الإعلان عن النبأ بلغة الحوريات وإعلانه بلغة البشر عبّر وجه نوا عن كل ما لديه من آيات التوتر والقلق، وفي المقابل ارتاح وجهه أعظم ارتياح فور سماعه الموافقة بلغته واستقبله بفرح داخليّ عارم لا يوصف، لا لكونه سيتزوج من حوريته وحسب، بل لعودة الوثام ما بين الحوريات.

وعلى عجلة توجه الزوجان المستقبلان إلى بيت البلجيك، وهناك قبالته وجدا مجموعة حوريات من رفاقهما؛ شيار، جيان، نيروز وبيرين، وبعد وصولهما بقليل قدمت كل من الحوريات استيرا، آشين وسيماف، وبذلك اكتمل عقد المشاركين بالسرية التي قتلت سيد الأوركا باستثناء القيمة الجديدة آيلا وكدي المتروك نائماً في مسكن الحورية نايا، وبالرغم من التباين الكبير بين آراء الحوريات حول مشروعية الزواج المنتظر، استطاع قرار الحورية الأم توحيد قلوبهنّ من جديد، وما جمعهنّ قبالة بيت البلجيك إلا الحدس الذي حثهنّ على التجمع في ذلك المكان للتجهيز من أجل الزفاف، خصوصاً لضيق الوقت المتبقي على بدايته.

دخلت الحورية نايا داخل بيت البلجيك لتشكر الحورية الأم

الجديدة وكلُّ من القيّمتين ليلاف وهيفار على ما فعلنه من أجلها، دون أن تضع باعتبارها أن هناك قيّمة جديدة تدعى القيّمة آيلا، لا لشيء سوى لأنها لم تتقبل فكرة كونها كذلك بعد، وكان دخولها سريعًا بين لها مقدار امتعاض كبار الحوريّات منها ومن فعلتها مع الحوريّة ديلماف، ومن خلاله أيضًا تبين لها أن قبولهنّ بزفافها آخر ما قد يساعدها به.

وأثناء ذلك عملت الحوريّتان سيماف وبيرين على اختيار أكثر أثواب الحوريّات - من مجموعة أثواب الحوريّات الموجودة في قطاع سافاز - ملائمة لزفاف صديقتهما، وقامتا بتعديله بأفضل مهارة متوفرة وبأقصى سرعة ممكنة ليتماشى مع ما اعتادت حوريتنا الثرثرة عن تصوراتها له؛ لونه وشكله وتفصيله الصغيرة قبل الكبيرة، وبالرغم من كون تصورها للثوب بعيدًا كل البعد عن ذوق مجتمع الحوريّات تمكنت الحوريّتان من الإبداع بتصميمه، وكم ذهلت حوريتنا لدى رؤيته له!

رغم جماله كان الثوب بسيطًا للغاية؛ أسود اللون، يبدو قسمه العلوي كشبكة كثيفة من خطوط قطنية تناست عن قصد الاشتباك أمام جيد من ترتديه، وخصره ضيق مغطى بما يشبه لآلى سوداء صغيرة لامعة مرصوفة بإحكام، ومن الأسفل عبارة عن طبقات متعرّجة من قماش شبيه بالقماش البشري المعروف باسم جورجيت. واستنادًا إلى لون ثوبها اختارت الحوريّة بيرين لثوبًا مماثلًا لما ارتداه طوال فترة مكوثه تحت سطح الماء ولكن أسود اللون، وذلك لعدم وجود خيارات تخصّ ثياب زفاف رجال آينجه سوى اختلاف ألوانها عن اللون الأبيض المعتاد. وفي مقابل جهد الحوريّتين سيماف وبيرين، أخذت باقي الحوريّات المتحفزات المتواجדות في الخارج بالعمل على قدم وساق من أجل التحضير والتجهيز اللازم لإقامة أكبر حفل زفاف في تاريخ مدينة آينجه، ولذلك تحمّس العديد من حوريّات المتواجדות في تلك الأرجاء وتبرّعن بالمشاركة، وخلال وقت قصير نسبيًا تمكنت المجموعة المتبرعة من جعل ميدان جاساريت مسرحًا أسطوريًا لم تعهد المدينة مثله من قبل.

وتسم الزفاف أخيرًا وبالفعل كان أجمل زفاف في تاريخ الحوريات على الإطلاق، حضره سكان آينجه جميعًا كبارًا وصغارًا، الحوريات والرجال، المعارض له قبل المؤيد، حضره الجميع باستثناء الحورية ديلماف، حتى كدي تواجد في الحفل ولكنه فضل البقاء خلف منصة ميدان جاساريت، وأغلب الظن أنه فعل ذلك حزنًا، كحزن الأم التي تزوج ابنتها، ذاك الحزن الذي يحمل في طياته الفرح العارم. أعرتموه؟ وبالنسبة إلى حوريتنا فكانت الأكثر سعادة على الإطلاق، وكيف لا تكون كذلك وقد تحققت لها مرادها أخيرًا للمرة الأولى في حياتها - في شقي حياتها الأرضية والبحرية - رغم كل ما واجهها من الصعاب. أما نُوا فحاول إسعاد نفسه قدر الإمكان وفي قلبه غصة كبيرة، فما كانت لتغيب عنه الراحلة كيت طوال حفل الزفاف.

النهاية

ومع انتهاء ذاك اليوم كان قد أُسدل الستار على قصة زواج الحورية نايا من المدعو نوا على حساب خرق إحدى شرائع الحوريات المقدسة، وكانت المرة الأولى التي تُخرق فيها تلك الشرائع عبر تاريخ الحوريات، وأسوأ ما كان في الأمر أنها اختُرقت عن سبق إصرار وترصد وسط أجواء من فرح وسعادة جميع الحوريات - باستثناء الحورية النائمة ديلماف - اللواتي سلّمن لموافقة الحورية الأم المؤقتة معتقدات بذلك تحملها كل المسؤولية عن قرارها بمباركة الزواج المخالف لشريعتهم. وفي صباح اليوم التالي لليلة الزفاف تأخر الزوجان في الاستيقاظ وعندما استيقظا وجدا مدينة آينجه وقد دخلت حورياتها في حيز تنفيذ رؤية استعادة أمجاد مملكة آيف، فمنذ الصباح الباكر كلّفت الحورية الأم الجديدة أول ثلاث فرق متخصصة للعمل في المملكة المهجورة، وبالفعل انطلقت الفرق فور انتهائها من استعداداتها تمامًا كما خططت الحوريات من قبل؛ إحداهما لتنظيف المملكة والثانية لترميم مبانيها والثالثة لحماية مجموعتي الحوريات العاملة.

وفي صباح اليوم التالي لذاك اليوم انخرط ثنائينا الحديث العهد بالزواج في حياة آينجه اليومية كما كانا سابقًا، لا يفرقهما عمّا كانا عليه من قبل سوى سعادتهما البالغة وتضاعف طاقتهما. ولقراءة ثلاث دوراتٍ قمرية تلت يوم زفافهما عاشت مدينة آينجه على ما هي عليه دون جديد يُذكر سوى العمل على قدم وساق وبجدّ واجتهاد على تحقيق رؤية الحوريات الجديدة. وهكذا بقيت الأحوال كما هي إلى أن حلت ليلة سطوع البدر الثالث من بعد يوم زفاف الحورية نايا ونوا إذ تفاجأت

الحواريّات باستيقاظ الحوريّة ديلماف، وكم بدت الحوريّة المستيقظة غريبة منذ تلك اللحظة!

بدت نظرات الحوريّة ديلماف حادّة وبدت تعابير وجهها جادة للغاية وفيها ما فيها من الغضب، وأغرب ما كان منها أنها لم تنفوه سوى بتساؤلين مختصرين لا ثالث لهما؛ (كم لبثت؟) والثاني بعد برهة: (أزوجتموها؟) ولم تضيف كلمة واحدة بعد ذلك، فأجابتها الحوريّة زيرا التي كانت تجالسها ليلتها بكونها قد فقدت وعيها منذ قرابة ثلاث دورات قمرية، ونعم إن كانت تقصد الحوريّة نايا بالسؤال عن تزويجها.

الغريب في الأمر أن الحوريّة المستيقظة لم تتفاجأ من إجابتي جليستها ولا حتى تأثرت بها. وما كان منها إلا أن خرجت من حجرة الصدفة العجيبة وغادرت بيت البلجيك على الفور، وبالطبع لم تتركها الحوريّة زيرا وحدها فتتبعها إلى أن اطمأنت عليها حين رأتها تدخل أحد مساكن الحوريّات غير المأهولة بالقرب من مسكن الحوريّة هيف، ولفترة طويلة لم تخرج الحوريّة من مسكنها الجديد، ورفضت بشكل قطعي مقابلة أيّ من الحوريّات.

ومع مرور بضعة أيام استسلمت الحوريّات لرغبة الحوريّة المنعزلة وكففن عن محاولة ثنيها عن موقفها بالرغم من كون الأمل يحدوهم بعودتها الحوريّة الأم التي كانت من قبل، وكانت الحوريّة جيندا أشد من تمت ذلك لشعورها بمدى صعوبة وخطورة كون الحوريّة حوريّة أم. أما الحوريّة هيف فلم تستسلم كما استسلمت باقي الحوريّات، فواظبت على زيارة صديقتها يومياً حاملةً إليها سلّة أو تالاش صغيرة، وكانت تجلس قبالة باب مسكنها المغلق وتسرد لها كل مستجدات المدينة، الصغيرة قبل الكبيرة والتافهة قبل المهمة ثم تترك سلّتها وترحل، وفور رحيلها كانت الحوريّة ديلماف تفتح باب مسكنها فتحة صغيرة تُمكنها من سحب سلّة الأوتالاش إلى الداخل، فتأكل ما فيها وتعيدها إلى مكانها.

وبالطبع لم تتوقف الأيام لا عند الحوريّة ديلماف ولا عند

موقفها المنعزل من الحياة، فاستمرت الحياة هادئةً في مدينة آينجه أيما هدوء، والعمل مستمر على قدم وساق في مملكة آيف وعلى أحسن ما يرام، وأحوال الحوريّات بلا جديد يُذكر ما بين عملهنّ داخل المدينة وخارجها، وما بين زواج بعضهنّ وإنجاب أخريات وتلاشي قلةٍ منهنّ. عاشت المدينة أيامًا روتينية هادئة لم يكدر صفوها أي شيء.

ولكن كما لكل بداية نهاية كان لهدوء مدينة آينجه نهاية أيضًا، وكانت نهايته إثر اكتشاف الحوريّة نايا كونها ستصبح أمًا! نعم أخيرًا جاء اليوم الذي حلمت به صديقتنا فوق سطح البحر كما حلمت به تحت سطحه، اليوم الذي قامت حوريتنا بغية الوصول إليه بالتضحية بحياتها الأرضية، واختطفت رجلًا من حياته دون استئذانه، وقاتلت حيتان الأوركا، ودخلت غابة هاريكا، ومن ثم تعاونت مع مجموعة الحوريّات المنبذات، نعم جاء اليوم الذي حُشدت لأجله الحوريّات في فريقين؛ فريق «مع» وفريق «ضد» للمرة الأولى في تاريخ المدينة، نعم جاء اليوم الذي أزيحت لأجله حوريّة الأم من منصبها من غير وجه حق، ليصبح قدوم يوم اكتشاف الحوريّة لحملها نتيجة متوقعة لخرق إحدى الشرائع المقدسة. فكيف لا تضج المدينة بمثل ذلك الاكتشاف بعد كل ذلك!

وطوال أيام حمل حوريتنا، تربّع أمر الحمل وتطوراته على قمة الأحاديث المتداولة بين الحوريّات. ومع اجتياز الحمل الأشهر شهرًا بعد شهرًا تعاضم ترقب مجتمع آينجه للصغيرة القادمة، وكانت توقعات الجميع تنصب بتتويج قصة الحوريّة العنيدة المكافحة بولادة صغيرة فاتنة الجمال تسميها أمها باسم إيفان على اسم الرائعة جدتها. أما حوريتنا فمنذ لحظة اكتشافها لحملها إلى اللحظة قبيل ولادتها عاشت وزوجها في حالة سعادة غير مسبوقة، هي لحملها المنتظر وهو لشعوره باكتمال سعادة زوجته، فشعوره ذلك كان الشيء الوحيد الذي ينقصه من أجل تمام سعاده في حياته تحت سطح البحر.

وفي صباح يوم الولادة المتوقع توجهت الحوريّة مع رفقتها

المعتادة؛ زوجها وقطعها إلى قطاع تيدافي سيرًا على قدميها، بالتحديد إلى مبنى اللؤلؤة البيضاء حيث تلد الحوريات - سمي كذلك لأنه مبني على هيئة لؤلؤة عملاقة - وكانت حوريتنا تعاني من إرهاقٍ شديد بالكاد تحتمله، ولكنها بالرغم من إرهاقها أصرت على الذهاب إلى ذاك المبنى سيرًا على قدميها، وذلك لإيمانها بإحدى الخرافات الرائجة التي تدعي بأنها سوف تنجب حوريةً فائقة الجمال كل حبلتي تنجب في مكانٍ تذهب إليه سيرًا على قدميها، لذا رفضت الذهاب إلى هناك سباحةً أو الاستعانة بالسلاحف من أجل ذلك.

ولدى وصولها وجدت الحورية في انتظارها استقبالًا كبيرًا لم توقعه شاركت فيه أعداد كبيرة من الحوريات حيث استقبلنها استقبال الأبطال، وبعد ذلك استلمتها مجموعة من الحوريات العاملات في قطاع تيدافي وعلى رأسهن القيّمة هيفار فأدخلنها إحدى حجرات المبنى وأتممن لها كل الإجراءات اللازمة واطمأنوا عليها، ثم حجرت كلٌّ منهنّ موقعًا تنتظر فيه لحظة الولادة المنتظرة.

وعلى غير المتوقع تمت عملية الولادة في سرعة قياسية مريبة لم توقعها لا الحورية الوالدة ولا رفيقاها ولا حتى حوريات القطاع. وعلى الرغم من ذلك كانت لحظة الولادة تلك لحظة مصيرية كافية ليصاب كل من شاهد المولود بالصدمة، فنسيت حوريتنا ألمها، ونسي زوجها قلقه وتوتره، ونسيت الحوريات كل ما يتعلق بأمر رعاية الوالدة والمولود.

انقضت قرابة الخمس ثوان عقب ذاك المشهد والصمت التام سيد ذلك المكان، وكان كيدي الحاضر المغيب الوحيد في حجرة الولادة بسبب قصر قامته. انتظر القط قدر ما استطاع إلى أن يئس من سيادة الصمت البغيضة فقفز إلى جانب الحورية الوالدة ونظر إلى المولود نظرة المتفحص وقال بذهول: (إنه ذكر! طفل حوري!).

كان المولود بالفعل ذكرًا، طفلًا حوريًا كما قال كيدي، طفلًا فائق الجمال؛ وجهه دائري ممتلي من ذوي البشرة البيضاء، وعينه زرقاوان

كعيني والده، ولوزيتا الشكل كعيني والدته، وكان شعره أشقر قصيرًا وخفيًا ضمن تناسق طبيعي جميل، في الواقع كان الصغير مزيجًا مثاليًا ما بين والده ووالدته، ولكن لؤلؤة حياته سوداء!

أعقبت الحوريات المتواجرات في حجرة الولادة ردة فعل كدي بعبارات أكدن فيها على ما قاله ثم خرجن تبعًا وهنّ فرعات - وما كان فزعهنّ من شيء إلا من هول المفاجأة - كل واحدة تنقل ما رآته بأمر عينها إلى كل من تصادفها أمامها. وبذلك انتشر خبر ولادة الطفل الحوري ذي اللؤلؤة السوداء في المدينة انتشار النار في الهشيم ما أدى لتجمع أعداد كبيرة من سكان المدينة خارج مبنى اللؤلؤة من جديد بغية رؤيته.

احتاجت الحورية الوالدة للقليل من الوقت لتستعيد عافيتها وتأقلمت مع أن مولدها حوري بدلًا من كونه حورية كما تلد الحوريات، جاعلةً من حالتها كأم أعظم حالة تتنابها، وما أن تأقلمت مع نصيبها حتى قررت مغادرة مبنى اللؤلؤة على وجه السرعة رغم ممانعة الحوريات المتواجرات حولها لذلك، ولعنادها المعهود تُركت للوالدة حرية اتخاذ القرار الذي يناسبها، فخرجت وطفلها بين يديها وزوجها وكدي خلفها وكانت بحالة فليقة أكثر من كونها بحالة فرحة. ومن أين لها بالفرح في تلك الأثناء!

وعند تجاوزها لبوابة مبنى اللؤلؤة تفاجأت الحورية بوجود حشد كبير من الوجوه في انتظارها، وليقينها بمعرفة ما يجول في أذهان المحتشدين تقدمت بضعة خطوات ثم رفعت طفلها عاليًا وقالت: (نعم إنه ثيو، الطفل الحوري ثيو! طفلي الوسيم!) وبقيت على حالها بضعة ثوانٍ إلى أن سمعت صوتًا يقترب منها يخاطبها قائلاً: (اخفضيه .. إننا نعلم أن وسامته مهما عظمت لا تخفي حقيقة كونه مسحًا! أليس كذلك أيتها الحوريات؟) وكان ذلك الصوت كافيًا لتخفض الأم الجديدة طفلها وتُصاب بالذعر ويُصاب لسانها بالعجز.

كان ذلك الصوت صوت الحورية ديلماف، الحورية الأم السابقة

وقد تخلت عن صمتها أخيراً. اخترقت الحوريّة الأم صفوف الحوريّات المحتشدات واقتربت من الطفل الحوريّ وأخذت تنفحسه بينما هو في أحضان أمه، وأضافت مع انتهائها من ذلك: (علينا التخلص منه قبل فوات الأوان) وصادف ذلك ظهور الحوريّة الأم الجديدة والقيّمات من خلف الحوريّة نايا.

نظرت الحوريّة نايا إلى الحوريّة الأم المؤقتة والحوريّة الأم القديمة والقيّمات نظرةً غاضبة يشوبها القليل من الألم ثم رحلت، ضمّت صغيرها إلى صدرها بقوة واخرقت المتحشدين راحلةً، وطوال طريق عودتها إلى مسكنها لم تصادف الحوريّة أيّاً من السلاحف لتختصر عليها طريقها، همّت أكثر من مرة باختصار الطريق سباحة رغم كون ذلك ممنوعاً ولكنها كانت تغض النظر عن ذلك لضعف جسمها، ولاحقاً سمعت الحوريّة أن السلاحف فضّلت الابتعاد عن مولودها لكونه مخالفاً للطبيعة. وفي غضون الدورة القمرية التي تلت ولادة ثيو استعادت الحوريّة ديلماف منصبها كحوريّة أم لأنها عادت إلى طبيعتها، وذلك حسبما ينص قانون الحوريّات، وبشكل تلقائي فقدت الحوريّة آيلا منصبها كقيّمة على قطاع سافاز لصالح الحوريّة جيندا، ولم تتوقف الحوريّة ديلماف عند ذلك الحد فاجتمعت بمجموعة ديفام وكان ذلك أول ما فعلته فور استعادتها لمنصبها فاستشارت المجموعة بأمرٍ عزمّت على القيام به، وفور حصولها على تأييد المجموعة وكان تأييد المجموعة لها بالإجماع، أعلنت الحوريّة الأم عبر المنارة الثالثة قرارها بالسماح للطفل ثيو بالبقاء في مدينة آينجه لفترةٍ أقصاها سبعة أعوام! سبعة أعوام فقط!

وعلى النقيض التام من محاولات حوريتنا لثني الحوريّة الأم عن قرارها كان ثيو رغم صغره يذهل الجميع بما في جعبته من الأذى، وساعده على ذلك معدل نموّه غير الطبيعي، ففي الثالثة من عمره كان الصغير يكافئ حوريّةً بعمر السبعة أعوام، وكان يكافئها عقلياً قبل جسدياً، مع امتيازها عن الحوريّات ذوات السبعة أعوام بقدرته الفظيعة على الأذى.

كان شعاره غير المعلن في حياته هو الأذى لمجرد الأذى، وكان أذاه يطال الجميع؛ الحوريّات والكائنات البحرية وحتى النباتات، وسوى والدته «أحياناً» لم يتمكن من تهدئته أحد.

وبقي الوضع على ما هو عليه حتى حلول ذكرى ميلاده الرابعة وكان وقتها بعقل وحجم حورية ذات اثنتي عشرة سنة، وفي يومه ذلك تسبب ثيو عن سبق إصرار وترصد بتلاشي ثلاث حوريات عاملات في قطاع تيرم كنّ يعنينن بإحدى الشجيرات المصابة بنوع غريب من الأوبئة قرب مسكنه، وكان ذلك على مرأى ومسمع العديد من الحوريات.

وقبيل وصول خبر تلك الحادثة إلى مسامع كبار الحوريات في بيت البلجيك خطر على بال الحورية نايا فكرة وجدت أن من شأنها حماية طفلها من جراء ما اقترفت يدها - ألا وهو التلاشي كما ينص قانون الحوريات - وأغلب الظن أن لا فكرة ستفي بالغرض مثل فكرتها، وكانت فكرتها تتمثل في نقل طفلها المذنب للعيش مع مجموعة الحوريات المنبوذات في مأمن من قانون مدينة آينجه الصارم.

وما كان كيدي لينخرط مع الحورية نايا في مثل ذلك الأمر لو لم يكن متعلقاً بها شخصياً، وفور إبداء القط موافقته انتقلت الحورية للتخطيط السريع من أجل البدء بتنفيذ عملية تهريب ثيو، وكم صعقت عندما استوعبت رفض زوجها مشاركتها في ما تنوي القيام به. في البداية ظنّت الحورية أن السبب في رفض نُوا هو خوفه من غابة هاريكا، ولكنها صعقت أكثر عندما تبين لها سبب رفضه الحقيقي؛ إذ رفض نُوا المشاركة في إنقاذ أي قاتل مهما كانت صلته به حتى لو كان ابنه، مستذكراً القاتل لو كاس وضحاياه، كلاً من أخيه جيرود وزوجته كيت وابنته كلارا. وكعادتها التي امتازت بها، لم تعجز حوريتنا عن تجاوز العائق الجديد الذي ظهر لتوّه أمامها، وبنهاة فائقة! إذ تذكرت على الفور ما أسرّته لها القيمة السابقة هيف عند المنارة الثالثة بكونها قد تذكرت أن زوج الحورية جولدا هو ذاته والد نُوا، ولتؤكد لُنوا صحة معلومتها

بينت الحوريّة نايا كيف كانت الحوريتان هيف وجولدا قديماً من أقرب الصديقات، وكيف أن صداقتهما منحت الحوريّة هيف احتكاكاً جيداً بوالد نُوا، وأن لولا التشابه الكبير بين نُوا ووالده لما تيقنت الحوريّة هيف مما قالته.

وهكذا اضطرت الحوريّة نايا كشف ما أخفته لسنوات عن زوجها خوف فقدانه، ولمقدار صدمته مما أعلمته به فقد نُوا قدرته على لومها عن إفشائها لذلك السر.

وخلاصة الموضوع وجد نُوا نفسه في صف زوجته وقطعها بغية نقل ابنهما ثيو إلى برّ الأمان، أو بالأحرى إلى كهف الأمان حيث تسكن مجموعة الحوريات المنبوذات، وبالطريق إلى ذلك لعله يجد ريح والده عندهم، وبالفعل انطلق الفريق كما انطلق سابقاً ولكن برفقة ثيو هذه المرة ودخلوا غابة هاريكا وتوجهوا لوكر المنبوذات، وهناك وجدوا الحوريات في استقبالهم مع أشد الترحيب دون أن يبدو أدنى درجة استغراب من تواجد طفل حوريّ مع زائريهم، بل وعلى العكس تماماً إذ رحبت إحدى الحوريات المنبوذة بثيو على الفور قائلة: (يا مرحباً بصاحب لؤلؤة الحياة الجميلة) كناية عن لؤلؤة حياته السوداء.

ثم بدأ اللقاء سريعاً بين فريقنا والمنبوذات وكان ذلك من قبل نُوا الذي تساءل أولاً عن مكان والده، وبدون مبالاة بل وبشكل ممزوج بالسخرية أجابته الحوريّة جولدا بكونها قد أعادته إلى سطح الأرض بعدما أنجبت منه ابنتها، وبسخرية أكبر تابعت إجابتها بكونها قد سحرت والده ليفقد ذاكرته كمقابلٍ للسماح له بالرحيل، وأخيراً أضافت الحوريّة والضحك يغالبها بأن والده المسحور ظلّ يعد نفسه قبيل إصابته بالسحر بقدرته على استعادة ذاكرته مهما كلفه الأمر «على حسب قوله».

وبذلك انتهى اللقاء بالنسبة لُنوا وبدأ بالنسبة للحوريّة نايا، ودون أن تقوم بتوضيح كل ما أرادت توضيحه أبدت الحوريّة جولدا موافقتها على الاحتفاظ بثيو والاعتناء به بلا أيّ مقابل بل وبكل سرور.

وكان ذلك كافيًا ليثير الكثير من شكوك الحوريّة وزوجها، ولكن الظروف كانت أقوى من كل الشكوك لذا ودّع الوالدين صغيرهما وغادروا متجهين لمدينة آينجه، وهناك وجدوا ساكني المدينة في حالة بحث جادٍ وموسّع عن طفلهم المجرم، والطبع لم يكن ليخطر على بال أحدهم أنه قد تم تهريبه من المدينة من قبل والديه، وإلى أين! إلى الحوريّات المنبوذات، وكيف! عبر غابة هاريكا!

ومع مرور الأيام والشهور أخذ أمر البحث عن ثيو يفتر وتابعت الحوريّات حياتها كما كانت عليها سابقًا من أجل استعادة أمجاد مملكة آيف، أما نُسوا فدخل في صمت عميق نادرًا ما كان يتنازل للخروج منه، وأما الحوريّة نايا فكانت تنتظر يوميًا حدوث معجزة ما تسمح بعودة صغيرها إلى حضنها.

ومرت الأعوام سريعًا وانتهت الأعمال في مملكة آيف، وأن الأوان أخيرًا لنتنقل الحوريّات للحياة في المملكة المُجددة وتودع الحياة في مدينة آينجه، وكانت تلك الحقبة من حياة الحوريّات الأفضل في العهد الحديث، وكان ذلك بعد مرور قرابة عشرة أعوام على ولادة ثيو. احتاج ساكني آينجه لقرابة أسبوع لينتقلوا إلى مملكتهم المُجددة، انتقلوا تبعًا عبر نوافير المياه على شكل دفعات باستثناء فريق صغير من الحوريّات كانت مهمته الحفاظ على صلة الحوريّات بمدينة آينجه بحيث يتم استبداله أسبوعيًا بفريق آخر.

استمرت الاحتفالات في مملكة آيف ثلاثة أيام كانت الأكثر بهجة في تاريخ الحوريّات الحديث، تخلى فيها الصامت نُسوا عن صمته وتخلت فيها الحوريّة نايا عن قلقها الدائم بخصوص ابنها، وفي نهاية يوم الاحتفالات الثالث تفاجأت الحوريّات بزيارة خمسة دلافين حاملين معهم رسالة من الدولفين يُنس - كبير جنس الدلافين - مفادها تحذير الحوريّات من احتشاد مريب لعدد هائل من حيتان الأوركا غرب مملكتهم، وما أصعب أن ينتقل المرء من نعيم الفرح إلى نيران القلق!

وفور سماعها للنبأ تيقنت الحوريّة ديلماف من نيّة سيد الأوركا لشن أعظم ما يستطيع من المعارك ضد الحوريّات لمحاولة إفشال عودتهن إلى مملكتهن القديمة، إذ أن عودتهن تعني من كل بد بدء انحسار نفوذ الأوركا في عالم البحار، وقد تعني انقراضه من يدري! ولكن معرفة الحوريّة المسبقة بعدم جاهزيّة الأوركا لمثل تلك المعركة أثارت استغرابها، ولكنها لم تعبأ بذلك كثيرًا و عوضًا عن الغوص في تفسير ما يحصل من حولها عملت الحوريّة برفقة القيّمات على إعداد الحوريّات أفضل إعداد لمواجهة الخطر المحقق، فالحوريّات أيضًا قوّة لا يستهان بها على الإطلاق.

كان يومان اثنان هما المدة التي فصلت بين رسالة الدولفين يُنسس ووصول أسطول الأوركا إلى مضارب مملكة آيف الغربية، ولكن المفجأة التي لم تحتوها رسالة الدلافين هي توسط الحوريّة جولدا والحوريّات المنبذات رفقة سيد الأوركا للأسطول الضخم، وبالرغم من تلك المفجأة لم تكن أبرز ما أذهل الحوريّات، إذ أذهلهم أكثر ترأس ثيو لمقدمة الأسطول.

نعم! الصغير ثيو الذي غدا كبيرًا بما فيه الكفاية ليكون قائدًا للجميع. بدا ثيو ثلاثينيًا بالرغم من كونه في العاشرة من عمره فقط، وليس كأبي ثلاثيني! كان جسمه ينطق بالقوّة والقدرة وكانت نظراته تتوعد بكل حدّة. وفي المقابل لم تكن الحوريّات أقل عدّة وعتادًا من أسطول الأوركا، فكان احتشادهم لاستقبال المعتدين عظيمًا لا يقلّ عن احتشاد الأوركا. وما بين احتشاد الجيشين واقتراب ساعة المواجهة انتشرت رائحة الفناء في المكان، رائحة الفناء التي لم يأبه لاشتمامها أحد سوى الحوريّة الأم وسيد الأوركا، ومن سواهما سيعبأ ببني جنسه؟ قد يكون سيد الأوركا مؤذيًا وقد يكون شريرًا ولكنه بالتأكيد الأكثر رحمةً بما يخص بني جنسه. وفي المقابل ما لمجموعة الحوريّات المنبذات ليخسرنه؟ بل على العكس من ذلك كنّ يجدن في الدمار العزاء المناسب جزاء

نبذهنّ خارج مدينة آينجه، أما ثيو فلم يعلم أحد ما كان يدور في خلدِه. تقدمت الحوريّة الأم عن صف جيشها وطلبت محادثة أيّ من الجيش الذي يقابلها، وعلى الفور خرج سيد الأوركا لها ليقينه بكون حديثها قلبيّ المنشأ. ارتابت الحوريّة جولدا من تقدّم سيد الأوركا فلحقته ووقفت بجانبه، ولذلك تقدمت الحوريّة جيندا ووقفت بجانب الحوريّة الأم كمساندة لها ضد تحرك الحوريّة المنبوذة، وبعد ذلك بقليل تقدمت الحوريّة نايا نصف تقدم، وقلبا يسابقها للوصول إلى صغيرها.

وفي هذه الأثناء ظهر من جهة الشرق أسطول ضخم من الدلافين يترأسهم الدولفين يُنسّس، ويتخلله مجموعة متنوعة لا يُستهان بها من الأسماك، وكم تسبب ذلك في شحذ همم الحوريّات وكسر شوكة جيش الأوركا. ولكن ثيو أنقذ موقف الأوركا بضم قبضة يده اليسرى ورفعها للأعلى، ثم صرخ بأعلى صوته صرخة مدوية تبعثت على إثرها صفوف الدلافين أيما تبعث، ومن تلك الحادثة الصادمة استنتجت الحوريّة الأم أن في مواجهة ثيو جنوناً غير مسبوق، فاقترحت على الفور منازلة فردية يفرض فيها الفائز على الخاسر ما يشاء من الشروط عوضاً عن منازلة الجيشين أحدهما للآخر.

تقبّل سيد الأوركا مقترح الحوريّة الأم برحابة وسط رفض الحوريّات المنبوذات وصمت ثيو، ولإنهاء الإشكال الحاصل في صف جيش الأوركا قرر سيد الأوركا الانسحاب من المعركة في حال تم رفض عرض الحوريّة الأم، ولذلك انصاعت الحوريّات المنبوذات لقراره وهنّ أقلية قليلة تكاد لا تُذكر وسط الجيش.

قدّم سيد الأوركا ثيو من طرف جيشه، وقدمت الحوريّة الأم نفسها من طرف جيشها دون استشارة أي من الحوريّات، وذلك ليقينها بأنها أقواهنّ من جهة ولمعرفتها برغبة الحوريّات بالتضحية بأنفسهنّ من أجلها من جهة أخرى.

وأثناء اقتراب الحوريّة الأم من ثيو واقتراب ثيو منها صدر صوت

أوقفهما، كان الصوت صوت الحوريّة نايا تطالب به الحوريّة الأم بالتوقف وإفساح المجال لها لتصحيح خطيئتها التي اقترفتها.

اجتازت الحوريّة نايا الحوريّة الأم دون أن تكلمها ولا حتى أن تنظر لها وأخذت تقترب من ابنها أكثر وأكثر، كانت المُتقدّمة بوجه شاحب وبشموخ عظيم، وكانت على غير العادة تربط شعرها كجديلة ثريّة، تمامًا كما كانت تربطه فوق سطح الأرض.

ذهل ثيو من منظر أمه وهي تقترب منه، كانت بلا أسلحة ولا حتى بأدنى نيّة للقتال ما جعله يُذهل أكثر وأكثر، اقتربت منه، ثم أقتربت أكثر إلى أن توقفت قبالة. بالرغم من قلبه الميت وجد ثيو نفسه مشلول الحركة أمام أمه، احتضنته دون أن يحتضنها، اعتصرت به بقوة من قلبها ثم تركته، وأخذت تنظر إلى عينيه وأطالت النظر إليهما، ثم اعتذرت منه على إنجابها ومن ثم على إنقاذه ثم احتضنته مجددًا حتى تعبت فتركته، وعاودت النظر إلى عينيه ووقتها توقف الزمن بهما.

تدخل كيدي لإنهاء المشهد مستغلًا حالة الجمود التي أصابت جميع الحشود، فالتف من خلف ثيو - من خلف رأسه بالتحديد - وقام بإغماض عينيه بمنتهى الرقة، وحينها استفاقت الحوريّة نايا من جمودها واستلّت بلمح البصر سيفًا قصيرًا كانت قد أعمدته بين ثنايا جديلة شعرها وقامت بطعن صغيرها في قلبه.

ولقسوة قلب تلك الأداة القاتلة، لم يكتفِ السيف بقلب ثيو وحده فمضى إلى الأمام قدمًا واخترق جسد القط المخلص كيدي، ولشعوره بالألم يقطع أوصاله أفلت كيدي عيني ثيو وشأنهما لتواجهها المشهد الذي يكاد يحصل أمامه، فكما ذكرت لكم من قبل تلك الأداة القاتلة ذات قلب قاس؛ إذ علم السيف مسبقًا بعدم اكتفائه لا بقلب ثيو ولا بجسد كيدي فاستبق ذلك بتقطيع أوصال جديلة الحوريّة.

وبإمكاننا الآن القول إن المشهد قد اكتمل وكم كان المشهد مؤلمًا لجميع الحاضرين! حوريّة شعرها مقطّع حول رأسها بشكل وحشي،

ويدها سيف قصير يخترق قلب وليدها ويمتد ليخترق جسد قطها.
وبذلك انحصرت رائحة الفناء في دائرة صغيرة، تركزت في ثلاثة
أجساد فقط وسط متابعة الجموع، ولكنها كانت متابعة قصيرة لم تتجاوز
الخمس ثوانٍ وانتهت، انتهت بتلاشي الحورية وتلاشي صغيرها وانتشار
دماء القط في المكان.

قامت المياه بسحب جثة كيدي شرقاً، وكأنها قصدت بذلك إعادته
إلى المكان الذي جاء منه، وفي المقابل هوت لؤلؤتا حياة الحورية
والحوريّ للقاع؛ البيضاء التي تخص الحورية والسوداء التي تخص
الحوري. وبشكل فطري تقدم نُوا مسرعاً ليعترض طريق ما تبقى من
أسرته واضعاً يده في مسارهما في الأسفل منهما، وقبيل وصولهما إلى
يده بلحظات تلاشت اللؤلؤة السوداء واستقرت البيضاء في يده، ابتسم
نُوا للؤلؤة في قبضته ثم قبض عليها بكل قوة وضمها لصدره وأغمض
عينيه مطولاً.

وأثناء إغماض نُوا عينيه انتشرت حيتان الأوركا كلٌّ من حيث
جاء، وكذلك فعلت الدلافين والأسماك التي أصابها ثيو سابقاً، وغادرت
مجموعة الحوريات المنبذات غرباً بصمت، وانسحبت الحوريات إلى
مملكتهن.

فتح نُوا عينيه ووجد نفسه وحيداً، لا حوريتَه ولا قطها ولا طفله،
ولا حتى حشود الأوركا والحوريات، شعر مجدداً بتلك الوحدة التي
اقتاتت عليه فوق سطح الأرض بُعيد فقدانه لأسرته.

انتظر نُوا قليلاً لي طرح القليل مما يثقل قلبه ثم توجه إلى سطح
البحر باتجاه الشرق ينشد أقرب شاطئ يتشله مما هو فيه. ومضى في
طريقه قرابة ثلاث ساعات إلى أن صادفه شاطئ هادئ يحدّ جبلاً عظيماً
تكسوه غابة كثيفة للغاية.

خرج نُوا من الماء واستلقى على رمل الشاطئ حتى جففته أشعة
الشمس، ثم نهض وتابع طريقه مبتعداً عن الشاطئ إلى أن وجد كهفًا

صغيرًا، فتفحصه ثم استلقى فيه على ظهره وأمال وجهه ناحية يساره،
وحينها شاهد السوار الذي بدأ به حواراه مع حوريتها، فابتسم بغصة ثم
حاول بهدوء نزعها من يده، وتفاجأ لتمكنه من نزعها بسهولة، وتفاجأ أكثر
عندما أخذ السوار بالتلاشي أمام ناظريه.

ضحك نُوا، ضحك من قلبه طويلًا إلى أن انقلب ضحكه مع
الوقت إلى البكاء بحرقه، ضحك كثيرًا ثم بكى أكثر، بكى وبكى إلى أن
أسقطه كل من عقله وقلبه في نوم عميق.